الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique
نيابة مديرية الجامعة للتكوين العالي في الطور الثالث, التأهيل الجامعي, البحث العلمي
و التكوين العالي فيما بعد التدرج
Vice-rectorat de la formation de troisième cycle, l'habilitation universitaire,
la recherche scientifique et la formation supérieure de post-graduation



كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية

قسم التاريخ وعلم الآثار

الأوبئة والأمراض في بايلك الغرب الجزائري من خلال المصادر المحلية والأوروبية في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل.م.د)

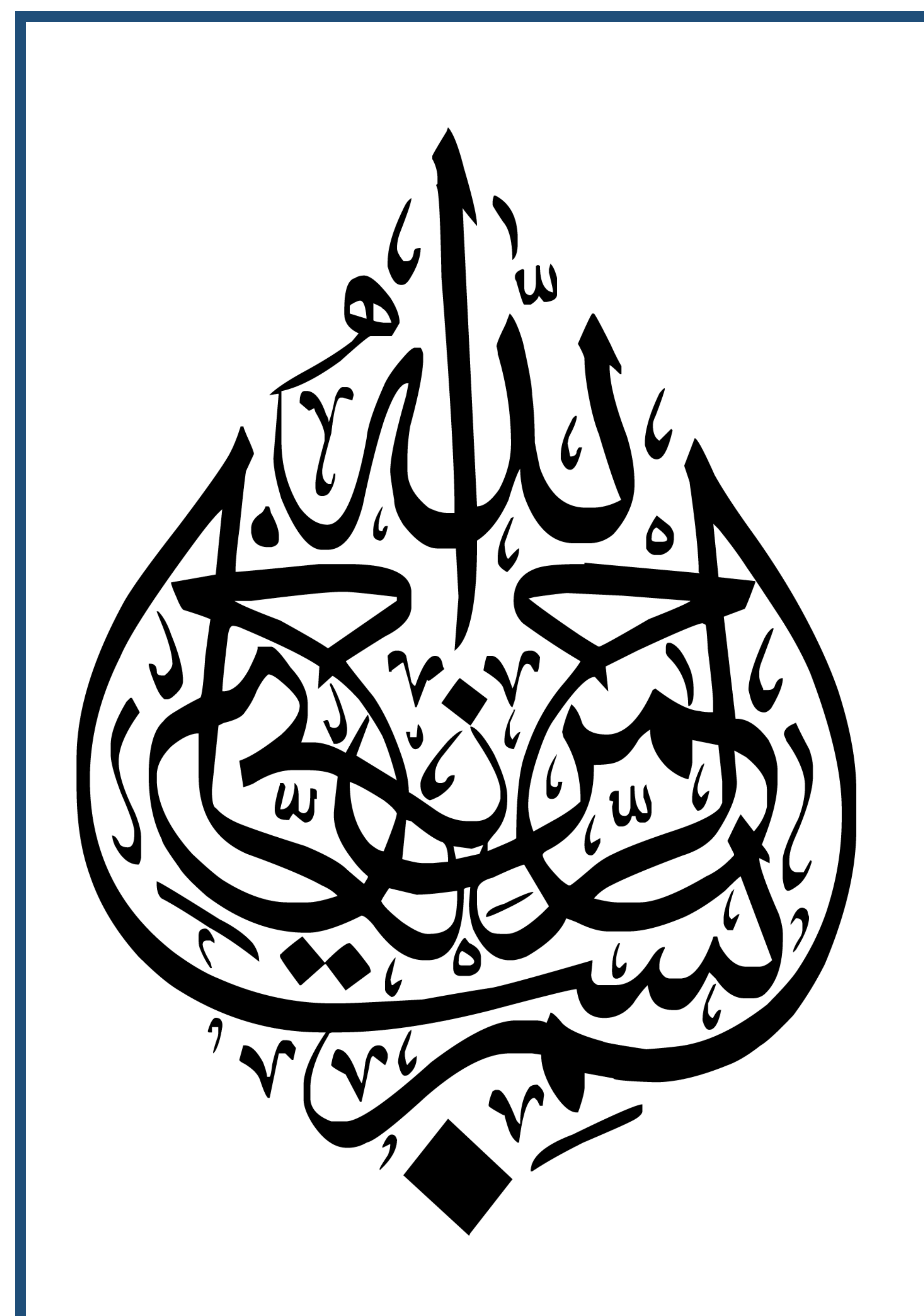
في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالب: فلاح سفيان

إشراف: أ.د/ حمدادو بن عمر

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
أ.د/دادة محمد	أستاذ	جامعة وهران1	رئيسا
أ.د/حمدادو بن عمر	أستاذ	جامعة وهران1	مشرفا ومقررا
أ.د/بن جبور محمد	أستاذ	جامعة وهران1	مناقشا
أ.د/ياقوت كلاخي	أستاذة	جامعة تيارت	مناقشا
د/بونقاب مختار	أستاذ	جامعة معسكر	مناقشا

الموسم الجامعي: 1443-1444هـ/2021-2022م


بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم﴾

الآية 7 من سورة إبراهيم

شكر وعرفان

الحمد والشكر لله الحي القيوم أولا وأخيرا وامتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم

﴿من لا يشكر الناس لا يشكر الله ومن أهدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له﴾

واعترافا بالجميل نتوجه بجزيل الشكر وجميل العرفان للأستاذ " حمدادو بن عمر " الذي تكرم بقبول الإشراف على هذه الرسالة وعلى جميع التوجيهات والملاحظات والنصائح التي قدمها لنا، وعلى رحابة وسعة صدره رغم انشغالاته راجين من المولى عز وجل أن يسدد خطاه ويحقق مناه فجزاه الله عنا خير الجزاء

كما لا يفوتنا ان نتقدم بوافر التقدير والاحترام لأعضاء اللجنة المحترمين على عناء قراءة الرسالة وقبولها وتصويبها

وفي الاخير نشكر كل من قدم لنا يد العون والمساعدة من قريب أو من بعيد ونسأل الله عز وجل أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم انه قريب مجيب

إهداء

الحمد لله على كثير فضله وجميل عطائه وجوده وكرمه، الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، الحمد لله عدد ما كان وما يكون وما سيكون، والصلاة وإسلام على حبيبنا وسيدنا وقائدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه

أهدي هذا العمل إلى من بحنانها ارتويت وبدفئهما احتميت وبنورهما اهتديت وببصرهما اقتديت، إلى من يشتهي اللسان نطقهما وترفرف العين من وحشتهما إلى والدي محمد رحمة الله عليه وجعله مع النبيئين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا، وإلى والدتي وحبيبتي حفظها الله وأطال في عمرها ومتعها بالصحة والعافية

إلى من كانت سندا لي في عملي هذا وفي حياتي زوجتي حفظها الله ورزقها طول العمر والصحة والعافية إلى من تحييني بسمتها وتشرح قلبي، إلى نور عيني وحبيبتي قلبي ومسك البيت ابنتي **سيرين** جعلها الله ذرية صالحة وحفظها من كل سوء وفتح الله عليها أبواب الخير والبركة

إلى من يذكرهم القلب قبل القلم، إلى من قاسموني حلو الحياة ومرها إخوتي وأخواتي كل باسمه: حنان، خديجة، فاطمة الزهراء، يونس، صلاح الدين، وإلى جميع أبنائهم: نصر الله، أحمد ياسين، أية الله، أشرف، صفوان، زياد، محمد، فاطمة، مهدي، حليمة، هند، تميم، نعيم، حفظهم الله من كل سوء وبارك لهم فيهم، وإلى ازواج أخواتي: يحي، إسماعيل، محمد بارك الله فيهم ووفقهم في حياتهم

إلى عائلتي الثانية عائلة كيرو على رأسهم الحاج عبد الوهاب والحاجة بارك الله فيهم ورزقهم الصحة والعافية وطول العمر وإلى أبنائهم محمد، نورالدين، إلياس، وليد، أيوب

إلى أصدقائي الذين هم بمكانة إخوتي: بومرزاق محمد، كبير محمد، يحلالي محمد، عبد اللاوي سفيان، سلطان، أحمد بوطريف، سماعيل حفاف حفظهم الله ووفقهم لما يحبه ويرضاه

وإلى كل من عرف سفيان من قريب أو بعيد

فلاح سفيان



جدول الرموز والمختصرات

قائمة المختصرات:

*** باللغة العربية:**

تح: تحقيق.

تق: تقديم.

تر: ترجمة.

ج: جزء.

مج: مجلد

ط: طبعة.

ع: عدد.

ص: صفحة

ص ص: من الصفحة إلى الصفحة

د.ت: دون تاريخ.

د.ط: دون طبعة.

م: ميلادي

هـ: هجري

ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

م.م.و: مخطوط المكتبة الوطنية.

***باللغة الفرنسية:**

P : La page

PP : De la page..à la page

Ed : Edition.

Imp : Imprimerie.

T : Tome.

V : Volume.

Tr : Traduction.

R.A : Revue Africaine.

Ibid : المصدر نفسه/ المرجع نفسه

Op.cit : المصدر/ المرجع السابق

O.P.U : ديوان المطبوعات الجامعية

B.S.G.A.O : Bulletin de la société de Géographie d'archeologie d'oran.

R.O.M.M : revue de l'accident Musulman et de la méditerranée.

A.I.P.A : Archive de l'institut Pasture d'Alger.

A.N.M : Académie nationale de médecine.

C.C.F.A: Correspondance des Consules de France à Alger.

M.C.M : Mémoires de la congrégation de la mission.

ANEP : Agence Nationale d'Edition et de publicité

المقدمة

تعد الأوبئة والأمراض والمجاعات والكوارث الطبيعية من أهم الأحداث التي كان لها دور كبير في حياة المجتمع الجزائري والسلطة التركية خلال الوجود العثماني بالجزائر، خصوصا ما تعلق بتأثيرها على الجانب السياسي والاجتماعي والاقتصادي، حيث تعتبر مدينة وهران من المدن الأولى التي نزلت بها الأوبئة منذ أن أصبحت الجزائر إيالة عثمانية وقد تحملت هذه المدينة وبعض المدن المجاورة لها كمستغانم ومعسكر وتلمسان العديد من الأزمات الصحية بسبب موقعها الساحلي ومركزها الحيوي.

كما أن الحديث عن الأوبئة في وهران خصوصا وبايلك الغرب عموما والأزمات الصحية لا يعدو أن يكون إشارات أو شذرات ذكرت هنا وهنالك، ولم تقيد الأزمات بها بشكل واضح إلا بعد تحريرها وفتحها من طرف محمد الكبير سنة 1792، ضف إلى ذلك أنه كانت حصة الغرب الجزائري لا تتعدى 15% من أوبئة الطاعون فيما احتلت المناطق الوسطى من البلاد الجزائرية المراتب الأولى وفي مقدمتها مدينة الجزائر بنسبة 54%، واحتل الشرق الجزائري أو بايلك الشرق المرتبة الثانية بنسبة 26%، غير أن ما زاد من حدّة انتشار الأوبئة هو سياسة السلطة الحاكمة في مواجهتها، وعدم مبالاتها بما كانت تخلفه هذه الأوبئة من ضحايا، وأيضا طريقة تعامل السكان مع الأوبئة، من خلال استعمالهم للعلاج الشعبي الذي توارثوه عن آبائهم، وفي بعض الأحيان ممارساتهم الشركية كالسحر والشعوذة، والتبرك بالأولياء الصالحين، وهذا ما كان عاملا مهما في تفشي هذه الأمراض وبقائها لمدة زمنية طويلة بلغت في كثير من الأحيان أربع سنوات كوباء سنة 1790م الذي دام سنتين وزادت حدّته سنة 1792م، ووباء سنة 1817م الذي استمر لغاية سنة 1822م، والذي اشتهر بقوته وكثرت ضحاياه.

لقد كانت الأوبئة في الجزائر العثمانية عموما وبايلك الغرب خصوصا ذات تأثير على البينة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وهذا ما جعلنا نخرج من الدراسة التاريخية السطحية العامة التي تعتمد على الطرح السطحي الجاف والأمور السياسية بشكل كبير دون تحليلها وفهمها ونقدها، أو التي تتكلم عن بطولات أشخاص في حدّ ذاتهم، أو التي تتكلم عن العلاقات السياسية والصراعات حول الحكم، فحاولنا أن نخرج بهذا البحث إلى الواقع

الاجتماعي وربطه بالتاريخ الأنثروبولوجي، والديني والديمغرافي والصحي، فقد لعبت الأزمات الصحية دورا كبيرا ورئيسيا وعميقا في فهم الأحداث التاريخية وما ترتب عنها من انعكاسات في مختلف الجوانب سواء السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية والفكرية، لأنها تصور لنا واقعا ملموسا.

ولعل دوافع اختيارنا لهذا الموضوع أنه كان لفترة الوجود العثماني في الجزائر دور كبير في تاريخ الجزائر، وهذا ما جعلها تعنى باهتمام المؤرخين والباحثين لطول مدتها الزمنية أولا، ولتسارع الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية من جهة أخرى، وكذلك اختلاف الأوضاع من منطقة لأخرى، ولهذا لا زال الجانب الاجتماعي والاقتصادي يستقطب اهتمام الدارسين والباحثين، وهذا بسبب ارتباط هذه الأوضاع بالواقع السياسي خصوصا بايلك الغرب الجزائري الذي عرف ظروفا خاصة بحكم السيطرة الإسبانية على مدينة وهران والمرسى الكبير لمدة قاربت الثلاثة قرون، وتمرد القبائل على السلطة العثمانية كقبيلة درقاوة، ورغبة سلاطين المغرب في التوسع من جهة أخرى، وهذا ما جعل بايلك الغرب الجزائري يعرف تجاذبا باعتباره نقطة احتكاك بين الإيالة وإسبانيا، لذلك كان النظام ببايلك الغرب نظاما عسكريا أكثر منه سياسيا، ولهذا لم يعرف البايلك الاستقرار خلال الحكم العثماني، ضف إلى ذلك أن بايلك الغرب عرف خلال هذه الفترة ظهور الكثير من الأوبئة والأمراض خاصة وباء الطاعون، إضافة إلى الكوارث الطبيعية المتمثلة في الزلازل، وأيضا المجاعات، وهذا ما أثر سلبا على الحياة الاجتماعية في البايلك.

وهذا ما دفعنا لتسليط الضوء على الأوضاع الاجتماعية في بايلك الغرب الجزائري من خلال ما تعرض له هذا الإقليم من أمراض وأوبئة أثرت بشكل كبير على الوضع السياسي والاقتصادي، ضف إلى ذلك كان من دوافع اختيارنا لهذا الموضوع:

الرغبة الشخصية في التعرف على جزء من تاريخ الجزائر خلال الوجود العثماني، وبشكل خاص الأوضاع في بايلك الغرب الجزائري، وتسليط الضوء على الأوضاع الاجتماعية وخصوصا الجانب الصحي من خلال ما عرفه هذا الإقليم من أوبئة خلال فترة

زمنية محددة بلغت قرن وثلاثين سنة، ومعرفة أسباب حدوث هذه الأوبئة وكيف تمت مواجهتها، هذا بالإضافة لربط العلاقة بين الواقع الاجتماعي والسياسي.

ولكن أهم نقطة في اختيارنا لهذا الموضوع هي التركيز في الكتابة التاريخية على مواضيع جديدة بعيدة عن التأريخ التقليدي الذي يعتمد على سرد الأحداث، ومحاولة ربط الكتابة التاريخية بالحياة الاجتماعية العميقة، التي تعتمد على البنية الخفية للمجتمعات والواقع الملموس، وأيضا ربط الكتابة التاريخية بعلوم أخرى تساهم في فهم الذهنيات والأفكار خصوصا ما تعلق بعلم الأنثروبولوجيا والدين وعلم النفس والأدب...الخ، وهذا للخروج بنظرة مختلفة عن الكتابات التاريخية التي تعتمد على السرد فقط وذكر الأحداث، والاهتمام بالبطولات الفردية فقط، خصوصا وأن مجال بحثنا يتعلق بالتأريخ للأزمات وانعكاساتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهو ما ينبهنا للدور الذي تلعبه الأزمات في التاريخ.

ضف إلى ذلك أن بحثنا في هذا الموضوع المتعلق بالأوبئة والأمراض وبتقدير من الله عز وجل صادف انتشار وباء في العالم وهو وباء كورونا والمعروف بكوفيد 19، ورغم تأثيره الكبير والسلبي جعلنا نحس بما عاشه أسلافنا لمَا نزلت بهم هذه الجوائح، وأعطانا نظرة شاملة لما تخلفه هذه الأوبئة على المجتمعات من تأثيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية ودينية، وجعلنا نسقط الفترات الوبائية في بايلك الغرب على ما نعيشه حاليا، وهذه النقطة جعلت من بحثنا واقعيا أكثر من أن يكون دراسة وبحث وسرد للمعلومات فقط.

لقد كان الهدف من هذه الدراسة هو رصد مسار الأزمات الصحية من أوبئة وأمراض على الحياة السياسية والاجتماعية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر والربع الأول من القرن التاسع عشر ميلادي، ولهذا وضعنا تصور عام للوضع الاجتماعي والسياسي في بايلك الغرب قبل الكلام عن الأوبئة التي ضربت الإقليم، وهذا من خلال طرح الإشكالية التالية:

*ماهو مسار الأزمات الصحية في بايلك الغرب الجزائري، وما قابله من تفاعل حضاري واجتماعي؟

وقد ترتب عن هذ الإشكال جملة من التساؤلات أهمها:

-ما هي أهم الأوبئة والأمراض التي عرفها بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18م وبداية القرن 19م، وما هي أسباب انتشارها؟

-كيف كانت نظرة السكان والسلطة الحاكمة لهذه الأوبئة؟

-ما هي الاحترازات الي كان يقوم بها اليهود والمسيحيين في مواجهة هذه الأوبئة؟

-كيف واجهت السلطة العثمانية هذه الأزمات، وما هي الإجراءات التي اتبعتها للقضاء عليها أو التخفيف من آثارها؟

-كيف واجهت السلطات الإسبانية هذه الأزمات الصحية؟،وماهي انعكاسات هذه الأوبئة على الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي؟

وللإجابة على هذه الأسئلة وغيرها اتبعنا خطة بحث من مدخل وثلاثة فصول

فالمدخل تناولنا فيه: الإطار الجغرافي والسياسي والاجتماعي لبايلك الغرب الجزائري، تطرقنا فيه للإطار الجغرافي لبايلك الغرب الجزائري، وتضاريس المنطقة ومناخها، ثم مررنا لذكر أهم مدن بايلك الغرب الجزائري، ثم تكلمنا على الحياة الاجتماعية والسياسية في البايلك من خلال ذكر أهم بايات بايلك الغرب الجزائري، ثم تطرقنا للتركيبة الاجتماعية للسكان في البايلك وتقسيماتها، وأخيرا ذكرنا الاحتلال الاسباني لمدن بايلك الغرب قبل الوجود العثماني في الجزائري، وركزنا على مدينة وهران والمرسى الكبير، ثم تطرقنا لفتح وهران من الاحتلال الاسباني الأول والثاني.

أما الفصل الأول والموسوم ب: الأوبئة والأمراض في بايلك الغرب الجزائري تناولنا فيه مفاهيم ودلالات حول الأمراض والأوبئة، من خلال تقديم تعريفات لغوية واصطلاحية، إضافة لأنواع الطاعون، والفرق بين الوباء والطاعون، ومسألة العدوى عند المؤرخين

وعلماء الدين، ثم قدمنا عرض لأهم المدونات المحلية والأجنبية التي تكلمت أو تطرقت للأوبئة والأمراض خصوصا في الجزائر العثمانية، ثم تكلمنا بشكل عام عن الأوبئة التي ضربت الجزائر بشكل عام وفي كل الإيالات خلال الوجود العثماني بالجزائر ما بين 1518م إلى 1830م، ونظرة المؤرخين لسبب توطن الأوبئة في الإيالة الجزائرية خصوصا وشمال إفريقيا عموما، وما هي أسباب انتشار الأوبئة في الإيالة الجزائرية والعوامل المساعدة في ذلك، ثم مررنا لذكر أهم الأوبئة في الفترة محل الدراسة في المقاطعات الإدارية للإيالة الجزائرية خصوصا دار السلطان وبايلك الشرق التي عرفت مسارا وبائيا كبيرا خلال هذه الفترة.

ثم الفصل الثاني والموسوم ب: الأوبئة والأمراض في بايلك الغرب الجزائري من سنة 1700م إلى سنة 1830م، المظاهر والانعكاسات، واستهللناه بمدخل عن تاريخ الأوبئة في بايلك الغرب الجزائري، وما عرفته هذه المنطقة من أوبئة منذ مجيء العثمانيين، ثم في فترتي الاحتلال الإسباني لوهران والمرسى الكبير، ثم توسعنا في الكلام حول كرونولوجية الأوبئة في بايلك الغرب الجزائري ما بين سنة 1700م إلى غاية سنة 1830م، وأهم الأوبئة التي ضربت المنطقة، وما هو مصدرها، وأين امتدت، وأخيرا قدمنا موجز لأهم الأمراض التي عرفتها الإيالة الجزائرية عموما وبايلك الغرب خصوصا والتي عرفت انتشارا واسعا بين السكان، ثم تكلمنا على انعكاسات الأوبئة وآثارها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهنا ركزنا في كلامنا على الآثار الاجتماعية خصوصا الديمغرافية، من خلال الحديث عما خلفته الأوبئة من ضحايا، وأيضا الهجرات من المدن نحو القرى والأرياف، إضافة لظهور المجاعات بعد حدوث الأوبئة مباشرة، وهو ما كان عاملا رئيسيا في الفقر الذي عاشته الإيالة عموما والبايلك خصوصا، وهنا حاولنا الربط بين الانعكاسات وبين دور السلطة في مواجهة تفشي الأمراض والأوبئة، والتركيز على الإجراءات التي قامت بها السلطات العثمانية والإسبانية للحد من انتشار الأوبئة، رغم أنها لم تكن بالشكل المطلوب، وإنما اكتفوا في غالب الأحيان بحماية أنفسهم وعائلاتهم، أو الحجر على أنفسهم.

أما الفصل الثالث والموسوم بـ: الإجراءات الصحية لمواجهة الأوبئة والأمراض في بايلك الغرب، وهنا بدأنا الكلام حول الإجراءات المتبعة لمواجهة الأوبئة سواء من طرف السكان المحليين، أو الوافدين الأجانب من يهود ومسيحين، وأيضا من طرف السلطة الحاكمة وأشرنا إلى تعامل كل فئة مع الأمراض، وأهم الإجراءات العلاجية للوقاية أو الشفاء من الوباء، وتكلمنا حول الطب والأطباء خلال هذه الفترة، وعمل السلطة الحاكمة على جلب الأطباء الأجانب، إضافة لقلة المستشفيات في الإيالة عموما.

وركزنا خلال هذا الفصل على نظرة السكان للأوبئة وما كانوا يعتقدونها اتجاهها، والطرق التي اعتمدوا عليها في معالجتها من سحر وشعوذة ورقية وطب شعبي، والتبرك بالأولياء والصالحين، والعلاج عن طريق الحمامات المعدنية، وربطنا هذه الإجراءات بما كان يقوم به اليهود والنصارى من احترازات من الأوبئة، وطرق مواجهتهم لها، ووضع مقارنة للطرق العلاجية المختلفة بين الساكنة المحلية والسلطة الحاكمة، واليهود والنصارى

وختمنا الفصل بالحديث عن الحجر الصحي أو الكارانتينا ودوره في مواجهة تفشي الأوبئة، وما مدى تطبيقه من طرف السلطة الحاكمة سواء على السكان المحليين أو اليهود والنصارى، والسفن التجارية ووفود الحجاج، وأيضا على السلطة الحاكمة نفسها.

وحاولنا في الأخير حصر ما وصلنا إليه من نتائج دراستنا في خاتمة، والتي كانت عبارة عن ملخص شامل للبحث والنتائج التي خرجنا بها من خلال متابعتنا لمسار الأوبئة والأمراض في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18م وبداية القرن التاسع عشر ميلادي، كما قدمنا بعض التوصيات والتي ارتأينا أنها تخدم موضوع البحث والدراسات المستقبلية.

أما عن المنهج المتبع في الدراسة ولأجل الارتقاء بالدراسة علميا اعتمدنا على المنهج الوصفي وهو المنهج المناسب عمليا إذ يتصف بالوسطية لابتعاده عن التطويل الممل والإيجاز المخل، وحاولنا من خلاله استحضار الصورة العامة لانتشار الأوبئة وتأثيراتها المختلفة على جوانب الحياة بالنسبة للساكنة والسلطة الحاكمة، هذا مع الاستئناس طبعا

بالمنهج التاريخي التحليلي الموسّع لأجل توفير المعلومات الأساسية عن الاصطلاحات التعريفية للأوبئة والأمراض، وسبب حدوثها وطرق انتشارها والتي ستكون محل الدراسة.

كما اعتمدنا على منهج التحليل المقارن والنقدي في الفصل الثاني والثالث خلال كلامنا عن الأوبئة وأماكن حدوثها في كامل الإيالة مقارنة بانتشارها في بايلك الغرب الجزائري، وأيضا انعكاسات الأوبئة على جوانب الحياة الاجتماعية، مقارنة بتأثيراتها على مختلف طبقات المجتمع.

أما بالنسبة لأهم الدراسات الأكاديمية التي درست هذا الموضوع ففي الحقيقة لا نقف على أي دراسة سابقة تطرقت لموضوع الأوبئة في بايلك الغرب الجزائري خلال الفترة المدروسة، بل لم نجد دراسات تؤرخ للأزمات في الإيالة الجزائرية، إذا استثنينا مذكرة جون مارشيكا كأول دراسة أكاديمية للحصول على شهادة دكتوراه في الطب من جامعة الجزائر سنة 1901م تحت عنوان: الطاعون في الجزائر 1363م-1830م، ونجد أيضا أطروحة دكتوراه لفلة موساوي القشاعي بعنوان: الصحة والسكان في الجزائر خلال العهد العثماني وأوائل الاستعمار الفرنسي من جامعة الجزائر سنة 2004م، وكذلك موضوع بحث قدم لنيل شهادة دكتوراة سنة 2019 لخير الدين سعيدي تحت عنوان: المجاعات والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني 1700-1830م من جامعة قالمة، غير أن هذه الدراسات تكلمت عن الأوبئة والمجاعات التي ضربت كامل الإيالة الجزائرية ولم تخص بايلك الغرب الجزائري بالدراسة.

وقد اعتمدنا في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المخطوطات والمصادر والمراجع وبعض المراسلات الأرشيفية والمجلات، التي تناولت موضوع الأوبئة والأمراض في الإيالة الجزائرية عموما وبايلك الغرب الجزائري خصوصا، نذكر منها:

وثائق أرشيفية فرنسية خاصة بمراسلات واردة من القنصلية الفرنسية في الجزائر، وأيضا وثائق في الغرفة التجارية في مارسيليا، وهذه المراسلات تحمل معلومات كثيرة حول الأوبئة التي وقعت بالجزائر

إضافة إلى أعداد مختلفة من مجلة la Gazette الفرنسية خصوصا الصادرة في القرن 18م

ومذكرات وبائية التي وضعها الطبيب "غراندميسون" حول وباء الجذري la variole وتكلم فيها بشكل مطول عن الوباء وتاريخه وأعراضه

أيضا الدكتور "بيرتران" وكتابه الطب والنظافة عند العرب الذي صدر في منصف القرن 19م

مذكرة "بيربروجر" mémoire sur la peste en Algérie والتي جاءت ضمن كتاب exploration scientifique de l’Algérie "الاستكشاف العلمي للجزائر" وتتبع خلالها الأوبئة بشكل دقيق في الجزائر بداية من سنة 1552م.

أيضا مذكرة مارشيكا الطاعون في الجزائر 1363-1830م.

فونتير دو بارادي: Alger au 18 éme siécle

وأهم المراجع الأجنبية اعتمدنا على كتاب

Histoire d’Oran, avant pendant et après la domination espagnol

لـ Fey leon والذي خصص لدراسة تاريخ مدينة وهران وأهم ما وقع بها قبل وبعد الحكم الإسباني.

وأيضا كتاب De la domination turque dans l’Ancienne régence d’Alger لـ Walsin Esterhazy والذي تضمن معلومات حول الغرب الجزائري والقبائل الموجودة بهذه المنطقة وعلاقتهم بالحكم العثماني

أما المصادر العربية فنذكر كتاب "إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز من الوباء" لحمدان خوجة الذي تكلم عن وباء الطاعون وكيفية الاحتراز منه من خلال ما رآه حمدان خوجة في البلاد المسيحية، وعدم قبول الجزائريين بتلك الإجراءات لكونها صادرة من مسيحيين ونصارى

وأيضا أقوال المطاعين في الطعن والطواعين للعربي المشرفي، وهو مصدر مهم تكلم عن الطاعون وأعراضه وأسبابه، كما رصد معلومات هامة عن وباء بلدان المغرب العربي في أواخر القرن 18م وأوائل القرن 19م، كما عكس صور النخبة خلال هذه الفترة ونقلها أخبار عن الأوبئة وأهم المسائل الفقهية التي رافقت حدوث الأوبئة.

الأغا بن عودة المزاري: طلعة سعد السعود في أخبار مدينة وهران من أشهر الكتب التي دونت أهم الوقائع التاريخية والسياسية لبايلك الغرب الجزائري

ابن خاتمة: تحصيل غرض القاصد في تفصيل مرض الوافد والكتاب مرتب على عدة مسائل أهمها: حقيقة وباء الطاعون والمعنى اللغوي والطبي، أسباب الوباء القريبة والبعيدة، مسألة العدوى وكيفية التحفظ والاحتراز منه، وعلاجه في حال نزوله، ما تكلم الشرع به

ابن خلدون: مقنعة السائل عن المرض الهائل

محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، من أبرز المصادر التي خصصها صاحبها لتاريخ مدينة وهران بحيث يشمل التاريخ العثماني في الجزائر وتحدث المؤلف بالخصوص عن وهران والبايات الذين تداولوا على حكمها واهم الأحداث التي وقعت في عهدهم، وميزته انه تحدث عن الفترة الاخيرة من الحكم العثماني وهي الحلقة المفقودة إذ ان اغلب المؤرخين تحدثوا عن فتح وهران وتوقفوا، كما يتعرض الكتاب إلى ثورة درقاوة وعرض أحداثها بصفة جلية فهو غير متحيز لأي وجهة نظر.

مسلم بن عبد القادر: أنيس الغريب والمسافر في تاريخ بايات وهران

أحمد الشريف الزهار: مذكرات نقيب الأشراف

ابن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني

أضافة لبعض المراجع لعل أبرزها:

أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830م)

مصطفى خياطي: الطب والأطباء في الجزائر العثمانية

فلة موساوي القشاعي: الصحة والسكان في الجزائر خلال العهد العثماني وأوائل الاستعمار الفرنسي والذي تكلم عن الأوبئة التي ضربت الجزائر خلال الحكم العثماني والسنوات الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر، وطرق العلاج المتبعة وتأثيرات الأوبئة على جميع المستويات

خير الدين سعيدي: المجاعات والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني 1700-1830م

شلدون واتس: الأوبئة والتاريخ، المرض، والقوة الإمبريالية

ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، العهد العثماني

عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام

أبو العيد دودو: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855م

إضافة لبعض المواقع المهمة على شبكة الأنترنت والتي ساعدتنا في تحميل العديد من الكتب المفقودة في المكتبات خصوصا المصادر الأجنبية وحتى المحلية، ومواقع أخرى تضمنت دراسات متعلقة بالموضوع محل الدراسة كموقع:

www.gallica.com

https://www.health.ny.gov/diseases/communicable/cholera/fact_sheet.htm

www.noor-book.com

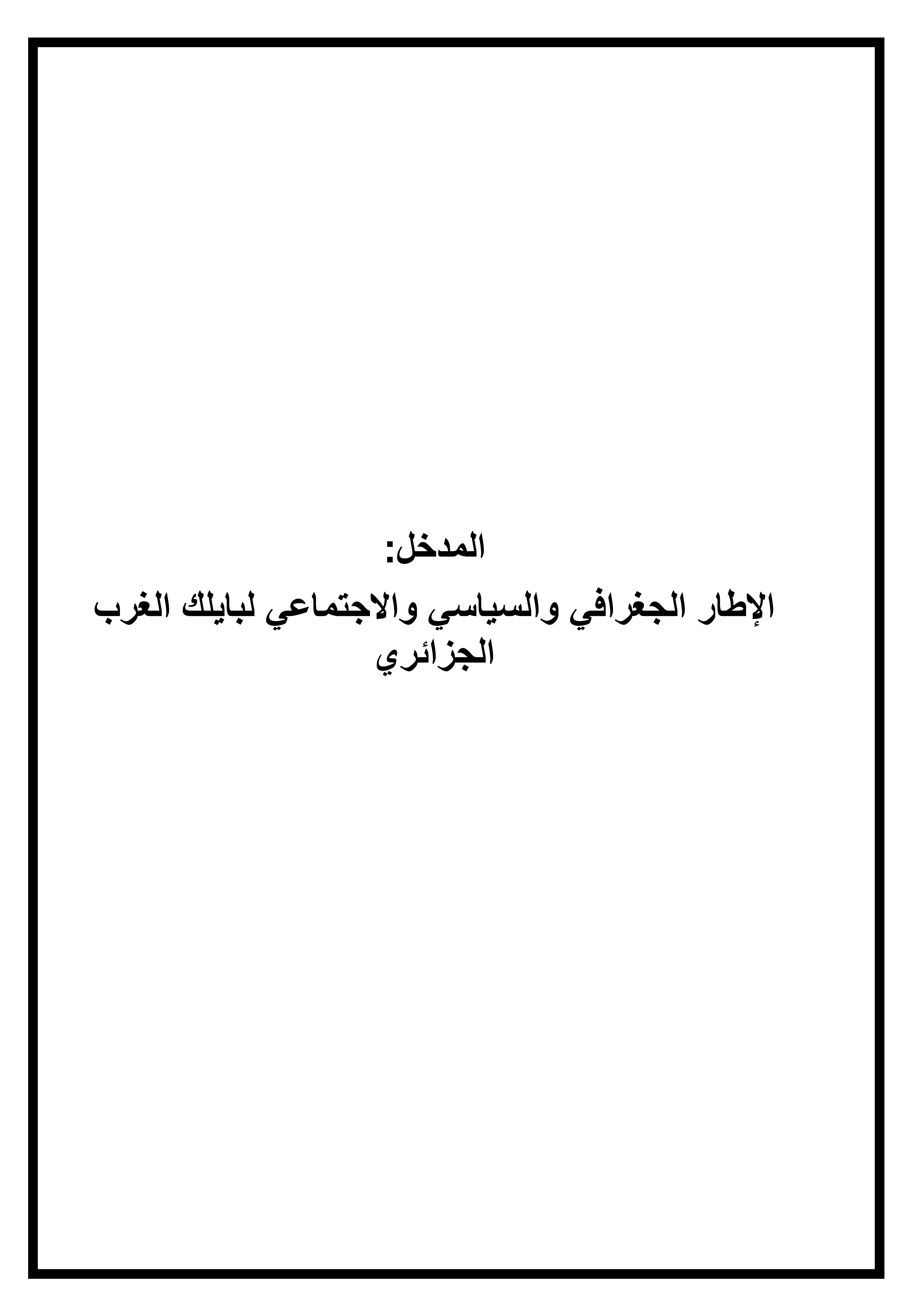
وقد واجهتنا خلال إنجاز هذا البحث جملة من الصعوبات والعقبات التي لا مفر منها ولا مهرب، لعل أبرزها قلة المصادر التي تتكلم عن الأوبئة والأمراض في بايلك الغرب الجزائري وإن وجدت فلا يعدوا أن تكون شذرات ذكرت هنا وهناك، وأيضا قلة الوثائق الأرشيفية الخاصة ببايلك الغرب الجزائري، ضف لذلك أن بحثنا تزامن مع جائحة أصابت العالم والمتمثلة في وباء كورونا، وهذا ما صعب علينا البحث والتنقيب عن المصادر والمراجع والوثائق الأرشيفية، بسب الغلق والحجر الصحي الذي فرض على الفضاءات التي تعرف تجمعات كالمكتبات والجامعات ومراكز الأرشيف، وهذا ما دفعنا للبحث عنها بطرق أخرى، ضف لذلك أن ما ذكر في الدراسات السابقة التي اهتمت بموضوع الأوبئة في الجزائر العثمانية لا يعدوا أن يكون نقلا وتكرارا لما ذكر في مختلف المصادر والمراجع، ومن الصعوبات أيضا طبيعة عملي الذي لا يمنح الباحث الكثير من الوقت ويجعله مقيدا برسالة التعليم، ولكن هذه الصعوبات لم تزدنا إلا إصرارا وعزما على إخراج هذا العمل إلى النور، وهذا بفضل الله عز وجل ثم بفضل الأستاذ المشرف المحترم بن عمر حمدادو والذي كان بمثابة الأخ قبل أن يكون موجها ومرشدا، والذي لم يبخل علينا بتوجيهاته وإرشاداته ودعمنا فله كل الشكر والتقدير

لم تكن هذه الدراسة سوى غيظ من فيض، وبذرة فتحت الآفاق لمن بعدنا للبحث في تاريخ بايلك الغرب الجزائري الذي لم ينل نصيبه من البحث والدراسة في مختلف الجوانب

السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية، وهذا لإزالة اللبس عن تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني بصفة عامة وبايلك الغرب الجزائري بصفة خاصة

الطالب: سفيان فلاح

يوم: 26 فيفري 2022



المدخل:

الإطار الجغرافي والسياسي والاجتماعي لبايلك الغرب الجزائري

لقد تميز بايلك الغرب في القطر الجزائري مع اختلاف عواصمه من مازونة إلى مستغانم ثم معسكر ووهران على بقية الأقاليم الأخرى (دار السلطان، بايلك الشرق، التيطري) باعتباره أرض صراع وجهاد دائم استمر قرابة 3 قرون، فالتحرشات الإسبانية من جهة، وتمرد قبائل الغرب وعصيانها على السلطة العثمانية أو تحالفها مع الإسبان من جهة أخرى، هذه الظروف والعوامل جعلت من النظام في بايلك الغرب نظامًا عسكريا أكثر منه سياسيا، فما من داي يعين على الإيالة الجزائرية، وأي باي يتعين في الغرب الجزائري، إلا ويكون شعاره تحرير بايلك الغرب وخصوصا مدينة وهران والمرسى الكبير من الاحتلال الإسباني.

أولا: تأسيس بايلك الغرب الجزائري:

يعود تاريخ تأسيس البايلك كتقسيم إداري وسياسي إلى النصف الأول من القرن 16م، حيث ثم تقسيم الجزائر إلى مقاطعات وأقاليم إدارية، وكانت كل مقاطعة تعرف بالبايلك [1]، وقد تم التقسيم الإداري للجزائر عبر مراحل حيث وضع خير الدين باشا عام (923هـ/1518م) نظاما متواضعًا لإيالة الجزائر وقسمها إلى 3 أقسام وهي: قسم الوسط تحت سلطة خير الدين باشا، قسم الغرب مركزه شرشال، قسم الشرق مركزه دلس[2].

وبقي الأمر هكذا حتى تولى ابن حسن بن خير الدين (بايلرباي) سنة (970هـ-1563م)[3]، فقام باستكمال ذلك التقسيم، ووضع نظام إداري محكم وقسم الجزائر إلى 4 بيالك[4] وهي:

بايلك الوسط: دار السلطان، عاصمته الجزائر العاصمة.

بايلك التيطري: عاصمته المدية وأسس عام (946هـ/1540م)[5].

بايلك الشرق عاصمته قسنطينة وأسس عام (972هـ/1565م)[6].

---

[1]- صالح عياد، الجزائر خلال الحكم التركي(1514-1883)، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2005، ص281.

[2]- يحيى بوعزيز، وهران عبر التاريخ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الرغاية، الجزائر، 1985، ص 76.

[3] - Walsin Nesterhazy Louis-Joseph- Ferdinand, de la domination Turque dans l'ancien regence d'Alger éditeur. C. Gossglin- Paris 1840, PP 157-158.

[4]- الأغا بن عودة المزاري طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة، يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، ص 274- 275، وانظر:

Esterhazy (walisin) : de la domination turque op, cit, p 165.

[5]- أحمد شريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار أشراف الجزائر، تقديم وتعليق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1979، ص 47-48.

[6]- ابن العطار محمد بن المبارك، تاريخ قسنطينة، تحقيق رابح بونار منشورات المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، بيروت، 1971، ص 46.

أما بايلك الغرب فقد تأسس عام (1563م/970هـ)، وفي هذا يقول المزاري في طلوع سعد السعود أنه هو الثاني في المرتبة لكون الترك تولوا على الجهة الغربية، وجعلوا فيها بايا قبل الجهة الشرقية، قاعدته وهران، وكانت عاصمته مازونة وتلمسان قاعدته المهمة، وأول باياتها حسن بن خير الدين باشا، وتولى بمازونة الحكم عشرة بايات، ثم تحولت عاصمته سنة(1097هـ-1686م) إلى قلعة بني راشد، ثم صارت معسكر عاصمة البايلك سنة (1701م/1112هـ)، ثم وهران في الفتح الأول عام (1708م/ 1119هـ)، ثم صارت مستغانم سنة (1732م/1144هـ)، بعد ذلك عاد المقر إلى معسكر سنة (1737م/1149هـ)، ثم وهران في الفتح الثاني سنة (1792م/1206هـ)[1] ، واستمر الحال في ذلك إلى انقطاعهم[2]، فبايلك الغرب يختلف عن بايلك التيطري والشرق لعدم الاستقرار بالنسبة لعاصمته.

وقد امتد الحكم العثماني إلى الغرب الجزائري عندما توجه "عروج بربروس" إلى مدينة "تنس" لإخماد إحدى الثورات التي قامت بها قبائل "الأمحال" بقيادة أميرها "حميدة العبد"، ومن ثم زحف عروج إلى تلمسان ودخل قلعة المشور مع حرسه واعتقل "أبا زيان" حيث شنقه في رواق القصر وكان لأبنائه وأفراد العائلة الحاكمة نفس المصير حيث رماهم في الحوض الكبير[3]، وقد واجه العثمانيون عدة صعوبات في بداية حكمهم في بايلك الغرب نظرا لشدة المعارضة المحلية المتمثلة في الزيانيين من جهة، والتحرش الإسباني والمغربي من جهة أخرى[4]، لكنهم توصلوا إلى تثبيت بعض الحاميات العسكرية في بعض المدن الغربية مثل: تنس، مستغانم، مازونة، وحققوا انتصارات على قبائل الأمحال المسيطرة على الجهة الغربية من البلاد خلال الحكم الزياني[5].

ثم شن هجومات مكثفة اتجاه المرسى الكبير ووهران ومستغانم سنة (1556م/963هـ) والتي باءت بالفشل، فترك حسن بن خير الدين حامية عسكرية في "مازونة"، وعيّن "ابن

[1]- محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق، المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1979، ص 190.

[2] - الآغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ص271.

[3] - عدة بن داهة: معسكر عبر التاريخ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 51.

[4] - مجهول: غزوات عروج وخير الدين، تحقيق عبد القادر نور الدين، مطبعة ردوسي قدور للنشر والتوزيع، 1934، ص 79.

[5] - Esterhazy : op ; cit ; P157.

خديجة بايا"[1] على بايلك الغرب، وكان ذلك سنة (1563م/970هـ)، وأمده بسند من الأموال والجنود [2]، وقد تولى حكم البايلك الغربي في هذه الفترة "بايان" أحدهما استقر بمازونة والآخر بتلمسان وسنفصل في الأوضاع السياسية لاحقا.

ثانيا: الإطار الجغرافي لبايلك الغرب الجزائري:

بايلك الغرب من حيث الرقعة الجغرافية والحدودية هو ما يعادل بالتقريب القطاع الوهراني حاليا[3]، ويمتد بين الحدود التالية، المملكة المغربية غربا وبايلك التيطري ودار السلطان شرقا، والبحر الأبيض المتوسط شمالا والصحراء الكبرى جنوبا[4]، غير أن هذه الحدود العامة لبايلك الغرب، خصوصا فيما تعلق بالحدود الشرقية والغربية حيث يحده واد الشلف[5] شرقا، ووادي ملوية[6] في الغرب، والبحر الأبيض المتوسط في الشمال، والصحراء والصحراء في الجنوب[7]، ويكتسب هذا الموقع أهمية استراتيجية حيث يطل على عدة كيانات وتجمعات بشرية أهمها: المملكة الغربية، وأوروبا، والمناطق الصحراوية وقوافلها التجارية وبايلك التيطري ودار السلطان[8].

ويذكر أبي راس الناصري أن المغرب الأوسط له دلالتين جغرافيتين مختلفتين: الأولى مجال الدولة الزيانية فابتداؤه من بجاية إلى وجدة، ويذكر في هدا الباب: "...ولما أكثر المولى إسماعيل ملك المغرب الأقصى من الأجلاب على المغرب الأوسط، زحفت إليه

[1] - الباي: قال الحافظ أبو عبد الله محمد الصغير اليفريني في كتابه نزهة الحادي: ومعنى الباي بلغة الأتراك قايد القياد ويختص به قايد الصبايحية، ولما يعظمونه يقولون به الباي لار، وقال الحافظ أبو راس في الخبر المعرب: الباي هو الذي يوليه الباشا ناحية كبيرة في عرفنا، ويضيف الباشا هو الذي يوليه السلطان قاعدة كبيرة كالجزائر وتونس وطرابلس، والباي عندنا من يوليه باشا الجزائر جهة مخصوصة مثل قسنطينة، ولار بمعنى جميع، انظر، الآغا بن عودة المزاري: المصدر السابق، ص 269-270.

[2] - محمد بن يوسف الزياني: المصدر السابق، ص 192.

[3] - Tinthoin Robert : l'Oranie Sa géographie, Son Histoire, ses centres Vitaux, Oran, Fouqué, 1992, P 35.

[4] - Rinn louis : Le Royaume d'Alger in « R.A » T.43, 1899,Voire carte.

[5] - وادي الشلف: هو أطول أودية الجزائر يخرج من جبال عمور"بني راشد" تحت اسم واد الصباغ ثم واد البيضاء وواصل ثم أصبح يسمى واد الشلف، يتجه من الغرب إلى الشرق نحو 60 كلم، ونحو الشمال على مسافة 64 كلم، ثم يتجه نحو الغرب"، انظر: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1981، ص 171.

[6] - وادي ملوية: من أكبر الأنهار في إفريقيا فهو ينبع من الأطلس المتوسط على بعد 15 كلم من مدينة زايو ويقطع مدينة جرسيف، ويفصل بين إقليم الناظور وبركان، ويبلغ طوله 600 كلم ويصب في البحر المتوسط، ويمر في سفح جبل بني يزناسن، انظر: الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ب.ت، ص 26.

[7] - Aramburu Don-Joseph De , Oran et L'ouest Algérien au 18 Siécle, Présentation et traduction de korso et Epalza, Alger, B.N.1978, P9.

[8] - الواليش فتيحة: فتيحة الواليش: الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجيستير ماجيستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1993-1994، ص 16.

الأتراك فكانت بينهم حرب عظيمة على نهر جديوية ثم اختل مصاف أهل المغرب الأقصى فانهزموا، ...ثم ذهب أمير حرب الأتراك وراءه فعلَموا التخوم بينهم وجدة وما سامتها من الجوف إلى القبلة (واحة فيكك)"، ويضيف:"...لكن حيث أطلق المغرب الأوسط عند أهل التواريخ وغيرهم فالمراد به الإيالة التي في حكم أميرنا المنصور بالله أبي الفتوحات محمد باي.."، أي بايلك الغرب الذي كان يمتد من خميس مليانة شرقا إلى وجدة غربا[1].

غير أن الزهار يؤكد أن الناحية الغربية كلها كانت بيد باي وهران وكان حكمه ينتهي إلى بوحلوان، وكان لديه خليفة وقواد وآغوات[2]، وإلى عمالة باي التيطري[3]، وإذا كانت مليانة قد مثلت الحد الشرقي لبايلك الغرب حين كانت عاصمته مازونة، فإنها ضُمت إلى دار السلطان في القرن (18م)، لتعود إليه مرة أخرى في أوائل القرن (19م)[4].

وساحل بايلك الغرب يمتد على مسافة 270 كم، ويضم مدن ساحلية مثل: وهران، مستغانم، أرزيو، بني صاف، وأخرى داخلية أهمها: تلمسان، وقلعة بني راشد، ومعسكر، مازونة، تيهرت[5]، واعتبر حمدان خوجة هذه المنطقة أقل خصبا واتساعا من مقاطعة قسنطينة، كما صنفت تلمسان من أهم المدن الرئيسية لبايلك الغرب[6].

ثالثا: مدن بايلك الغرب:

يتكون بايلك الغرب الجزائري من مجموعة من المدن الساحلية والداخلية ويتوفر على أحواز وفحوص هامة وأراضي زراعية واسعة وخصبة، ويعتبر أيضا ملتقى ونقطة عبور لأهم الطرق التجارية الممتدة من إفريقيا إلى أوروبا، مما ساعد على تنشيط الحياة الاقتصادية والتجارية، كما يتوفر على كل الأسس التي تسمح بالاستقرار البشري والنمو الاقتصادي.

---

[1] - محمد بن أحمد أبي راس الناصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق: محمد غالم، ج2، المركز الوطني للبحث ف الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، crasc، الجزائر، ب.ت، ص 11.

[2] - بوحلوان: الحسينية حاليا بولاية عين الدفلى.

[3] - أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص 47.

[4] - ودان بوغوفالة: الأوقاف بالناحية الوهرانية، أوقاف مليانة نموذجا، دراسات إنسانية، عدد خاص، ماي 2001، ص 220.

[5] - Djillali Sari : Les villes Précoloniales de l'Algérie accidentale , Alger ; P 336.

[6] - حمدان خوجة: المرآة، تقديم وتحقيق وتعريب: محمد العربي الزبيري، ط2، دار الحكمة، الجزائر، 2014، ص 93.

ويضم بايلك الغرب العديد من المدن الهامة خصوصا الساحلية منها مثل: وهران، أرزيو، مستغانم، بني صاف، وأخرى داخلية أهمها: تلمسان، قلعة بني راشد، معسكر، مازونة، تيارت...الخ، وقد بلغ بايلك الغرب أقصى اتساعه في عهد الباي محمد الكبير، ويأتي في المرتبة الثانية من حيث المساحة بعد بايلك التيطري، وسنلقي هنا نظرة مختصرة على أهم المدن التي تشكل بايلك الغرب الجزائري.

1- مازونة:

تأسست سنة (567هـ/1172م) على يد بني منديل أمراء مغراوة[1]، الذين اتخذوها قاعدة لإمارتهم[2]، ولقد اختلف في تسميتها فبعضهم يقول بأنها اسم لقبيلة ماسون«Mazoun »، والبعض الآخر يرى أن اسمها مشتق من مزنة «Mazna »، ولقد وصفها حسن الوزان بقوله: «...إنها مدينة أزلية تشمل مساحة واسعة، بناها الرومان على بعد نحو أربعين ميلا من البحر، تمتد على مساحة شاسعة، لكنها تعرضت للتخريب من ملوك تونس والأعراب، وسكانها إمّا نساجون أو فلاحون، ويشاهد بقرب المدينة أماكن خربة عليها نقوش رخامية تدل على أصلها الروماني...»[3].

بينما وصفها الإدريسي[4] بأنها مثلت مركزا في المنطقة، وسكانها كانوا ميسوري الحال، الحال، وهذا ما يظهر من خلال المساكن الجميلة والمزارع والبساتين، والتجارة النشيطة

[1] - مغراوة: قبيلة بربرية عظيمة من زناتة تنسب لمغراو بن يصلين بن مسروق بن زاكين ، ملكوا ضواحي إفريقية قبل الإسلام وأول سكناهم طرابلس، منهم بنو ورابن فوق تازة من بلاد المغرب الأقصى، وبازاء بقسنطينة وبجاية والشلف ومراكش والسوس الأقصى ونواحي طرابلس ومنهم سنجاس ومنهم بنو قرط وقد أقرها الخليفة عثمان بن عفان على حكم إمارتها الممتدة ما بين مليانة وغليزان، يراجع: محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران وأنيس السهران، المصدر السابق، ص 75-76.

[2] - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، ج4، العهد العثماني، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1984، ص 191.

[3] - حسن الوزان: المصدر السابق، ص 36.

[4] - أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن إدريس الشريفي أو الشريف الإدريسي الملقب بالصقلي ولقب بسطرابون العرب نسبة للجغرافي الإغريقي ولد ف مدينة سيتة سنة 493هـ-1100م وتوفي سنة 559هـ-1166م، تعلم في البيلق وطاف البلاد فزار الحجاز ومصر وفرنسا وانكلترا والقسطنطينية وعاش فترة في صقلية أعاد تحقيق واستعمال خطوط الطول ورسم خريطة العالم أو ما يعرف ب لوحة الترسيم، وحدد مصدر نهر النيل، كما كان له اهتمام =أيضا بالطب والتاريخ والأدب وعلم النبات والفلك، أشهر مؤلفاته: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق والمسمى أيضا كتاب روجر، يراجع:

Jean-charles, Ducéne, Al Idrisi, Abu Abdallah, Encyclopaedia of Islam, Three

حققه الوافي نوحي: وصدر ضمن منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، 1428هـ/2007م.

بها، وهو ما يدل على المكانة التي حازتها المدينة في جهة الظهرة[1]، وهذا عكس ما ذكره الوزان من أن مازونة كانت خربة ومهدمة، وقد وافق العبدري الإدريسي في وصفه[2].

ومازونة مدينة بين مستغانم وتنس على مرحلة واحدة من الشلف، تعرضت للتدمير بسبب الحروب الزيانية المرينية، لكن احتضانها لعاصمة البايات زمنا أخرجها من حالة التدمير هذه[3]، كما أنها كانت مركزا دينيا استراتيجيا حيث احتضنت مسجد ومدرسة أسسهما الشيخ محمد ابن سيدي الشارف من عائلة سيدي هني من ماله الخاص بعد أن باع ثلاثين هكتارا من أرضه ليقيم المسجد والمدرسة[4].

2-وهران:

يعتبر المغراوي خزر بن حفص بن صولا بن وزمار بن صقلاب بن مغراو أول من بناها وأسسها ومدّنها وحرسها في عام 292هـ، وقيل 291هـ، وهذا القول الأخير هو الأصح ، قال الحافظ أبو راس في "غريب الأخبار": «...وقد قال لي ثقة إني رأيت هذا التاريخ في كتاب "الصّدفي.."»، وكان وقت بنائها في وقت ملك الأندلس من بني أمية عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان الداخل، وهو الموافق لقول الحافظ أبي راس في "الخبر المغرب" و "عجائب الأخبار"[5]، أما حسن الوزان فيقول

---

[1] - المازوني: الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ج1، دراسة وتحقيق قندوز ماحي، ط1، دار الإمام مالك، الجزائر، 2012، ص ص 34-35.

[2] - العبدري: هو محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود أبو عبد الله العبدري المعروف بالحيحي، ولقبه العبدري نسبة إلى بني عبد الدار والحاجي نسبة إلى بلاد حاجة المغربية الواقعة على بعد 60 كلم من مدينة الصويرة وهو رحالة ومؤرخ وقاض وفقيه مغربي في القرن 7هـ/13م، انتقل إلى مراكش وصار قاضيا بها، وبعض الباحثين ينسبونه إلى بلنسية الأندلسية، ولم يخلف سوى رحلته العبدرية المسماة الرحلة المغربية التي رافقه فيها أخوه يحي والتي أخذ بتدوينها في تلمسان، وكان هدفه من رحلته هذه أداء فريضة الحج وقد بدأها في 25 من ذي القعدة سنة 688هـ/1289م فسافر برا من تلمسان حتى وصل مدينة الجزائر وغادرها لتونس ثم قصد طرابلس ومصر حتى وصل مكة وعودته كانت من طريق فلسطين، يراجع، خير الدين الزركلي: الأعلام، ج7، ص 32، نسخة محفوظة على موقع واي باك مشين ، 11 يناير 2020.

وأيضا: الحاج محمد بن رمضان شاوش: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 477.

[3] - Esterhazy : De la domination Turque ;.OP.cit, P 163.

[4] - يحي بوعزيز: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، الجزائر، دار البصائر، طبعة خاصة، 2009، ص 197.

[5] - محمد بن يوسف الزياني: المصدر السابق، ص 49.

أن وهران مدينة كبيرة بناها الأفارقة الأقدمون على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، بعيدة بنحو 140 ميلا من تلمسان[1].

أما ابن سحنون الراشدي فيقول أن ملوك مغراوة هم من بنوها، فاستولى عليها النصارى الإسبان من يد بني عبد الواد في عهد أبي قلموس، وهو من متأخري ملوكهم[2].

وفي مقدمة ابن خلدون أن "محمد بن عون ومحمد بن عبدون" من رجال الدولة الأموية نزلوا وهران، فملكوها سبع سنين مقيمين فيها للدعوة الأموية، ولما ظهرت الدعوة الشيعية وملك عبيد الله المهدي تاهرت، وولّى عليها داوس بن صولات الكتامي، أوعز إلى البربر بحصارها، وفر محمد بن عون إلى داوس واستبيحت، ثم أعاد بناءها داوس، وأعاد محمد بن عون إلى ولايتها فعادت أحسن مما كانت[3].

وقيل أن نواة هذه المدينة "قرية إيفري" الصغيرة على ضفة وادي الرّحى الذي يعرف حاليا باسم "رأس العين"، وأن سكانها ينتمون إلى قبيلتي: مغراوة ونفزاوة البربريتين[4]، ويفهم من خلال كل هذا أنها بنيت في منتصف القرن الثالث هجري، لأن عبد الرحمان بن الحاكم تولى الحكم سنة (182هـ/799م) وتوفي سنة (215هـ/831م)، كما ذكر الحافظ الجامعي[5] أنها بنتها مغراوة في أيامهم.

وقال الحفاظ الخمسة وهم: محمد بن يوسف القيرواني والبكري، وابن خلكان والرشاطي والصفدي بأن الذين بنوها هم محمد بن أبي عون، ومحمد بن عبدوس، ومحمد بن عبدون، وجماعة من البحارة الأندلسيين الذين كانوا ينتجعون مرسى وهران مع نفزة وبني مسقن،

---

[1] - حسن الوزان: المصدر السابق، ص 30.

[2] - ابن زرفة، والجامعي: ج1، فتح مدينة وهران للجامعي، ج2، الرحلة القمرية لابن زرفة، تاريخ تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني خلال القرن 18م، تحقيق الدكتور مختار حساني، جامعة الجزائر، مخبر المخطوطات، 2003، ص 45.

[3] - أحمد ابن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: الشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص ص 192-193.

[4] - يحي بوعزيز: مدينة وهران عبر التاريخ، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2009، ص 22.

[5] - أبو زيد عبد الرحمان الجامعي الفاسي: رحالة مغربي تنقل في الجزائر وبلدان المغرب وأعجب برجز شيخه أبي عبد الله محمد الحلفاوي مفتي تلمسان الذي نظمه في أحداث الفتح الأول لوهران سنة 1119هـ-1708م، فطلب منه شيخه أن يشرحه، فأصبح من أهم مصادر الفتح، وما يزال مخطوطا وتوجد نسخة منه في مكتبة المتحف بمدينة وهران وللجامعي رحلة سماها: التاريخ المشرق الجامع ليواقيت المغرب والمشرق، راجع: الآغا بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود، المصدر السابق، ص 56.

هم بنو مسرغين من أزديجة وكانوا أصحاب القرشي، وهو الخليفة الأموي بالأندلس وذلك عام (269هـ/883م)[1].

يقول أبو راس الناصري في عجائب الأسفار ولطائف الأخبار عن مدينة وهران "..وهران بفتح الواو وسكون الهاء مدينة كبيرة... من أمصار المغرب الأوسط"، وقد خالف الشيخ عبد الرحمان الجامعي في شرحه لأرجوزة الحلفاوي الذي اعتبرها مدينة صغيرة بساحل البحر الرومي، وعقب عليه قائلا: "أظهر منه أن يقول وهي أحد مدن المغرب الأوسط، وقوله صغيرة غير ظاهر، بل هي مدينة كبيرة ذات أبراج عظام وأسوار ضخام"، ثم يستدل بقول الشاعر ابن الخميس الذي زارها في أواخر القرن الرابع هجري " أعجبني في المغرب الأوسط مدينتين بثغرين:(وهران) خزرٍ و(جزائر) بلكين "بلقين بن زيري بن منّاد"[2] مؤسس مدينة الجزائر "[3].

أما تاريخ بنائها ومن بناها فقد اختلف فيه، وهذا ما ذكره الزياني عندما أورد روايتين مختلفتين لأبي راس الناصري[4]، حيث ذكر في الرواية الأولى في كتابه "عجائب الأسفار" مفادها أن مغراوة هي التي بنتها بأمر من الخليفة الأموي بالأندلس عبد الرحمان بن الحكم، ومن أشرف على بنائها هو خزر بن حفص الزناتي المغراوي ، وهذا يعني أنها بنيت في وسط القرن الثالث لأن عبد الرحمان بن الحكم تولى الخلافة عام (182هـ/799م)، كما في المختصر لأبي الفداء، وذكر أبي راس في "عجائب الأخبار" و"الخبر المغرب" أنها بنيت في وقت السلطان عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن الحكم في عام (270-

---

[1] - الآغا بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود، المرجع السابق، ص 56.

[2] - بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي: هو ابن زيري بن مناد مؤسس الدولة الصنهاجية ساهم في تأسيس ثلاث مدن جديدة وهي : الجزائر، مليانة، المدية، حيث أقام في مليانة وقام بالهجوم على زناتة على رأس جيش صنهاجي بضواحي تلمسان، يراجع: الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقيا في عهد بن زيري من القرن 10 إلى 12م، ترجمة حماد الساحل، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص ص 60-62.

[3] - محمد بن أحمد أبي راس الناصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق: محمد غالم، ج1، المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، crasc، ب.ت، الجزائر، ص 37-38.

[4] - أبي راس: هو محمد بن أحمد بن عبد القادر الراشدي المعروف بأبي راس الناصر، ولد عام 1150هـ-1737م بقلعة بني راشد قرب مدينة معسكر بالغرب الجزائري، وتنقل في صغره بين مسقط رأسه ومتيجة وتنس، والمغرب الأقصى، حفظ القرآن الكريم ولستوعب العلوم العربية الإسلامية على علماء وفقهاء عصره وعلى رأسهم الشيخ عبد القادر المشرفي، ثم تثدى للتدريس والإفتاء في مدينة معسكر زهاء ست وثلاثين عاما، وتولى منصب القضاء، والإفتاء والحج مرتين، واشتهر بالحافظ لغزارة علمه، كتب وألف في مختلف الأغراض والفنون شعرا ونثرا وخلف مائة وستة وثلاثين مخطوطة بين طويلة وقصيرة، توفي يوم 15 شعبان 1238هـ-17 أبريل 1823م، راجع: الآغا بن عودة المزاري: طلوع سعد السعود، المصدر السابق، ص55.

271هـ/884-885م)، وقال أنه أخبره أحد ذو ثقة أنه رأى هذا التاريخ في كتاب الصدفي، فهو الصحيح حسب الزياني لكون عبد الرحمان المذكور في "عجائب الأسفار" توفي عام (238هـ) كما في المختصر لأبي الفدا[1]،

ويذكر أبي الراس الناصري في عجائب الأسفار تاريخ تأسيس مدينة وهران فيقول:"...تأسست سنة تسعين أو إحدى وتسعين وخزر هذا مؤسسها، كان عاملا بالمغرب الأوسط لبني أمية، فمدَن مغراوة وهران وتبحرت في العمران.."، أما تسميتها "وهران" فهي بفتح الواو كما لابن خلكان في كتابه "وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان" والحافظ أبي راس في كتابه "عجائب الأخبار" و"عجائب الأسفار"، و"الخبر المغرب" و"روضة السلوان" وغيرهم لا بكسرها، وغلط من كسرها[2].

وقيل أنَّ اسم "وهران" معرب عن الاسم البربري الزناتي "إيران"، وهو جمع لكلمة "آر" بمعنى أسد، وحسب الاعتقاد السائد أن الأسود كانت كثيرة بالغابة المجاورة للمدينة، ثم تغير نطق الكلمة فصارت وهران بكسر الواو ثم وهران بفتحها[3].

ويذكر الزياني أنهم قد اختلفوا في سبب تسميتها على سبعة أقوال:

الأول: إنها سميت بذلك لكون خزر الذي اختطها لقبه وهران فسميت به، أما الثاني: إنها سميت بذلك لكون الرجل الذي يبني فيها اسمه وهران فسميت به، ثالثا: سميت بذلك لكونها مركّبة من كلمتي وهران ف "وه" معناه الضعف، لأن مغراوة الذين كانوا بها كانوا في تعب وهلاك مع "بني يفرن"، وعمال الشيعة من صنهاجة وغيرهم، الرابع: سميت كذلك لكونها زناتية، وذلك أن مغراوة لما شرعوا في حفر أساسها وجدوا بها غارا فيه ثعلب، واسم الثعلب بلغتهم وهران، فسموها بذلك وقالوا مدينة وهران وهذا أشهر الأقوال.

الخامس: إنما سميت بذلك لكونها مركبة تركيبا مزجيا من كلمتي وهران ف "وه" معناه الضّعف، و"ران" معناه الغُلف، فهي ضعيفة الرّان، لأن خزر الذي اختطها كانت عقيدته سالمة لكونه كان سنيا فلذلك ضعف رانه.

---

[1] - محمد بن يوسف الزياني: المرجع السابق، ص 49.

[2] - محمد بن أحمد أبي راس الناصري: المصدر السابق، ص ص 38-43.

[3] - مسلم بن عبد القادر الوهراني: المصدر السابق، ص ص 06-07.

السّادس: سميت بذلك لكونها مركبة من كلمتي (واه - رانا) وذلك أن بني يفرن[1]، لما غزوها إثر بنائها لم يهتدوا إليها ولم يطلعوا عليها، فألفوا بقربها رجلا فتقبضوا عليه وسألوه عنها، فأبى أن يخبرهم بها فشدّدوا عليه فجعل عصاه نيشانا نحوها فقالوا: هي صوب النيشان، فقال لهم: واه، ثم سمعوا آخر يقول: رانا، فقالوا: هذه غنيمة (واه - رانا) ووصلوا الكلمتين فقالوا: وهران، أما القول السابع: إنما سميت بذلك لأنها مقلوبة من كلمتي "نارهو" أي ظهر أمر خزر الذي اختطّها ونار على غيره من قرابته وغيرهم، ويضيف الزياني قائلا: "إنّما سميت بذلك لأنها مأخوذة من اسم سكّانها وهم "هوارة"[2].

أما "جورج سيقي" فينقل عن ليون فاي: Leon Fey، أن اسم وهران أخذ من اسم أحد الأمراء الفاطميين المدعو "بوشارام وارهام وهران"، BouCharam Ouaham Wehran، أو من اسم المجرى المائي الذي ينحدر من الجبل، ويفصل بين قمة جبل المايدة، وقمة الجبل الذي أقيم عليه "حصن مرجاجو"[3] سانتو كروزSanta – Cruz، والذي كان يحمل اسم "واران": Ouaran، وذلك اعتمادا على رواية "شاو" الانجليزي الذي زار المدينة على عهد بوشلاغم، ولكن يحي بوعزيز يذكر أنه رجع إلى كتاب "شاو" ولم يعثر على هذه الرواية[4].

ووهران مؤسسة في أسفل جبل "هيدور"[5] الذي بنى الإسبان بقمته "برج مرجاجو"، المشرف على المدينة والمرسى والأبراج[6].

ويصفها ابن سحنون الراشدي في كتابه "الثغر الجماني" بقوله: «.....قد حماها البحر من شمالها، وأحاطت حصونها بيمينها وشمالها، وأحاطت بها الخنادق إحاطة المناطق، ودارت بها الأسوار دوران السوار، فمالها عورة تنال منها فائدة سوى ما لازمها من جبل

---

[1] - بنو يفرن: قبيلة من زناتة أسست مدينة تلمسان قبل الفتح ومدينة إيفكان قرب أم معسكر وبدد أمارتهم جوهر الصقلي عامل العبدين

[2] - محمد بن يوسف الزياني: المرجع السابق، ص 50-53.

[3] - برج مرجاجو: غابة هضبية في شمال المدينة بينها وبين البحر بنى به الإسبان حصنا لا يزال قائما ويدعونه القديس فليب، والصليب المقدس SANTA CRUZ راجع: أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792م، الجزائر، دار البصائر للنشر والتوزيع، ط1، 2007، ص 428، أما المزاري فيذكر أن هذا البرج يتألف من 3 أقسام، وهناك خلاف حول اسمه هل هو لرجل زناتي، او الرجل الإسباني الذي بنى الحصن، أو الحمياني الذي ساعد الإسبان على بنائه، راجع: الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود، المصدر السابق، ص ص 59-60.

[4] - يحي بوعزيز: مدينة وهران عبر التاريخ، المرجع السابق، ص ص22-23.

[5] -هيدور: اسم للجبل المطل على وهران، ووهران أسست على السفح الشرقي للجبل الذي يحمل عدة أسماء منها: هيدور، وهو اسم عالم لا يعرف عنه شيئ، راجع: الآغا المزاري: المصدر السابق، ص 59.

[6] - محمد بن يوسف الزياني: المرجع السابق، ص 44.

المائدة...»[1]، وخلال الفترة الأخيرة من العهد العثماني صارت وهران عامرة بسكان معسكر وبني ميزاب والأمازيغ والمغاربة واليهود، وقد احترف أهلها التجارة[2].

كما أن وهران هي أول مدينة ملكها عبد المومن بن علي الكومي سنة 539هـ، قال الحافظ أبو راس: «... ولو رأى بناءها صاحب "تاريخ مصر والقاهرة" لعدّه من أعجوبات البناء التي ذكرها في كتابه "حسن المحاضرة"، ولو رآها الغزال[3] صاحب "الرحلة" لما اعتنى بوصف سبتة وطليطلة، ورأى مسجدها الأعظم لما وصف الجامع الاعظم الذي بمدينة طليطلة، ولو أخبر بها صاحب كتاب "اللباب" الواصف لضخامة بنيان البلدان، لما قال الدّار داران إيوان وغمدان.."[4]، وللمدينة بابان اثنان: باب تلمسان في جهة الجنوب وباب قسطيلة في جهة الشرق، ومدينة وهران معدودة على الدوام في مملكة تلمسان...»[5].

3- تلمسان:

تلمسان بكسر التاء واللام وسكون الميم، ويستبدل البعض لامها نونا فتنطق تنمسان، حيث قال ياقوت الحموي: « وهما مدينتان متجاورتان بينهما رمية حجر، إحداهما قديمة والأخرى حديثة، والحديثة اختطها ملوك المغرب واسمها "تافرزت"، فيها يسكن الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس، واسمها القديم "أغادير"، يسكنها الرعية، فهما كالفسطاط والقاهرة من أرض مصر»[6].

وأصل كلمة تلمسان أمازيغي، وهي لفظة جمْع لكلمة "تلمسين" بكسر التاء وسكون اللام وكسر الميم ومعناها الينبوع، وبهذا فهي مدينة الينابيع[7]، ويصفها حسن الوزان بأنها مدينة كبيرة وهي عاصمة المملكة، وكل ما يقال أنها مدينة صغيرة بدأت تمتد إثر تخريب "أرشكول"، وأن كلمة تلمسان هي صيغة جمع بالبربرية لكلمة "تمسي" التي تعني المكان

[1] - ابن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، المصدر السابق، ص 192.
[2] - حمدان خوجة: المرآة، المصدر السابق، ص ص 96-97.
[3] - أحمد بن المهدي الغزال الأندلسي: له رحلة "نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد" ألفها سنة 1179م، وزار الجزائر في مهمة، إذ كان كاتبا عند سلاطين المغرب.
[4] - محمد أبي راس الناصري: عجائب الأسفار، المصدر السابق، ص 38.
[5] - مارمول كربخال: إفريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، محمد زنيبر، أحمد بنجلون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة المعارف الجديدة، 1409هـ-1989م، ص 329.
[6] - ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، بيروت دار صادر، 1977، ص 44.
[7] - ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، اعتنى بمراجعته، محمد بن أبي شنب، الجزائر، المطبعة الثعالبية، 1326هـ-1908م، ص 09.

الذي يستقر فيه الماء، وذكر المعلقون في الترجمة الفرنسية أن تلمسان كانت تدعى أيام الرومان "بوماريا"[1] أي الحدائق[2].

أما "كربخال" فيقول: أن هذه المدينة يسميها القدامى "تيميسي"، تقع على بعد سبعة فراسخ من البحر المتوسط، ويرجع تأسيسها إلى مغراوة من قبيلة زناتة، ثم اتسعت على أنقاض "أرشكول"، واشتهرت لإقامة ملوك تلمسان فيها، واتخاذها عاصمة لهم[3].

وقيل أن كلمة تلمسان تتألف من كلمتين بربريتين هما: (تلم)، ومعناها تجمع، و(سان) ومعناها اثنان، ومعناهما معا " تجمع اثنين" الصحراء والتل، بمعنى أنها تجمع بين طبيعة التل، فهي تقع في سفح جبل "طراوة"، وتشرف على ساحل بحري غير بعيد حيث ميناء الغزوات، ولا تبعد كثيرا عن الهضاب العليا والصحراء، وقد نقل يحي ابن خلدون[4] هذه الرواية عن شيخه محمد بن إبراهيم الآبلي، ونواة مدينة تلمسان القديمة قرية "أقادير" التي اختطها بنو يفرن الزناتيون في العصور القديمة، وكانت منطقة توطن لقبيلة زناتة[5].

وقيل أيضا أن أصل تلمسان قريتان "أغادير" التي أسسها المولى إدريس الأكبر على أنقاض معسكر روماني، و"تاقرارت" التي أسسها ملك مراكش يوسف بن تاشفين[6]، ثم انضمت القريتان فأصبحتا تلمسان[7].

أما حدودها فهي تمتد من واد "زا" ونهر "ملوية" غربا، والواد الكبير "الصومام" وصحراء "نوميديا" جنوبا، عندما كانت خاضعة لسيطرة الرومان، ثم آلت لملوكها الأقدمين

---

[1]- Gilbert Meynier : l'Algérie des origines ; de la préhistoire à l'avénement de l'Islam, Edition Barzakh, Décembre 2007, P 213.

[2] - حسن الوزان: المصدر السابق، ص 17.

[3] - مارمول كاربخال: المصدر السابق، ج2، ص 298.

[4] - أبو زكريا يحي ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد،ج1، تقديم وتحقيق، عبد الحميد حاجيات، الجزائر، الجزائر، 1982، ص ص 85-92.

[5] - يحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص ص 15-16.

[6] - يوسف بن تاشفين: أعظم قائد في دولة المرابطين كان مهتما بشؤون رعيته وكان هدفه منذ تعيينه أميرا للمغرب سنة 435هـ، هو توحيد أقاليمه وقبائله، يراجع: حامد محمد خليفة: يوسف بن تاشفين موحد المغرب وقائد المرابطين ومنقذ الأندلس من الصليبيين، ط1، دار القلم، دمشق، 1424هـ-2003م، ص 13-102.

[7] - توفيق المدني: الجزائر، المرجع السابق، ص ص 201-205-240.

وهم بنو عبد الواد[1]، المنتمون إلى مغراوة، وقد احتفظوا بالملك لمدة 300 سنة إلى أن انتزعه منهم أمير ذو شأن كبير يسمى "يغمراسن بن زيان"[2]، وورثه عنه أحفاده وبدلوا اسمهم ودعوا "بني زيان" لأن زيان هذا كان والدا ليغمراسن[3].

وتمتد مملكة تلمسان على مسافة 380 ميلا من الشرق إلى الغرب[4]، لكنها تضيق جدّا من الشمال إلى الجنوب، ولا يوجد بها إلا القليل من المدن والقصور غير أن الأماكن زاهرة والبقعة خصبة[5].

ويصفها عبد الرحمان ابن خلدون بقوله: «... مدينة عريقة في التمدن، لدنة الهوا، عذبة الماء، كريمة المنبت، اقتعدت سفح جبل، ودين رأسه بسيطها أطول من شرق إلى غرب، عروسا فوق منصة، والمشاريخ مشرفة عليها إشراف التاج على الجبين، تطل منه على فحص أفيح معد للفلح، تشق ظهوره الأسلحة عن مثل أسنمة المهاري، وتبقر عن بطونه عند تدميث الغمائم بطون العداوي»[6].

أما "العبدري" فيصفها في رحلته التي قام بها في نهاية القرن السابع هجري قائلا:«... وتلمسان مدينة كبيرة جميلة المنظر، مقسومة باثنتين بينهما سور، ولها جامع مليح متسع، ولها أسواق، وأهلها ذوو ليانة ولا بأس بأخلاقهم، وبظاهرها في سند الجبل موضع يعرف

[1] - بني عبد الواد: فرع من فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناتة الكبيرة، استقروا منذ أزمنة طويلة بالمنطقة الغربية للجزائر، وتمتد مواطنهم من تاهرت إلى نهر ملوية، وهم من ولد باديس بن محمد إخوة بني توجين، ومصاب، وزردال وبني راشد، ويرتبط المرينيون معهم بالمصاهرة، وينقسمون إلى ستة بطونهم: بنو ياتكبن، وبنو أولو، وبنو رهط، ونصوحة وبنو تومرت وبنو القاسم، وفي سنة 1236م عهد الخليفة الموحدي الرشيد ليغمراسن بولاية تلمسان وإقليمها يراجع، يحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، مرجع سابق، ص 50-52

[2] - يغمراسن: هو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد ولد عام 603هـ-1206م/ وتوفي سنة 680هـ-1282م وتولى حكم تلمسان في عهد الخليفة الموحدي عبد الواحد الراشد بن المأمون الذي كتب له بالولاية على المغرب الأوسط بعد وفاة أخيه أبو عزة زيدان بن زيان والذي كان قويا وشجاعا، ويعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الزيانية وعاصمتها تلمسان، راجع ابن خلدون أبو زكريا يحي بن محمد الحضرمي الإشبيلي)ت 780هـ / 1378م(: المقدمة، تحقيق محمد الإسكندراني، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1427هـ/ 2006م،ج4، ص 223-258.

[3] - حسن الوزان: المصدر السابق، ص 07.

[4] - صحح المعلقون في الترجمة الفرنسية المسافة بأنها 580 ميلا وقدروها ب 930 كم.

[5] - حسن الوزان: نفسه، ص ص 08-10.

[6] - يحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص 28-29.

بالعُبَّاد، وهو مدفن الصالحين وبه مزارات كثيرة، ومن أعظمها وأشهرها قبر الشيخ الصالح القدوة "أبي مدين رحمه الله"، وعليه رباط مليح مخدوم مقصود»[1].

وللمدينة خمسة ابواب رئيسية، وفي كل واحد منها مركز حراسة، ويوجد في ناحية الجنوب قصر الملك، وفي هذا القصر بابان أحدهما للخروج إلى البادية ويسمى "باب الجياد"، والآخر "باب الغدير" للدخول إلى المدينة، وكان بالمدينة قضاة وشرطة وعدول[2].

وعرفت تلمسان في الموسوعة الجغرافية للوطن العربي بأنها غنية بجنانها وبساتينها وكرومها وأنها اشتهرت عبر التاريخ بصناعة المفروشات والمنسوجات الصوفية والحريرية والقطنية إضافة إلى صناعة الزيوت[3].

أما سكانها فيذكر حمدان خوجة أنهم عرب وأتراك، أشداء ذوو خلقة حسنة، شجعان يحبون المجد لكنهم عنيدون ومغترون، ورغم ذلك فهم طيبون واجتماعيون[4]، ولكن هذا الوصف ينطبق على سكان تلمسان خلال العهد العثماني بأنهم كانوا خليطا من الأتراك والعرب، لأنه لم يذكر لا القبائل البربرية، ولا الأندلسيين، ولا الموريسكيين، ولا اليهود، مع أن تلمسان عرفت عبر تاريخها تعدد للأجناس التي شكلت طبقات المجتمع في مملكة تلمسان الزيانية.

ولكن مدينة تلمسان فقدت مكانتها التي كانت عليها أيام الزيانيين، وهذا بعد التدخل الإسباني في شؤونها، وإخضاعها بالقوة من طرف العثمانيين وضعف السلاطين الزيانيين، إضافة لأطماع سلاطين المغرب، ولهذا أخذت الزعامة السياسية في الغرب الجزائري خلال العهد العثماني مازونة ثم معسكر ومستغانم ثم وهران[5].

---

[1] - أبو عبد الله محمد العبدري: رحلة العبدري، تح: علي إبراهيم كردي، ط2، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2005، ص27-28.

[2] - مارمول كاربخال: المصدر السابق، ص 299.

[3] - كمال موريس شربل: الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، ط1، بيروت، دار الجيل، 1998، ص 130.

[4] - حمدان خوجة: المرآة، المصدر السابق، ص 95.

[5] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجريين 16-20م، ج2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1985، ص 172.

4- ندرومة:

أسس هذه المدينة الرومان قديما عندما كانوا يحكمون المنطقة، وبنوها على بقعة واسعة في سهل، ويقول المؤرخون إن الرومان اختاروا لها نفس الموقع والتصميم لمدينة روما، وإن اسمها مشتق من كلمة "نِدّ" في لغة الأفارقة التي لها نفس المدلول في كلمة "سيميليس" (Simlis) اللاّتينية (مثيل)، أي مثيلة روما، غير أن المترجمين أكدوا أنهم لم يعثر على أي أثر روماني بندرومة، وأن اسمها مأخوذ من اسم قبيلة "كومية" القديمة القاطنة في الناحية[1].

وهذا ما ذهب إليه "كاربخال" حين وصف مدينة ندرومة قائلا: "...هي مدينة قديمة أسسها الرومان، موقعها شبيه بموقع "رومة"، ومنها اتخذت اسمها..."[2]، وتعتبر ندرومة من المدن العتيقة في إقليم تلمسان، وهي تقع في سفح جبل "طرارة" غير بعيدة عن ميناء الغزوات، وقد استقطبت العديد من العلماء من المغرب والأندلس، وفيها المسجد الذي أقامه المرابطون بحي" التربيعة"[3]، وقد كان سكان مدينة ندرومة صناعا وتجارا وفلاحين، وامتدت علاقاتهم التجارية حتى مدينة فاس وطنجة، أما يهود المدينة فكان أغلبهم تجارا[4].

5-هنين:

هنين مدينة صغيرة قديمة بناها الأفارقة، لها ميناء صغير محروس ببرجين، ولا يفصل بين تلمسان وهنين سوى 14 ميلا (بل 34 ميلا)[5]، ويحتل ميناء هنين موقعا جغرافيا ممتازا ممتازا يحمي السفن الراسية فيه من الرياح والأمواج، سواء تلك القادمة من الناحية الغربية أو من الناحية الشرقية[6]، ونظرا لأهمية موقعها لعبت هنين دورا تجاريا هاما بالنسبة لمملكة لمملكة تلمسان مع الدول الأوروبية مثل المدن الإيطالية والفرنسية والإسبانية[7].

---

[1] - حسن الوزان: المصدر السابق، ص 13-14.

[2] - مارمول كاربخال: المصدر السابق، ص 295.

[3] - يحي بوعزيز: المساجد العتيقة، المرجع السابق، ص177.

[4] - Gilbert Grand guillaume, «Une média de l'Ouest algérien : Nédroma», Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°10, 1971, p64.

[5] - حسن الوزان: نفسه، ص 15.

[6] - صاري الجيلالي: أضواء على أحد موانئ دولة بني زيان (هنين)، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، التاريخية، الجزائر، العدد 12، 1986، ص18.

[7] - Marcais Georges: Recherches d'archéologie, Honaine, R.A, T28, 1928, pp 341-342.

ويصفها مارمول كاربخال قائلا: "...هنين مدينة واقعة على الشاطئ في مستوى المرية، شرقي المدينة سابقا، أسسها الأفارقة القدامى، وكان لها ميناء صغير محصن ببرجين قويين، وقد بدأت تخلوا من السكان بعد احتلال وهران.."[1].

ونظرا لموقعها الاستراتيجي الممتاز ومكانتها الهامة كميناء وأن احتلالها يسمح بتأمين مدينة وهران ، قرر الإسبان شن حملة عسكرية بقيادة "ألفارو دي بازان" Don Alvaro De Bazane من مدينة مالقة في شهر أوت (1531م/937هـ)، واحتلوا ميناء المدينة وقاموا بتخريبها ونهبها، وبعد ثلاث سنوات قرر ملك تلمسان تحريرها، وجاء في تقرير إسباني من مدينة هنين مؤرخ في (26 مارس 1534م/12 رمضان 940هـ) أنه عندما وصلت أخبار قرار ملك تلمسان أسرعت الحامية الإسبانية واتخذت اجراءات دفاعية غير أن مخططهم باء بالفشل، واضطر الإسبان إلى إخلاء المدينة في نهاية عام (1534م/940هـ)، لكنهم قبل أن يغادروها قاموا بتخريبها[2].

6- مستغانم:

مدينة بناها الأفارقة على ساحل البحر الأبيض المتوسط على بعد نحو أربعة أميال شرقي المدينة السابقة في الضفة الأخرى شمال "مزكران" و 14 كلم جنوب مصب الشلف، وقد بدأ الأعراب يضايقونها منذ أن بدأت سلطة ملوك تلمسان تضعف، بها ميناء صغير تقصده السفن الأوروبية، بها بساتين جميلة وأراضي صالحة للفلاحة، وفيها مسجد في غاية الحسن وصناع كثيرون[3]، وهي مدينة ساحلية بين تنس وأرزيو، واختلف في أصل تسميتها فقيل "مشتى غانم" وقيل "مرسى غانم" وقيل "مسك الغنائم"[4]، وشهدت هذه المدينة نشاطا فلاحيا وصناعات تقليدية، وتمتعت بازدهار ثقافي ديني واسع وذلك بفضل زواياها ومساجدها[5]، وقد كانت ذات أعين وبساتين ومياه، وكانت أرضها تصلح لزراعة القطن[1].

---

[1] - مارمول كاربخال: المصدر السابق، ص 296.
[2] - عبد القادر فكاير: الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره 910-1206هـ/1505-1792م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 52-53.
[3] - حسن الوزان: المصدر السابق، ص 32.
[4] - عبد الله حشلاف: سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، تونس، المطبعة التونسية، 1929م، ط1، ص 100.
[5] يحي بوعزيز: مرجع سابق، ص 31.

وقيل أنها مدينة بناها سكان البلاد الأصليون على سفح جبل مطل على البحر، وهي توجد على بعد 14 فرسخا من وهران، لها مرسى جيد، أهلها معظمهم نساجين، وكانوا خاضعين للعرب عند دخول الإسبان لوهران، وكانت معاملتهم سيئة لهم، إلى أن استولى عليها الأتراك، وقد حاول "دالكوديت" فتحها ثلاث مرات في سنة (1543م/949هـ)، وفي سنة (1547م/953هـ)، أما الثالثة فكانت حملة كبيرة لقي فيها "دالكوديت" مصرعه "بمزغران" في معركة دامت ثلاثة أيام[2]، وقد بعث باي مازونة "ابن خديجة" إلى مستغانم أول قايد من عرب "مهاجر" يسمى "مولود بن قطاط"، وكلفه بجمع الضرائب[3].

ووصف "لوجيبه" ميناءها قائلا: "..وفي مدينة مستغانم ميناء جميل تحميه قلعة حصينة تشرف أيضا على المدينة بهدف حمايتها.."[4]، وقد استقبلت مستغانم الكثير من المسلمين الأندلسيين إثر سقوط غرناطة، ونظرا لموقعها القريب من مدينة وهران فإنها حظيت باهتمام الإسبان وتهديداتهم مما أجبر شيوخ المدينة وأعيانها على توقيع معاهدة الاستسلام مع حاكم وهران الإسباني، وذلك يوم 26 ماي (1511م/916هـ)، ولما تشكلت سلطة جديدة في عهد عروج سعى إلى تطهير الوجود الإسباني في المناطق الساحلية خصوصا مدينة مستغانم، ولكن أحداث تلمسان سنة (1518م/923هـ) أدت إلى مقتله، فواصل خير الدين خطّة أخيه حيث حاصرها وتمكن من وضع حامية عسكرية بها[5].

وبعد احتلال وهران من جديد من طرف الإسبان سنة (1732م/1144هـ)، دخلوها عنوة وذلك بعد موت الباشا بكداش رحمه الله وفي حياة مصطفى أبي الشلاغم انتقل منها بسبب ذلك إلى مستغانم وصيّرها دار ملكه[6]، وقيل أن أوّل من شيّد بها يوسف بن تاشفين حيث بنى مركزا حربيا يدعى "برج الأمحال"[7].

---

[1] - مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 46.

[2] - محمد بن يوسف الزياني: المرجع السابق، ص 143.

[3] - Esterhazy: De la domination turque ..Op.cit, p 165.

[4] - Laugier de Tassy : Histoire du Royaume d'Alger, Amsterdam, Henri du Sauzet, sans date, p 152.

[5] - عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص 212-213.

[6] - محمد بن يوسف الزياني: المرجع السابق، ص 162.

[7] - توفيق المدني: كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص 237.

7- معسكر (الراشدية):

تتوسط أعراشا وأحوازا هامة، تقع المدينة على حافة سلسلة جبال "بني شقران"، وتوجد مدينة معسكر جنوبها، كما تحيط بها سهول غريس[1]، والتي هي من أغنى وأخصب سهول الجزائر، وقد بناها البربر على آثار المدينة الرومانية القديمة فيكتوريا Victoria [2].

وتعرف معسكر القديمة بجبل الذهب، كما تعرف بالكُرْط نسبة إلى قبيلة بربرية بنت مساكنها بالمنطقة، وبسبب استقرار الجنود الأتراك بها على عهد الباي مصطفى بوشلاغم صارت تسمى أم العسكر[3]، وقد وصفها حمدان خوجة بأنها أقل اعتبارا من مدينة تلمسان ولكنها أحدث منها، وأنه لما كانت وهران تحت سلطة الإسبان كانت معسكر آنذاك محل سكنى الباي، أما سكانها فيتألفون من أصل عربي وتركي وبربري، والكراغلة[4].

أما فيما يخص أخلاقهم وعوائدهم فهي شبيهة جدّا بأخلاق سكان تلمسان، ومعظمهم فلاحين ويمتهنون التجارة، وفي هذا البلد تصنع البرانيس السوداء المشهورة، وتستعمل في جميع أنحاء الإيالة وترسل إلى مصر وتركيا وفرنسا، وتصل قيمة البرانيس ذات النوعية الجيدة إلى 100 فرنك فرنسي، والفرنسيين أنفسهم أصبحوا مولعين بلبسها[5].

تتميز معسكر بموقعها الاستراتيجي فهي تتحكم في المسالك التجارية وبها قبائل بني راشد التي عرفت بتقربها من الحكم التركي، كما عرفت بتنوع زراعتها مما أبعد عنها المجاعات زمنا طويلا، وبناحيتها تقع غابة مولاي إسماعيل[6]، التي تغطي المنطقة الواقعة بين سهل تليلات وسهل سيق أو الهبرة، والذي نعته "فاغنر" الألماني بالسهل الخصيب ذي

---

[1] - غريس: يمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي على طول 55كلم، وعرض يتجاوز 20 كلم، يراجع: عدة بن داهة: معسكر عبر التاريخ، الجزائر، دار الخلدونية، ط1، 2005، ص 08.

[2] - فتيحة الواليش: المرجع السابق، ص 39.

[3] - Esterhazy, De la domination turque…Op.cit, p170.

[4] - الكراغلة: هم نتاج المصاهرة بين العثمانيين وسكان الجزائر، فالكتابة الحديثة لهذا المصطلح على شكل كراغلة، ومفردها كرغلي، وقد تكتب كورغولي، وأطلقت على أبناء العثمانيين من زواجهم من السكان المحليين في جميع المناطق التي استقروا بها، يراجع: محمد مقصودة: الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل الماجيستير، جامعة وهران، 2014، ص 70-72.

[5] - حمدان خوجة: المصدر السابق، ص 73.

[6] - سميت بغابة مولاي إسماعيل لأن سلطان المغرب المولى إسماعيل هزم بها من قبل بني عامر، بعد أن شن هجوما على بايلك الغرب سنة 1707م، وتسمى أيضا زبوج الوسط، وتقع شمال سيق بنحو 15 كلم، راجع: محمد بن يوسف الزياني، المرجع السابق، ص 147. وأيضا:

Esterhazy, De la domination turque…Op.cit, p 171.

المرج الأخضر الذي لا يُرى له حد، ويجري في حدوده الجنوبية نهر سيق، وهو واد صغير مياهه ذات لون أسود[1]، كما يوجد بمعسكر مقبرة مدفون بها العديد من الصالحين والعلماء، وزاوية تعود إلى القرن (8هـ)، وقد أعاد محمد بن عثمان الكبير[2] توسيع مسجدها[3].

عرفت معسكر بإصدارها للقوانين والأوامر إلى الإيالة الغربية باعتبارها عاصمة بايلك الغرب وتتوسط الغرب الجزائري[4]، وتعود مسألة اختيارها عاصمة لبايلك الغرب أولا إلى موقعها الاستراتيجي، إضافة إلى ذلك كانت تحيط بها قبائل هامة موالية للسلطة، وأيضا لقربها من وهران، وهو ما سمح بمراقبة الوجود الإسباني، هذا ما دفع الباي مصطفى بوشلاغم لإنشاء مركز عسكري جديد في منطقة وسطى فاختار الكُرْط، وهذا لإدراكه أن مازونة بعيدة عن مركز الأحداث بسبب بعدها عن قبائل الجنوب[5].

وقد أثرت الظروف السياسية على معسكر، فبعد دخول الفرنسيين إلى الجزائر اتخذها الأمير عبد القادر مركزا لتنظيمه العسكري والإداري منذ سنة (1832م/1247هـ)، ولكنها تعرضت للتدمير من طرف الجيش الفرنسي في(09 ديسمبر1835م/19 شعبان 1251هـ)، فانتقل الأمير إلى "تاقدمت" حيث هاجمها الجنرال "بوجو" في (ماي1841م/ربيع الأول 1257) فخرب تحصيناتها ومصانعها[6]، و"تاقدمت" أنشأها الأمير من باب الاحتياط لكل ظرف محتمل[7]، ومما يروية الألماني "فاغنر" أيضا أنه بعد تخريب الفرنسيين لمدينة معسكر حولوا قصر الباي بمعسكر إلى أنقاض، ويليه ساحتان وحديقة مسورة استأجرها القنصل دوماس (Daumas) لتكون مرعى لخيوله[8].

---

[1] - أبو العيد دودو: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855م، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1989، ص 136.

[2] - يعرف بالأكحل، كان والده عثمان الكردي قايدا على مليانة ثم بايا على التيطري، يراجع:
Gorguos, « Notice sur le Bey. » Op.cit, p 170.

[3] - الجيلالي الزاوي وعبد الكريم المشرفي: نافذة على بعض علماء معسكر، رثاء الشيخ مصطفى الرماصي لشيخه عمر التراري المشرفي، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العددان 2-3، 2004-2005، ص 97.

[4] - توفيق المدني: المرجع السابق، ص 239.

[5] - Esterhazy, De la domination turque… Op.cit, p 170.

[6] - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992، ص 257.

[7] - ناصر الدين سعيدوني: عصر الأمير عبد القادر، مؤسسة جائزة عبد العزيز للإبداع الشعري، ط1، 2000، ص 217.

[8] - أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص 150.

8- مليانة:

تتمتع بموقع جغرافي ممتاز جعلها جديرة بلقب "الأميرة"، وتقع في سفح جبل "زكار" الغربي، تبعد عن مدينة وهران بحوالي 310 كلم، ألحقت في عهد حسن بن خير الدين عام (1565م/972هـ) ببايلك التيطري، ثم صارت تابعة لبايلك الغرب عندما كانت عاصمته مازونة[1].

وهي مدينة قديمة بناها الرومان وأطلقوا عليها اسم "مكنانة"، وسكانها معظمهم صناع أو نساجين أو خراطين وفلاحين[2]، ويذكر "مارمول كربخال" أن مليانة مدينة كبيرة بناها الرومان فوق جبل مرتفع جدا، تحيط بالمدينة أسوار عالية وحصينة، وبعد سقوط تلمسان بيد الأتراك أصبحت خاضعة لهم[3]، وقد ذكر توفيق المدني أن مليانة تأسست على يد الملك الصنهاجي "بلكين بن زيري بن مناد في القرن 4هـ/10م[4].

ويؤكد عبد الرحمان الجيلالي بأنه اختلف في تسميتها، فقد سماها المؤرخ الإسباني "مارمول" "مليان" Miliane، وهي مدينة في آخر إفريقية بينها وبين تونس أربعة أيام، وتشرف على الطريق الواصل بين الجزائر ومدن بايلك الغرب مثل: مستغانم، وهران، تلمسان[5].

يصف حمدان خوجة سكانها بأن في طبعهم شيء من التصلب والعناد، ويمارسون الفلاحة فقط، ولا يمتهنون أية صناعة أو مهنة سوى تجفيف، ومناخ بلدهم مصح[6]، أما في نهاية الفترة الإستعمارية فقد صارت مليانة مدينة صغيرة خطَّها الفرنسيون وفصلوها حسب

---

[1] - ودان بوغفالة: التاريخ الإقتصادي والإجتماعي لمدينتي المدية ومليانة في العهد العثماني، ط1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص 86-99.

[2] - حسن الوزان: المصدر السابق، ص 34-35.

[3] - مارمول كاربخال: المصدر السابق، ص 369-370.

[4] - توفيق المدني: الجزائر، المرجع السابق، ص 240.

[5] - عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ المدن الثلاث (الجزائر، المدية، مليانة)، شركة دار الأمة، الجزائر، ط1، 2007، ص 237-238.

[6] - حمدان خوجة: المرآة، المصدر السابق، ص 72.

ذوقهم على طراز مدنهم في جنوب فرنسا[1]، ويقع قرب مليانة حمام "ريغة" المعدني، وفي سنة 1856م[2]، كما تزخر مليانة بالعديد من الآثار الرومانية[3].

9- تيارت:

اسم لمدينيتين تيهرت القديمة أو العليا وتوجد على ربوة، بنيت قبل الإسلام وافتتحها عقبة بن نافع، وهي التي أسست مكانها مدينة تيارت الحالية، وتيهرت الحديثة أو السفلى التي عرفت بعراق المغرب أو بَلْخ[4] المغرب[5]، وقد أسسها عبد الرحمان بن رستم عام (143هـ-761م) غربي تيهرت القديمة، وهي محاذية "لتاقدمت"[6] وليست ذاتها[7].

وتقع تيهرت ضمن سهل "السرسو" الذي يمثل المنطقة الوحيدة داخل السهول العليا الداخلية التي تعرف إنتاجا كافيا لزراعة الحبوب[8]، وسهل "السرسو" علاقاته مع الغرب أكبر من الوسط، وذلك أن "تيهرت" أقرب إلى وهران منها إلى مدينة الجزائر[9]، وتقع تيهرت في منطقة اقتصادية غنية فهي تشتهر بمراعيها وثرواتها الزراعية المتنوعة، ويرجع ذلك إلى كثرة مصادر المياه وتنوعها في المنطقة[10]، وقد أكد الأولون وقوع تيهرت بأرض معطاء يجري بالقرب منها وادي مينا، لكنها شديدة البرد كثيرة الغيوم والثلج والأمطار[11].

---

[1] - محمد حاج صادق: مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، د.ت، ص 57.

[2]-Octave Tessier: Algérie géographie, Histoire, statistique description des villes, Villages et hameaux, organisation des tribus, nomenclature des khalifaliks,aghaliks et Kaidats,Paris, Hachette et Cie, 1864, p 35.

[3] - للتعرف على الآثار الرومانية بمليانة راجع:
A, Berbrugger, « Inventaire raisonné des inscriptions romaines actuellement à Miliana » Revue Africaine, Vol N° 9, 1865, pp 48-56.

[4] - من أجَملّ مدن خراسان وأكثرها خيرا وأوسعها غلة، كانت غلالها تحمل إلى جميع خراسان وإلى خوارزم، يراجع: ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج1، ص 479.

[5] - مولاي بلحميسي: الجزائر من خلال.. مرجع سابق، ص 170.

[6] - اختلف في معناها فقيل أنها كلمة بربرية معناها الدف، وقيل أن أصلها عربي بالجذر الثلاثي "ق د م"، لكن بحرف تا الأمازيغي في أوله وت في آخره، وهكذا يكون معناها "القديمة" يراجع:
أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت، (د.ط)، ص 68.

[7] - مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، تقديم وتصحيح محمد الميلي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، د.ت، ص 88.

[8] - Richard Lawless, «L'évolution du peuplement, de l'habitat et des paysages agraires du Maghreb », Annales de de Géographie, N° 446, T81, 1972 , p 459.

[9] - Marc Cote, l'Algérie, espace et société, Constantine, Edition Media Plus, 2005, p 203.

[10] - محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، ط3، 1987، ص 96.

[11] - التالية سعدو: مدينة تيهرت من خلال المصادر التاريخية، الخلدونية، عدد خاص، أكتوبر 2009، ص 34.

كما أن تيهرت تضرب بجذورها في التاريخ بكونها عرفت إنسان "كولومناتا"، وخط "الليمس" الروماني ومقابر "لجدار"[1]، واحتضنت عاصمة "الرستميين" ومغارات ابن خلدون وقلعة "بني سلامة" وزوايا كثيرة منها زاوية سيدي عدة بن غلام الله والذي أنشأ زاويته عام (1268هـ-1852م)، واشتهرت بمكتبتها الثرية وزيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس لها[2].

10- تنس: هي مدينة عتيقة بناها السكان الأصليون على سفح جبل، وهي في منتصف الطريق بين مدينة وهران والجزائر، تبعد عن كل منها بحوالي ثلاثين فرسخا(الفرسخ يساوي 5.6 كم)، وهي عاصمة هذه المنطقة قديما، وسكانها يتميزون بالغلظة والفظاظة، ولهم تجارة واسعة مع الأجانب، وقد استولى "بربروس" على هذه المدينة بعد استشهاد أخيه الأكبر[3]، أما الوزان فيصفها قائلا: ".. هي مدينة أزلية بناها الأفارقة في منحدر جبل على مسافة قريبة من البحر المتوسط، وقد كانت دائما خاضعة لملك تلمسان..."[4].

11- المرسى الكبير:

بناه الرومان على هيئة قلعة محصنة على ساحل البحر المتوسط على فرسخ واحد من وهران من جهة الغرب، مرساها من أجمل مراسي إفريقيا وأعظمها، وبعد وقوعها تحت حكم "مارتن القرطبي" وهو الكونت "ألكوديت" حتى شرع في بناء حصن فوق جبل عالٍ على بعد 600 خطوة من المدينة، ولم يكن قد انتهى بناؤه عندما جاء الأتراك[5].

أصبح ميناء المرسى الكبير منذ القرن 15م مركزا للتبادل التجاري بين أهم دول حوض البحر المتوسط كالبندقية وجنوة وبلاد المغرب، وصفها الوزان قائلا: «.. هي مدينة صغيرة أسسها ملوك تلمسان بعيدة ببضعة أميال عن وهران، ومعناها الميناء الكبير، لأن بها ميناء

[1] - للتعرف على تاريخ تيهرت، راجع المقالات المنشورة في مجلة الخلدونية أكتوبر 2009، عدد خاص بالملتقى الوطني الوطني المنعقد بجامعة ابن خلدون-تيارت.

[2] - صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطاتها، بيروت، دار البراق، ط1، 2002، ص54، ص507.

[3] - مارمول كاربخال: المصدر السابق، ص 354.

[4] - الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 35-36.

[5] - مارمول كربخال: المصدر السابق، ص 327.

ما أظن أن في الدنيا أكبر منه، ويمكن أن ترسوا فيه بسهولة مئات المراكب والسفن الحربية، وقد استولى الإسبان على المرسى الكبير قبل سقوط وهران ببضعة أشهر[1].

رابعا: بايات بايلك الغرب:

إن معرفة بايات الغرب الجزائري يعد أمرًا صعبا وذلك بسبب غياب المصادر التي تحدثت عن أسمائهم، وفي هذا الصدد يذكر محمد بن يوسف الزياني صاحب كتاب دليل الحيران وأنيس السهران أن **"**ثالثهم الباي صواق لم أطلع على تاريخه، سقته زوجته سمّا فمات، رابعهم السايح المازوني لم أقف على تاريخ توليته حيث بقي في الملك إحدى عشر سنة ومات ولم أقف على تاريخ موته، خامسهم ساعد ولم أقف على تاريخه، ومن ساعد إلى الباي محمد بن عيسى تولى عشر بايات وبحثت على أسمائهم وتاريخهم بحثا شديدًا ولم أجد ذلك منصوصًا في كتاب**"**[2]

وتجدر الإشارة إلى أن عدد بايات الجزائر في الغرب 33 بايًا حسب ما ذكره الزياني، حيث أنه لم يذكر الباي محمد العجمي ولكنه مدرج ضمن مراجع أخرى وبالتالي يوجد 34 بايًا، وسنذكر هنا بايات بايلك الغرب الجزائري منذ أن أصبحت الجزائر إيالة عثمانية.

-الباي حسن بن خير الدين: أول باي بمازونة خاض حروبا ضدّ الإسبان وذلك لتحريرها.

- الباي ابن خديجة: كان رجلا ذكيا، وقد اتخذ من مازونة قاعدة لحكمه وكان من صلاحياته ومهامه: تعيين القيّاد وجباية الضرائب[3]، أما **الباي صواق:** فقد كان بايًا بمازونة، تولى الحكم بعد الباي ابن خديجة، مات من سم سقته له زوجته[4].

- الباي السايح: بقي في الملك إحدى عشر سنة، وخاض حروبًا ضدّ القبائل المتمردة.

- الباي ساعد: ذكر المزاري اسمه فقط ولم يذكر أعماله وإنجازاته، أما الزياني فقد ذكر بأنه لم يقف على تاريخه، وبعد الباي ساعد أتى عشرة بايات لبايلك الغرب لكنهم بقوا مجهولين في المصادر التاريخية وحتى الزياني لم يذكرهم في دليل الحيران، أما الباي محمد بن عيسى فلا توجد عنه معلومات ولا حتى في المصادر.

---

[1] - الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 31.

[2]- الزياني، المرجع السابق، ص 252.

[3]- عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات الحركة الوطنية لدراسات والبحث في الحركة الوطنية الجزائر، 2007، ص 220.

[4]- المزاري، المرجع السابق، ص 271.

- **الباي شعبان الزناقي:** وصفه الزياني "الغطريف الهمام الأسد الضرغام معز الدين وأهل الإيمان الزناقي الباي السيد شعبان أحد الأتراك الأنجاد وأعيانهم الأمجاد"[1] توفي أثناء جهاده في وهران للإسبان عام (1692م/1103هـ)[2].

- **مصطفى بن يوسف بن إسحاق المسراتي[3] (بوشلاغم):** خلف الباي شعبان، تولى على مازونة وتلمسان بأمر من الداي محمد بكداش[4]، غير أنه أحس ببعد عاصمة البايلك فقرر نقلها إلى القلعة[5]، ثم اختار مدينة أثرية تسمى بلاد الكرط، فبسبب استقرار الجنود بالكرط صارت تسمّى أم العسكر (معسكر)[6]، ولما غزا وهران وأمده الباشا السيد محمد بكداش بالجيوش تحت نظر وزيره "أوزن حسن"[7]، وفتحها عنوة صبيحة يوم الجمعة 16 من شوال 1119هـ[8]، و نقل كرسي المملكة[9] من معسكر لوهران وجعلها قاعدة ملكة[10].

وبعد سيطرة الإسبان على وهران في (1732م/1144هـ)، خرج منها الباي بوشلاغم إلى مستغانم التي ظل بها حتى توفي عام (1737م/1149هـ)، وأوضى أن يدفن بقبة بالمطمر[11].

- **يوسف المسراتي:** بعد وفاة والده مصطفى بوشلاغم[12] عام (1777م/1190هـ) اختاره داي الجزائر بايا وأمره بنقل العاصمة إلى معسكر، غير أنه لم يكن بمثل حزم والده

1- الزياني، المصدر السابق، ص ص 252-253.

2- عائشة الغطاس، المرجع نفسه، ص 221.

3- المسراتي: من المسراتية أو المصراتية وأصلهم من مدينة مسراتة الليبية، رحل أسلافهم مع خير الدين، ولذلك ثبتهم في الديوان، ولقد بقي منصب الباي في أيديهم مدّة تم تحوّل إلى العصمانية الذين منهم محمد بن عثمان الكبير يراجع: محمد بوركبة "جوانب من محظوظ قلعة بني راشد بالشيخ أبو عمر بن عثمان القلعي، المجلة الجزائرية للمخطوطات العدد الأول ،2003، ص 113.

4- الباي محمد بن علي لكباش، هو بابا محمد خوجة تولى عام 1707 ومات قتيلا عام 1710 عرف بثقافته واحترامه لأهل العلم وميله للتصوف وهو ما حببه إلى العامة خصوصا وقد فتحت وهران في زمانه يراجع: محمد بن ميمون الجزائري التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق وتقديم: محمد ابن عبد الكريم، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1981، ص 44.

5- مسلم بن عبد القادر الوهراني، المرجع السابق، ص 19.

6- Ester Hazy, de la domination turque, Op,cit, p 170.

7- أوزن حسن، التعرف أكثر على أوزن حسن ووفاته يراجع:
BeroRugger :« épitaphe d'ouzon –Hassan le conquérant d'oran en 1708, Revue Africaince, Vol N°3, 1865, p 121-126.

8- الموافق لـ 19 جانفي 1708م.

9- يقصد البايلك

10- ابن عودة المزاري، المرجع السابق، ج1، ص 275.

11- مسلم بن عبد القادر الوهراني، المرجع السابق، ص 19.

12- يوسف المسراتي، ابن الباي مصطفى بوشلاغم حسب المزاري يراجع ابن عودة المزاري مرجع سابق، ج1، ص 278.

فسيطر عليه خليفته محي الدين المسراتي، ثم انتزع السلطة منه ففر إلى تلمسان[1]، وقد توفي يوسف المسراتي بالطاعون سنة (1152هـ/1740م)[2]، أما **مصطفى الأحمر المسراتي:** فقد تولى الحكم سنة (1152هـ/1740م)[3]، بينما اعتبره المزاري أخا لبوشلاغم[4]، وحسب استرازي فهو ابن محي الدين المسراتي، ولاه والده إدارة البايلك خلفا خلفا للباي يوسف المسراتي لكن أهل زوجته بنت الباي بوشلاغم سمموه ودفن بمستغانم.5

بمستغانم.5

- **محمد بوطالب المجاجي:**[6] تولى مكان أخيه مصطفى الأحمر، حكم 09 أعوام ومات مقتولاً[7]، قال يحي بوعزيز "لم نجد أثرا لأعماله فيما رجعناه من مصادر"[8].

- **قايد الذهب المسراتي:** خلف محمد بوطالب المجاجي، وسميّ هكذا لشدّة كرمه[9]، كما سمي "باي المحال" نسبة إلى قبائل المحال العربية، وقد حدثت له مشاكل مع الداي قيل إن سببها فشله في ردع ثورة قام بها عثمان بن إبراهيم[10]، وتوجه لتونس وأكرمه بايها فعاش زمنا بها وتوفي بها[11]، وهذا ما ذكره الزياني أيضا في دليل الحيران وذكر أنه لقب بقايد الذهب لكثرة جوده وإعطائه الذهب للناس، ولقب بباي المحال، ثم ذكر أنه قام عليه عصيان ففر منه لوهران عند الإسبانيين، ثم فرّ إلى تونس وسكن فيها إلى أن مات بها ولم أقف على تاريخ ذلك[12]، غير أن الزياني يرى أن قايد الذهب المسراتي أتى قبل محمّد المجاجي.

---

[1]- Ester Hazy, de la domination turque, Op,cit, p p 174-175.

[2]- يحيى بوعزيز، مدينة وهران، المرجع السابق، ص 56.

[3] - محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران، المرجع السابق، ص 255.

[4]- ابن عودة المزاري، مرجع سابق، ص ج1، ص 278.

[5]- Esterhazy : De la domination turque, pp 145

[6]- جعله الزياني 22 في الرتب أي بعد قايد الذهب، راجع: محمد بن يوسف الزياني، ص 194.

[7]- مسلم بن عبد القادر الوهراني، المرجع السابق، ص 20.

[8]- يحي بوعزيز، نفسه، ص 57.

[9]- يحي بوعزيز: مدينة وهران، المرجع السابق، ص 56.

[10]- مسلم بن عبد القادر الوهراني، المرجع السابق، ص 20.

[11]- Ester Hazy : De la domination turque, Op,cit, p p 172-182.

[12] - محمد بن يوسف الزياني: دليل الحيران، المرجع السابق، ص 255.

- محمد العجمي: وهذا الباي قد أسقطه الزياني من قائمة البايات فلم يذكره، وقد كان خلف قايد الذهب وكلفه باشا الجزائر بإدارة البايلك، غير أن المسراتية دبروا مقتله عام (1752م/1165هـ) فلم يحكم سوى أشهر وكان العرب يسمونه "باي الجدة"[1].

- الحاج عثمان ويقال له عصمان: وهو جد العصمانية ملوك وهران تولى في المرّة الأولى بتلمسان، وقام عليه أهلها مع الباي يوسف المسراتي، وتولى في المرّة الثانية على جميع الإيالة الغربية في أوسط محرّم سنة(1166هـ/1753م)، ومكر بأهل تلمسان والمحال مكرًا كبيرًا أفنى به أكثرهم، وقد توفى بمعسكر ودفن بها بعد أن ملك 09 أعوام، وهو الذي بنى الجامع الأعظم بمعسكر سنة توليته ونقش على حجارة اسمه وتاريخ البناء[2].

ونجد "استرازي" يذكر أن عثمان بن إبراهيم قد تزوج من إحدى بنات الباي بوشلاغم المسماة "خروفة"، والتي كانت متسلطة ويأتمر زوجها بأمرها حتى سميت "خروفة باي"، وأن عثمان مات بسبب المرض بعد حكم دام 19 عاما[3]، كما أن هذا الباي بنى الدّار والقبة الملاصقة للجامع الأعظم بمعسكر ودفن بها، وكانت وفاته سنة (1176هـ/1763م)[4].

- حسن باي: (1176هـ/1763م) حكم 03 سنوات وحدث أن نقل الدنوش إلى الجزائر فأهانه الباشا[5]، ففر إلى وهران ثم إلى اسطمبول[6]، ثم إلى القاهرة حيث توفي بها[7].

- إبراهيم الملياني: كان محبا للعلماء والصالحين، حكم 14 عامًا[8]، بنى برج العسكر بمعسكر[9]، ودفن في القبة التي بناها الباي عثمان للشيخ عبد القادر الجيلالي[10].

- الحاج خليل: غزا الشيخ أبا ترفاس صاحب الزاوية الشهيرة بالعين الكبيرة نواحي ندرومة واعتدى عليه وأخذ قيطنته وفرق طلبته ثم عفا عنه[11]، كان مبغضا للعلماء والأولياء وأهل النفع، وقد توفي بتلمسان ودفن بقبة سيدي محمد السنوسي[12]، وقد حلّ

---

[1]- Ester Hazy , de la domination turque , op,cit, p 177.

[2] - الزياني: نفسه، ص 255-256.

[3] - Ester Hazy, de la domination, Op,cit, pp 182- 183.

[4] - الزياني: نفسه، ص 257.

[5]- ابن عودة المزاري، المرجع السابق، ج1، ص 285.

[6]- محمد بن يوسف الزياني، المرجع السابق، ص 196.

[7]- Ester Hazy, de la domination turque, Op.cit, p 184

[8]- محمد بن يوسف الزياني، نفسه، ص197.

[9]- مسلم بن عبد القادر الوهراني، المرجع السابق، ص 21

[10]-ابن عودة المزاري، نفسه، ج1، ص 286.

[11]- مسلم بن عبد القادر الوهراني، مرجع سابق، ص 22.

[12]- ابن عودة المزاري، نفسه، ج1، ص 287.

القحط[1] في زمانه بشكل رهيب، ثم زال وأخصب الناس كما قامت في زمانه[2] ثورة محمد محمد بن علي الدرقاوي المعروف بالإدريسي ضواحي تلمسان، وجد مقتولا في خيمته، فأولت وفاته بسقوط حجر من السماء على وطاق الباي (أي خيمته) بعد قيام عاصفة ميزها البرق[3].

ولأنه كان مبغضا للعلماء والأولياء فإن سبب موته حسب ما شاع في ذلك الوقت دعاء ثلاثة من الصالحين عليه، بعد ما هدد الشيخ المداني والشيخ الحاج موفق بالقتل، وغزا الشيخ أبا ترفاس بمدشرة بالساحل، وأخذ قيطنته وفرق طلبته بقتله[4]، بينما يذكر الزياني أن الشيخ أبو ترفاس[5] غزاه الباي وأخذ قيطنته وفرق طلبته وهمّ بقتله فعصمه الله منه، فرجع الباي خليل ولما وصل لحمّام أبي غرارة بأرض ذوي يحي ابتلاه الله بعلّة يقال لها الشهدة، فحملوه من هناك لتلمسان، ولما وصلها مات بالبيت التي بها دون علم أحد، ولما دخلوا عليه وجدوه ميتا، وتوفي الشيخ أبو ترفاس بعده بقليل ليلة الجمعة (11 ذي الحجّة 1199هـ/1785م) وفيها توفي الشيخ المشرفي[6]، وتوفي تلميذ أبي ترفاس سيدي البشير[7].

البشير[7].

- محمد بن عثمان الكبير: تولى الحكم سنة (1199هـ/1785م)، كان والده عثمان الكردي حاكما مليانة ثم صار بايا للتيطري، وأمه زايدة أهداها سلطان المغرب لوالده لمحبة بينهما[8]، ولقب بالأكحل لسواد بشرته وكان فصيحا بليغا سليما، محبا للعلماء والصلحاء، سريع الرضا مكثرا غزو النواحي الصحراوية، فتح الأغواط[9] والشلالة وعين ماضي[10]،

---

[1]- يتوالى حدوث القحط في الإيالة في النصف الثاني من ق 18م، وكانت وطأته شديدة ففي 1184هـ/ 1770م وقع الغلاء في القمح وأعطى الله بالقحط وهو الجوع في الناس حتى صارت قيمة الصاع 04 بوجو والناس يموتون جوعًا في الأسواق، يراجع: الحاج أحمد الشريف الزهار، مصدر السابقّ ص 31.

[2]- تولى خليل سلطة بايلك الغرب عام 1185هـ/1771-1772م

[3]- Esterhazy, de la domination, Op.cit, pp 188-189.

[4]- ابن عودة المزاري، نفسه، ج1، ص 287-288.

[5]-أبوترفاس، له زاوية مشهورة بنواحي العين الكبيرة "ندرومة" لازالات آثارها موجودة لليوم.

[6]-المشرفي: يقصد بالمشرفي عبد القادر بن عبد الله المشرفي صاحب "بهجة الناظر في أخبار الداخلين عند ولاية الإسبان بوهران كبني عامر"

[7] - الزياني: المرجع السابق، ص 260.

[8]-ابن عودة المزاري، المرجع السابق، ج1، ص 291..

[9]- **الأغواط:** تنقسم واحة الأغواط إلى قسمين يفصل بينهما جبل تيقرارين أو صخرة الكلاب، فالواحة الشمالية تمتد على سهل صغر ينحصر بين جبل راس العيون شمالا وجبل تيقرارين جنوبا، تربتها عقارية رملية وأراضيها فلاحية تتركز أكثرها في الجهة الشمالية أما الواحة الجنوبية تمتد جنوب تيقرارين

[10]-مسلم بن عبد القادر الوهراني، المرجع السابق، ص 24..

كان قائدا على قبيلته في عهد الباي إبراهيم الملياني، ولما أبدى كفاءة في تأدية مهامه عينه خليفة له، وساهم في ردَ حملة أوريللي سنة (1775م/1189هـ)[1]، وقد احتوى مشكلة الجند الجند الذين أرادوا الفرار إلى تونس لعلّهم يحظون بتقدير أكبر من ذلك الذي لقوه من داي الجزائر[2].

وصفه الزياني في دليل الحيران بقوله: قد قبضه الله لفتح وهران وأرشده إلى السعادة والغفران، الممتطي منصة الرضوان، وشيد راية الإسلام والإيمان، وباسط مهد العدل والإيمان، أتحفه الله برضاه، وجدّد له اللطف وأمضاه" [3].

تولى حكم البايلك بعد وفاة الحاج خليل عام (1779م/1193هـ)[4]، وعمل على تحرير وهران حتى حررها عام (1791م/1206هـ)[5]، وقد أجبر الأحرار بالجنوب والحشم بمعسكر وفليتة يمينا على دفع الضريبة عربونا على الخضوع لسلطة البايلك، واستكمالاً لما قام به الباي عثمان سابقا حين أنهى التمرد الذي شهدته تلمسان وأخضع قبائل المحال[6].

كانت سنة تولي محمد الكبير منصب الباي سنة مجاعة حتى سماها الناس "عام الشر"L'année de mal، ثم حل الطاعون عام (1786م/1201هـ) والذي عرف ببايلك الغرب بـ "حبوبة الأمجاد" لأنه أتى نهائيا على قبيلة الأمجاد[7]، كما بنى جامع جميل سمي جامع الباشا[8]، وبدأ بناء مسجد الرحبة Mosquée de la place الذي يسميه أهل المدينة جامع جامع البلانزا Djamea el planza[9]، وبنى مسجد ابن ناصف بمعسكر وقلعة البرج الأحمر، الأحمر، والمدرسة الجليلة بخنق النطاح التي بها ضريحه بوهران[10]، وكان له قصر في

---

[1]- ابن محمد عبد الرحمان الجيلالي بن رقية التلمساني لحملة أوريللي على مدينة الجزائر من خلال كتابه "الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغار عليها جنود الكفرة وكان ذلك بأمر من محمد الكبير حين صار بايًا على الغرب، يراجع: أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 10-14هـ (16-20م) المؤسسة الوطنية للكتاب ط1، 1985، ج2، ص 351-352.

[2]- GorGuos Notice sur le Bey Op.cit vol N° 1, 1856, P 407

[3] - الزياني، نفسه، ص 261.

[4]- الحاج محمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 69.

[5]- نسب تحرير وهران إلى 1791م كما نسب إلى 1792 والسبب هو أن اتفاقية الانسحاب وقعت في 1791/12 ونهاية خروج الإسبان كانت في 22-02-1792 يراجع: يحيى بوعزيز، مدينة وهران، مرجع سابق، ص 64.

[6]- Pierre Boyer, « constribution à l'étude de la opolitique religieuse des turcs dans la régions d'alger (x v,e- x,xe siècle) Revue de l'occident musulman et de la méditerranée N°1 1966, p 37.

[7]- Ester Hazy, de la domination turque, Op.cit, p 190.

[8]- المعني هو حسن باشا الذي كان يدرس من الجزائر نفقات البناء فنسب الجامع إليه، راجع: مسلم بن عبد القادرالوهراني، المرجع السابق، ص 24.

[9]- Ester Hazy, de la domination turque, Op.cit, p 196.

[10]- مسلم بن عبد القادر الوهراني، المرجع السابق، ص 24.

الريف جنوب مدينة معسكر وبستانه والطريق المؤدية إليه أجمل متنزه في ضواحي معسكر[1].

وقد ذكر الزهار أن الباي الكبير أخذ الدنوش إلى الداي محمد بن عثمان بعد فتح وهران وأثناء عودته ووصوله عند السايح ابن خضرة توفي، فحملوه أولاده ميتًا إلى وهران[2]، بينما بينما يذكر "إسترازي" أنه توفي في مكان يقال له صبيحة بقيطنة أولاد خويدم، وقد خلف أخا هو محمد بوكابوس، وولدين هما محمد المقلش وعثمان، وخلف من أمتيه الإسبانيين Catacina وRoza بنتين تزوجت إحداهما الباي علي، وتزوجت الأخرى ولد محمد بوكابوس[3].

- عثمان بن محمد: هو ولد الباي الكبير تولى بعد وفاة أبيه سنة (1221هـ/1806م)، وقد نقل الحكومة من البرج الأحمر إلى القصبة التي بأعلى البلانصة من ناحية مرجاجو، وأعرض عن المملكة باللب، وأقبل بكله على اللهو والطرب واتخذ مجلسا للخلوة فصار لا يخرج منه للحكم إلا بعد مرور أيام، وصرف أمر رعيته إلى أرباب دولته.[(4)]

وحدث في زمانه الطاعون الذي أهلك كثيرًا من العلماء كعبد القادر بن السنوسي، ابن دحو بن زرفة، والهاشمي، وابن عمهما الفقيه الأديب الألمعي صاحب تأليف "فتح وهران" السيد مصطفى بن عبد الله[5] وغيرهم، وظهر الجراد الكثير فأفسد الزرع والثمار[6].

وبعد ثلاث سنوات من حكم البايلك عزله الداي مصطفى ونفاه إلى البليدة، ثم عفا عنه وعينه بايا لقسنطينة[7]، وسبب عزله هو أنه اشترى من تونس جاريتين جميلتين، فلما بلغ خبره إلى الداي غضب منه وعزله[8]، ويروي الزهار قصة التنافس بين الخزناجي والباي عثمان الذي آثر الفرار بالتعاون مع القنصل الإنجليزي بوهران، فلما كشف أمره ألقي عليه

[1]- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالة الألمان، المرجع السابق، ص 151.

[2]- الحاج أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 63-64.

[3]- Ester Hazy, De la domination turque, Op.cit, p 197.

[4]- ابن عودة المزاري، المرجع السابق، ص 299-300.

[5]- كاتب الباي محمد بن عثمان وقد تولى القضاء والافتاء بوهران بعد فتحها الثاني الذي خلده بكتابة " الرحلة القمرية في السيرة المحمدية".

[6] - الزياني: المرجع السابق، ص 271-272.

[7].EsterHazy, De la domination turque, Op.cit, p 200.

[8]- محمد بن يوسف الزياني، نفسه، ص 270.

القبض، فأمر الداي أن يؤتى به إلى البليدة وولى مكانه مصطفى باي[1]، وحين قامت ثورة ابن الأحرش خرج الباي عثمان للقائه بوادي الزهور، فانكب به فرسه في الطين، ثم فرّ عنه وتركه، فقتل هناك، ولم ينجو من جيش الباي إلا القليل[2].

- **مصطفى بن عبد الله العجمي المنزالي:** تولى الحكم سنة (1223هـ/1808م) كان عاقلا لكن جبانا[3]، ويبدو أنه ورث حكم البايلك مع كثير من المشاكل التي جعلها له الباي عثمان خاصة الفساد الإداري[4]،وقد التقى الباي مصطفى مع عبد القادر الشريف بفرطاسة بين وادي مينا، ووادي العبد، وانهزم الباي بجيشه، ودخل الباي لمعسكر وعساكره خلفه مطرودة، قال صاحب در الأعيان، وكان ذلك يوم الأحد 08 ربيع الأول (1219هـ وقيل 03 ربيع الأول/16 جوان 1804م)، ثم خرج الباي من معسكر عشية اليوم الثاني ورجع لوهران، ثم خرج ابن الشريف قاصدا فتح وهران ولما حل بسيق أوقع بهم إيقاعًا عظيمًا حتى عرف الموضع بشعبة النواح[5]، وقد مات يوم فرطاسة من المخزن خلق كثير، وماتا كاتبا الباي، العالم العلامة السيد الحاج أحمد بن هطال التلمساني، والعالم الأديب السيد أبو عبد الله محمد الغزلاوي، وقد عوّض مصطفى العجمي بمحمد بن محمد بن عثمان الملقب بالمقلش.

- **محمد بن محمد بن عثمان الملقب ب "المقلش":** هو ابن الباي محمد باي الكبير، تولى حكم البايلك بعد فشل الباي المنزالي في القضاء على ثورة ابن الشريف الدرقاوي، وتولى سنة (1228هـ/1813م) وهو ابن 18 سنة على ما قيل، وقيل غير ذلك، وبقي في المملكة ثلاث سنين غير شيء[6].

ورغم الجهود المضنية التي بذلها لذات الهدف فإن الدّاي قتله لأنه عندما وجه إلى مدينة الجزائر الأموال والغنائم، لم يجد العدد الكافي من البغال فاستعمل الأبقار في حملها فاستنكر الباشا[7] عليه ذلك وأمر بقتله في (1807م/1222هـ)، ووضع حدًا لحياته[1]، وقيل أيضا أن

[1]- الحاج أحمد الشريف الزهار، المرجع السابق، ص 83.
[2]- ابن عودة المزاري، المرجع السابق، ج1، ص 301.
[3]- مسلم بن عبد القادر الوهراني، المرجع السابق، ص 272.
[4]- يحيى بوعزيز، مدينة وهران، المرجع السابق، ص 67.
[5]- محمد بن يوسف الزياني، نفسه، ص ص 272-274.
[6] - الزياني: المرجع السابق، ص 276.
[7]- المقصود هو الداي أحمد، 1805/ 1808م.

أن سبب قتله هو لجوؤه إلى الخمر والاعتداء على الأعراض فلما كثرت الشكوى منه بعث إليه من قتله[2].

-مصطفى العجمي المنزلي –ثانية: تولى ثانية بعد مقتل المقلش ليتنحى بعد 09 أشهر، ويعين خزناجيا لمدينة الجزائر، وقد قامت عليه درقاوة بالثعالبة من بلاد فليتة، فتوجه إليها وهزمها، ثم قامت عليه مرة أخرى في مدغوسة ببلاد خلافة، فتوجه إليها بالمحل المذكور، فلم يكن غير ساعة وإذا بالدرقاوي مهزوما ومفلولاً مذمومًا[3]، وحين توفي المنزالي دفن بالمدية[4].

- الباي محمد بن عثمان الملقب بالرقيق والمسلوخ والمكنى بأبي كابوس: هو محمد بن عثمان باي الغرب حكم مابين (1808م و1813م/1223هـ و1228هـ)، وكانت له عدّة ألقاب فالصغير تميزًا له عن أخيه محمد الكبير فاتح وهران، الرقيق لنحافة جسمه، بوكابوس لأنه كان يحمل الكابوس (البشطول) طول الوقت فلا يفارقه[5] المسلوخ لقب به بعد موته لأن عمر آغا سلخ رأسه، وهو حي[6]، كما لقب بالمشتمل لأنه كان يتشبه بالعرب في الاشتمال بالكساء ولا يلبس لباس الأتراك في غالب أحواله[7].

وتحدثت المصادر عن أسباب الثورة حيث أرجعتها إلى خلاف وقع بين الداي الحاج علي، وبين باي العرب بوكابوس بسبب الحملة التي نظمت ضد تونس، وحمدان خوجة يذكر أن الداي بعث إلى بوكابوس قائلا: "إنك كرغلي وباي تونس أيضا كرغلي، فأنت إذا لا تريد أن تلحق الضرر بأخيك إنك تفضل عصياني على أن تحاربه"[8]، بينما يذكر الزهار هذه الثورة دون كثير من التعليق، ويقصر سببها على وحشة بين الباي وبين عمر آغا، لأن

---

[1]- يحيى بوعزيز، مدينة وهران، المرجع السابق، ص 21.

[2] - Ester Hazy, de la domination turque, Op.cit, p 210

[3]- محمد بن يوسف الزياني، نفسه، ص 225.

[4]- ابن عودة المزاري، المرجع السابق، ج1، ص 328.

[5]- وقيل لأنه قتل به السايح بن خضرة زعيم قبيلة سويد التي صارت تعرف بأولاد قصير وهي المعروفة أيضا بالناحية الغربية بالمحال له مواقف مع الأتراك، ومعارك سجلها الشعراء والشعبيون، ولا زال أفراد هذه الأسرة بأولاد قصير بلدية الأصنام محتفظين باسم آبائهم (ابن خضرة)، يراجع: محمد بن يوسف الزياني، المرجع السابق، ص 295.

[6]- كمال بن صحراوي، دور يهود الجزائر الدبلوماسي أواخر عهد الدايات، العلمة، بيت الحكمة، ط1، 2009، ص 197.

[7]- ابن عودة المزاري، المرجع السابق، ج1، ص 325.

[8]- حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 172.

الباي قتل أخا عمر قبل أن يتولى آغا[1]، وأما صاحب طلوع سعد السعود فيرى بأن بوكابوس خرج قاصدا تونس طاعة للدّاي، لكن عندما وصل وادي يلل حدثته نفسه بالخروج عن طاعة الترك والدخول في طاعة سلطان المغرب مولاي سليمان بن عبد الله[2].

ولما ساء الأمر لجأ الباي إلى وهران، فحين علم بوصول أسطول من الجزائر على رأسه عمر آغا هدد بنسف المدينة بمن فيها، فذهب إليه العلماء وفي أيديهم المصاحف ونسخ من صحيح البخاري، وأقنعوه بضرورة حقن الدماء، فلان لهم[3]،ودخل الجنود فقيدوه واقتادوه إلى عمر آغا الذي كانت نهايته على يديه[4]، وأمر جنوده بسلخ رأس بوكابوس قبل أن يقتله، ولما فعلوا أمرهم "حشوا جلدة الرأس قطنا وبعثوه للجزائر"[5]، وعلقوه على عود طويل زمنا عديدًا، وقتل أولاده وهم صبية صغار، وقتل بعض خدمه[6].

ويبدو أن هذا الشر الذي الحق بالباي بوكابوس، ألحق الحزن بكثير من الناس فها هو أبو راس الناصري يقول: "...ولما قمت وذهبت إلى ضريحه وترحمت وبكيت، وقلت السلام عليك أيها الإمام الثاوي في دار السلام، كأنك لم تعرض الجنود، ولم تنشر على رأسك البنود، ولم تبسط العدل المدود، ولم تعامل بفضلك الركع السجود، فنسأل الله أن يؤنس اغترابك ويصلح في الدنيا والآخرة رأيك..."[7]

لكن بوكابوس قد ابتدع قتلا لم يستدعه أحد من الملوك قبله، فمنهم من يأمر بإخراجه للسوق ودق أعضائه حيا إلى أن يموت بانفضاع، ومنهم من يأمر باقتلاع عينيه أو قطع أعضائه فإن مات وإلا جهز عليه فيموت في سجنه، ومنهم من يأمر بذبحه أو قطع رأسه[8].

-علي قارة باغلي: حين غضب الداي من بوكابوس ووجه إليه عمر آغا ليقتله بعث معه قفطان تولية باي جديد هو علي قارة باغلي صهر الباي الثائر، وهذا الباي الجديد كان من

[1]- الحاج محمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 107.
[2]- ابن عودة المزاري، المرجع السابق، ج1، ص 335.
[3]- ذكر استرازي، أن مصطفى بن جلول كاتب الباي هو الذي أقنعه بتسليم نفسه بعد أن أقسم له ألا يخدعه وكان ذلك الاتفاق مع عمر آغا، راجع: Ester Hazy, de la domination turque, Op.cit, p213.
[4]- يحي بوعزيز، مدينة وهران، المرجع السابق، ص 74.
[5]- مسلم بن عبد القادر الوهراني، المرجع السابق، ص 105.
[6] - الزياني: المرجع السابق، ص 303.
[7]- أبو راس الناصر، فتح الإله ومنيته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1990، ص 76.
[8]- محمد بن يوسف الزياني، المرجع السابق، ص 227.

قرية باغلة بآسيا الصغرى[1]، وقد نجح في إخماد ثورة درقاوة وفاجأ بني زروال[2] مرتين وأرغمهم على جمع الضريبة، كما أخضع قبيلة صبيحة التي كانت تقطع الطريق بين وهران ومدينة الجزائر[3].

وقد اطمأن الناس في عهده[4]، غير أن ذلك لم يشفع له حيث حدّد الداي علي بعض سلطاته، ثم غضب عليه بسبب تغافله عن بعض الأتراك الذين فروا إلى وهران فاستغل فرصة إيصال الدنوش لينتقم منه، حيث بعث إليه من قتله وهو في مكان يقال له أبا خرشفة[5]، ولم يكتف الداي بقتله وتوليه حسن محله بل أمر بطبع داره، وسجن أولاده، وتثقيف نسائه "..وتلك عادة الأتراك في الأصل يوم طبل ويوم حبل.."[6].

- حسن بن موسى الباهي: كان طباخا لدى الجيش، انتقل إلى وهران واشترى دكانًا صغيرًا، فمر عليه ذات يوم الباي كابوس، فلما رآه أعجبه منظره وحسن نظافة دكانه[7]، فطلب معلومات عنه ثم دعاه وزوجه ابنته بدرة[8]، وبذلك فتحت الطريق أمامه لتوصله إلى قصر البايلك، ويذكر الزياني عنه قائلا: ".. تولى في منتصف ذي الحجة سنة (1240هـ/1825م)، ومن خبره أنه كان في أول أمره يبيع الدخان، قال مؤلف (در الأعيان في أخبار وهران)، وكان ذا عقل وافر وسياسة ورأي ورياسة ولما رآه الباي محمد الرقيق على تلك الحالة شغف بحبّه وظهر أنه لا يصلح لمصاهرته إلا هو، فقربه منه وأدناه وأولاه سره ومعناه وزوّجه من ابنته.."[9].

---

[1]- يحيى بوعزيز، مدينة وهران، المرجع السابق، ص 74.

[2]- كان بني زروال قد شاركوا مع محمد الكبير في فتح وهران واستولوا على برج القديس فيليب الذي عرف ببرج العين ثم برج بني زروال يراجع:

Mohamed El Korso et Mikel de Aplaza Oran et l'ouest Algérie au 18 siècle d'après le rapport Aramburu, Alger, 1978, p 89.

[3]- Ester Hazy, domination de la turque, Op.cit, p 215.

[4]- مسلم بن عبد القادر الوهراني، المرجع السابق، ص 45.

[5]- نفسه، ص 29.

[6]- محمد بن يوسف الزياني، نفسه، ص 307.

[7]- خصص دكانه بيع الدخان بعد أن ترك مهنتي الطبخ والجذبة يراجع كل من:

- Edward Lapéne, Tableau historique de la provence d'Oran, depuit le départ de des espagnoles en 1792 jusqu'à l'éténation d'Abdelkader en 1830 ,metzB.Bibliothèque Royale 1842, p 19.

- Henri Léon Fey, Histoire d'Oran avant pendant et après la domination espagnole Oran, Editeur Adolphe perrier,= 1858, p 307.

[8]- EsterHazy, de la domination turque Op.cit, p 216.

[9] - الزياني، المرجع السابق، ص 309.

يثني عليه صاحب المرآة بقوله: "كان يحكم بعطف أبوي فلا يفرض على الشعب إلا ضرائب قليلة ولا يستعمل العنف ضدّه أبدًا، وكان الناس يعترفون له بالجميل[1].

بينما يذكر صاحب أنيس الغريب والمسافر أن الباي حسن كان ذا عقل وسياسة غير أن سيرته فسدت بعد أن صار بايًا، ويعطي أمثلة على ذلك كقتل العالم الجليل محمد بن قريد الغربي ببيته بخنق النطاح على يد لصين عام (1828م/1243هـ)، فلما ذهبت زوجتاه إلى الباي شاكيتين أمر بحملهما ورميهما في البحر[2]، ومن العلماء الذين قتلهم أيضا الحاج محمد محمد أبوشيخي مرابط قيزة، والشيخ ابن عبد الله بن حوا التيجاني شيخ درقاوة والشيخ فرقان الفليتي اللذان دفنا في قبر واحد بمقبرة سيدي البشير في حي الهضبة بوهران وكان ذلك عام (1822م/1237هـ)[3].

أما الزياني فيصف حاله بعد توليه الحكم فيقول: "ولما استوثق له الملك، وأدعنت له الرعية، رفض ما كان عليه من الوصف السابق، وكثر ظلمه وغضبه وبغضه وعبثه بالرعية، وحدث بوقته الوباء العظيم، وتكرر رجوعه بعد ذهابه فمات به خلق كثير، وفي وقته مات العلامة الحافظ أبو راس محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر المعسكري، يوم الأربعاء 15 شعبان (1246هـ/1831م)" [4].

لكن حين شن الفرنسيون حملة على وهران لإخضاعها لسلطتهم كان حسن باي أضعف من أن يرافع عليها، فسلمها لهم بل وحكم باسمهم سبعة أشهر، وفي نهاية الأمر اضطهد فاضطر إلى الفرار إلى الإسكندرية ومنها إلى مكة حيث قضى أيامه الباقية[5].

خامسا: مكونات التركيبة الاجتماعية لبايلك الغرب:

تشير العديد من المصادر الأجنبية لعدد السكان في حواضر بايلك الغرب أواخر العهد العثماني، فمدينة وهران عاصمة البايلك بعد تحريرها من الإسبان كان بها حوالي 9000 ساكن[6]، ومدينة تلمسان كان تعداد سكانها حوالي 10.000 ساكن[7]، أما روزيه "Rozet" فقد

---

[1]- محمد ابن خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص 172.
[2]- مسلم بن عبد القادر الوهراني، المرجع السابق، ص 29-32.
[3]- يحيى بوعزيز، مدينة وهران، المرجع السابق، ص 77.
[4]- محمد بن يوسف الزياني، نفسه، ص 311.
[5]-حمدان خوجة، المصدر السابق، ص 187.
[6] - René L, Oran étude de géographie et d'histoire urbain, librairie félix Alcan, Paris, 1938, p 36.
[7] - Emrit M, L'Algérie a l'époque d'Abdelkader, Larousse, Paris, 1951, p p 87-92.

فقد قدر عدد سكان مدينة وهران قبل الاحتلال الفرنسي من 5000 إلى 6000 نسمة[1]، وهنا كان لا بد من معرفة عدد سكان الجزائر خلال الفترة محل الدراسة فقد اختلف الباحثون في إعطاء العدد الإجمالي لسكان الجزائر في هذه المرحلة إلاّ ان هناك عددًا متفقًا عليه باعتبار أنه الأقرب وهو 3.5 مليون نسمة[2].

وتقاسم هذا العدد المجال الحضري والريفي، فأغلبية السكان كانوا يعيشون في الأرياف، بينما المدن لا يتألف سكانها سوى من أقلية ضعيفة لا تتعدى حسب المعلومات **5%**، من مجموع السكان، وهذه النسبة تختلف كثافتها من منطقة إلى أخرى ففي المنطقة الغربية تتراوح ما بين **7 إلى 8 %**، والوسطى **6%**، والشرقية لا تتجاوز **3%** من مجموع السكان[3]، ورغم اختلاف المؤرخين والمصادر حول العدد الإجمالي لسكان الجزائر، إلا أنهم أنهم اتفقوا على أن أغلبية السكان كانوا يعيشون في الأرياف، بينما المدن لا يشكل سكانها سوى أغلية ضعيفة، وأجمعوا كلهم على أن نسبة سكان الحضر في بايلك الغرب كانت من **7 إلى 8 %** من مجموع السكان[4]، وهنا نلاحظ أن نسبة التمدن كانت مرتفعة في بايلك الغرب مقارنة بالمقاطعات الإدارية الأخرى (الوسط، الشرق، التيطري)، وهذا راجع للمنطقة التي تميزت بماضي حضري، عسكري وتجاري وضع أحوازًا وأريافا هامة تحت إدارة حضرية مثل: مازونة، ندرومة، كما ضم مدنًا ذات أهمية كمدن عربية إسلامية ذات قرى اقتصادية مثل: معسكر وتلمسان[5].

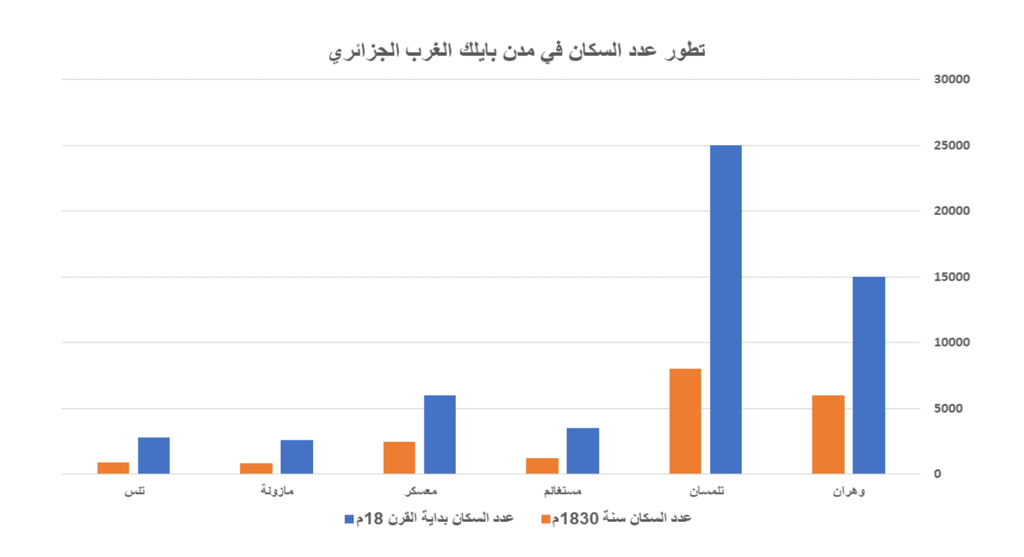
كما قام "جوشرو" juchereau" بعمل مقارنة لعدد سكان أهم مدن بايلك الغرب في بداية القرن 18م وفي سنة 1830م وذلك حسب الجدول التالي:

المدن	عدد السكان بداية القرن 18م	عدد السكان سنة 1830م

[1] - Rozet, Algérie, l'univers, ou l'histoire et description de tous les peuples, de leurs religions, mœurs,coutumes, 2E, Ed : Bouslama, Tunis 1980, p16-17.
[2] -Boutin (G), Reconaissance des villes et Batteries forts d'Alger, Paris, champion, 1927, p 72.,
[3] - Galissot Rene, Esaie de définition du mode de production de l'Algérie précoloniale «in « R.A.S.J.E.P» Vol N°2 , 1968 , p 387.
[4] - حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، ط1، الجزائر، 2008، ص 163.
[5] - Galissot René, Rapport ville –compagne in « C.E.R.M » 1971, p 234.

وهران	15000	6000
تلمسان	25000	8000
مستغانم	3500	1200
معسكر	6000	2450
مازونة	2600	850
تنس	2800	900

-جدول لعدد السكان في بايلك الغرب الجزائري في بداية القرن 18م وسنة 1830م



ويظهر الجدول والأعمدة البيانية تناقص عدد السكان في القرن الثامن عشر واستمرار هذا التناقص بشكل كبير في مطلع القرن التاسع عشر وبداية الاحتلال الفرنسي وهذا حسب ما أورده "جوشرو"[1].

وانقسم السكان إلى سكان المدن والأرياف، فكان ساكنة المدن يتميزون باختلافات عرقية ودينية طبعت تركيبتهم الاجتماعية، وتميز الريف بنوع من الإنسجام، وهذا ما يجعلنا نلاحظ تباينا بين المجتمع الحضري والمجتمع الريفي[2]، لذا يمكن تقسيم المجتمع وتركيبته في بايلك الغرب إلى قسمين هما: سكان المدن، وسكان الأرياف، حيث نجد في التركيبة الاجتماعية الحضرية مكونات وعناصر لم تكن موجودة في التركيبة الاجتماعية الريفية.

[1] - Juchereau De saint-Dentys, considérations statistiques Historique, militaires et politiques sur la régence d'Alger, Delanay Lib, Paris 1831, p 40.

[2] - Raymond André, Grandes villes Arabes à l'époque Attomane, Paris, Sind Bad 1985, p 67.

1-التركيبة السكانية في المدن:

عرفت التركيبة السكانية للمجتمع في بايلك الغرب الجزائري تنوعا وتباينا في نفس الوقت، حيث نجد العديد من الطبقات بمختلف أطيافها وأجناسها ودياناتها خصوصا الأتراك العثمانيين واليهود والنصارى والكراغلة وغيرهم، ونجد كإضافة عن الأقاليم الأخرى فئة الإسبان بحكم احتلالهم للبايلك لمدة زمنية طويلة جدا، وسنفصل في التركيبة السكانية لبايلك الغرب في المدن

أ-الأتراك العثمانيين:

تمثل قمة الهرم الاجتماعي، وكانت هذه الفئة من أصول وأجناس مختلفة اللسان والعرف، وكانت تجمعهم روابط الإسلام والولاء للخلافة العثمانية[1]، وأغلبهم ينحدرون من إقليم الأناضول والروميلي[2].

تشكل هذه الفئة في أغلبها من الجنود الأتراك المعروفين باسم الانكشارية، والذين كانوا متمركزين في الحصون والثكنات، ويتوزعون على حاميات المدن: معسكر، تلمسان، مستغانم..[3]، ويعيش أغلبهم في عزلة عن المجتمع الأصلي، وعرفوا بالخاصة ولم يكن عدد هذه الفئة مرتفعا بل كانت محصورة في مجموعة معينة مشكلة من العسكريين ذو الأصول التركية، لهذا اعتبرت فئة ذات أصل أجنبي وهي فئة تمارس وظيفة سياسية[4]، ولهذا لم تؤثر في البنية السكانية للمدن، غير أن هذه الفئة كانت ذات سلطة واسعة في البلاد وحرصت دومًا على إبقاء المناصب الحكومية فيما بينها[5]، وكانت هذه الفئات ذات الأصول التركية تحتل الوظائف الإدارية[6] العالية والهامة في تسيير شؤون البايلك.

وترجع قلة الأتراك في الجزائر إلى حالة العزوبية، وعدم تبني أبنائهم الكراغلة الذين اعتبروهم عنصرًا لا يرتقي إلى مستوى الأصول التركية، ولهذا فرضوا عزلة على أنفسهم،

[1] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830م)، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1989، ص 133.
[2] - مختار حساني: موسوعة وتاريخ وثقافة المدن الجزائرية مدن الوسط، ج1، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 19.
[3] - أبي راس الناصري: عجائب الأسفار، المصدر السابق، ص ص 34-35.
[4] - Stambouli et Zghah, La vie urbaine dans le maghreb in « A.A.N » N° 11, 19725, p 11.
[5] - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص ص 93-94.
[6] - Stambouli Fredj, système social et stratification urbaine au maghreb in Revue tunisienne des sciences sociale, N° 450-51, 1977, (pp 69-106), p 75.

ونجد أنهم كانوا قليلي الاختلاط بالفئات الأخرى وهذا ما جعل السكان ينفرون منهم ويعتبرونهم منبوذين وهذا بسبب أنهم كانوا يظنون أنفسهم أفضل من الجزائريين سواء من حيث المكانة الاجتماعية أو المستوى المعيشي، لهذا فرض الأتراك على أنفسهم عزلة وهذا للمحافظة على امتيازاتهم، وتمسك غالبيتهم بعاداتهم ولغتهم وأسلوب عيشهم ونمط حياتهم[1]، ولهذا نجد بعض الجنود الأتراك قد فقدوا امتيازاتهم بمجرد مصاهرتهم للسكان المحليين[2].

ب-الكراغلة:

تحتل هذه فئة المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي الجزائري، والتي تكونت نتيجة التزاوج بين الجند الانكشاري والنساء الجزائريات[3]، ظهرت هذه الفئة لأوّل مرّة في المدن التي تقيم بها الحاميات العثمانية مثل: تلمسان، معسكر، مستغانم، مليانة وغيرها[4]، وهذه الفئة كانت نِتَاج امتزاج العناصر التركية بالعناصر المحلية أو الحضر إضافة للعناصر الأندلسية، وكان أكبر عدد منها متمركز بالمدن الكبرى خاصة الرئيسية منها: كتلمسان، مستغانم، معسكر، ندرومة، مازونة، حيث حظى الكراغلة بامتيازات مادية جعلت منهم برجوازية حضرية[5].

فكان للكراغلة بتلمسان حي خاص بهم يشمل المشور وكان له بابان، ويوجد به ما يزيد عن مائة منزل وبه مسجد، وفي مدينة ندرومة توزع الكراغلة والأتراك عبر أحيائها الخمسة: وهي حي التربيعة الذي شكل الحي المركزي، وحي بني عفان، وحي بني زيد ، أما المنطقة الشمالية فكانت تضم حي الخربة في الشرق وحي السوق في الغرب[6]، أما في مستغانم فقد أقام الكراغلة بمحاذاة الحي المركزي إلى جانب الأتراك العثمانيين، وفي معسكر توزع الكراغلة عبر أحيائها التالية: حي بابا علي ، حي عرقوب إسماعيل ، حي الباب الشرقي، وحي العين البيضاء ، حي سيدي علي محمّد، والحي المركزي في مدينة

[1] - زوليخة إسماعيلي المولودة علواش: تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، دار أنفو للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2013، ص 319.

[2] - دغموش كاميلية: السلطة والمجتمع في بايلك الغرب الجزائري 1792-1830م، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران1، 2019-2020، ص 217.

[3] - أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1982، ص 105.

[4] - Boyer Pierre, Le probléme Kouloughli dans la régence d'Alger, in R.O.M.M.N : spéciale, 1970, p87.

[5] - Raynond André, Op.cit, p 78.

[6] - الواليش فتيحة : المرجع السابق، ص 138.

معسكر القديمة[1]، وفي مدينة مازونة شغل الكراغلة الحي الشرقي من المدينة أو حي بومعطة[2].

وقد شغل الكراغلة والحضر بعض المناصب الإدارية الهامة بالإضافة إلى قيادة المخزن، حيث تربع بعض الكراغلة على عرش البايلك كالباي مصطفى الأحمر، الذي كان كرغليا وحكم ما بين (1738م- 1748م/1150هـ -1161هـ)، كما سيطر الكراغلة على الحكم ابتداءًا من عهد الباي محمد الكبير[3].

ومع مطلع القرن 19م أصبح لدى معظمهم مهام إدارية ومارسوا العديد من الوظائف، وشهدت علاقتهم مع الأتراك العثمانيين تقاربا، وهذا ما نفّر الشعب منهم إلى درجة أصبح فيها الكرغولي في نظر الجزائري يشبه إلى حدّ كبير الأتراك في جورهم وظلمهم[4].

ج-الحضر:

وهي الفئة الثالثة وتمثل العائلات الحضرية المتأصلة بالبلاد[5]، ونجد هذه الفئة انقسمت إلى ثلاث طبقات رئيسية وهي: الأرستقراطية الحضرية، البرجوازية والدينية.

وشكلت الطبقة الأرستقراطية من الفئات الحاكمة بمختلف انتماءاتها، حيث كانت تتشكل من الأقلية التركية إضافة إلى الكراغلة والبلدية ذوي الأصل الحضري، وكانت هذه الطبقة تتمتع بامتيازات هامة نتيجة لدورها الاقتصادي والاجتماعي، أما الارستقراطية الدينية فتمتلث في الأشراف والمرابطين، والتي كانت تنتسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ووقفت إلى جانب الفئة المخزنية والباي في الجهاد ضدّ الإسبان، وتمركزت بضواحي معسكر ومازونة، وإقليم بني راشد وغريس[6]، ولعبوا دورًا هامًا في مقاومة الاحتلال الإسباني لكن هذا التحالف ضعف وتلاشى مع فقد سبب وجوده وهو الوجود الإسباني[7].

---

[1] - دغموش كاميلية: نفسه، ص 218.

[2] - Belhamiss Moulay, Histoire de Mazouna, une petit ville, une lonque Histoire, Alger, 1982, p49.

[3] - Des Fontaines (R-L), Fragments d'un voyage dans les régences de Tunis, et d'Alger, Présenté par dureau d la malle, vol2, Paris, gide, 1858, p 184.

[4] - مختار بونقاب : الحياة الثقافية في بايلك الغرب خلال القرنين 18 و 19، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2015-2016، ص 45.

[5] - محمد الطيب عقاب: الأخوان عروج وخير الدين، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1985، ص 25.

[6] - سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 272.

[7] - Boyer Pierre, contribution à l'étude de la politique religieuse, des turcs dans la région d'Alger (XVI-XIX-S) in « romn », 1966, p 37.

أما البرجوازية الحضرية فتميزت بسيطرتها على ركائز الإقتصاد وحيازتهم لأملاك عقارية هامة ومناطق زراعية[1]، وتوسعت هذه الممتلكات بتوسع الطبقة وانضمام فئات أخرى لها[2]، لقد كانت الطبقة البرجوازية تشكل طبقة وسطى من الصناع والتجار وأصحاب الدخل، وتشكل أيضا الجهاز الإداري، كقائد السوق[3]، وقائد الباب، وأخيرًا قائد الدّار[4].

وكان للعلماء مهام حكومية وإدارية أو تجارية فهم يشكلون تحالفًا مع النخبة الحاكمة والبرجوازية التجارية والحرفية[5]، وكان التجار والحرفيين يشكلون الطبقة البرجوازية، وتقاسم هذه الحرف كل من الحضر والأندلسيين والكراغلة واليهود الذين تقاسموا معهم نشاطات حرفية أخرى مثل: صناعة الجلود والأحذية والصناعات الخشبية والخياطة[6].

شكلت طبقة الحضر في أواخر العهد العثماني فئة ذات فعالية اجتماعية، واشتغلوا في الحرف والتجارة والأعمال الإدارية، إلاّ أنها كانت محرومة من التطلع السياسي بسبب احتكار الأتراك العثمانيين للسلطة[7]، إضافة إلى أن مصالحهم لم تكن مهدّدة وهذا ما جعل مسألة صراعهم مع السلطة غير مطروحة[8]، كما تميزوا بوضع اجتماعي مميز، فاهتموا بتنمية ثرواتهم واستثمار مزارعهم الموجودة بالقرب من المدن وهذا ما جعلهم يشكلون برجوازية المدن الصغيرة التي عرفت بخضوعها للبايلك[9].

د-البرانية:

ظهرت فئة سكانية جديدة بالمدن بسبب انتعاش وازدهار مدن بايلك الغرب خاصة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، وهذا تسبب في النزوح الريفي بحثًا عن العمل والارتزاق

[1] - Galissot René, L'Algérie précoloniale in C.E.R.M, sur le péodalisme 1971 (pp 147-179) p 166.
[2] - Merad Boudia, (A), La formation sociale, p 101.
[3]- قائد الذوق، هو ما كان يلقب بالمحتسب بالمدن العربية بالمشرق وهو نظام استحدثه عمر بن الخطاب.
[4] - Golvin Louis, Aspects de l'artisanat en Afrique du nord ; Paris, PUF, 1957, p 30.
[5] - Ibid, p 83.
[6]- Grand Guillaume Gilbert, Nedroma, Op.cit, p 5.
[7] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 155.
[8] - نور الدين عبد القادر: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عثورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، 2006، الجزائر، ص 143.
[9] - أبي راس الناصري: عجائب الأسفار، المصدر السابق، ص 39.

وكانت هذه الفئة تقدم من الريف والمناطق الصحراوية واصطلح على تسميتها بالبرانية[1]، وهي الفئة التي تعيش من مدخول عملها[2].

استقرت هذه الفئة بالمدن الكبرى لبايلك الغرب: تلمسان، معسكر، وهران، للإقامة والعمل، ونظمت حسب أصولها الجهوية فهناك: البساكرة، والأغواطيون، والقبائل وغيرهم، واختصت كل مجموعة بمهمة وأعمال[3]، واجتمعت حسب انتماءاتها الجغرافية على شكل جماعات صغيرة تحت مراقبة واحد منهم، كان يلقب بالأمين[4]، كما أن هذه المجموعات ماعدا عناصر من الطائفة المزابية التي كانت تضم بعض التجار الأثرياء، كانت تقوم بنشاطات ثانوية ومكملة، وشكلت يد عاملة لخدمات مختلفة، ونشير هنا على سبيل المثال إلى السود، الذين كانوا يشتغلون في الحمامات والفنادق والمقاهي والنساء في المنازل[5].

وبعد فتح مدينة وهران جاء إليها الميزابيون، والذين ينتسبون إلى بني ميزاب في مدينة غرداية، وأقاموا في مستغانم، معسكر وكان عددهم كبير فيها مقارنة بتلمسان[6].

ومعظمهم يعيشون في أكواخ خارج المدينة، وهناك من كان يستأجر غرفا داخلها، وكان أغلبهم يعيشون بمفردهم ماعدا القلة القليلة التي كانت تستقدم أسرها معها، ولم يحاول هؤلاء الانصهار والاندماج في المجتمع الحضري[7].

هـ- اليهود:

تكونت فئة اليهود بالجزائر من 3 مجموعات: المستقرة بالبلاد منذ القدم أو من أتي إليها من إسبانيا أو الطائفة اليهودية ذات الأصل الأندلسي[8]، حيث أقام اليهود في أهم المدن من بايلك الغرب: مثل: تلمسان، معسكر، مستغانم وغيرها، وذلك لطبيعتهم الميالة للتجارة أكثر

[1] - Frey Diego, De Haedo, Topographie et Histoire d'Alger, Trad par : A. Berbrugger et Monnereau, in R.A, N :14, Alger, 1870, p 491.

[2] - Kehl- Kamile, Op.cit, p 64.

[3] - ناصر الدين سعيدوني: تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر للنشر والتوزيع، 2014، الجزائر العاصمة، ص ص 235-236.

[4] - Boyer Pierre, La vie quotidienne a Alger a la veille de L'intervention française hachette, Paris, 1963, p23.

[5] - Tourneau Roger Le, Op.cit, p 31.

[6] - Sadek benkada, espace Urbain et structure social a Oran de 1792-1830, Mémoire de diplôme de étude approfondies, université d'Oran, 1988, pp105-106.

[7] - أرزقي شويتام: المجتمع وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م، م.و.ك، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2006-2007 ص 102.

[8] - حنيفي هلايلي: أوراق...، المرجع السابق، ص 174.

من أي نشاط آخر[1]، وتشكلت الأقليات اليهودية من القادمين من المشرق منذ أزمنة بعيدة أو يهود قدموا من الأندلس إثر قرارات الطرد، إضافة إلى يهود من المغرب[2].

تألفت الجالية اليهودية من فئات اجتماعية مختلفة المستويات حيث نجد يهود ليفورن يمتلكون دور التجارة بجل المدن، وهناك يهود ينتمون إلى الطبقة الوسطى من الحرفيين والتجار والوسطاء إضافة إلى فئات تحترف مهنًا بسيطة[3].

وعرفت مدينة مستغانم ومعسكر جالية يهودية معتبرة بلغت نسبتها بمدينة مستغانم مثلاً ما بين 17 إلى 18% من مجموع السكان، وبندرومة 15% من مجموع السكان، أما في مدينة تلمسان فعددهم يعتبر الأعلى على مستوى بايلك الغرب[4]، وبلغ عددهم في مدينة معسكر في أواخر القرن 18م 7000نسمة[5]، وبالنسبة لمدينة وهران فقد بلغ عددهم حوالي حوالي 2800يهودي، وهذا العدد الكبير نتيجة قيام الباي محمد الكبير بتشجيع عودة اليهود إلى مدينة وهران بسبب نشاطهم ومهارتهم في التجارة[6]، فقد استقر بها اليهود القادمين من تلمسان، ندرومة، معسكر ومستغانم ثم التحقت بهم بعض الأسر اليهودية القادمة من مدينة الجزائر والمغرب الأقصى، وكان لتلك الهجرة انعكاسات إيجابية على الأوضاع الاقتصادية لمدينة وهران[7].

وفي أواخر القرن 18م وبداية القرن 19م أصبح لبعض اليهود نفوذ واسع وتأثير في المجال السياسي، مما جعل بعض البايات يضعون ثقتهم فيهم، وفي هذا يقول حمدان خوجة:" وهكذا فإن اليهود قد ارتبطوا بالأتراك من أجل المصلحة، وقد جمعوا في تلك الظروف أموالاً طائلة"[8].

و-العناصر الدخيلة:

وهي فئة دخيلة على المجتمع الجزائري مثل: التجار والقناصل الأوروبيين ورجال البعثات الدينية، وجماعات الأسرى المسيحيين والعبيد السود، وقد كانت هذه الفئة تعيش في

[1] - فوزي سعد الله: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2004، ص 28.
[2] - Tinthain Robert, L'Oranie sa géographie et son histoire, p 15.
[3] - Morbet, Bel-Ange, Les juifs de Mostaganem, Paris, l'Harmattan, 1990, p 53.
[4] - الواليش فتيحة: المرجع السابق، ص 108.
[5] - أبو راس الناصري: عجائب الأسفار، المصدر السابق، ص 41.
[6] - دغموش كاميلية: المرجع السابق، ص 223.
[7] - أرزقي شويتام: المجتمع وفعالياته...، المرجع السابق، ص 133.
[8] - حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، المصدر السابق، ص 158.

عزلة عن باقي السكان[1]، وعرف عددهم تراجع في أواخر القرن 18م بسبب ضعف الأسطول الجزائري وهيمنة الأسطول الأوروبي، لكن عددهم عرف ارتفاعًا نسبيا مع مطلع القرن 19م بسبب الانتعاش الذي عرفه الأسطول الجزائري بقيادة الرايس حميدو[2]، كما كان كان العبيد ضمن هذه الفئة وتخصصوا في أعمال البناء[3]، وكانت هذه الشريحة موجودة بكل بكل المدن، خاصة مدينة تلمسان، وقد قدموا من منطقة توات والسودان[4].

-2التركيبة السكانية في الريف:

كانوا يمثلون أغلبية سكان بايلك الغرب باتفاق جميع المصادر المحلية أو الأجنبية، وكانوا يعيشون في قبائل متناثرة، فالقبائل في المنطقة التلية تعتمد في حياتها على الزراعة، أما القبائل المنتشرة في الهضاب والصحراء فكان تعتمد في عيشها على تربية المواشي[5]، وبسبب الاحتلال الإسباني ثم طرد القبائل القريبة من وهران والمرسى الكبير، وبعد تحرير مدينة وهران سنة (1792م/1206هـ) سيطرت القبائل المخزنية على أجود الأراضي، وتمكنت من امتلاك 78% من السهول، وسيطرت قبائل الدواوير لوحدها على أزيد من 100 ألف هكتار، وبذلك اضطرت قبائل الرعية إلى النزوح نحو المناطق الجبلية أو السهول المقفرة[6]، وكانت القبائل في بايلك الغرب تنقسم إلى قسمين: قبائل المخزن وقبائل الرعية.

أ-القبائل المخزنية: والتي كان أهمها الأعراش التالية:

أ-1-الدواير، الزمالة، الغرابة، البرجية والمكاحلية[7]: كانت تتمركز قبائل المخزن ببايلك الغرب في الأماكن الاستراتيجية وفي نواحي المدن والحاميات لتسهيل حركة مرور الجنود،

---

[1] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، المرجع السابق، ص 150.
[2] - أرزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته...، المرجع السابق، ص ص 68-69.
[3] - Y Lacoste, A Noushi, M prenant, L'Algérie présent et passé le cadre et les étapes de la constitution de L'Algérie actuelle, Ed : sociales, Paris, 1962, p 163.
[4] - الواليش فتيحة: المرجع السابق، ص 123.
[5] - أرزقي شويتام: نفسه، ص 98.
[6] - دغموش كاميلية: المرجع السابق، ص 227.
[7] - الزياني، المرجع السابق، ص 228.

وفي الأسواق وتكلف بحراسة الأبراج والحصون والممرات الرئيسية، واستخلاص الضرائب وحفظ الأمن[1]، وكانت قبائل المخزن تتربع على المناطق التالية:

شكلت خطين متوازيين الأوّل بمحاذاة الجبال التلية من سبخة وهران إلى القصبة الوسطى للشلف، والثاني من سعيدة إلى سبدو إلى غاية الحدود الصحراوية، وهذا ما سمح لها بمراقبة قبائل الرعية وجمع الضرائب، وكانت القبائل المخزنية تحتل مرتبة اجتماعية ممتازة فوضعيتها كحليف للبايلك منحها الأمان، ومهمتها في جمع الضرائب تمنحها نوعًا من السلطة، كما شكلت القبائل المخزنية جهازًا عسكريًا أخذ ميزات الجهاز السياسي[2].

وقد ذكر استرازي (Esterhazy) أن مخزن وهران كان يتألف من 17 قبيلة هي : الدواير الزمالة والغرابة والبرجية وبني شقران، وشربريح، سجرارة، وبني غدو والمكاحلية، أولاد أحمد، أولاد بوغرارة، عكرمة، أولاد سلامة، أولاد العباس، أولاد خويدم، الحشم، عبيد الشراقة، أما على المستوى الداخلي للقبائل المخزنية فإن التخفيف من الضرائب خاصة ضريبة الخراج كان ميزة ينعم بها جميع أفراد القبيلة، أما الامتيازات الأخرى فهي محصورة على مستوى قادة القبيلة مثل آغا الدواير، آغا الزمالة، وتمثلت هذه الامتيازات في توسيع ممتلكاتهم الفلاحية، ومنحت لهم أخصب الأراضي الموجودة بالغرب من مازونة إلى وهران[3].

وقد اتخذت غالبية هذه القبائل المخزنية تسميات محلية وألقابًا خاصة استمدتها من مواطنها الجديدة أو من الوظائف والمهام التي كانت تمارسها، أو استعارتها من نوع السلاح الذي كانت تحمله كمخزن المكاحلية[4].

كانت الأراضي التي كانت تستولي عليها هذه القبائل في منطقة بايلك الغرب هي من أهم وأحسن الأراضي، فكل المناطق الموجودة ما بين واد مينه والشلف والسهول الموجودة ما بين البحر شمالاً وجبال الأطلسي جنوبًا، وما بين وادي المالح غربًا إلى مينه وشلف

---

[1] - توفيق دحماني: النظام الضريبي في بايلك الغرب أواخر العهد العثماني 1779-1830م، مذكرة ماجيستير، جامعة الجزائر، 2003-2004م، ص 53.

[2] - Walsin Esterhazy, Notice Historique sur le Makhzen d'Oran, Oran Perrier, 1849, p 11. 2, Avril-Juin 1966, (pp 297-316), p 214.

[3] - ibid, p 212.

[4] - دغموش كاميلية: المرجع السابق، ص 232.

شرقًا كانت بحوزة القبائل المخزنية، ونجد ابتداءً من (1750م/1163هـ) قبائل الدواير النبيلة والأكثر قوة وتماسكًا تتربع على أراضي تزيد عن 100 ألف هكتار[1].

أ-2-قبائل الرعية:

كان المجتمع الريفي يتكون أساسًا من قبائل الرعية، والتي جعل خضوعها المباشر لسلطة البايلك تتحمل عبء النظام الضريبي[2]، وبذلك كانت تعد المصدر الأساسي لاقتصاد البلاد وهذا لما كانت توفره من مداخيل مالية هامة وإنتاج زراعي وحيواني، وأمام نقص وغياب مداخيل البحر توجهت الدولة إلى الداخل لتعويض هذه المداخيل، وكانت الضرائب هي المصدر الأوّل في الموارد المالية. وأمام هذا الاضطهاد والاستغلال كانت قبائل الرعية تتمرّد، لقد كانت قبائل الرعية في بايلك الغرب تتمركز عبر كل مناطق البايلك: التلية والساحلية والسهبية، وتتمركز عمومًا في التافنة، وتشكل شريطا بسبدو وتليلة، جبال تسالة، وطفراوي إلى الشطوط، سعيدة، فرندة، تيارت، زمورة، مازونة وغيرها، وأغلب هذه القبائل كانت تسكن في الجبال الملائمة للزراعة أو في الهضاب الداخلية[3].

قسم بايلك الغرب إلى 3 مناطق، ويعد سهل الشلف أهمها بسبب أراضيه الخصبة، وتمتد حدوده الشرقية إلى إقليم دار السلطان[4]، كما قسمت قبائل الرعية في بايلك الغرب إلى عدّة مجموعات منها الخاضعة للباي وتسمى "رعية الباي"، والمجموعات الأخرى يشرف عليها خليفة الباي، وقائد فليتة جندل، والجبل وقائد المدينة، وقائد اليعقوبية الشرقية والغربية[5].

أ-3-القبائل المتحالفة:

عمل العثمانيين منذ مجيئهم للجزائر على استمالة رجال الدين، خصوصا من كان يتمتع منهم بنفوذ، كالملياني صاحب الطريقة الشاذلية من قلعة بني راشد قرب تلمسان[6]، حيث بعد بعد أن استقلت الجزائر بالحكم عن اسطنبول حاول الدايات نهج سياسة جلب رجال الدين[7]،

[1] -Tinthoin Robert, Colonisation et évolution des genres de vie dans la région ouest d'Oran de 1850 à 1885, Oran. Pouque 1947, pp 29-32

[2] - C. Bontems, Manuel des Institutions Algériennes de la Domination Turque a l'indépendance 1518-1870, éd Cujas, Paris, 1974, p 62.

[3] - دغموش كاميلية: المرجع السابق، ص ص 241-242.

[4] - C. Bontems, op cit, p 54.

[5] - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص ص 107-108.

[6] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 496.

[7] - DELPHIN, (G), Histoire des pachas d'Alger de 1515-1749, in journal Asitique, Avril. Juin, 1922, p 186.

فحاول العثمانيون خلق طرق للتواصل مع الأهالي عن طريق زعماء القبائل والسلطة الروحية[1]، فأظهروا لهم الاحترام وصاروا يقدمون لهم أكبر الامتيازات[2].

غير أن معظم الثورات التي قامت ضدّ الإدارة العثمانية كان يتزعمها رجال الدين، فقد استغل الدرقاويين تذمر سكان الأرياف من الإدارة العثمانية، وزوال الخطر الإسباني الذي وحد الطرفين قبل تحرير مدينة وهران سنة 1792م، وأعلنوا الحرب ضدّها[3].

أ-4-القبائل المستقلة:

كانت الإدارة العثمانية منذ بداية وجودها في بايلك الغرب تعاني من موقف بعض القبائل المعادية لها، ويعود سبب فشلها في فرض سيطرتها إلى كثرة المنافسين لها: كالزيانيين في تلمسان وضواحيها، والإسبان في وهران، وتحريض سلاطين المغرب الأقصى سكان المناطق الحدودية الغربية ضدّ العثمانيين، وتبادلهم الحملات العسكرية مع الحكام الجزائريين، وقد شجعت كل هذه العوامل بعض قبائل الغرب الجزائري على عدم الخضوع للإدارة العثمانية، ولهذا نجد بعض القبائل الجبلية والصحراوية في بايلك الغرب امتنعت عن دفع الضرائب، وساعدها على ذلك موقعها الجغرافي وتضاريسها، وبعدها عن مركز الإدارة، ورفضها كان بسبب طبيعة نشاطها الاقتصادي حيث أن أراضيها من أفقر الأراضي، ومردودها الزراعي ضعيف فكان نشاطها مقتصرا على القليل من الزراعة وتربية المواشي والتجارة وهذا ما جعل اقتصادها لا يلبي حتى احتياجاتها اليومية[4].

وتواجدت هذه القبائل في المناطق الجبلية الوعرة، أو في أقصى الحدود المغربية، أو في الهضاب العليا كالونشريس، وسكان وادي جر بالجبال اليمنى لوادي سوماطة، وسكان الأنجاد بجبال طرارة على الحدود المغربية[5].

ولإخضاعها عمد الباي إلى منع التعامل الاقتصادي معها خارج الأسواق الرسمية القريبة منها، وهذا بغرض إجبارها على قبول قرارات السلطة، وحين تقصد القبائل الجبلية والصحراوية الأسواق تدفع رسما يساوي عشر ثمن البضاعة المحمولة إلى السوق، وإلا

---

[1] - محفوظ قداش: الجزائر في العهد التركي، مجلة الأصالة، عدد 52، 1977، ص 10-11.
[2] - BOUABBA YAMILE, les Turcs au Maghreb central du 19 éme siécle, S.N.E.D, Alger, 1972, p 41.
[3] - دغموش كاميلية: المرجع السابق، ص ص 250-252.
[4] - أرزقي شويتام: المجتمع الجزائري...، مرجع سابق، ص ص 274-293.
[5] - دغموش كاميلية: مرجع سابق، ص 253.

منعت من البيع، بل وحتى اقتناء ما كانت بحاجة إليه[1]، كما أن الإدارة العثمانية كانت تقوم بتدمير مداشرهم، وإتلاف زروعهم، حتى تتعرض هده للمجاعات وتخضع لسلطة الباي، ونجد بعض القبائل كالسويد والأمحال قد قاموا بتشتيتها وأخذ أراضيها الخصبة[2].

سادسا: الأوضاع السياسية في بايلك الغرب الجزائري:

عرف بايلك الغرب أوضاع سياسية مضطربة، فبالإضافة للاحتلال الإسباني لمدينتي وهران والمرسى الكبير ومستغانم في بداية القرن 16م، عرفت مدن البايلك صراعا سياسيا بين القبائل والسلطة الحاكمة المتمثلة في الباي خصوصا قبيلة درقاوة التي قامت بالعديد من التمردات والحروب، ضف لذلك الأطماع المغربية في المنطقة ومحاولة السيطرة على أجزاء كبيرة منها كتلمسان ووهران، وهذا كان بسبب موقع البايلك المتميز، واعتباره نقطة تجارية واقتصادية بحكم موانئه وقربه من المغرب وأوروبا.

1- احتلال المرسى الكبير ووهران:

في شهر سبتمبر من عام (1505م/910هـ)، أعد الملك الإسباني فرديناند حملة عسكرية أسند قيادتها إلى "دون دييغو فيرنانديز"، وكلفه بالهجوم على المرسى الكبير الذي كان يستقر به عدد كبير من مسلمين الأندلس المطرودين. فهجم عليه في يوم 9 سبتمبر واحتله بعد معارك دامية وبخيانة بعض من لا ضمير لهم وارتكب الإسبان مجازر رهيبة تؤكد مدى الحقد الديني الدفين[3].

وقد تم هذا الغزو رغم ما كانت تعانيه الخزينة الإسبانية من متاعب مالية، وذلك بفضل مجهودات الكاردينال "خمينيس" الذي سخر أموال طليطلة وأمواله الخاصة لتمويل نفقات الحرب، وقاد الحملة الدون "دييجو القرطبي"Don Diego de Cordoba"" وعندما وصلت قواته إلى المرسى الكبير لم يجد سوى عددا من المرابطين، وهذا ما مكن الجنود الإسبان من محاصرة الحصن ثم احتلاله، وانتهت هذه المعركة بعقد الطرفين لهدنة مكنت أفراد الحامية من الانسحاب بعد أن جردهم الإسبان من أسلحتهم[4].

---

[1] - كمال بن صحراوي: المجتمع الجزائري، المرجع السابق، ص 258.

[2] - ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، المرجع السابق، ص 109-110.

[3] - يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بن عكنون، 1999، ص 252.

[4] - عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص ص 52-53.

وفي الواقع أن احتلال المرسى الكبير في (13 سبتمبر1505م/14 ربيع الثاني 911هـ) لم يكلف الإسبان عناء كبيرًا، لأنه كان مفاجئًا، ولكنهم عانوا في محاولتهم الثانية لاحتلال مدينة وهران، ولكن الكاردينال "أخسيميتر" استطاع أن يقضي على المقاومة التي وقعت في طريقهم إليها، وفي(17 ماي 1509م/ 28 محرم 915هـ) كان الجيش القادم من إسبانيا قد احتل مدينة وهران، وأمير الزيانيين يومئذ "أبو حمو الزياني" (قلموس)[1].

وبعد حوالي 05 سنوات وجه الإسبان ضربتهم الثانية إلى مدينة وهران فأعدو حملة ضخمة خرجت من قرطاجنة بإسبانيا يوم (16 ماي 1509م/27 محرم 915هـ)، بقيادة الكاردينال "كزيميناس" نفسه ووصلت إلى وهران يوم 19 ماي، وفرضت عليها الحصار حتى استولت عليها بفضل خيانة بعض ضعفاء الذمة والسماسرة اليهود، وبعدها عين الإسبان أحد قراصنتهم وهو "بيدرو نافارو" حاكما عاما عليها وعلى المرسى الكبير، ومملكة بني زيان التلمسانية التي أعلنت خضوعها لهم وهو ما يؤكد نيتهم في احتلال البلاد كلها[2].

وينفي توفيق المدني رواية الوزان حول احتلال مدينة وهران بقوله: " وهذه الرواية تفتقد للحقيقة والدّقة، فقد كان احتلال الإسبان لوهران يوم الجمعة (19 محرم915هـ/ 08 ماي 1509م)، بخيانة يهودي من المهاجرين الأندلسيين لا كما ذكر الوزان"[3].

وبهذا تم للإسبان فرض سلطتهم كحكم قائم في البلاد (وهران وضواحيها)، ولم يكن الإسبان ليتمكنوا من احتلال المدينة لولا خيانة جنديين كلفا بحراسة الثغر مقابل ثمن بخس رشاهما به الإسبان، وكان أحد الحارسين يهوديا "زهوة بن كبيسة" الذي عرض خدماته للإسبان، ونصب كأمير ليمهد لهم السبل ويستميل إليهم القبائل، وقد وصفه المؤرخ "أبوراس المعسكري" بقوله "ولما ملكوا المدينة أنزلوه بهذا البرج "برج المرسى"، وفوضوا له التصرف في الخراجات البرية والبحرية، وتوارثها عنه بنوه من سنة (915هـ-980هـ/1509م-1572م)، ثم حدث بينه وبين نصارى وهران منافسة، فبعثوا إلى

[1] - أحمد الشريف الأطرش السنوسي: تاريخ الجزائر في خمسة قرون، البصائر للنشر والتوزيع، طبعة بدعم من وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ص 16.
[2] - يحي بوعزيز: الموجز، المرجع السابق، ص 263.
[3] - احمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492م-1792م)، دار البصائر للنشر والتوزيع، ط1، 2007، الجزائر، ص ص 110- 111.

طاغيتهم أن اليهودي يريد تمليك البلاد للمسلمين، فجاء المكتوب بنفيه وإخراجه إلى عدوتهم"[1].

ويصف الزياني الغزو الإسباني على وهران بقوله: "...ثم غزا فردينة المار بجيشه وهران في أوائل ربيع الثاني سنة (911هـ/1505م)، كما قاله أبو محمد الشيخ عبد الله قاضي نهر بني راشد، فملك برج المرسى، واستقروا به إلى سنة (914هـ/1508م)، دخلوا وهران على ما للشيخ أحمد بابا في ذيل الدِّيباج، ومثله في نزهة الحادي، وزاد أنَّ ذلك في آخر المحرّم منها، وبه قال في المديوني في البستان...، وفيها مات صاحب المعيار، وقال الصباغ والحافظ أبو راس وغيرهما، دخلوها سنة (915هـ/1509م)، في صفر بمداخلة اليهود غدرا..."[2].

2- استسلام مدينة مستغانم للإسبان:

على إثر سقوط كل من وهران وبجاية بيد الإسبان، واستسلام سكان الجزائر وسقوط بقية السواحل، لم يبق في وسع السكان بمستغانم إلا أن يعلنوا عن خضوعهم المطلق للعدو إسوة بمواطنيهم، وفي (26 ماي 1511م/28 صفر 917هـ)، أمضوا وثيقة الاستسلام مع الإسبان[3].

وجذب موقع مستغانم القريب من وهران نظر الإسبان، وبعد انهيار مملكة تلمسان وضعف سلطتها المركزية، أخذت بعض القبائل تعلن عصيانها وهذا ما عرضها للتهديد الإسباني، ممّا أجبر شيوخ المدينة وأعيانها إلى توقيع معاهدة الاستسلام مع حاكم وهران الإسباني وذلك في (26 ماي 1511م/28 صفر 917هـ)، يلتزم بموجبها بعدة شروط منها: أن يكونوا في خدمة الملك والملكة بكل وفاء، وأن يدفعوا الضرائب والرسوم التي كانوا يدفعونها لتلمسان في أول جوان من كل عام، وإطلاق جميع الأسرى المسيحيين[4].

3- غزو تلمسان ومعسكر:

---

[1] - أحمد الشريف السنوسي: تاريخ الجزائر في خمسة قرون، المرجع السابق، ص 17-18.
[2] - محمد بن يوسف الزياني: المرجع السابق، ص 187.
[3] - أحمد الشريف السنوسي: نفسه، ص 33.
[4]- عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص 60-61.

لما أصبحت مملكة تلمسان يحيط بها الخطر الإسباني من كل جهة، وتدخل الإسبان في الاضطرابات الداخلية للمملكة، مما أدى بحكامها إلى سلوك نفس الطريق، إذ وقعوا مع إسبان وهران معاهدة لمدة 05 سنوات وذلك في(20 جوان 1521م/15 رجب 927هـ)[1].

أما الحملة الإسبانية على تلمسان فكانت بعد أن عين "شارلكان" الدون "مارتين دي قرطبة" الملقب "بالكوندي دا الكوديطي" في (ذي القعدة 940هـ/ جوان 1534م) حاكمًا عامًا على وهران برتبة وكلفهم بعملية الغزو على السواحل الغربية خصوصا تلمسان، وكان على عرشها السلطان محمد بن عبد الله الثاني"، وكان له أخ يعرف في التاريخ بكنية "أبي محمد"، وكان طفلا تحت كفالة جدّه لأمه عبد الرحمن بن رضوان كبير شيوخ قبيلة بني عامر، تحالف مع الإسبان لإيصال حفيده للعرش الزياني، فوحد التلمسانيون صفوفهم ضده وجمعوا قواتهم في يوم الأربعاء (28 ذي القعدة 941هـ/ 1 جوان 1535م)، وبعد مضي 3 أيام من المعركة تبين للإسبان عجزهم في إحراز النصر، وانهزمت يومئذ جنوده شر هزيمة، وهكذا انتهت الحملة الإسبانية على تلمسان عبر وادي يسر يوم (الاثنين 4 محرم 942هـ/ 05 جوان 1535م)[2].

ويذكر المزاري في طلوع سعد السعود غزو تلمسان ومعسكر من طرف الإسبان قائلا: "..وغزوا تلمسان سابقا سنة تسع وأربعين من العاشر، فدخلوها عنوة وربطوا دوابهم بجامعها الأعظم، ويقال أن قراب الخالفي الذين منهم الحاج بالضيف آغة مستغانم، ومحمد ولد علي الشريف بن يوسف التحلايتي هو الذي أتى بهم، وغزوها أيضا سنة خمسين وإحدى وخمسين من العاشر مع أميرها أبي عبد الله محمد بن المسعودي، فدخلوها عنوة ومكثوا بها نحو الشهرين وخرجوا مختارين..."[3].

4- احتلال الإسبان مرسى هنين:

كانت مدينة هنين المرسى الطبيعي لعاصمة تلمسان وثغرها المبتسم على البحر، وفي سنة (1531م/937هـ) خلال شهر أوت تلقى القائد الإسباني "دون ألفارو دوبازان" " Don Alvaro de Bazain" أمر الامبراطور شارلوكان بمهاجمة المدينة بقوة واحتلالها، وقد كتب

---

1 - عبد القادر فكاير: نفسه، ص 61.

2 - عبد الرحمان محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج3، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1980، ص ص 57-58.

3 - الأغا بن عودة المزاري: المرجع السابق، ص217-218.

الدكتور "لبيرني" ممثل الإمبراطور بوهران فيكتب لسلطانه (يوم 2 سبتمبر 1531م/20 محرم938هـ): "اعتقد أن احتلالنا لمرسى هنين حادث عظيم جدًا، ذلك أننا باستقرارنا وتمكننا من هذه البلدة، نستطيع أن نعاقب ملك تلمسان، ونجبره على القيام بتعهداته، وذلك أن الطريق من هنين إلى تلمسان أقرب وأضمن من طريق وهران والمرسى الكبير"[1].

أما رد فعل سلطة بني زيان في تلمسان جاء متأخرًا فبعد 3 سنوات من احتلال هنين قرر ملك تلمسان تحريرها، فأعد خطة لمحاصرتها، وجاء في تقرير إسبانية من مدينة هنين مؤرخ في (26 مارس 1534م/12 رمضان 940هـ) أنه عندما وصلت الأخبار عن قرار ملك تلمسان، أسرعت الحامية الإسبانية واتخذت إجراءات دفاعية، غير أن مخططهم أصيب بالفشل لأن سكان المناطق المجاورة فرضوا عليهم الحصار، ومنعوهم من التوغل نحو المناطق الداخلية للبلاد ولما اشتد الحصار اضطر الإسبان إلى إخلاء المدينة في نهاية عام (1534م/941هـ) لكنهم قبل أن يغادروها دمروا كل معالمها كالأبراج والأسوار والمساجد والميناء[2].

إضافة إلى الأطماع الإسبانية عرف البايلك هجومات سلاطين المغرب المتتالية خاصة في القرن 17م ومطلع القرن 18م منها هجوم (1651م/1061هـ) هجوم مولاي محمّد على منطقة وجدة، حيث وصل إلى غاية مدينة ندرومة وأخضعها لسلطته، وفي سنة (1678م- 1679م/1088-1089هـ) قام بهجوم ثان قاده مولاي اسماعيل ووصل لغاية الشلف[3]، وادعى انه سوف ينهي الوجود التركي بالجزائر، ولهذا تمردت القبائل وتحالفت معه كبنو عامر والحشم [4]، وفي عهد الباي محمّد الكبير أعاد رسم الحدود متخذًا من وادي الملوية حدًّ طبيعيا وذلك انطلاقا من أنه يعتبر أن هذه الحدود كانت معتمدة سابقًا[5].

5- التوسعات الإسبانية:

يصف "أحمد بن سحنون" في كتابه "الثغر الجماني" هذا التوسع: "ولما خمدت نارهم أي الزيانيين وبادت ملوكهم وثوارهم، وهلك السلف وضعف الخلف، طمعت في بلدهم نفوس

[1] - توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص ص 217-219.
[2] - عبد القادر فكاير : المرجع السابق، ص 68.
[3] - Grand- Guillaume Gilbert, Nedroma, L'Evolution d'une médina, Leyden BVrill, 1976, p 60
[4] - Lespinasse (E), Notion sur les Hachems de Mascara, in « R.A » T21 1877 ? p 145.
[5] - A.M.G.H 374. Voyage dans la province d'ORAN PAR g Tatareau capitaine du corps royale d'etat major, Alger le 5 septembre 1835.

الكفرة المتغلبين على عدوة الأندلس، فانتزوا على وهران، فانتزعوها من يد "قلموس" من "عبد الواد" المتأخرين وتغلبوا على جميع عمالها من بلاد بني عامر إلى قلعة بني راشد وما يليها، وربما تجاوزت غاراتهم بلد غريس وقد خربوا مداشر الكرط، وأسروا أهله إلا من فر منهم، وكثيرا ما ضربوا الضرائب على أهل جبل هوارة من بني شقران وغيرهم[1].

6- محاولة تحرير وهران 1556م/963هـ:

استمرت المفاوضات بين الشريف السعدي والإسبان 13 شهرًا، ولم ينته الطرفان إلى النتيجة حتى كانت المفاجأة بحصار مدينة وهران، فقد علم سليمان القانوني بما يحاك في الخفاء بما أبلغه صالح رايس الذي أشاد بمبادرة الإسبان في وهران، قبل استفحال خطر التآمر وعلى الفور أرسل سليمان أسطولاً لتعزيز القوة الجزائرية[2].

فمنذ أن احتل الإسبان وهران والمرسى الكبير والجزائر تحاول طردهم منها لكنه ظروف السلطة التركية بالجزائر العاصمة لم تسمح، وعندما حقق الداي مصطفى انتصاره على سلطان المغرب الأقصى مولاي إسماعيل في جديوية وطارده إلى فاس، اهتم بأمر بايلك الغرب[3]، وقبل محاولة تحرير وهران فشل الإسبان في احتلال مستغانم ثلاث مرات متتالية، فمنذ أن افتكها خير الدين سنة (1518م/923هـ)، أصبحت قاعدة أمامية رئيسية للدولة الجزائرية خاصة لقربها من وهران[4].

كما أن حاكم وهران "دون أنيقودي طوليدو" خرج خلال شهر جوان من سنة (1675م/1085هـ)، يريد مهاجمة تلمسان، لكنه رجع منهزمًا إلى وهران وتحصن بها، ثم نصب المسلمون على المدينة حصارًا ضيقا وأمدتهم الجزائر وعلى رأسها يومئذ الداي الحاج محمّد باشا بمدفعيته، فضيقوا الخناق على المدينة دون طائل، ولقد كانت محاولة شعبان باي أقوى تلك المحاولات وأخطرها فقد زحف على وهران زحفة صادقة، سنة (1097هـ/ 1686م)، وخرج إليه الإسبان مع جماعة من أعراب بني عامر، وجيزة والتقى الجمعان بكدية الخيار واشتد القتال إلى أن انهزم الإسبان، وكان شعبان باي يتقدم الصفوف، فأصابته قذيفة إسبانية أوردته مورد الشهادة، وتحصن الإسبان وراء المدينة، فرجع عنها

1 - أحمد الشريف السنوسي: المرجع السابق، ص 20-21.
2 - نفسه، ص 109.
3 - يحي بوعزيز: الموجز، المرجع السابق، ج2، ص 296.
4 - عبد القادر فكاير، المرجع السابق، ص 70-71.

المسلمون دون أن يتركوا محاصرتها، وعاد إليها مهاجما في السنة الموالية (1687م/1098هـ) القائد الباي إبراهيم خوجة، وضيق عليها الحصار، لكن التهديد الفرنسي للجزائر، وتضييق المارشال ديستري عليها حول الخطر إلى العاصمة الجزائرية، وفي سنة (1704م/1115هـ) خرج الإسبانيون من أسوارهم وهاجموا ما يلي وهران من المداشر والقرى العربية، وأسروا 250 عربيا واستبعدوهم[1].

وقاد صالح رايس حملة لتحرير وهران سنة (1556م/963هـ) مع مجموعة من القادة أشهرهم "يحي، طرغوث، العلج علي"، إلا أن يد المنون اختطفت روح قائد الحملة "صالح رايس" وهو يبلغ من العمر 70 سنة بداء الطاعون الذي انتشر في البلاد يومئذ وخلفه في قيادة الحملة القائد يحي، ثم جاء الأمر بتعيين "حسان قورصو" بيلبرباي على الجزائر، وما إن بلغوا وهران حاصروها حصارًا شديدًا، وتمكنوا من احتلال حصنها الكبير "حصن سانطوس"، إلا أن التحالف الإسباني السعدي، وموقف الخونة السلبي حال دون التمكن من المدينة فعاد الجيش من حيث أتى، ووجد السلطان السعدي الفرصة السانحة واستغل تغيب سكان تلمسان وحامية الأتراك بها في حرب وهران واحتل تلمسان واستقر بها عامين، أضف إلى ذلك تكالب الحلف الصليبي على العثمانيين في أوروبا وحملته العنيفة على أرخبيل بحر إيجي وشواطئ البوسفور، فذهب الأسطول الجزائري لمساعدة العثمانيين[2].

7- تحرير وهران الأول 1708م/1119هـ:

منذ أن قام الكونت بيدرو نافارو pedro Navaro)) باسم الملك الكاثوليكي الإسباني بإخضاع المنطقة المذكورة[3]، ولهذا حاول جلّ بايات بايلك الغرب إخراج العناصر الأجنبية وفرض السيطرة على البايلك وتجسّد هذا في موت الباي شعبان وهو يحاصر وهران سنة (1696م/1107هـ) وأهم المحاولات التي انتهت بالنجاح تمثلت في الفتح الأوّل لوهران الذي تم على يد الباي بوشلاغم سنة (1708م/1119هـ) وغادر القائد الإسباني المنطقة في (21 جانفي 1708م/1119هـ) من المرسى الكبير نحو إسبانيا[4].

---

[1] - توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة..، المرجع السابق، ص ص 405-406.

[2] - أحمد الشريف السنوسي: المرجع السابق، ص 110.

[3] - Haido Do Digo, « Topographie d'histoirebgénérale d'Alger3 in R.A.T.X.Vet XV(1830-1871) Trad par Berbrague R , Alger, Jorfdan, 1968, Txiv, p 415.

[4] - Primodaie F. Elie De La, Histoire de l'occupation Espagnole en Afrique (156-1574) Alger, Jourdan 1875.

ففي سنة (1707م/1118هـ) آل حكم الجزائر إلى أحد أفذاذ الرجال هو الباشا محمد بكداش العربي الأصل التركي المولد والمنشأ، فأصبح اسم "محمد بكداش" داي الجزائر مقرونًا بالفتح المبين لمدينة وهران، والجانب البارز من مزاياه أنه وسع المقاومة وأعطاها مفهومها الإيجابي المتمثل في شعبيتها وخلوها من الدوافع الانتفاعية ومن الأهداف التوسعية[1]، جهز الداي محمد بكداش لغزوها جيشًا يحتوي على 8 آلاف و500 جندي نظامي وهذا من غير المتطوعين إضافة إلى طلبة العلم وتلامذة المعاهد والزوايا ومنهم الداي[2]، وخرجت الكتائب على متن السفن يقودها حسن أوزن صهر الدّاي (1 ربيع الأول 1119هـ/ 2 جوان 1707م) وكان على رأس الجيش الباي بوشلاغم مصطفى بن يوسف المسراتي حاكم مازونة، ولما اتصل الأسطول الجزائري بمياه وهران، ورأى تعذر النزول بها تحول إلى ساحل أرزيو فنزل هناك، وشرعوا في حينهم في توجيه مدافعهم ومهارسهم نحو ثكنات العدو، وقف للدفاع عنها يومئذ الجنيرال الإسباني "ميلشيورد وأفيلا"[3].

8- هجوم برج العيون (1707م/ 1119هـ):

ابتدأ الجزائريون المحرم الموافق لأوائل سبتمبر (1707م/ 1119هـ) وأول أمر قاموا به هو محاولة هدم مجاز الماء الذي يرد من الخارج إلى وهران وعليه "برج العيون" الحصن الحصين، فدخلوا إلى ساحته من خندق حفروه والتحمت نيران هذا الفتح المبين، زحزح فيها الجزائريون الإسبان عن "رأس الماء" وحفروا حوله الخنادق حتى لا يعود إليه العدو، ثم هاجموا برج العيون وحفروا تحته الألغام لتفجيره، فلم يستطيعوا دكه واضطروا لمهاجمته بالسيوف إلى أن تمكنوا من صعود جدران الأسوار، واقتحموها وغلبوا أهلها عليها، وقد أسروا من بقايا المدافعين، وغنموا سلاحًا كثيرًا، وكميات عظيمة من الأطعمة والذخيرة[4].

9- حوادث برج مرجاج (مرجاجو) (1707م/1119هـ):

---

[1] - أحمد الشريف السنوسي: المرجع السابق، ص184.

[2]- مهارس: يقول الجامعي في وصفه قذيفة هذه المهراس وهو من المعاصرين لهذا الفتح، أنها تسمى البومة وهي تضع فارغة القلب على هيئة القدر، فإذا أريد رميها ملئت بالبارود كلأ محكما على هيئة لا يمكن معها خروج البارود منها إلا إذا انكسرت ثم يجعل في فمها فتيل مشعول يقدر بتقدير لا ينفذ معه بأكل النار قبل نزوله في المكان المقصود رميها فيه.

[3] - عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 210.

[4] - توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص 427.

كان بناؤه بإشارة من أحد رجال (بني عامر)، ولم يتجاوزالمسلمون في فتح هذا الحصن أكثر من 3 أيام، حيث حفروا نفقا تحت الجبل يصل إليه من تحته فملؤوه بارودًا ومتفجرات ثم أضرموا النار فيه، وانسحب الإسبان في آخر اليوم التالي مسلمين الحصن بما فيه من كمية ضخمة من العتاد الحربي و17 من الرجال، و03 نسوة أسرهم المسلمون وكان ذلك في يوم 25 سبتمبر (1707م/1119هـ)[1].

10- فتح برج بن زهوة 1709م/1119هـ وبرج الجديد و الأحمر 1708م/ 1118هـ:

تابع الفاتحون سيرهم، فاندفعوا نحو حصار "برج ابن زهوة" أو زهرة وهو المسمى ببرج اليهود أيضا، فأحاطوا به وحفرت الخنادق والألغام حوله واستتب القتال بين الفريقين ابتداءً من ثاني يوم سقط فيه برج مرجاجو، واستمرت الحرب طوال شهرين، انتصر فيها المسلمون واحتلوا الحصن يوم الثلاثاء (5 شعبان/ 14 نوفمبر1707م/1119هـ)، ثم انتقل ميدان القتال إلى مدينة وهران فهاجمها المجاهدون من ناحية البرجين البرج الأحمر والجديد وكان بهذا البرج 400 مقاتل كامل العدّة، وتواصل القتال إلى أن استلم الإسبان ولاذ رؤساؤهم بالفرار في عرض البحار، فاحتله الجيش التركي صبيحة يوم الجمعة (26 شوال 1118هـ/ 20 جانفي 1708م)[2]، وبمناسبة هذا النصر أصدر الداي بكداش عفوه عن المساجين لمدة 3 أيام وفي حال من الأسف والحسرة يذكر المؤرخون الأوروبيون مشاركة قنصل بريطانيا في أفراح الجزائر حيث أضاء القنصلية بالأنوار 3 أيام[3].

11- استرجاع مدينة وهران:

رأى "دون مالشوردي أفيلانيدا" حاكم وهران العام أن الواقعة قد وقعت ولم يبقى سبيل للمحافظة على مدينة وهران، فترك الميدان والمعركة، ونجا بنفسه وركب البحر إلى المرسى الكبير أولا ثم إلى إسبانيا أخيرًا، ثم هاجم الجزائريون المدينة، وقد سقطت كل حصونها فدخلوها ووجدوا أن بقايا الإسبان من أهلها قد فروا إلى المرسى الكبير، ولم

---

[1] - أحمد الشريف السنوسي: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 197.
[2] - عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ص 212.
[3] - أحمد الشريف السنوسي: نفسه، ص 199-200.

يخلفوا فيها إلا بقية رجال وعجزة وبعض "المعطسين" أي الأعراب الذين باعوا دينهم وذمتهم للإسبان[1].

12- أحداث المرسى الكبير:

تحول القتال إلى ميدان المرسى الكبير وكانت به قبة حصينة وقلعة منيعة تحصن بها الإسبان هي ما أنشأه السلطان أبو الحسن المريني، وكانت هذه القصبة آخر معقل للعدو، وهناك احتدمت الحرب واشتد لهيبها بين الفريقين، وكان ممن شارك في المقاومة بجانب الإسبان لفيف من قبائل بني عامر وشافع وجيزة وحميان، فكان هؤلاء أشدّ وقعًا على الفاتحين من الجيش الإسباني نفسه، ورغم كل ما بذله الإسبان من وسائل الدفاع بنواحي المرسى الكبير فقد انتصر عليهم الأتراك يوم (13 محرم 1119هـ/ 15 مارس 1708م) واحتلوا جميع حصونهم ومعاقلهم التي عرفت باسم Presidios "بريزيديوس"، وكان فيمن استشهد في هذا الفتح من العلماء الشيخ أبو عبد الله محمد الموفق، فحمل جثمانه إلى تلمسان حيث دفن خارج باب الجياد قريبا من تربة الشيخ السنوسي، واستولى الفاتحون على جميع الغنائم والذخائر[2].

أما مصطفى بوشلاغم فقد شدّد الخناق على الإسبان أيام ولايته، وبعد جلاء الإسبان عن وهران انتقل إليها من معسكر واتخذها مقرّا لولايته[3]، وفتحها عنوة صبيحة يوم الجمعة 16 من شوال سنة تسعة عشرة ومائة ألف[4] ونقل كرسي المملكة[5] من معسكر لوهران فسكنها بأهله وجعلها قاعدة ملكة[6]، وبعد الفتح رجع القائد الخزناجي حسن أوزون إلى مدينة الجزائر مكللاً بتاج النصر، بينما بقي مصطفى بوشلاغم في مدينة وهران، وأخذ الناس من أطراف الولاية يبنون بها دورهم حتى غدت مدينة عامرة، وأرسل الدّاي محمد بكداش هدية إلى الخليفة العثماني السلطان أحمد باسطنبول تتمثل في مفاتيح وهران الذهبية الثلاثة بشارة بالفتح وتأكيدًا للاعتراف بمقام الخلافة[7].

---

[1] - توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص 431.
[2] - عبد القادر الجيلالي: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 213.
[3] - أحمد الشريف السنوسي: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 202.
[4]- الموافق لـ 19 جانفي 1708م.
[5]- يقصد البايلك
[6]- ابن عودة المزاري، المرجع السابق، ج1، ص 275.
[7] - توفيق المدني: المرجع السابق، ص 434.

13- احتلال وهران والمرسى الكبير للمرة الثانية 1732م/1145هـ:

لم يزل الإسبان منذ أن انتزعت منهم وهران يرقبون الفرصة لاستعادتها إليهم ويعملون على اكتساب الحلفاء والأصدقاء، حتى ساعدتهم الظروف في هذه المرّة باستمالة حسين بن علي باي تونس حيث ارتبط مع ملكهم فليب الخامس بمعاهدة سنة (1143هـ/ 1731م) وتظاهر الجميع على مهاجمة وهران، ويوم (06 جوان 1732م/ 1144هـ) أذاع ملك إسبانيا فليب الخامس وحفيد ملك فرنسا لويس 14 على البلاد الإسبانية وعلى كامل البلاد النصرانية منشورًا يدعوا إلى إعادة احتلال مدينة وهران وقال: "إن بقاء وهران تحت سلطان المتوحشين الأفارقة إنما هو عائق عظيم يحول بيننا وبين نشر ديانتنا المقدسة"[1].

وتجهزت الحملة الإسبانية إلى وهران بقيادة "الكونت مونتيمار"، وفي اليوم الخامس من محرم (1145هـ/ 29 جوان 1732م) أرست الحملة بمرسى غربي وهران وأنزلت جيوشها بعين الترك (15 كم غربي وهران)، وخرجت الحامية التركية لرد عادية العدو في عدد من الجيش يبلغ نحو 4 آلاف مجاهد تحت قيادة الباي بوشلاغم، ونشبت الحرب ومات فيها قائد الحملة الإسبانية وكاد أن ينتصر المسلمون على عدوهم لولا خيانة بعض الأعراب من قبيلة بني عامر، فجعل الإسبان يحتلون المدينة، ويومئذ انتقل الباي مرتحلا من وهران إلى مدينة معسكر واقتدى به السكان ودخل الإسبان عشية يوم 1 جويلية فوجدوها خاوية على عروشها، وبلغ خبر الهزيمة إلى الداي فاغتم لها وبلغ به الأسف والحزن إلى حد أنه انقطع عن الطعام والشراب وتوارى عن الناس مدّة، ثم بعث بالجنود تحت قيادة ولده محمد لمقاتلة الإسبان بوهران وبينما الجند في ميدان القتال إذ فاجأهم الخبر بموت الدّاي وكان مريضا بداء البطن وقيل أنه مات مسمومًا وذلك في (أواخر ربيع الأول 1145هـ/ 3 سبتمبر 1732م)، وفشل الجيش التركي في استعادة المدينة[2].

لم يكن ضعف القوة العسكرية وحده سبيلا في تسليم المدينة، وسبب ذلك أن نجل "كورد عبدي" داي الجزائر جاء على رأس حامية للمساهمة في الدفاع، فحدث بينه وبين بوشلاغم سوء تفاهم أدى إلى تخلي هذا الأخير عن متابعة المقاومة، كما أن مدد الحكومة المركزية بالجزائر وصل متأخرا، حيث احتلوا المدينة بعد نفاذ عتاد وذخيرة المقاومين، ومن ثم لم

---

[1] - توفيق المدني: نفسه، ص ص 444-445.

[2] - عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص ص 223-224.

يكن حادث "سانتاكروز" يوم 04 أكتوبر ولا مهاجمة المدينة يوم 04 نوفمبر، ولا ماتلاهما من مقتل "المركيز ذي سانتا كروز" قد غيرت شيئا من نتيجة الأحداث رغم شدة المقاومة، فقد استشهد ولد بوشلاغم يوم 04 نوفمبر أثناء الحملة على المدينة، وقتل سانتا كروز في 12 نوفمبرن والمركيز دي ميروسنبل قبل جوان، وفي النهاية عاد الإسبان إلى وهران ليقيموا بها 60 حولاً ولم يكن احتلالهم لها هذه المرة هو غاية مسعاهم بل عاد إلى ذاكرتهم مبادئ سيادة الكنيسة المسيحية على ضفتي البحر الأبيض المتوسط[1].

وبعد أن عاد الإسبان إلى وهران والمرسى الكبير أخذوا يسعون لاحتلال الجزائر نفسها ليضعوا حدًا لهذه الأخطار، فقام كارلوس الثالث الإسباني بشن 3 حملات على عاصمة الجزائر في أعوام (1775-1783-1784م/1188-1197-1198هـ) فشلت كلها واضطرت إسبانيا أن ترضخ لشروط الجزائر القاضية بانسحابها من وهران والمرسى الكبير دون قيد أو شرط، ولكنها ظلت تراوغ حتى تحصل على بعض الامتيازات[2].

تمكن الباي محمد الكبير بفضل حنكته العسكرية وخبرته الحربية أن يظفر بثقة جيشه وديوانه وقبائل الغرب الجزائري والحكم المركزي، وحقق انتصارات ضدّ القبائل المتمردة، والعدو الإسباني وأعوانه حتى صارت القوة والغلبة أحد سماته [3]، ولهذا استأذن الباي محمد الكبير الدّاي مرات عديدة لقتال الإسبان واقتحام أسوارهم، لكنهم لم يسمحوا له بذلك، واكتفى في المقابل بالقيام بحرب استنزاف اعتمدت على رباط مؤقت، ونصب الكمائن للإسبان والمغاطيس الذين كانوا يشنون الغارات على ضواحي وهران[4].

14- الفتح الثاني لوهران وخروج الإسبان من المنطقة:

لم تعرف مدينة وهران السلام والاطمئنان بل كانت طيلة وجود الاحتلال الإسباني أرض قتال ومناوشات ومضى الشهر، ومضت السنة، ومضى القرن والمسلمون يحاولون استرجاع المدينة ولا يتركون لأهلها ولا لحاميتها راحة والإسبان يتحصنون

---

[1] - أحمد الشريف السنوسي: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص ص 205-206.

[2] - يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 297.

[3] - ابن سحنون الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، منشورات التعليم الأصيل، سلسلة التراث، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973، ص 316.

[4]-لبروات بن عتو: الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2001-2002، ص 114.

ويدافعون([1])،وبعد أن أصبح محمد بن عثمان الملقب بالكبير بايًا لبايلك الغرب، ورغم الصعوبات التي واجهته والمتمثلة في المجاعات والأمراض خاصة الطاعون سنة (1786م/1200هـ)، والكوارث الطبيعية إلا أنه بذل جهودًا خلدت اسمه، حيث اتصف بالقوة والشجاعة([2]).

أدرك ابن عثمان أنه من باب المستحيل مواجهة العدو الخارجي ما لم تتوحد القوى الداخلية، فانبرى لإخضاع قبيلة العصور سنة (1784م/1198هـ)، ثم قبيلة الأعشاش في مغنية، ومثلهم قبائل "المهدية، وأولاد عليّ، والحشم، وفليته والأحرار والأغواط وحميان وعمور بوسعيد، وأخضع سكان عين ماضي بعد نقض عهدهم، ثم أخمد ثورة الأغواط الذين رضوا بسلطة الأتراك فسددوا ما كان عليهم من ضرائب([3]).

15- مفاوضات الصلح والهدنة:

بعد الحملات التي قامت بها إسبانيا على مدينة الجزائر سنوات 1775م و 1783م و 1784م والتي فشلت كلها قررت إسبانيا يومئذ الإقدام على مفاوضة الجزائر لإقرار السلام، حيث حل بالجزائر مندوبان من قبل إسبانيا هما الكونت داسبلي "Despilly" والأميرال مازارديو "Mazzaredo"، وتوسط لهما قنصل فرنسا مسيو كرسي "Kercy" وبعد مذكرات طويلة انعقدت اتفاقية بين الجانبين في يوم 14 جوان (1785م/1199هـ) تلتزم إسبانيا فيها بتسليم وهران والمرسى الكبير للجزائريين، لكن الاتفاقية التي صادقت عليها حكومة إسبانيا لم تنفذ أصلاً وذلك من أجل عزم الإسبان على عدم إخلاء وهران([4]).

ونجد مراسلة أخرى بين الجانبين الجزائري والإسباني في 26 سبتمبر 1785م جاء فيها: في يوم 22 ذو القعدة 1199هـ/26 سبتمبر 1785 وجه باي معسكر محمد بن عثمان رسالة إلى "دي فلوريد أبلا نكا" أخبره فيه بأنه عقد بمدينة الجزائر اجتماعًا لدى الداي اشترك فيه المبعوث الإسباني "دي سيبيي" لإعداد شروط الصلح وسوف يكتب له ذلك المبعوث نفسه ليبلغه ما دار في الاجتماع فأجابه بلانكا برسالة لا تحمل تاريخًا شكره فيها على قراراه بعدم مهاجمة وهران واقترح عليه الموافقة على تخطيط الحدود بين المدينة

---

[1] - أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص 405.
[2] - الواليش فتيحة: المرجع السابق، ص 26.
[3] - أحمد الشريف السنوسي: تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 219.
[4] - أحمد الشريف الأطرش السنوسي: نفسه، ص ص 215-216.

والبايلك، وهي خدعة على ما يظهر لحمل الجزائر على الاعتراف رسميا بالاحتلال الإسباني لها وللمرسى الكبير ولكن الباي والداي لم تنطل عليهما الحيلة والخدعة[1].

واستمر عثمان بن محمّد محاصرًا لوهران ومواصلا حملاته ضدّها بصفة لا تكاد تنقطع، وهزمهم سنة (1780م/1193هـ) خارج أسوار المدينة هزيمة عظيمة، وفي يوم 14 سبتمبر 1784م تمكن من قطع مجرى الماء الذي يسقي المدينة[2].

وبعد صلح جوان 1785م توجه الباي بن عثمان لإخضاع القبائل المتمردة خصوصا قبائل الجنوب، ولكن في شهر جويلية (1786م/1200هـ) أظهر الإسبان رفضهم المطلق لتسليم وهران بصفة علنية فأعاد عليهم الحصار من جديد، ولما طال عليهم الأمر عرضوا على الباي صلحًا جديد رفض قبوله إلا إذا سلموا المدينة والمرسى، وفي سنة (1789م/1203هـ) بعثوا رسولا إلى الجزائر مباشرة يعرض حلاً وسطًا هو تسليمهم للمدينة مع احتفاظهم بالمرسى الكبير، فرفض الداي إلا أن يسلموها معًا، فطلبوا هدنة لمدة شهر، وتعاهد الطرفان عليها شريطة أن يسلموا الموقوفين بعد نهاية الأجل، ولم يكن خفيا على الجزائريين ما ينويه الإسبان من وراء هذه المهلة، ولما انتهى الشهر بعث الإسبان رسولهم ليبلغ عزمهم على رفض كل ما تعهدوا به[3].

وفي سنة (1786م/1200هـ) وقعت مناوشات بين القبائل العربية والإسبان بضواحي وهران فقررا الباي حصار وهران، ودام هذا الحصار حتى سنة(1791م/1205هـ)[4]، وقام الباي محمّد الكبير خلال هذا الحصار بجمع القبائل للرباط حول ضواحي وهران يوميا إلى غاية تحقيق الفتح[5]، ووقع اختياره على مدير المدرسة المحمدية محمدّ بن عبد الله الجلالي فعينه رئيسا للرباط وعين له مساعدين هما القاضي الطاهر بن حواء، وكاتب الباي الخاص

---

[1] - يحي بوعزيز: المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1780-1798)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 33.

[2] - أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص 488.

[3] - أحمد الشريف السنوسي: المرجع السابق، ص 228.

[4] - يحي بوعزيز: نفسه، ص 94.

[5] - يحي بوعزيز: دور العلماء والرباطات، مقال سابق، ص 107.

محمّد المصطفى بن زرفة الدحاوي[1]، متخذا في ذلك العديد من الإجراءات ولعل أهمها: إسقاط المطالب المخزنية على المرابطين، وتزويدهم بالعدّة والخيل[2].

16- زلزال وهران:

ما بين 8-9 أكتوبر سنة (1790م/1204هـ) على الساعة الواحدة صباحًا وقعت بمدينة وهران هزة أرضية عنيفة جدا دامت 3 دقائق حطمت كل منازل وهران تقريبًا وألحقت بالحصون والقلاع والكنائس أضرارًا بالغة، ومات تحت الأنقاض 3 آلاف نسمة من سكانها وجندها، ومن بينهم الحاكم العام بالنيابة "دون نيكولا غارسيا"، واستمرت الهزات الأرضية تواليا إلى يوم 22 نوفمبر (1790م/1204هـ)[3]، وقد ذكر ابن زرفة أن الزلزال: "وقع في جوف ليلة 29 من محرّم سنة 1205هـ"[4]، بينما يذكر ابن سحنون أن: "الزلزلة وقعت ليلة السبت الأولى من صفر سنة 1205هـ، بعد مضى سبع ساعات ونصف من الليل"[5].

بلغ عدد ضحايا الزلزال سبعة آلاف (7000) قتيل، و4000 بقوا تحت الأنقاض، كما لم يبقى سوى 20 جنديا من فيلق في ثكنة القصبة القديمة في وهران، وهلك الحاكم الإسباني للمدينة DoN Nicolas GARCIA))، ولم يعثر على جثته، وثم تعيين حاكم جديد للمدينة يدعى le COMTE Gumbre HERmozo)) وتحطم أكثر من نصف المدينة[6]، كما التهمت النيران بعض السفن وأماكن أخرى ومما ذكره قائد الجيش الإسباني في تقريره للملك ما يلي:" إن بعض الرجال الذين لا أخلاق لهم، من أصحاب الحياة السافلة (يقصد إسباني وهران) قد اغتنموا فرصة هذه الحادثة، فأمعنوا في نهب الديار الغنية بصفة أفضع مما لو كان العدو هو الناهب "[7].

---

[1] - ابن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص 62.
[2] - يحي بوعزيز: دور العلماء والرباطات، مقال سابق، ص 108.
[3] - توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة، المرجع السابق، ص 489.
[4] - أبو محمد المصطفى بن عبد الله بن عبد الرحمان ابن زرفة: الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الجزائر، ج1، رقم 3322.
[5] - ابن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص 211.
[6] - P Clausolles, L'Algérie pittoresque ou Histoire de la régence d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à jusqu'à nos jours, imprimerie de JB paya éditeur 1845, Toulouse, p 199.
[7] - P Clausolles, L'Algérie pittoresque, op cit, p 199.

وفي اليوم الثالث من الزلزال وصل إلى وهران الباي بن عثمان مستفسرًا عما حاق بالمدينة وسكانها، وقد كانت فرصة مواتية للإجهاز على الإسبان، ولكنها المروءة والشمم، فاستأذن الدّاي ليحمل على الإسبان في وقت لاحق، وأرسل إلى مختلف الجهات يستنفر المتطوعين للجهاد فتقاطرت جموعهم وبلغ العدد نحو 50 ألف مقاتل[1]، أما الوثائق الإسبانية فقد اختلفت في تقديرها للقوات المحاصرة، فمنها من قدرها بين7 إلى 8 آلاف مقاتل، ومنها بين 10 إلى 12 ألف مقاتل، ومنها مابين 18 و20 ألف مقاتل[2]، ويبدوا أن جميع هذه التقديرات الاسبانية تختلف تمام عن القوات التي اجتمعت عند الباي والتي قدرت بخمسين ألفا، بينما لم تتجاوز في تقديرات الإسبان العشرين ألف.

17- الاستيلاء على برج العيون:

استهدفه المسلمون وما يتصل به من فروع لوقوعه قرب المدينة، ولما جاء إذن الداي نهض المجاهدون فاكتسحوا كل ما في طريقهم من شخصيات ومزارع العدو، وما انتهى نهار (21 أكتوبر 1790/ 13 صفر 1205هـ) حتى كان هذا الحصن في قبضتهم، ومن ثم توالى الزحف الجزائري مستهدفا برج مرجاجو إلا أنه استعصى عليهم فاكتفوا بقصفه من على جبل المائدة، ونظرا لأهميته الإستراتيجية حفر المسلمون نفقا وصلوه به وحشوه بارودا لنسف جزء من المدينة إلا أن الإسبان شعروا بذلك فأسرعوا لنزع البارود من المستودع وشددوا الحراسة على البرج وما حوله فتوقفت العمليات[3].

18- استئناف الهجمات:

واصل المجاهدون هجومهم تحت قيادة محمد بن عثمان، ثم تلقى الإسبان بعد ذلك مددًا عظيمًا من إسبانيا، واستمرت الأعمال طويلة قاسية طوال ربيع وصيف سنة (1791م/1205هـ) واحتدمت أيام 3-9 ماي ويوم 05 جويلية، وقد تقدمت إسبانيا وقد ضاع كل أملها إلى الباي محمد عثمان في أفريل (1791م/1205هـ) تطلب تنفيذ الصلح المبرم فيما سبق سنة (1786م/1200هـ)، فبعث الملك الإسباني كارلوس الرابع رسولا إلى مدينة الجزائر واقتراح على الدّاي تحقيق الصلح بين الجزائر وإسبانيا بالكيفية التالية:

---

[1] - أحمد الشريف السنوسي: المرجع السابق، ص 231.
[2] - بلبروات بن عتو: المرجع السابق، ص 126.
[3] - أحمد الشريف السنوسي: نفسه، ص 231-232.

-تسليم مدينة وهران للباي مع الاحتفاظ بالمرسى الكبير لتمكين السفن الإسبانية من الإرساء بمياهه، فرفض الداي محمد بن عثمان والباي محمد الكبير هذه الاقتراحات[1].

بعد هذا الرفض أرسلت إسبانيا مبعوثا إلى الدّاي محمد بن عثمان باشا اقترح عليه هدنة لمدة شهر كامل على أن يكون آخر أجل للهدنة هو يوم (22 شعبان 1205هـ/25 أفريل 1791م)، استجاب الدّاي والباي لهذا الطلب، وكتب الباي إلى الطلبة وسائر المجاهدين ألّا يتعرضوا لهم بسوء مدة شهر كامل، وأن لا يتركوا جدّهم في الاحتراس منهم والتيقظ لهم[2]، لكن الباشا وقد كان يعاني سكرات الموت، استمر رافضا كل مذاكرة مادام الإسبان لم يستسلموا في وهران دون قيد أو شرط[3]، وكان قد علم أنهم يريدون كسب المزيد من الوقت ووصول الدعم لهم من إسبانيا، وقبل انتهاء مدّة الهدنة قرر الملك الإسباني كارلوس الرابع اختيار استئناف القتال فأرسل المدد العسكري إلى وهران فاشتدت شوكة الإسبان[4].

أعطى الداي محمّد عثمان الأمر لباي معسكر محمّد بمهاجمة وهران من جديد، وعندما وصل إلى أسوار المدينة نصب عدّة بطاريات للمدفعية على الضفة اليسرى لرأس العين، وحصون " سان أندري" SAINT ANDRé))، و"سان فيليب"SAINT PHILIPE)) ، لكن الباي محمّد تفاجأ بموسم الأمطار لذا عاد أدراجه إلى عاصمته معسكر، وبعد شهر تمكن من التموقع والعودة وساعده في ذلك دخول فصل الربيع إلى مدينة وهران حيث حاصرها طول فصل الصيف سنة (1791م/1205هـ)، وفي يوم (23جويلية 1791م/1205هـ)، كان القتال قد بدأ بين جيوش باي معسكر وجيوش الإسبان، وقد دام أكثر من ست ساعات، وتمكن الباي محمّد من تحطيم حصن " سان فيليب" ووصل لأسوار المدينة، وقد حاول الإسبان من خلال فرقة حرس "والون" "GARDE WALLONES"" بقيادة النقيب " تورسي" TORCY"" رد الهجوم بجيشه لكنهم فشلوا فشلا ذريعًا، وفقد 166 جنديا من قواته"[5].

---

[1] - بلبراوات بن عتو: المرجع السابق، ص 144-145.

[2] - ابن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص 265.

[3] - توفيق المدني: المرجع السابق، ص 490.

[4] - دغموش كاميلية: المرجع السابق، ص 94.

[5] - P Clausolles, op cit, p 199.

في يوم (18 سبتمبر 1791م/1205هـ) قام باي معسكر بإعطاء الأمر للمسلمين بمهاجمة الإسبان، وتكبد الإسبان خسائر كبيرة وطلبوا الهدنة التي وافق عليها الباي من أجل سحب الجرحى والقتلى من ساحة المعركة[1]، بعد هذا الفشل بدأ الأهالي ينشغلون على طول الخط التحصينات، يحفرون الخنادق وفي (23 أكتوبر1791م/1205هـ) وبعد هدوء دام أسبوعًا كاملاً، قصف جند الباي القوات الإسبانية ولكن طلقاتهم كانت غير مصوبة[2].

وتجدر الإشارة إلى وجود بعض الأفراد من القبائل التي كانت تتعامل مع الإسبان أو المغاطيس، ولكن أثناء هذا الحصار أصبحت تقاتل إلى جانب الباي، وفي نفس الوقت تقوم بإرسال التقارير والمعلومات إلى العدو الإسباني، وفي هذا الصدد يذكر لنا ابن سحنون بأنه أثناء مهاجمة المرابطين لأحد أبراج مدينة وهران "خرج الكفار في الوادي بعد افتراق القتال فقتلوا من المسلمين ثلاثة وردَّهم الطلبة، وكان السبب في ذلك أن بعض المنافقين من أولاد علي كان مغطسا وخرج فأمَّنه الأمير، فأتى يوم الجمعة مع الحراس ومازال يدنو من البرج إلى أن أغفل الناس وهرب إلى الكفار وأخبرهم بجميع أمور المسلمين"[3].

ويوم (10 ذي القعدة 1205هـ/ 12 جويلية 1791) توفي الداي العظيم والعظمة لله عزّ وجلّ محمد عثمان باشا وخلفه على كرسيه الدّاي حسن باشا، وكانت الأعمال الحربية حول وهران مستمرة وكانت إسبانيا لا تزال تلح في عقد الصلح، فقبل حسان باشا ورجال الديوان عقد الصلح مع إسبانيا[4]، فتقدم وكيل إسبانيا بمدينة الجزائر إلى الدّاي حسن طالبا منه الصلح وفق الشرطين التاليين:

-تعويض نفقات الباي الحربية مقابل إقلاعه عن حصار وحرب وهران، فتقررت هدنة مدتها 15 يومًا، وقد وقع الاتفاق على الهدنة يوم: السبت 28 ذو القعدة 1205هـ/ 20 جويلية 1791م، وينتهي أجلها يوم السبت 12 ذو الحجة 1205هـ/ 09 أوت 1791م، وأمر الدّاي حسن الباي محمّد الكبير بالرحيل عن وهران والدخول إلى معسكر فكان ذلك يوم 28 ذو الحجة 1205هـ/ 30 جويلية 1791م[5].

---

[1] - Henri Delmas Degrammont, Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), Ernest Leroux, Paris, 1887, p 344.

[2]- Fey, op cit, p 245.

[3] - ابن سحنون الراشدي: المصدر السابق، ص ص 281-284.

[4] - توفيق المدني: حرب الثلاثمائة، المرجع السابق، ص 490.

[5] - دغموش كاميلية: المرجع السابق، ص 96.

وقبل انتهاء مدّة الهدنة رفض الملك الإسباني دفع التعويضات الحربية للباي محمّد الكبير وكتب إلى داي الجزائر يقول: "إني لا أدفع مالي في أمر لا أتحقق دوامه لي كيف وهو مجاور لمن لا ينام عنه، غير أني أدعوكم لأمر فيه الإنصاف، وأسأل منكم أن تشرفوني بقبوله، وهو أني أدفع لكم البلاد على الحالة التي تركها عليها المسلمون لما أخذناها منهم"[1].

وكان جواب الدّاي حسن على رسالة ملك إسبانيا مايلي:"...ولقد فهمنا أنكم تريدون إعلامنا بأنكم سوف تقومون برد قلعة وهران والتي كنتم قد أخذتموها منا سابقا.... وذلك مع إبقاء ما يسمى ببرج الميناء لديكم...ولكن لو أعطيتمونا برج الميناء المذكور لكان ذلك من تمام الإحسان...لأن بقاء هذا البرج في يدكم قد يقودنا ويدفعنا حينًا من الأحيان أو يومًا من الأيام إلى الوقوع في النزاع مع أمير الوطن أو مع العربان المتمردين أو مع القبائل الجاهلة...ولدى نرى من الأحسن والأوفق والأنسب هو أن يكون الكل في يدنا..."[2].

وبعد سلسلة من المفاوضات بين داي الجزائر والملك الإسباني، كتب هذا الأخير في نهاية شهر ذو الحجة 1205هـ/ أواخر أوت 1791م إلى الداي حسن يؤكد له أنه اختار نهائيا تسليم البلاد المحتلة على الصورة التي تركها المسلمون سنة 1732م/1144هـ[3].

وفي رجب 1206هـ/ 9 ديسمبر 1791 أبرمت الاتفاقية على الشروط الآتية:

-تسليم وهران والمرسى الكبير مع إبقاء كل ما استولى عليه من عتاد ومتاع كانا موجود من عهد بوشلاغم وكان عدد ما فيها من المدافع يزيد على المائة، وهدم ما أحدثوه من منشآت أثناء احتلالهم الثاني إن أرادوا ذلك.

- دفع مبلغ 12 ألف سلطاني على أن يؤدى مقسطا وفي كل شهرين ألفي منها، ودفع مبلغ 50 سلطانيا عند كل سفينة لهم ترسوا بالميناء، 40 منها للخزينة وعشرة لفائدة المرسى.

- تسليم الجزائر للأسرى الإسبان وكان العدد المطلوب 5 أنفار من وجهاء الإسبان.

- عدم سماح الجزائر لأي سفينة من سفن النصارى بالرسو في ميناء وهران، والسماح لهم باكتيال ألف حمل من القمح سنويا بالسعر الجاري، والسماح لهم بالبقاء 4 أشهر آخرها 01

[1] - ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق، ص 308.

[2] - يحي بوعزيز: المراسلات، المرجع السابق، ص ص 149-150.

[3] - ابن سحنون الراشدي: نفسه، ص 309.

يناير من هذه السنة، وفي مقابل ذلك يكون للإسبان مركز تجاري في بلدة الغزوات، وممارسة صيد المرجان في الساحل الغربي للجزائر.

- استبعاد المرابطين عن الأماكن المجاورة للمدينة، وتحمل سفينة إسبانية إلى اسطنبول مفتاحين ذهبين رمز الاستسلام مع جرتين من ماء عيون وهران للسلطان العثماني "عبد الحميد"

وقد أضاف ليون فاي بعض البنود إلى هذا الإتفاق أهمها:

-لا يحق رفع سعر القمح عن الأسعار المحلية الموجودة في وهران، ولا يحق لباي وهران تحديد كمية القمح المصدرة إلى إسبانيا[1].

وبعد إبرام الاتفاقية شرع الإسبان يهدمون ما بنوه، مما وقع على هدمه الأنفاق ومن بين ما هدموا (برج الفرنسيس، برج العيون، البرج الجديد والكنائس) وأخذوا ينسحبون يوم 17 ديسمبر[2]، وثم الجلاء نهائيا وسلمت المدينة للباي الذي دخلها دخول الفاتح المنتصر يوم 24 فيفري 1792م[3].

وذكر أبوراس الناصري فقال:" ثم إن أميرنا الهمام الأمجد أتته البشارة الكبرى أوائل المحرّم بأخذه البلد، فكان ذلك اليوم عند المسلمين عيدًا ومن أيام البركة والسرور مشهودًا سعيدًا والبشائر إلى كل ناحية، ذاهبة بأن نصارى وهران عنها ذاهبة"[4].

بعد الفتح: وفي شهر فبراير 1792/ رجب 1206هـ دخل موكب الأمير من معسكر في مقدمته الباي وجمع من علماء البلد وأعيانه، فنزل بسيق، ومنها بعث به كاتبه "أحمد بن هطال" إلى وهران حيث تقابل فيها مع القادة الإسبان، وأطلعوه على ما استحدثوا مما وقع الاتفاق على هدمه، إلا أنهم أبقوا على المباني السكنية تكريما لها، وبعد مدة قصيرة تحرك موكب الباي في اتجاه وهران، وفي منتصف النهار وصل الموكب إلى قرية سيدي الشحمي[5] وخيم للاستراحة، حيث وردت على الباي هدايا الإسبان ثم ارتحل[1] منه إلى

---

[1] - Fey Henri Leon ; op cit, p 258.

[2] - أحمد الشريف السنوسي: المرجع السابق، ص 238-239.

[3] - Léon Gilibert ; l'Algérie ancienne et moderne depuis les premiers établissement des carthaginois jusqu'à l'expédition du générale randon en 1853, Furne et cie libraires-éditeurs, Paris, 1853, p 241.

[4] - أبو راس الناصري: المصدر السابق، ص 115.

[5]- سيد عبد الرحمن قرية في جنوب وهران على نحو 12 كلم.

حوض الزعفران ولم يبقى بينه وبين المدينة إلا نحو 4 كلم، وفي يوم 04 رجب/ 3 فبراير كان الدخول إلى المدينة[2]، ولما استقر الباي عثمان بوهران أمر عماله وقواده أن يرحلوا إليها من مدينة معسكر[3]، وكان أول عمل قام به بعد تحرير المدينة هو بناؤه للمسجد الكبير "مسجد الباشا" من ماله الخاص، وقد منح حسان باشا لقب "الكبير" للباي محمد بن عثمان اعترافا بفضله وصدق كفاحه[4].

19- تعمير المدينة:

وما يتعلق بتعمير المدينة، فقد جلب لها الباي محمّد الكبير السكان من مليانة والمدية وتلمسان ومعسكر وبعض المدن الداخلية الأخرى، كما وفدت عليها أيضا قبائل الدواير والزمالة والغرابة لغرض ممارسة التجارة، ووجه الباي محمّد الكبير الدعوة إلى سكان وجدة وفاس ومراكش حتى أصبحت وهران مستقرًا لبعض زعماء بني الأحمر، كما قام بجلب الكثير من اليهود من مستغانم ومعسكر وندرومة وتلمسان بغرض بعث الحيوية والنشاط التجاري والعمراني لمدينة وهران، وأنشأ بها مراكز حربية ومدينة تذكارًا لهذا الفتح الباهر، ومنها هذا المسجد الجامع الموجود إلى اليوم "جامع باشا"[5].

ونظرا لأهمية هذا الفتح الباهر أفرده الشيخ محمد مصطفى بن زرقة بتأليف كتابه "الرحلة القمرية في السيرة المحمدية"، وأحمد بن سحنون في كتابه "الشعر الجماني" والعلامة الحافظ محمّد أبوراس في "عجائب الأسفار وغيرهم، وبعد نهاية الفتح أراد الإسبان اتخاذ مركز تجاري لهم بميناء وهران وطابوا ذلك من الدّاي ففرض عليهم تأدية مبلغ 600 ألف فرنك فرنسي سنويا، فعدل الإسبان عن اقتراحهم هذا وذهبوا من وهران نهائيًا بعد أن مكثوا بها وسواحلها 250 سنة، ولم ينزل بها بعد ذلك أجنبي إلى عهد

---

[1]- كريستل: قرية ساحلية ذات في شرق وهران على نحو 20 كلم.
[2]- هو مسجد الباي بالواجهة البحرية.
[3] - احمد الشريف السنوسي: المرجع السابق، ص 239-240.
[4] - توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة..، المرجع السابق، ص 491.
[5] - دغموش كاميلية: المرجع السابق، ص 99.

الاحتلال الفرنسي في رجب 1246هـ/ 4 جانفي 1831م. فسقطت بيد ولد الجنيرال كلوزيل بدون مقاومة تذكر[1].

سابعا: النظام السياسي الإسباني في وهران:

كانت إسبانيا تحتل حول وهران والمرسى الكبير مساحة من الأرض تبلغ دائرتها حوالي 20 مرحلة، أي نحو 89كم، وفي هذه البقعة من الأرض كان يوجد عدد كبير من الدواوير العربية تقطنها الآلاف من العائلات وعلى كل دوار رئيس مسؤول يسمى "الشيخ"، ويقول "دون بدرو دولاكوبيا" في تقرير رسمي إسباني ترجمته المجلة الإفريقية عن إدارة المدينة ونظامها ما ملخصه: إن هؤلاء الأعراب الخاضعين للسلطة الإسبانية ينتمون إلى 3 أقسام.

1- قسم الدواوير النبيلة: ويطلقون في وهران على رجال هذا القسم من الدواوير "فرسان المملكة"

2- قسم الدواوير المنحطة والمستضعفة، وأخيرا قسم الدواوير المختلطة: التي تجمع بين جماعة من هؤلاء وجماعة من أولئك وهم يختلطون، إنما لا يندمج بعضهم في بعض، والعرب في الدواوير النبيلة يمتازون عن غرب الدواوير الحقيرة بشجاعتهم وإقدامهم وحسن سلوكهم (بالنسبة للإسبان طبعا)[2].

ولقد استمر الإسبان على موقفهم العدائي للجزائر طيلة أيام تحاككهم على سواحل هذا القطر منذ سقوط الأندلس إلى أن أبعدوا عن الجزائر، ويلاحظ اختفاء إسبانيا من بين قائمة الدول التي كانت على اتصال ديبلوماسي مع الجزائر بواسطة قناصل يمثلونها في الجزائر، إلا إسبانيا فإنها لم تفعل ذلك، وما كان احتفاظها ببعض ما احتلته من موانئ الجزائر وبعض المدن إلا تتخذ منها قاعدة للوثوب على المسلمين في شمال إفريقية حينما تسنح لها الفرصة بذلك، ولم يكن ليمتد احتلال الإسبان للجزائر إلى أكثر من أحواز مدينة وهران، إذ لم يتجاوز وراء "كريستل" شرقا ورأس "فلكون" غربًا وغربال أمام السبخة الكبيرة جنوبًا، أو بعض الثغور الساحلية من تلك المقاطعة الجزائرية، كما أنه لم يكن هناك ممن يعتمد به من العشائر والقبائل الجزائرية من أذعن لسلطتهم أو اعترف بسيادتهم على تلك الناحية من الجزائر سوى بعض القبائل المخدوعة التي حملها تنازع السلطة والتزعم على حب الرئاسة

---

[1] - عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 270-271.

[2] - توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص 417.

والطمع في التوحد على يد الأجنبي مثل: المغاطيس، بني راشد، بني علي، الشوافع، والمطارف، وحميان، والونازة وعمرة، وقيزة، وأولاد عبد الله وكل من هؤلاء إنما مال للإسبان بباعث الأثرة والأنانية، وأخذ نظام حكم الإسبان السياسي بوهران في هذه الفترة شكلاً عسكريا محضا في سائر الميادين يديره رجال من السلك العسكري تحت إشراف وتسيير شارلكان نفسه بدون استثناء أي شيء مما يجري استعماله وتطبيقه بين الناس من القوانين فيما قل أو حل من جميع الأمور رغم ذلك كله فلقد باءت الحكومة الإسبانية بالفشل والخيبة في حكمها بهذه البلاد ويكفينا في ذلك دليلا ما كتبه أحد ضباط الإسبان في عهدهم الأخير بوهران، يشكو إلى ملكه سوء حاله قائلاً: "أنني لم يبق لدي ما أدرأ به الجوع والعدو على المدينة"[1].

لقد عانى السكان خاصة في الجهات التي كانت قريبة من مناطق الاحتلال الإسباني في وهران والمرسى الكبير من أعمال الغزو والسطو على ممتلكاتهم، وذكر بعض الكتاب الأوربيين الذين أرخو لوهران وهي تحت الاحتلال الإسباني أن الحرفة الوحيدة في وهران هي أعمال الغزو ضدّ السكان، فعندما تصل الأخبار إلى وهران عند ترحال قبيلة أو دوار واستقراره بقرب المدينة يقوم الحاكم بإجراء التحريات عن حالة الدوار وقوتها وخاصة ما تمتلك من ثروة، وفي نفس الليلة كان يشن عليها الهجوم بواسطة القوات التي لديه عند الفجر، فيقومون أولاً بأعمال القتل ثم يتبعون ذلك بأعمال النهب وفي الحال يسلكون طريق العودة وهم يحملون معهم كل ما استطاعوا حمله من الغنائم، وفور وصولهم إلى وهران يختار الحاكم أولا لصالحه هدية تتمثل في عبد سواء كان رجلا أو امرأة وبعض الغنيمة التي جاءوا بها، أما الباقي فيباع علانية[2].

كما كان الأعراب الخاضعون حوالي وهران للسلطة الإسبانية ويطلقون عليهم اسم عرب السلام Maro de Paz"" يدفعون للسلطة الإسبانية كل سنة جزية يدعونها الروسية وهي عبارة عن كمية من القمح يبلغ مقدارها "2 من الدوبلات" عن كل دوار ومقابل هذه الجزية ينال الدوار الأمان لمدة سنة، ويختلف حجم هذه "الدوبلة" حسب أهمية الدواوير فعدد الأمداد (جمع مد) التي تمثلها كل دويلة يحدد بواسطة اتفاق خاصة بين رجال السلطة

[1] - عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ص 272-273.
[2] - عبد القادر فكاير: الغزو الإسباني...، المرجع السابق، ص 282-283.

ورجال الدوار، فالدولة في سنة (1708م/1119هـ) وهي السنة التي استرجعت الجزائر فيها مدينة وهران كانت تتمثل 112 مدًا عربيا، أي 28 برشالاً إسبانيا، أو43 فينقا قشتاليا أو ما يعادل ألفين من الكيلوات[1].

كانت أعمال الغزو مدرة للثروة والمال وكانت وهران منطلقا لغزوات مشهورة وقعت في بداية القرن 17م أتت بمئات الأسرى، أو التي حققت مداخيل معتبرة وكانت حمى الحصول على الغنائم قد طغت على روح كل وهران فهذا الدون "نوزي باليخو" Vallejo قد بين أن الطمع في بعض الأحيان كان يدفع الإسبان إلى تنظيم غارات دون مبرر معقول على القبائل التي طلبت منهم العون والحماية وشنه غاراتهم في يومياته على الأخرى الآمنة بغارات الثأر على المجر وبولندا، وأهم ما كانوا يقومون به في هذه الغارات هو اختطاف السكان من الرجال والنساء والأطفال إلى جانب الحبوب والأنغام وكانوا يسبون الصبيان من أل تدميرهم وأما الرجال والنساء فكان لقائد الجيش الأعلى بوهران الحق في اختيار بعضهم أما الباقي فكان يقسم بين الضباط والجنود والموظفين، أو يباعون في أسواق، إسبانيا بأثمان مرتفعة[2].

وكخلاصة فإن بايلك الغرب الجزائري كان جزءا مهما من الجزائر العثمانية من خلال المساحة الكبيرة التي كان يشغلها، وأيضا لوقوعه في منطقة ذات بعد استراتيجي وسياسي، فالعديد من مدنها تعرضت للاحتلال الإسباني خصوصا مدينة وهران التي بقيت تحت هذا الاحتلال لأزيد من ثلاثة قرون، وأيضا لقربه من المغرب الأقصى والتربصات المغربية به، وأيضا تمرد العديد من القبائل في الغرب الجزائري على السلطة المركزية وعلى باي الغرب الجزائري، ولجوء بعد القبائل إلى التحالف مع الإسبان مقابل توفير الأمان لها وتزويدها بالحبوب والماشية، وهدا ما سبب انقسام في مجتمع بايلك الغرب بين مؤيد للإسبان وآخر مؤيد للعثمانيين، وهذا ما ساهم في إطالة عمر وجود الإسبان والسلطة العثمانية في الغرب الجزائري.

---

[1] - توفيق المدني : المرجع السابق، ص 417-418.

[2] - عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص 283.

ولهذا واجه العثمانيون صعوبات في بداية عهدهم ولم يتمكنوا من تثبيت حكمهم في بايلك الغرب لشدة معارضة الزيانيين والإسبان والعديد من القبائل الغربية، ولكنهم توصلوا لتثبيت بعض الحاميات العسكرية في بعض المدن مثل: مستغانم وتنس ومازونة.

أما التحالف الذي تم بين الإسبان وبعض القبائل كبنو عامر وغيزة وكريشتل وأولاد علي فمثل قاعدة خلفية لتزويد الحاميات الإسبانية بما تحتاج إليه من مؤونة وغذاء لأكثر من قرنين ونصف، لهذا لم يذخر الباي أي جهد في قمعها ومحاربتها، ولم يتأخر العلماء في فضح أفعالها والتشنيع بها، وموقف الشرع منها.

وقد عرف بايلك الغرب الجزائري نظام داخلي خاص وترتيبات إدارية تمثلت في العديد من الوظائف، كما كان البايلك يتشكل من عدد من القوى والفعاليات الاجتماعية والزعامات المحلية التي تمثلت أساسا في القيادات الدينية.

ومن أهم الفترات التاريخية التي عرفها بايلك الغرب فترة تولي الباي بوشلاغم ما بين 1700-1732م الذي كان يتحين الفرصة لتحرير مدينة وهران، وحررها لأول مرة سنة 1708م، أما الفترة الأكثر أهمية فهي فترة الباي محمد الكبير 1784-1799م والتي تميزت بالاستقرار السياسي ووحدة بايلك الغرب وتحرير وهران من يد الإسبان بصفة نهائية سنة 1792م.

أما من الناحية الاجتماعية فقد تميزت تشكيلة المجتمع في بايلك الغرب الجزائري بتنوعها وثرائها من حيث العناصر المكونة لها، فكانت طبقة التجار والحرفيين الأكثر تمثيلا في مدن البايلك، بينما ظل سكان الأرياف يعيشون حياتهم بشكل طبيعي من خلال ممارستهم للزراعة والرعي حسب مقتضيات الظروف، ويعيشون وفق عاداتهم وتقاليدهم، ولهم علاقات اجتماعية متعددة.

امتاز بايلك الغرب الجزائري بحياة ثقافية متنوعة ورخاء اقتصادي خصوصا في عهد الباي محمد الكبير، وتمثل هذا التنوع الثقافي في وجود مؤسسات عملت على تنمية الحياة الثقافية مثل مدارس تلمسان ومعسكر ومازونة ومستغانم وندرومة، لهذا كانت هذه المنطقة مركز إشعاع علمي وثقافي.

الفصل الأول: الأوبئة والأمراض في الجزائر العثمانية

أولا: الأمراض والأوبئة الدلالة والمفاهيم

ثانيا: الأوبئة والأمراض في المدونات المحلية والأجنبية

ثالثا: تاريخ الأوبئة في الجزائر العثمانية

أولا: الأمراض والأوبئة الدلالة والمفاهيم

إن المطلع على التاريخ يجد عددا كبيرا من الأوبئة التي فتكت بالبشرية ابتداء من الطاعون إلى الكوليرا والملاريا والجدري والتيفوس، إضافة إلى الأمراض المستوطنة التي كانت تصيب لأكثر من 90 بالمئة من السكان مثل البلهارسيا وأمراض العيون والتدرن الرئوي، وهناك أسباب عديدة تضافرت لانتشار هذه الأوبئة والأمراض بداية من دور المناخ في نمو البكتيريا والجراثيم، والموقع الجغرافي الذي لعب دورا مهما في سهولة انتقال الأوبئة من منطقة إلى أخرى، وكذلك العنصر البشري الذي اسهم بسبب إهماله أحيانا والجهل في أحيان أخرى في مواجهة الأوبئة والأمراض منذ بدايتها، وهذا ما أدى إلى خسائر في الأرواح تفوق أضعاف خسائر والحروب، وقبل البدء في الموضع محل الدراسة سوف نتطرق لمفهوم الأوبئة والأمراض لغة واصطلاحا، وأيضا من حيث الدلالة والمفاهيم العلمية والدينية والمجتمعية، ومفهوم العدوى وطرق انتشار الأوبئة واستيطانها في مناطق دون أخرى.

1- تعريف المرض:

قبل الشروع في دراستنا كان لا بد من التوقف عند مفهوم الأمراض والأوبئة، ففي الصّحاح نجد المرض هو السّقم[1]،وفي لسان العرب المرض هو السّقم وهو ضدّ الصّحة[2]، وفي "محيط المحيط" مرض الحيوان بمرض ماء ومنها أظلمت طبيعته واضطربت بعد صفائها واعتدالها، والمرض فساد المزاج وإظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفاتها واعتدالها، وقيل هو في حالة خارجة من الطبع ضارة بالفعل ويقابله الصحة، ويضيف المرض يختص بالنفس[3].

---

[1] - إسماعيل بن حماد الجوهري: (ت393هـ/1002م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفار،ط4، دار العلم للملايين، بيروت،1990م، ج4، ص 243،ج2، ص404.

[2] - جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري: (ت711هـ/1311م)، لسان العرب، ط1،دار صادر، بيروت، ج7، ص 231.

[3] - بطرس بن بولس بن عبد الله بن كرم ابن شديد البستاني:(1300هـ/1883م)، محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، 1987م، ص 846.

وعند الأطباء فقد عرفه ابن سينا بقوله "هيئة غير طبيعية في بدن الإنسان يجب عنها بالذات آفة في الفعل وجوبًا أوليًّا، وذلك إمّا مزاج طبيعي وإمّا تركيب غير طبيعي[1]"، أما الرازي فقد قال فيه: "ما إعتاق الأفعال عن أن يجري مجاريها الطبيعية في الحسن من غير واسطة، وأن الصّحة ما خالف ذلك"[2].

2- مفهوم الوباء:

أ- لغة:

يعرف الوباء في اللغة بأنه كل مرض عام، (يمد ويقصر)، وجمع المقصور أَوْبَاء، وجمع الممدود أَوْبِئَةُ، وقد وبِئَت الأرضُ توْبَأُ فهي مَوْبُوءَةٌ إذا كثر مرضها، وكذلك وُبِئَت تَوْبَأُ وبَاءَةً فهي وبِئَةٌ على فَعِلَةٍ وفَعِيلَةٍ، وأَوْبَأَت أيضا فهي موبِئَةٌ، واسْتَوْبَأَتُ الأرضَ، وجدتُها وَبِيئَةٌ[3].

ويطلق على الوباء مرادفات أخرى كالقرف، فيقال: احذر القرف في غنمك، وقيل القَرَفُ هو العدوى، فأقرف الجرب الصحاح: أعداها[4].

ويطلق على الوباء أيضا لفظ الموتان "وذلك على المجاز إذ أصله في اللغة الموت يقع في الماشية (وتقييده بضم الميم)[5].

ب- اصطلاحا: أما مفهوم الوباء في الاصطلاح الطبي فإن كل المصنفات الطبية الإسلامية في العصور الوسطى لا تكاد تخلوا من التفاتة علمية إلى مثل هذه الأمراض، فيذكر ابن زهر أن الناس قد اعتادوا على إطلاق اسم الوباء" على الأمراض التي تصيب أهل بلد من

---

[1] - أبي علي الحسين بن علي بن سينا: (ت428هـ/ 1036م)، القانون في الطب، وضع حواشيه محمّد أمين الضناوي، ط1، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1999م، ج1، ص 103.

[2] - أبو بكر محمد بن يحيى بن زكريا الرازي: (ت 311هـ/ 923م)، المدخل إلى صناعة الطب، المعهد العربي-الإسباني، سلمنقة، 1979، ص116.

[3] - ابن منظور: لسان العرب، 1/ 189 -190، الجوهري: 79/1.

[4] - المصدر نفسه: ج9، ص 280.

[5] - ابن خاتمة: تحصيل غرض القاصد في تفصيل مرض الوافد، نشر ضمن كتاب عبد الكريم الخطابي، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي 1988، ج1، ص162.

البلدان وتشمل أكثرهم " خاصة وأن الناس جميعهم يشتركون في استعمال الهواء الذي يستنشقونه، ولهذا إذا كان الهواء فاسدا عمّ المرض أهل ذلك الموضع أو عمّ أكثرهم[1]".

وعرفه ابن الخطيب مع ذكر أعراضه بقوله: "هو مرض حاد حار السبب سمّي المادة يتصل بالروح بدءا بواسطة الهواء، ويسري في العروق، فيفسد الدم ويحيل، رطوبات إلى اللسمية وتتبعه الحمى ونفث الدم، أو يظهر عنه خراج من جنس الطواعين"[2]، ويعرفه ابن خاتمة: "بأنه مرض علم للناس قتّال غالبا عن سبب مشترك"[3]

ويضيف داوود الأنطاكي (ت1008هـ/1605م) قائلا: بأنه تغير الهواء إلى الفساد[4]، أما لفظ الموتان مثلما نجده عند ابن خلدون، والذي يعني الوباء أيضا فإن معناه الاصطلاحي شمولية الموت من هذا المرض المفاجئ في الإنسان والماشية، وباقي الحيوانات الأخرى على حد سواء، وقد اصطلح على الأوبئة أيضا بالأمراض الوافدة " لأنها قادمة على الناس من بُعد مع الهواء ليست من جهة مطعوم ولا عرض نفساني وشبه ذلك" أو لكونها أيضا أمراض عامة تشمل وفدا كبيرا من الناس[5]

ومن ثم فإن أغلب المفاهيم العلمية لمصطلح الوباء لم تتعارض فيما بينها، وتتفق على أنه مرض عام ناتج عن سبب رئيسي مشترك هو "فساد الهواء"، ولا يختلف مفهوم الوباء كثيرا عما كام معروفا عليه عند الأطباء المسلمين في العصور الوسطى وما هو معروف عليه الآن، سوى بعض الاكتشافات العلمية الجديدة التي خطا بها الطب الحديث في ميدان علم الأوبئة، فهو أيضا مرض عام مشترك بين الإنسان والحيوان تسببه بكتيريا، أو فيروسات تختلف حسب نوع المرض الوبائي، وتكون سريعة الإنتشار من الشخص

---

[1] - كتاب الأغذية: تحقيق أكيير اتيون غارسيا، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية- معهد التعاون مع العالم العربي، 1992، ص 143.

[2] - ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الخضرمي الإشبيلي(ت 808هـ/1406م): مقنعة السائل عن المرض الهائل ، ألمانيا: منشورات معهد العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، 1417هـ، 1997م، مجلد 93، ص38.

[3] - ابن خاتمة: المصدر السابق، ص 162، وأيضا محمد الرصاع: الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية، تحقيق ودراسة محمد حسن، ط1، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2007، ص 106.

[4] - ابن خلدون أبو زكريا يحي بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت 780هـ / 1378م): المقدمة، تحقيق محمد الإسكندراني، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1427هـ/ 2006م، ص 282.

[5] - الباجي أبو الوليد خلف بن سليمان (ت474 هـ/1081م): بغية المحتاج في المجرب من العلاج، ط1، دار الفكر، بيروت، 1421هـ / 2001م، ص 333.

المصاب إلى الشخص السليم، عن طريق عدة وسائط أهمها: الماء والهواء، وبعض الحيوانات القارضة كالجرذان، والكلاب البرية، والسناجب والأرانب[1].

3- المفهوم الديني للوباء:

وقد ترسخ عبر الأزمنة التاريخية وفي مختلف الحضارات الإنسانية القديمة، الإعتقاد بمفهوم العقاب السماوي بواسطة الوباء، إذ كان الوباء يعتبر عقابا للمجتمعات والأفراد على خطاياهم وذنوبهم، وهناك أمثلة عديدة من العالم القديم، اليوناني والبابلي، ثم المسيحي مثال ذلك من الفترة الوسيطة مع طبيب فرنسي فسّر ظهور الطاعون الأسود لسنة 749هـ/1348م بأنه عقاب إلهي ضرب أهل جنوة بسبب معاملتهم السيئة للعرب[2]

أما في الموروث العربي الإسلامي فإن مفهوم الوباء عند الإخباريين ارتبط أساسا بما ترسخ في الذهنية الجماعية من الأحاديث النبوية التي تفيد بأن الطاعون عقاب سلطه الله على بني إسرائيل بسبب عصيانهم: " إنه وخزٌ وبقيةُ عذاب عُذِّبَ به قومٌ قبلكم[3]"، كما أنه رحمة على المسلمين وعذاب على الكفار يعجّل لهم قبل الآخرة[4]

وهو التأويل الذي اتفق عليه لحديث:" أتاني جبريل عليه السلام بالحمّى والطاعون فأمسكتُ الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام، فالطاعون شهادة لأمّتي ورحمةٌ لهم، ورجسٌ على الكافرين[5]"، فالمسلم الذي يموت في الطاعون شهيد،"الطاعون شهادة لكل مسلم[6]"، ويوضع في الدرجة نفسها من مات مجاهدا في سبيل الله، وهذا التصور يفسر

---

[1]- الموسوعة العربية العالمية: ط1، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة، 1419هـ-1999م،"مادة وباء"، ص ص27، 48.

[2] – J-N BIRABEN: «les hommes et la peste en France et dans les pays méditerranéens», Mouton, Paris, Volume1,p8.

[3] - مسند أحمد بن حنبل: ج1، القاهرة، مصر: مؤسسة قرطبة، د.ت ص 362.

[4] - أحمد ابن حجر العسقلاني: بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، الرياض، 1411هـ/ 1991م، ص 181-182.

[5] - مسند أحمد بن حنبل، ج5، المصدر السابق، ص 81.

[6] - أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، *صحيح البخاري* ج4، دار الإمام مالك، الجزائر، 2010، ص 435.

حسب المؤرخ "رينو" عدم إغفال الإخباريين المغاربة في الغالب عن ذكر الطاعون في حالة وفاة شخصية بارزة به لأن الوفاة بالطاعون ترفع هذه الشخصية إلى مرتبة الشهداء[1].

ومن جهة أخرى تبرز حادثة تراجع عمر بن الخطاب عن دخول بلد الشام سنة 18هـ/638م في مقدمة الروايات المرتبطة بالطاعون، فقد كان بالشام آنذاك الطاعون المسمى من قبل الإخباريين العرب بطاعون **عمواس**[2]، الذي أودى بحياة حوالي 25000 من المسلمين ممّا أخر حملة الجيش الإسلامي على البيزنطيين[3].

4- الفرق بين الوباء والطاعون والمرض:

إن الغموض المرتبط بتعريف الطاعون وعمومية المعلومات التي نصادفها في المصادر العربية يتحدد على مستوى المصطلح، فنجذ لفظ الوباء يرد باستمرار عند ذكر أي مرض فتاك سواء أكان طاعونا أم حمى وبائية أو أي مرض وبائي يتميز بالانتشار الواسع وحصد أعداد كبيرة من الضحايا، هذا الغموض كان له ما يطابقه في المصادر الأوروبية سواءًا منها الإغريقية التي استعملت مصطلح لويموس «Loimos»، أو لويميا(Loimia)[4]، أو اللّاتينية التي استعملت مصطلح pestis للدلالة على كل الأمراض البشرية الكبرى خاصة منها الأوبئة الخطيرة، وأصبح هذا اللّفظ انطلاقا من الطاعون الأسود لمنتصف القرن 14م دالا فقط على الطاعون الدي يحصد أعدادا كبيرة من الضحايا، كما سمي أيضا بالعدوى والوفاة، ولكن بعض المؤلفين استمروا في استعمال المعنى القديم للمصطلح لفترة ما بعد الطاعون الأسود[5].

كما أن أول ما تناولته التعريفات الفقهية هو مسألة التمييز بين الوباء والطاعون سواءً على المستوى اللغوي أو الاصطلاحي، انطلاقا من كون الطاعون في التصور الديني

---

[1] - Dr H. P.J. «Renaud, la peste de 1818 au Maroc», in Hespéris, Volume 3, 1trimestre, 1923, p 15.

[2] - عمواس: هي قرية بفلسطين بين بيت المقدس والرّملة كانت بداية ظهور هذا الطاعون بها.

[3] - J-N Biraben:« La Peste noire en terre de l'islam», in l'Histoire, n°11, avril, 1979, p30.

[4] - H.P.J. Renaud, les maladies pestilentielles dans l'orthodoxie islamiques, Bulletin de l'institut d'Hygiéne du maroc, n° III, juillet – sept, 1934, p 5.

[5] - Dictionnqire des sciences historiaues m p 505-509.

الجماعي هو شهادة ورحمة للمسلمين وعقاب إلهي سلطه الله على الكفار، فعندما يتحدث العربي المشرفي مثلا عن المعنى اللغوي للوباء ينطلق من الحديث النبوي: « الطاعون وخز أعدائكم من الجن »، ثم يسرد عددا من الأحاديث النبوية والأحكام الفقهية ليخلص إلى أن الطاعون أخصّ من الوباء، ثم يتبنى حكم ابن حجر العسقلاني بعد ذلك:« الوباء ينشأ عنه كثرة الموت ولما كان الطاعون كذلك أطلق عليه اسمه، فالوباء هو المرض العام»، ويُعضده برأي القاضي عياض: «...والوباء هو عموم الأمراض فسميت طاعونا لشبهها بالهلاك، وإلاّ فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعون»، والقاسم المشترك بين الوباء والطاعون يتجلى في العدد الكبير من الضحايا كما يتضح من كلام المشرفي: «...على أن الوباء أعم من الطاعون وأن كلا منهما يطلق على الآخر بجامع كثرة الموت فيهما»[1].

وقد أخذ مؤلفو القرن التاسع عشر في محاولتهم إعطاء تعريفات طبية للوباء والطاعون من الموروث الطبي الإسلامي الذي خلفه أمثال ابن سينا والأنطاكي والرازي وابن رشد، فإن هذه التعريفات قد اكتست دورا فعالا بالنسبة للدارسين والباحثين في هذا الميدان، فبناء على هذه التعريفات وعلى الأعراض التي وردت سواء في الكتابات الإخبارية أو التقاييد الفقهية أمكن رفع نسب هامة من اللّبس وتحديد طبيعة عدد من الأمراض والأوبئة، فالمشرفي يقدم تعريفا دقيقا عندما يصف طاعون 1798م/1212هـ كالتالي: «....وهو (الطاعون) خروج شيء في مغابن الإنسان كإبطيه يشبه الجوزة، يسوَدُّ ما حولها أو يحمَرُّ مثلا... يقال له مرض الحبة يمرض الإنسان به ايام عديدة وربما يعيش»[2]، وتتجلى قيمة ودقة هذا الوصف في كونه ساعد على تحديد نوع الطاعون، هل هو دملي أو رئوي.

ولا تختلف الروايات الأجنبية التي عاصرت الطاعون في بداية القرن 19م في مجملها عن هذه التعريفات والأوصاف، يتضح ذلك من خلال نموذج جاكسون Jackson James Grey في وصفه لهذا الطاعون الذي ضرب المغرب بقوله: «تبدأ أعرض الطاعون أحيانا

---

[1] - العربي المشرفي: أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، تحقيق ودراسة حسن الفرقان، الطبعة الأولى، منشورات التوحيدي، الرباط 2014، ص 80-84.

[2] - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956، ج9، ص 45.

برعشة مفاجئة قوية وأحيانا بهذيان مفاجئ يليه عطش قوي لا يرتوي ويتحول الماء البارد إلى ملاذ ويتلهف إليه المصابون بقوة وتهور، وقد أظهرت التجربة هلاك من استباح هذا الإسعاف اللحظي، كما تظهر دملة أو اثنان أو ثلاثة وهي الدمل التي تتشكل وتكبر خلال يوم لتصير في حجم الجوزة أو عين الجمل وآخرون تظهر بهم نفس العدد من الجمرات أو الفحمات والتي تتكون غالبا في المغبن والإبط أو قرب الصدر، أما المصابون بالرعشة المفاجئة القوية فلا تظهر عليهم دمل أو فحمات أو بقع ولا أي تشوهات خارجية إلا أنهم يهلكون حتما في أقل من أربع وعشرين ساعة»[1].

وورد وصف آخر دقيق عند الناصري في مناسبتين الأولى عند ذكر وباء الكوليرا 1251هـ/1834م جاء فيه: « وفي هذه السنة أي 1251هـ كان الوباء بالمغرب بالإسهال والقيئ وغور العينين وبرودة الأطراف، أما الثانية فتخص وباء الكوليرا 1271هـ/1854م: « وفي هذه السنة أعني سنة إحدى وسبعين ومائتين وألف، كان الوباء بالمغرب وهو إسهال مفرط يعتري الشخص ويصحبه وجع حاد في البطن والساقين ويعقبه تشنج وبرودة واسوداد لون، فإذا تمادى الشخص حتى جاوز أربع وعشرين ساعة فالغالب السلامة وإلا فهو الحتف»[2].

ويرى شلدون واتس «Sheldon Watts» أن الأمراض الوبائية هي في الأصل أمراض معدية تصيب الأعداد الكبيرة من البشر، وبذلك فليست كل الأمراض المعدية وبائية، وأن علم الأوبئة يهتم بالأساس بدراسة الحالات الجماعية للعدوى أي بالعدوى الجماعية وليس بالحالات الفردية للمرض، ولهذا فهو يهتم بمسألتين على وجه الخصوص وهم:

أولا: انتشار الأمراض في المكان وبين الجموع مثل الجموع العمرية والعرقية أو الإثنية وكذلك الجموع التي تعتمد على الجنس (الذكور والإناث).

[1] – James Grey Jackson: An account of the Empire of The Empire of Morocco and the district of Suse, London, 1909, p. 273-274.

[2] - الناصري: المصدر السابق، ج9، ص 69.

ثانيا: العوامل التي تؤدي على انتشار هذه الامراض مثل: العوائل الناقلة كالحشرات والفئران، وبذلك فعلم الأوبئة يهتم بكل الاسئلة حول المرض ما عدا تلك التي تتعلق مباشرة بأعراض هذه الأمراض وطرق الشفاء منها[1].

أما "Biraben" (بيرابن) فيرى أن ما اصطلح عليه ب "Pestis" خلال التاريخ العتيق لا يعني دائما مرض الطاعون "peste" حيث أن أغلبية الأمراض التي اجتاحت منطقة شمال إفريقيا آنذاك كان يطلق عليها هذا المصطلح إذ أن أغلبية الآفات المتسببة في ارتفاع عدد الوفيات كانت تسمى "Pestis" دون التمكن من إثبات صحة ذلك[2]

إنَ تحديد الأطر الكبرى لعلم الأوبئة يعود الفضل فيه لتلك النظريات التي أوجدها العالم اليوناني هيبوقراط (Hippocrate) الذي عاش في الفترة ما بين 460-377 ق.م، والذي انطلق في بادئ الأمر ضمنها في الحديث عن تأثير: الهواء، والماء، والأتربة في إيجاد الأمراض وتطويرها ونقلها من شخص لآخر، وهو أول من استعمل مصطلحي Endemic و Epidemice للدلالة على الأمراض الناجمة عن انتقال العدوى من فئة بشرية إلى فئة بشرية أخرى خلال فترة زمنية محددة، ويكون تأثيرها على عدد كبير من الضحايا[3].

ولعل أهم التعريفات الاصطلاحية للوباء ما ذكره صاحب كتاب "غريب الحديث" بقوله: «...المرض العام والوباء الذي يَفسُدُ له الهواء فتفسد به الأمزجة والأبدان......»[4]، وأيضا كما ذكرنا سابقا أن العربي المشرفي أعطى تعريفا فقهيا للوباء وسماه طاعونا بقوله:«...الوباء: هو الطاعون وهو مرضٌ يعمُّ الكثير من الناس في جهة من الجهات، بخلاف المعتاد من أمراض الناس»[5].

---

[1] - شلدون واتس: الأوبئة والتاريخ، المرض والقوة والإمبريالية، ترجمة وتقديم: أحمد محمود عبد الجواد، مراجعة: عماد صبحي، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2010، ص 8.

[2] - J.N. Biraben: Les hommes et la peste en France et dans Les pays Européens et Méditerranéens,T1, Paris La Haye, 1975, p8.

[3] - Kenrad E. Nelson & Carolyn F. Williams: Early history of infectionus discas, Jones and Bartieti, England, 1976, p3.

[4] - مجد الدين أبي السعادات: النهاية في غريب الحدث والأثر، تحقيق علي الحلبي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، 1421هـ، 2000م، ص 564.

[5] - العربي المشرفي: المصدر السابق، ص 244.

وقد عرف العسقلاني الوباء والطاعون في "فتح الباري" في قوله:«...والحاصل انّ حقيقته ورم ينشأ عن هيجان الدم أو انصباب الدم إلى عضو فيفسده، وأنّ غير ذلك من الأمراض العامة الناشئة عن فساد الهواء يسمى طاعونا بطريق المجاز، لاشتراكهما في عموم المرض وكثرة الموت،.. ومن أطلق على كل وباء طاعون فبطريق الإيجاز...»[1] .

ومن التعاريف الاصطلاحية للوباء والطاعون في الدراسات المعاصرة، فنجد معجم "أكسفورد الطبي " يضع تعريف عام لكل ما له علاقة بالأمراض المتنقلة والأوبئة بإشارته إلى أن ظاهرة تفشي وانتقال الأمراض بين الناس تدرس ضمن نطاق ما يعرف حديثا ب (علم الأوبئة) (epidemiology) وهو علم لم يعرف بشكله الحالي –المنفصل بذاته- وفق نظرياته ومناهجه المحددة إلاّ في الفترة المتأخرة[2].

إن الخلط بين الوباء والطاعون لم يكن عند بعض اللغويين فقط، وإنما كان عند بعض الإخباريين كما رأينا، فالمصادر التاريخية استعملت مصطلح الوباء والطاعون دون أن تفرق بينهما، مما يصعب علينا معرفة نوع المرض الوبائي لأي فترة زمنية يحدث فيها[3]، في حين كان مفهوم الوباء في الاصطلاح العلمي أشمل وأعم من مرض الطاعون، فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعونا، أي أن الوباء قد يشمل أمراضا عديدة من بينها الطاعون[4].

5- أصناف الطاعون: ويكون في ثلاثة أصناف حسبما أقرته التآليف الطبية الإسلامية وكذا الطب الحديث وهي كالآتي:

---

[1] - أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أبو قتيبة ناظر محمد الفيريابي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، 2005، ج13، كتاب الطب، الباب 30، ص 131.

[2] – Miquel Porta: A dictionary of epidemiology, Edited for the International Epidemiological Association, by Miquel porta Associate Editors Sander Greenland Miguel Hernan Isabel dos Santos Silva John M. Last,Oxford University Press is a department of the University of Oxford, Sixth Edition, Printed in the United states of America, 2001m p 94.

[3] - أحمد السعداوي: المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، النتائج الديمغرافية، ضمن: الديمغرافية التاريخية في تونس والعالم العربي، ص 37.

[4] - ابن قيم الجوزية: الطب النبوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، الطبعة 13، بيروت، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، 1406هـ-1986م، ص 38.

الصنف الأول: ويسمى بالطاعون العقدي أو الدملي أو الدُبلي، أي بمعنى الدماميل القاتلة، ويطلق عليه باللاتينية اسم "Bubonic"، وهو مشتق من "Bubon" أي بمعنى الدبل[1]، وهو عبارة عن خراجات ناتئة تظهر في المغابن[2]، واللحوم الرخوة من الجسم[3]، أي مكان الغدد اللمفاوية كما تعرف الآن في الطب الحديث، مما يؤدي إلى التهابها وهو أكثر أشكال الطواعين انتشارا، ينتقل للإنسان في حال تعرضه لعضة من أحد القوارض أو البراغيث المصابة، ومن أعراضه الحمى والقشعريرة، والاضطرابات الهضمية، إذا لم يتم علاج هذا الطاعون فإنه ينتقل إلى الدم ويسبب تسمم الدم أو الرئتين مما يؤدي إلى الطاعون الرئوي.

الصنف الثاني: ويسمى بالطاعون الرئوي، وهو الصنف الذي أشار إليه ابن خلدون قائلا: «فإذا كان الفساد قويا (فساد الهواء) وقع المرض في الرئة وهذه هي الطواعين وأمراضها مخصوصة بالرئة»[4]، فهو أشد أنواع الطواعين فتكا بالناس على الإطلاق، فلا يكاد يسلم منه أحد ولا علاج له في الغالب، لأنه يستهدف الرئة ويفرق عروقها ويهتكها **"**لحدة الدم المنبعث إليها وكثرة مقداره وعجزها عن حصره**"**[5]، وهو الذي ينجم أساسا عن استنشاق هواء ملوث ببكتيريا خبيثة تنقل غالبا عن طريق البلع أو عن طريق اللمس والاحتكاك بالحيوانات المصابة بالوباء، لتتطور البكتيريا داخل جسم الإنسان وتصبح قادرة على الانتقال من شخص إلى آخر، في حال سعال المريض عبر الرذاذ المصحوب بالبكتيريا[6].

---

[1] - عبد الكريم الخطابي: كتاب عبد الكريم الخطابي، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ج1، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي 1988، ص 157-182.

[2] - المغابن: جمع مغبن وهو الإبط وبواطن الأفخاذ، انظر ابن منظور: لسان العرب، ص309، أيضا ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، 1399هـ/1979م، ج3/ ص 636.

[3] - ابن سينا: القانون في الطب، ط1، نوبليس 1999، 2575/8، ابن قيم الجوزية: نفسه، ص 37-39.

[4] - ابن خلدون: المصدر السابق، ص 282.

[5] - ابن خاتمة: المصدر السابق، ص 181.

[6] - Violle Henri Jules: La Peste, Les rats, Les puces, Le bacille de la peste, Le diagnostic de la peste chez le rat, Melun, 1921,p 4.

وعرفت أعراض هذا المرض في بعض الأماكن بالطاعون الآسيوي-في آسيا- أو بالموت الأسود في أوروبا[1]، حيث تشير العديد من المصادر أنّ هذا الطاعون أو الوباء كان سببا في القضاء على ثلث سكان أوروبا في ثلاثينيات القرن الرابع عشر[2].

الصنف الثالث: ويعرف في الطب الحديث بالطاعون الإنتانمي، ويطلق عليه اسم "septicenic"، وتعني هذه العبارة "إنتان دموي"[3] ويطبق عليه أيضا اسم "الطاعون الدموي أو التسممي"، وعبر عنه ابن خاتمة بالقروح السود، وهي قروح تظهر لأول مرة في الجلد على شكل نفاخات سوداء، أو تميل إلى الحمرة كأنها احتراق نتيجة حدوث نزيف في الجلد، ويصاحب ذلك ارتفاع شديد في درجة الحرارة، وهذه النفاخات ما تلبث حتى تنفجر بالماء، فتخلف بذلك نكت سوداء تنبع ماء، أو يصاحب ذلك تورم في مواضعها، أو ما حولها، وهذه الحروق هي اشد احتراقا من العقد التي تظهر في المغابن، ويظهر في الجسم كمادات سوداء كأنه محترق[4]، وهو ينجم بشكل أساسي عن لدغة حشرة مصابة بجرثومة وهذا ما يأدي إلى إلى ظهور بثور على جسم الإنسان وهو الأكثر شيوعا في المناطق التي تكثر فيها البراغيث، خصوصا في حال دخولها مباشرة إلى مجرى الدم، وتظهر أعراضه على شكل نزيف وموت بعض الأنسجة واضطرابات في الجهاز الهضمي[5].

ويرى بعض العلماء أن الطاعون ينشأ أساسا عن جرثومة هوائية تحيا في حرارة قصوى تصل إلى(25°) ويكون الانتقال السريع من الجسم الحامل لها إلى الجسم المحمولة إليه من خلال الأرومات الأكثر نشاطا وذلك عن طريق اللّدغ، بحيث يمكن للعصية أن تخترق الغشاء المخاطي بسرعة وسهولة، إلاّ أنها لا تستطيع اختراق الجلد إلاّ إن لحقه خدش ما، ولو كان نتيجة بعوضة[6].

---

[1] - Laumonier Jean: La peste: histoire et traitment, éditeur H, Gautier, Paris, 1897, p 02.

[2] - Chabrand Jean-armand: Les grandes épidémies dans Le Briançonnais, Grenoble imp,France, 1886, p 02.

[3] - عبد الكريم الخطابي: المرجع السابق، ص 157.

[4] - ابن خاتمة: المصدر نفسه، ص 181.

[5] - Violle Henri Jules: op, cit, p4.

[6] - برنار روزنبرجي وحميد التريكي: المجاعات والأوبئة في مغرب القرنين 16 و17م، ترجمة عبد الرحيم حزل، الرباط، دار الأمان، ط2، ص 183-184.

6- أنواع الأوبئة الأخرى:

وإضافة إلى الطاعون تشمل الأوبئة كذلك على أمراض عديدة متشابهة من حيث الهلاك، وتكون في الغالب معدية، غير أنها تختلف من حيث أعراضها فمنها الجذام والجذري والحصبة وذات الرئة والذبحة.

فالجذام مرض لا يقل خطورة عن الطاعون بل يأتي بعده[1]، ولهذا كان الأطباء يسمونه بالعلة الكبرى[2]، أو بداء الأسد نظرا لأن وجه المريض بهذا المرض يصير كوجه الأسد، وهو مرض معدي وموروث، وسبب حدوثه حسبما يعتقد الأطباء هو الإدمان على ما غلظ من الأغذية كلحم البقر والتمر والباذنجان والثوم والخردل والعدس[3]، والدوام على أكل السمك والسمن والفول يورث الجذام أيضا[4]، وكذلك مداومة الشرب في آنية من نحاس يتسبب في هذا المرض في نظر بعض الأطباء[5]

وهناك من يعتبر أن سبب حدوث الجذام وغيره من البثور المتعفنة، راجع إلى أكل الإنسان شيئا من الحيوان الذي يفترس ذات السموم[6]، ويعتبر مرض الجذري أيضا من الأمراض الوبائية الخطيرة والذي يعدي برائحته أيضا[7]، في حين تقل الحصبة خطورة عنه، عنه، وهو مرض معد أيضا ينتقل عن طريق الهواء من شخص إلى آخر[8].

---

[1] - حسين بولقطيب: جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، منشورات الزمن، 2002م، ص 56.

[2] - ابن زهر: التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق ميشال الخوري، دمشق، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الفكر، 1403هـ/1983م، ص 378.

[3] - الأنطاكي: المصدر السابق، ص 344.

[4] - ابن باديس الصنهاجي: المنافع البينة وما ينفع في الأزمنة الأربعة، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ضمن مجموع مجموع رقم: 1777، ورقة 28 ب.

[5] - ابن زهر: كتاب الأغذية، المصدر السابق، ص 106.

[6] - أبو القاسم البرزلي: جامع مسائل الأحكام لما نزل بالأقضية بالمفتين والأحكام، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2002م، ج6، ص 481.

[7] - ابن زهر: المصدر نفسه، ص 462.

[8] - عبد المجيد مازن: الحصبة (المرض، التشخيص المخبري، اللقاحات)، مجلة الدواء العربي، السنة 17، العدد الأول، صفر 1419هـ-1998، ص 32.

وأجمعت أغلب التآليف الطبية على أن سبب ظهور الجذري والحصبة هو غذاء الجنين في بطن أمه من دم الحيض[1]، لذلك كان الأطباء يفضلون الفصد لاستفراغ الدم الفاسد من جسم المريض، أما مرض الجرب فهو يعتبر أيضا من أصعب الأمراض الوبائية والذي يكون سببه في نظر البعض الإكثار من أكل الزيتون والجوز وغيرها من الأطعمة الخشنة[2].

الخشنة[2].

بالرغم من المجهودات التي خطتها أوروبا في مجال علم الأوبئة وتمكن العلم الحديث من اكتشاف عدة لقاحات لأمراض وبائية عديدة كاللقاح ضد الجذري والحصبة واللقاح ضد جميع أنواع الطواعين[3]، وإن لم تكن ناجعة على المدى الطويل، إلا أن الأمراض الوبائية ظلت خطرا يهدد حياة الإنسان حتى الوقت الحالي، خاصة وقد ظهرت أمراض معدية أشد خطورة من سابقتها، وقد صنفها الأطباء المعاصرين كلها كما يلي:

-الأمراض البكتيرية: مثل الدفتيريا والتيتانوس والدرن والحمى المالطية.

-الأمراض الفيروسية: كالإيدز والتهاب الكبد الفيروسي والحصبة وشلل الأطفال وحمى الوادي المتصدع.

-الأمراض المعدية التناسلية: الإيدز والسيلان والزهري.

-الأمراض المعدية المحجرية: والتي تؤدي إلى حدوث أوبئة في حالي عدم الحد من انتشارها في أماكن ظهورها وهي: الحمى الصفراء، والجمرة الخبيثة، والحمى الراجعة

---

[1] - ابن أبي الأزرق: تسهيل المنافع في الطب والحكمة، دار الكتب العربية، (د.ت)، ص 152.

[2] - حسن الوزان الفاسي المعروف بليون إفريقيا: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، بيروت، دار دار الغرب الإسلامي، 1983، ج1، ص83.

[3] - عبد الكريم الخطابي: المرجع السابق، ص 149، انظر أيضا: محمد الحداد: تمجيد الموت، صورة الوباء في القرن التاسع عشر، ضمن: حفريات تأويلية في الخطاب الإصلاحي العربي، ط1، بيروت، دار الطليعة، 2002، ص 116.

والطاعون والكوليرا، إضافة إلى أمراض معدية أخرى مثل: السعال الديكي ومرض الجدري المائي (العنقز) والتهاب الحمى الشوكية[1].

وكما ذكرنا سابقا فإن أغلب المصادر التاريخية تخلط أو لنقل أنها تجمع بين مصطلحي الوباء والطاعون، واللذان قد أشرنا إلى مفهومهما العلميين، ، فالوباء كظاهرة تاريخية اختلفت من مصدر إلى آخر، فالمصادر الدينية أو المنقبية لا تذكر الوباء إلا إذا كان سببا في وفاة أحد الصلحاء بصيغة توحي بتمجيدها لهذا الموت، لأن صاحبه نال الشهادة حسب ما ذكرنا سابقا من أحاديث دينية في هذا الباب، وأقوال علماء، في حين كانت المصادر الفقهية أكثر واقعية من كتب المناقب، لأنها لا تذكر الوباء إلا مقرونا بأحد المشاكل التي تعترض الناس من ورائه، كمشاكل الإرث والديون، ونظرا لأن الوباء اتخذ أبعادا دينية بسبب اختلاف الفقهاء في قضية العدوى والفرار من الطاعون، فإن المصادر الفقهية تناولت هذا الجدل والاختلاف بناء على مرجعية دينية تستمد أحكامها من الكتاب والسنة واجتهاد الفقهاء.

في حين تناولت المصادر التاريخية الحديث عن الوباء كونه من جملة العوارض التي تحدث للدولة في أزمنة مختلفة غالبا ما يأتي حدوثها بعد المجاعات، والأهم من ذلك أن هذه المصادر تضبط لنا زمن الوباء على خلاف المصادر المنقبية والفقهية، ومثلها في ذلك كتب التراجم إذا ما كان الوباء سببا في وفاة عالم أو فقيه اهتمت بالترجمة لحياته.

كما أن ابن خلدون في مقدمته يذكر الوباء ملازما للمجاعة، وأنه مثلها يمثل عارضا يصيب الدولة في آخر عمرها ويعجل بزوالها، وإن كان يشير إلى بعض أسبابه، والتي من ضمنها كثرة العمران وما يصاحبه من فساد هواء[2]، غير أن ابن خلدون في سيرته الذاتية لا ينظر للوباء على أنه حدث يعجل بزوال الدولة ونهاية أطوارها الحضارية فقط، وإنما ينظر إليه على أنه حادث مسّه شخصيا، فيتناول الحديث عن وباء 749هـ/1348م باستياء كبير،

---

[1] - رياض بواعنة: الأمراض الوبائية...فيروسات لا تفرق بين الصالح والطالح، مقال مأخوذ من الموقع الإلكتروني: WWW.BAB.COM، وعبد الله المنيف: الأمراض الوبائية والوقاية منها، مقال مأخوذ من نفس الموقع. اطلع عليه يوم الثلاثاء 26 جانفي 2021م على الساعة 12:10

[2] - ابن خلدون: المصدر السابق، ص 282.

لأنه قضى على والديه وأغلب شيوخه، وهم معلميه الثلاثة: القاضي الهواري، المفتي الكيناني والإمام التميمي وعطل مسيرته العلمية، فالوباء في فكر ابن خلدون كان مأساة حقيقية جسدها لنا في سيرته الذاتية[1]، وقد وصف ابن خلدون الطواعين والأوبئة التي زامنها بالعبارات التالية:« انقلبت أحوال المغرب أثناء الطاعون الجارف الذي طوى محاسن العمران ومحاها، فخلت الديار والمنازل........»[2].

7- طرق انتشار الأوبئة ومسألة العدوى:

وكما أشرنا سابقا فإن علم الأوبئة يركز في دراسته على شقين مهمين وهما انتشار الأوبئة والأمراض والعوامل التي ساعدت في ذلك، وهذا ما خلق نوعا من التباين والاختلاف حول طرق انتشار الوباء في مناطق معينة وانعدامه في مناطق أخرى، وأيضا مسألة العدوى التي خلقت جدلا واسعا بين الأطباء والمؤرخين ورجال الدين حتى أننا نجدها أصبحت مسألة فقهية جدلية بين العلماء المسلمين وسنفصل في ذلك.

أما العدوى بالأمراض المعدية فتنتقل بعدة طرق نذكر منها:

1- الاتصال المباشر كما في حالة الأمراض الجلدية كالجرب أو في حالة الجماع كالزهري.
2- عن طريق الهواء كما في حالة إصابات الجهاز التنفسي، حيث تتم العدوى عن طريق الرذاذ المتطاير كالسل والإنفلونزا.
3- عن طريق الجهاز الهضمي بتناول الطعام والشراب الملوث كما في حالة الكوليرا والدوسنتاريا الأميبية.
4- عن طريق العوائل الناقلة مثل الطاعون الذي ينتقل عن طريق البراغيث، والحمى الصفراء والملاريا ومرض الفيل التي تنتقل عن طريق البعوض.

---

[1] - التعريف بابن خلدون، ورحلته غربا وشرقا (طبع باسم رحلة ابن خلدون)، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1425هـ/2004م، ص64-65.

[2] - أ. السعداوي: المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، النتائج الديمغرافية، قسم التاريخ، كلية الآداب بمنوبة، ص 40.

5- عن طريق اختراق الجلد، كما في حالة اختراق يرقات الدودة الخطافية للجلد، واحتراق الطور المعدي للبلهارسيا للجلد.

6- عن طريق المشيمة أثناء الحمل، كما في حالة الإيدز[1].

ونجد جدلية أخرى وعدّة فرضيات حول طُرق انتقال الوباء خلال تلك المدّة الزمنية، فمنهم من يرجّح فرضية الاحتكاك المباشر، ومن يرى أن الأصل الغالب على الأوبئة يرجع إلى الانتقال الغير المباشر والذي يمثله "الهواء" بشكل دقيق أو إلى فرضية عدم انتقال العدوى تماما[2]، وهو ما يتنافى والدلائل التاريخية وحتى العلمية التي سنوردها لاحقا.

فالكثير من العلماء يذهب إلى أن الهواء لا يؤثر بشكل مباشر[3]، وقدرته على نقل الأرومة المصابة بالبكتيريا محدودة جدا، ولا يمكن أن تكون السبب الرئيسي في تفشي الأوبئة، لأن الملاحظة تُؤَكّد أن الاتصال الفوري لآلاف الضحايا في الأماكن الوبائية ظل دون خطر مع وجود نفس الهواء وأكدوا أن الاتصال الوحيد عن طريق الهواء لا يؤدي لأي أعراض وبائية[4]، ومنهم من تعصب إلى درجة أنه اعتبر أن الإجراءات الاحترازية من حجر صحي وتطويق للمصابين وعزل لهم لم يكن له أيٌّ معنى[5].

بينما ذهب فريق آخر من العلماء إلى أن السبب الرئيسي في انتقال الداء من شخص إلى آخر مرده الاحتكاك والالتماس المباشر، إضافة إلى أن حركة الهواء في المناطق الموبوءة وبالتالي فالهواء يُعَدُّ عنصرا مهما في هذه العملية[6]، وقد حمل هذا بعض الباحثين إلى القول: «إنَّ الجسم يستهلك كمية كبيرة من الهواء وهذا هو طعامه الأول....ولم نعثر إلى اليوم على أفراد ثم حرمانهم من الهواء لمدة يوم، لذا فالهواء هو خبز الجسم وإذا كان

---

[1] - شلدون واتس: المرجع السابق، ص 8-9.

[2] - Fritsh dit Long: ce que Valent Les Lazarets et les quarantaines, dans Gazette Médical, dixiéme Année, Directeur dr E, L Bertherand, Alger 1865, N° 7, p 90.

[3] - Gazette médicale de L'Algérie, Directeur dr E.L Bertherand éditeur J.B.Bailliére, Paris, Anné 36. N° 05, 1891, P36.

[4] - Clot Antoine-Barthélémy: Coup d'œil sur La peste et les quarantaines, à L'occasion du congrés sanitaire réuni à Paris au mois de juillet 1851, V, Masson (paris), Congrés sanitaire (1851; Paris), éditeur scientifique, P 18.

[5] - Boucher Hubert: La peste en Europe et en Asie: empoisonnement de la race humaine par les vaccins et les sérums, éditeur Libraire générale et zoophile, paris, 1910, P 59.

[6] - Fritsh dit long: op.cit., p 90.

الهواء يحوي على جراثيم معدية فهو بدون شك يصبح فرصة لنقل العدوى...لكن لسوء الحظ فالإنسان لا يفرق بين الهواء النظيف والهواء الملوث ما يساهم في الإضرار به...»[1].

ومن خلال ما وصلت إليه الدراسات الطبية الحديثة الخاصة بعلم الأوبئة فإن هذا الخلاف راجع إلى نوع البكتيريا وتركيبتها في كل وباء، فبعض الأوبئة كانت تنتقل فقط عن طريق الاحتكاك أو اللّدغ كما هو الحال بالنسبة للطاعون الدملي وكان ذاتيا لا يسبب عدوى ولا ينتقل من شخص إلى آخر، وهناك نوع من الأوبئة ينتقل عن طريق المياه كما هو الحال بالنسبة للكوليرا[2]، أو تنتقل عن طريق الهواء كما هو الحال في الطاعون الرئوي نتيجة البكتيريا المختلفة، ونفس الأمر بالنسبة للجدري إذ يُعدُّ الهواء عاملا أساسيا في نقل عصية (الفارسيلا زوستر) المسؤولة عن إحداث مرض الجدري[3].

ويوجد عدد من الطواعين لا تنتقل بشكل مباشر، بل من خلال الناقل ممثلا في القوارض خاصة الفئران إلى الحاضن والذي يتمثل في الإنسان، خاصة إذا علمنا أن الفئران حتى في حالة موتها فإن باستطاعة البراغيث لدغها ونقل الجرثومة أو اليرسين الموجودة بدم الفأر إلى الإنسان لاحقا[4].

وهذا ما يوجهنا إلى ما نشرته الأكاديمية الوطنية للطب بأن الأوبئة لها نفس التأثيرات المادية على الكائنات ذات النظام العصبي الواحد[5]، فعن طريق البراغيث والحشرات تنتقل العدوى من فئة إلى أخرى، وأن موت الفئران لا يوقف حركة الأرومة التي توجد في دمه بل يتيح لها الانتقال من الجسم الساكن للفأر إلى مُتلقي آخر والذي ما يكون غالبا الإنسان[6].

ولكن النقطة المهمة في كل هذا أن خلال تلك الفترة الزمنية لم يُلاحظ العلاقة بين انتشار الطاعون والفئران بصورة خاصة فمثلا في مدينة " بستو أزيزو" بالشمال الإيطالي في عام

[1] - Bailliére Georges Jean-Baptiste: Les Maladies évitables, éditeur, J-B .Bailliére, Paris, 1898, P 53.

[2] - Daremberg Georges: Le choléra; ses causes, moyens de s'en préserver, éditeur Rueff, Paris, 1892, P 07.

[3] - Grandmaison de Bruno, Marie Emmanuel Gabbriel dit Femand : La variole, éditeur Rueff, Paris, 1892, P07.

[4] - Violle Henri Jules: op. cit., p17.

[5] - Bulletin de L'Académie nationale de médecine: Publié par soins de la commission de publication, Tome XI, premiére partie, Bibliothéque académique royale de médecine, Paris 1846, P555.

[6] - Violle Henri Jules: op. cit., P4-17.

1630م ذُكِر أنه كان هناك كميات كبيرة من الفئران...يمكن للواحد أن يعد المئات منهم في كل منزل...كانوا يَقرِضُون الأبواب والشبابيك من الجوع، لكن كانت هناك وجهة نظر سائدة عندئذ بأن هذا النوع من السلوك بواسطة الفئران يعتبر كفعل غير ظاهر، وغير مرتبط بالطاعون، وللإنصاف تجب الملاحظة عن وجود وقت معين يفصل بين موت الفئران الأولى المصابة بالطاعون، وتحرك براغيث الفئران من الفأر الميت إلى الإنسان الحي، وعملية مص الدم (من الإنسان) ومدة الحضانة التي تتراوح بين يومين إلى ستة أيام في الضحية، يتبعها موت المصاب الأول، بعدئذ الوفاة لكل مجموعات الناس، حيث شكّل هذا أيضا صعوبة لملاحظة أي ارتباط بين سلوك الفئران والطاعون[1]

وفي الأخير يمكن القول أنه ومن خلال التعريفات التي ذكرنا فإن الملاحظ أنه لا يوجد اختلاف في بنيتها من حيث من عايش المرحلة وعما أوردنا، فالعربي المشرفي ينقل تعريفا للباجي بقوله: «.... الوباء هو الطّاعون وهو مرض يعم كثير من الناس في جهة من الجهات بخلاف المعتاد من أمراض الناس، ويكون مرضهم واحد بخلاف سائر الأوقات...وأضاف عن أعراضه وما يصيب الشخص بعد وفاته....هو دُمَّل ظاهر في مراق الجسد، يموت به سخونا ولا تغور عينا المريض به، ويشخص بصره إلى السماء عند الموت إلى أن تخرج روحه كمريض الحمى وغيرها، وصاحب هذا المرض يموت مخمورا لا يتكلم ويطول سكره...»[2]، غير أن لا يعني أن جميع أعراض الأوبئة والطواعين واحدة لكن الحقيقة والملاحظة العلمية تثبت غير ذلك، حيث أن أعراض الوباء لم تكن نفسها في جميع حالات الإصابة به، بل كان يختلف شكل المرض عند المصابين به حسب نوعية الوباء الموجود[3].

[1] - شلدون واتس: المرجع السابق، ص 70.

[2] - العربي المشرفي: المصدر السابق، ص 180، ص244.

[3] - Crouzet Stanislas: Dissertation sur la peste, éditeur Camoin Dutertre, marseille, 1822, P05.

ونقف مثلا عند المصابين بوباء التيفوس "le typhus" على اعتباره عدوى ناجمة أساسا من انتقال بكتيريا تدعى (السالمونيلا التيفية) (salmonella Typhi) بين البشر[1]، وتنتشر بشكل كبير في الأماكن المغلقة المتّسخة، وهو ما يفسر وجوده بقوة في السجون والأماكن المزدحمة التي يتواجد بها الفقراء والمعوزين[2]، ويذهب عدد كبير من المختصين إلى أن الجراثيم المختصة بهذا الوباء تنتجها الحيوانات ولكنها لا تتأثر بها[3].

ترتبط الإجابة عن الأسئلة السابقة بطبيعة العدوى في الأمراض المعدية بأن هناك نوعان من العدوى يمكن ملاحظتها وهي: العدوى السريعة rapid mode of infection، والعدوى البطيئة المزمنة slow mode of infection، وفي النمط الأول من العدوى تحدث العدوى بطريقة سريعة وتظهر الأعراض خلال ساعات قليلة كما في حالة فيروس الإنفلونزا، حيث أن هذه الفيروسات سريعة لأنها هشة delicate pathogen لا تستطيع العيش في أشعة الشمس أو تتحمل الجفاف أو المواد الكيمياوية، لذلك فهي تبحث بسرعة عن عائل لتختبئ فيه وتتكاثر، فهي تنتقل بسرعة من عائل إلى آخر عن طريق الرذاذ والهواء، وفي حالة النمط الآخر من العدوى تأخذ العدوى فترة طويلة من أجل ظهور الأعراض في العائل، فالسل إذا ترك بدون علاج يمكن أن يسبب الوفاة للعائل، لكنه يأخذ عدّة سنوات ليفعل ذلك، فالأعراض تظهر ببطئ والعدوى هنا مزمنة chronic، ومن ضمن هذا النمط من العدوى مرض Visna الذي يصيب الأغنام في إيسلندا، ففترة الحضانة التي تمتد من وقت حدوث العدوى حتى ظهور الأعراض تستغر من 2-3 سنوات[4]، وتؤكد استمرارية العدوى نفسها عن طريق اختيار الشكل المقاوم Resistant Form فميكروب الأنثراكس Anthrax الذي يسبب الحمّى الفحمية في الإنسان والحيوان، وهو مرض ضديد الخطورة يؤدي إلى نزيف حاد والموت المؤكد، عندما يتعرض للهواء عند خروجه مع نزيف الدم.

---

[1] - Clot Antoine-Barthélémy : Coup d'oeil sur la peste et les quarantaines, à l'occasion du Congrès sanitaire réuni à Paris au mois de juillet 1851, V. Masson (Paris), Congrès sanitaire (1851 ; Paris). Éditeur scientifique.P22

[2] – Baillière Georges Jean-Baptiste : op.cit., P113.

[3] - Department of Health: Typhoid Fever, September 2017.

[4] - شلدون واتس: المرجع السابق، ص 9-10.

يأخذ الشكل الجرثومي Spore الذي يستطيع مقاومة الحرارة وأشعة الشمس لعدّة سنوات، وبذلك فهذا الميكروب يعاود ظهوره مرة ثانية عندما تتهيأ له الظروف لعدوى الإنسان والحيوان، والطريقة الثالثة لاستمرارية العدوى تتم عن طريق الانتقال والتكاثر وتنتقل بين عدة عوائل، ففي حالة ميكروب الطاعون الذي تحدث أعراضه المميتة بصفة أساسية في الإنسان، يمكن أن يتكاثر داخل البراغيث التي تعيش على الفئران وتهاجم الإنسان، وفي هذه الحالة تعد البراغيث كمخزن لتكاثر العدوى ونشرها، وهنا ينتقل العامل المسبب للمرض بين ثلاثة عوائل وهي: الإنسان والفئران والبراغيث، وتنتقل الملاريا بين عائلين أحدهما هو الإنسان والآخر هو البعوض[1].

إن أعراض هذه الأمراض فهي تختلف من وباء إلى آخر فمثلا المصابين بوباء التيفوس يظهر عليهم ارتفاع مفاجئ وشديد لدرجة الحرارة لتصل إلى 40° تقريبا في بعض الحالات[2]، بالأخص في بعض الحالات التي لا يستطيع الجسم فيها مقاومة البكتيريا[3]، ويسبب هذا الوباء عدوى جماعية تنتقل بين السكان إمّا عبر الجلد أو عبر العوائل الناقلة كالبراغيث والحشرات والطفيليات[4]، كما تحوز الجرذان على سمعة سيئة في هذا الشأن ويعود ذلك إلى العصور الوسطى[5].

أما الكوليرا فهي من الأوبئة التي تتميز بمحدودية انتقالها عن طريق الاحتكاك[6]، ويدخل ويدخل ضمن صنف الأوبئة التكرارية[7]، وهو ناجم عن بكتيريا وعصيات تهاجم الجهاز

[1] - نفسه، ص 10.

[2] - Bolio Antonin : Grippe et typhoïde, (thèse de doctorat) président de thèse professeur Brouardel, Faculté de médecine de Paris -Thèse Doctorat- Éditeur C. Naud, Paris, 1904, P11.

[3] - Boucher Hubert : op.cit., P16.

[4] - Violle, Henri Jules : La Peste, les rats, les puces, le bacille de la peste, le diagnostic de la peste chez le rat, Melun, 1921, P09.

[5] - Kenrad E. Nelson & Carolyn F. Williams: op.cit., P3.

[6] - Barbier Émile Julien Nicolas : Le choléra épidémique et l'hydrologie médicale : Vichy et ses eaux minérales comme médication préventive et effective, Éditeur Vichy, 1866, P12.

[7] - Chrestien André-Thérèse : Étude du choléra-morbus à l'usage des gens du monde, Éditeur L. Castel Montpellier, 1835, P22.

العصبي مباشرة لدى الإنسان، لذا يلاحظ على المصابين نوع من الإسهال أو الإمساك وكثرة التعرق والغثيان[1].

كما يكثر الاستفراغ والألم الحاد في البطن إضافة إلى إمكانية تعرض المصاب إلى نوبات من العطش والجفاف الشديدين[2]، ولعل هذا الجفاف والعطش مرده إلى كثرة الاستفراغ والتبرز[3]، إضافة إلى تشنجات في الأطراف وضعف في النبض، وفي بعض الأحيان تصاب مقلة العين بالشلل إلى أعلى أو إلى أسفل[4].

أما مرض الجدري Variole كما ذكرنا سابقا لم يكن معروفا بشكل واضح لدى العوام من الناس من حيث منبعه وأصله ومسبباته، واشتهر أنه كان يأخذ مدة زمنية قبل أن ينتشر في حيز جغرافي معين[5]، حتى تظهر على المريض بعض الأعراض مثل الحمى والصداع والتقيؤ والارتعاش لكن هذه الأعراض كانت متفاوتة بين المرضى فمنهم من كان يظهر عليه عرض واحد فقط ومنهم من كانت تظهر عليه كل هذه الأعراض[6]، وقد كان مرض الجدري أحد الأوبئة المؤثرة في الجزائر سواءا في العصور القديمة أو المرحلة التي هي محل الدراسة.

كما أن هناك علاقة بين المكان ونمط انتشار الأوبئة، وخلاف آخر حول التمايز الزمني أو المدة التي يقضيها الوباء في القضاء على المريض أو المدة التي يحتاجها الجسم لقوية مناعته والتغلب على الوباء وسنفصل في ذلك، فمن حيث العلاقة بين انتشار الاوبئة وأماكن انتشارها فمثلا في إفريقيا المدارية ينتشر حزام الملاريا Trypanosoniasis وهذا بسبب انتشار العائل الناقل الذي هو البعوض أو ذبابة تسمى تسى-تسى Tse – Tse في حالة مرض

[1] - Millet Auguste : Du choléra-morbus épidémique, Éditeur Labé Paris, 1851, P8.

[2] - Department of Health: Plague, August 2017.
https://www.health.ny.gov/diseases/communicable/cholera/fact_sheet.htm

[3] - Dubar Léon : Quelques notes et souvenirs personnels concernant le choléra, Édi-teur imprimerie E. Ramon, Armentières, 1909, P10.

[4] - Caffe Paul-Louis-Balthasar : Considérations sur l'histoire médicale et statistique du cholé-ra-morbus de Paris, Paris, Éditeur : imp. de H. Tilliard, Paris, 1832, P15.

[5] - Du Mesnil, Octave : Nécessité de la revaccination des ouvriers venant prendre du travail à Paris, Éditeur imp. imp. de E. Martinet, Paris, N°4, 15 Avril 1879, P01.

[6] - Legée, Émile : Rapport sur l'épidémie de variole, qui a régné en 1870-71 dans l'arrondis-sement d'Abbeville, Éditeur : imp. de Briez, Abbeville, 1872, P04.

النوم، ويندر وجود هذين المرضين في المناطق الشمالية من العالم لعدم وجود مسبباتهما أو العوائل الناقلة لهما[1].

وكدليل آخر على العلاقة بين الأوبئة والمكان من حيث الانتشار يذكر شلدون واتس أنه في البلاد الإفريقية توجد نسبة إصابة مرتفعة من الأورام السرطانية الأولية Primary carcinoma للمريء والعضو الذكري والكبد، ونسبة منخفضة من هذه الأورام للصدر والقولون مقارنة مع دول أوروبا وأمريكا الشمالية، وفي المناطق الساحلية الشمالية لمصر تنتشر الإصابة بالدودة المعوية من نوع Hesterophyes Heterophyes وذلك نتيجة لانتشار تناول الأسماك المملحة وتوفر القواقع الناقلة لهذا الطفيل، كما لا يمكن إهمال الدور الذي تلعبه فصول السنة التي تتدرج بين الحرارة الشديدة في فصل الصيف والبرودة أثناء فصل الصيف الشتاء دورا كبيرا في نمط انتشار الأمراض المعدية، ففيروس الإنفلونزا ينشط أثناء فصل الشتاء، كذلك الميكروبات المذكورة المسببة لالتهاب الحلق واللوزتين بينما يزداد انتشار الملاريا والكوليرا والدوسنتاريا الأميبية أثناء فصل الصيف نتيجة لتكاثر البعوض والذباب الناقل لهذه الأمراض[2].

يتضح لنا من خلال ما ذكرنا من أمثلة أن هناك علاقة وطيدة بين انتشار الأوبئة والحيز الجغرافي لانتشارها، فالمناخ يلعب دورا مهما في ذلك حيث يشكل بيئة مناسبة لتكاثر وعيش الفيروسات والميكروبات بينما نجد أنها لا تستطيع العيش في بيئات أخرى، فوباء الحمى المستنقعية كان متفشيا في المناطق ذات المناخ الحار والرطب والتي غالبا ما يكون تصريف مياهها من النوع الرديء، أو التي تسيل مياهها دون أن تبلغ البحر لوقوعها في أماكن منخفضة، كما أن تقلص منسوب مياه بعض الأودية وخاصة خلال فصل الصيف، وظهور مجموعة من البرك والمستنقعات الراكدة قد ساعد على أن تصبح هذه

[1] - شلدون واتس: المرجع نفسه، ص 12.
[2] - شولدن واتس: المرجع نفسه، ص 12-13.

الأخيرة مجالا لنمو وتكاثر بعوض الملاريا، وهو ما جعل الكثير من الحكام والأطباء يحذرون سكان القرى من عدم الاقتراب من هذه البرك ومن مجاري المياه المتسخة[1].

ومما لا شك فيه أن قلة الماء في بعض المناطق قد دفع السكان إلى استهلاك ماء الصهاريج والآبار التي لا تكون مياهها صحية، إذ كثيرا ما تكثر بها مجموعة من الجراثيم، ويؤدي استهلاكها إلى تسرب طفيليات إلى الجسم فتثير فيه اضطرابات مرضية وقد تؤدي إلى تسممات وحتى إلى الوفاة، كما هو الشأن بالنسبة لداء البلهارسيا، فتصبح الأجسام غير قادرة على مقاومة الأمراض.

كما أن التقلبات المناخية أثرت على الإنسان فقلة المطر والجفاف كان سببا في غلاء اسعار القمح وكساد السلع كما حدث في مدينة فاس سنة 1736م/1148هـ، وبعد سنة من انحباس الأمطار وغلاء الأسعار "مرض الناس بسعال كثير، وأحصي من مات في هذه المسغبة في سنة خمسين من أولها إلى تمامها ممن دفن أهل المارستان تسعة وثمانون ألف وأضعاف ذلك دون من دفنه غير أهل المارستان"[2].

كانت هذه الظروف البيئية القاسية من المطر القليل والبرد القارس والرياح العنيفة وتوالي سنوات عدة من الجفاف وعدم كفاية الاحتياط من القوت، أثر كبير على حياة العامة للإنسان، إذ دفعت المزارع إلى تخزين المؤن والحبوب ونفس الشيء بالنسبة لمنازل الحضريين الذين لجؤوا خلال فصل الشتاء إلى ادخار الغذاء من حبوب وخشب التدفئة[3].

شهدت أرياف ومدن الضفة الشمالية من البحر المتوسط تأثير التقلبات المناخية على الإنتاج الزراعي، وتسببت في ارتفاع الأسعار وانتشار المجاعات والأوبئة، وخير مثال

---

[1] - J.M. Lassére : Ubuque populus, ed. CNRS, Paris, 1977, P 550.

[2] - محمد القادري: نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني عشر ، ج3، تحقيق: أحمد توفيق، محمد حجي، الرباط، دار المغرب، 1977، ص 17.

[3] - Fernand Braudel : La Méditerranée et le monde méditerranéen a l 'époque de philipe II (éd. Seconde édition , Vol. 1). (s. édition , éd.) Pais : Librairie Colin, 1966, P235.

على ذلك فرنسا التي شهدت ما بين 1620-1700م/1029-1111هـ انخفاض درجات الحرارة مما أثر على المحصول الزراعي[1].

ونتج عن الجفاف والقحط المخيف ظهور المجاعات في دول البحر الأبيض المتوسط، خصوصا في القرنين السادس عشر والسابع عشر، حيث حملت هذه المجاعات العديد من الأوبئة، وجرّت وراءها الطاعون الذي كان يودي بحياة العشرات والمئات بل وصل عدد الوفيات إلى الآلاف فيذهب بربع سكان المدن أو ثلثهم أحيانا[2] وخير مثال على ذلك الوباء الذي ضرب المغرب وشبه الجزيرة الإيبيرية والبلدان المغاربية الأخرى ما بين 1521-1523م/927-929هـ، والناتج عن المجاعة الكبرى، وقد أسفر عن خسائر كبيرة في الأرواح[3].

وكانت المجاعة الناتجة عن الجفاف والقحط المخيف الذي وقع في عام 1525م/931هـ، بمختلف نواحي الأندلس مهلكة للسكان[4]، وتزامن وباء 1557-1558م/964-965هـ في وقت واحد مع الجزائر[5].

وأتى بعد عام 1578م/985هـ وباء أصاب المغرب سمي بعام "كحيكحة"، وفيه « كان الناس يسعلون ثم يموتون بعد ثلاثة أيام أو أربعة ووقع في الناس فناء عظيم»[6]، وحصدت المجاعة التي نزلت بإيطاليا عام 1583م أرواحا كثيرة، حيث فقدت مدينة راغوس في سنة واحدة 20 ألف نسمة، وفقدت البندقية ما بين 1575-1577م/982-984هـ أكثر من 50 ألفا، ولم يتبقى من سكان مارسيليا سوى خمسة آلاف نسمة عام 1581م/988هـ[7].

---

[1] - Le Roy Laduri, E : Histoire et Climat, Annales, économies, sociétes, Civilisations (14 année, N, 1, 1959, PP 3-34.

[2] - رولان موسينيه: تاريخ الحضارات العام القرنان السادس عشر والسابع عشر، ط2، المجلد 4، ترجمة أسعد داغر يوسف، وفريد م داغر، باريس، منشورات عويدات، 1987، ص126-127.

[3] - Bernard Rosenberger , Triki Hamid : Famines et épidémies aux Maroc XVIe et XVIIe siécles, Hespéries Tamuda, 15 fasc unique, 1974, P 289.

[4] - رولان موسينيه: المرجع السابق، ص126.

[5] - Bernard Rosenberger, Triki Hamid: Op, Cit, P 289.

[6] - مؤرخ مجهول: تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، ط1، تحقيق محمد بنحادة، مراكش، دار تنمل للطباعة والنشر، نشر عيون المقالات، 1994، ص 99.

[7] - رولان موسينيه: نفسه، ص 126-127

وأدى الوباء الممتد من عام 1596-1610م/1004-1018هـ إلى خسائر كبيرة تمثلت في 1000 حالة وفاة في فاس كل يوم[1]، ووفاة 2000 شخص كل يوم في مراكش، وقد حدد روزنبارج نسبة الوفيات بين 10 و 30% من سكان الحضر[2].

وهكذا فقد كانت الأوبئة والطواعين في سائر أرجاء المجال المتوسطي مقترنة إلى حد كبير بالمجاعة التي قد تكون دفعت بالجرذان الريفية إلى الهجرة باتجاه مناطق الحبوب، ومرتبطة أيضا ببؤر الطواعين التي تشكلت في رحم الأوبئة السابقة[3].

ومن خلال كل هذا يتضح لدينا بلا شك العلاقة بين مساهمة المناخ في انتشار المجاعات التي تعتبر نواة لظهور الأمراض والأوبئة بمختلف أنواعها، خصوصا في المناطق التي تعرف قلة لتساقط الأمطار والجفاف لمدة زمنية طويلة، وبالتالي قلة أو انعدام المحاصيل الزراعية وهذا ما ينجم عنه ظهور القحط وغلاء الأسعار والهجرات الفردية أو الجماعية، وبالتالي ظهور أمراض أو أوبئة ونقلها من منطقة إلى أخرى.

غير أن هذا يعتبر جزءا من طريقة انتقال العدوى وانتشارها وليس السبب الوحيد، حيث تعتبر تحركات البشر عاملا مهما بالنسبة لانتشار الأوبئة، فقد نشر التجار والعمال والمهاجرون والحجاج والجنود، والرعاة والعاهرات الأوبئة على مساحات واسعة من العالم، فقد أخذوا معهم نماذجهم المرضية ونشروا أمراضهم إلى أشخاص آخرين، كما اكتسبوا أمراضا جديدة، ففي عام 1348م/748هـ أبحر التجار من ميناء كريميا على البحر الأسود الذي كان موبوء بالطاعون إلى أحد الموانئ الإيطالية، وقد انتقل الطاعون إلى إيطاليا ومنه إلى انجلترا، حيث تكرر ظهور الطاعون في صورة أوبئة استمرت لمدة 400 سنة وهو ما دمّر قطاعا كبيرا من السكان، وقد انتقل وباء الطاعون إلى جنوب البحر المتوسط ليهاجم مصر عدة مرات منذ ذلك التاريخ حتى فترة القرن التاسع عشر، وهو ما أدى إلى تناقص عدد السكان بدرجة كبيرة.

---

[1] - مؤرخ مجهول: المرجع السابق، ص 99-100.

[2] - Bernard Rosenberger, Triki Hamid: Op, Cit, P 289-290.

[3] - حسين بوجرة: الطاعون وبدع الطاعون الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير (1350-1800)، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2011، ص 173.

ولعب الرعاة دورا مهما في نقل الأوبئة من مكان إلى آخر، خاصة في فترة الجفاف والقحط، وقد فرضت الشعوب الرعوية مشاكل خاصة في مقاومة الأمراض الوبائية والطب الوقائي، كما في حالة استئصال الملاريا في الصومال على سبيل المثال، فقد أعيقت إجراءات مقاومة الملاريا بدرجة كبيرة نتيجة لانتقال قبائل الرعاة من الصومال الذين انتشروا على مساحة واسعة من البلاد لرعي أبقارهم إلى كينيا وأثيوبيا وأوغندا[1].

وكانت الموانئ بدورها من بين العوامل والأسباب المساعدة لنقل الأوبئة، حيث أن جل الطواعين التي عرفتها بلاد المغارب كانت طواعين تأتي عن طريق البحر في غالب الأحيان، فتسرب الوباء من ميناء الجزائر نحو تلمسان وقسنطينة وتونس وفاس ومراكش، وخلت المناطق الصحراوية من الأوبئة نتيجة بعدها وانعزالها عن الموانئ البحرية[2].

ويعتبر المهاجرون ذوي أهمية خاصة بالنسبة إلى الدراسات التحليلية لنماذج الأمراض الوبائية وذلك تحت ظرفين:

الأول: عندما تتحرك مجموعة من الناس من منطقة خالية من المرض أو تتصف بإصابة ضعيفة إلى منطقة أخرى شديدة الإصابة، هنا يمكن مقارنة تجربتهم مع المرض مع تلك التي للسكان المحليين ذات الإصابة الشديدة، وربما يحضر مجموعات المهاجرين معهم نماذج (أشكال) مختلفة من المناعة للمرض، ومن خلال عادات مختلفة تتعلق بالطعام والشراب ربما يظهرون استجابات مختلفة للتأثيرات الضارة في البيئة الجديدة التي انتقلوا إليها، على سبيل المثال فقد ظهر أن مجموعات المهاجرين من جزر البلولينزيا بإندونيسيا إلى نيوزيلاندا صاحبها ارتفاع حاد في نسبة الإصابة بارتفاع ضغط الدم، والبول السكري، والنقرس، وقد بينت الدراسات أن حدوث هذه الأمراض الثلاثة يرتبط بوجود عامل يتعلق بالبيئة الجديدة كتفسير محتمل لظهور هذه الأمراض

---

[1] - شلدون واتس: المرجع السابق، ص 13.
[2] - أحمد السعداوي: المرجع السابق، ص 128.

الثاني: عندما تتحرك مجموعة من الناس من منطقة ذات نسبة إصابة مرتفعة من الرض إلى منطقة ذات نسبة إصابة منخفضة أو تتميز بعدم وجود المرض، في هذه الحالة فإن المجموعات المحلية من السكان تتعرض للإصابة الشديدة لعدم وجود مناعة لديها، وهو ما حدث عند هجرة الأوروبيين إلى الأمريكيتين، فقد كانت هذه المناطق خالية من أمراض مثل: الجذري والزهري التناسلي والإنفلونزا، وهو ما أدى إلى الإصابة الشديدة للسكان المحليين بهذه الأمراض وحدوث الوفاة بنسبة مرتفعة، ومن ثم إلى انهيار التركيب السكاني لهذه المجتمعات بدرجة كبيرة، بل إلى انقراضها[1].

وقد ارتأينا هنا سرد كل ما ذكره "شلدون واتس" حول حركة البشر وتنقلاتهم في انتشار الأوبئة وأيضا ظهور أمراض جديدة مثل ما ذكرنا من أمثلة، لم تكن في موجودة في مناطق معينة، وهذا يرجع بنا إلى دور المناخ في ظهور وانتشار الأوبئة في مناطق دون غيرها.

8- مسألة العدوى بين التوكل والتحفظ:

إن الاعتقاد بالعدوى مسألة ظلت راسخة عند أغلب الأطباء المسلمين في فترة العصور الوسطى وما بعدها، وقد استمدوا أغلب معارفهم من الطب اليوناني القديم وطوروه وأضافوا إليه الكثير من الأشياء [2]، أمثال جالينوس الذي توفي في النصف الثاني من ق2 ق.م، وأبقراط الذي توفي حوالي 375 ق.م، والذي خلّف كتابه المشهور (إبديميا) والتي تعني الأمراض الوبائية[3].

ويرى شلدون واتس sheldon watts أن الأمراض الوبائية هي في الاصل أمراض معدية تصيب الأعداد الكبيرة من البشر، وبذلك فليست كل الأمراض المعدية وبائية، وأن علم الأوبئة يهتم بالأساس بدراسة الحالات الجماعية للعدوى، أي بالعدوى الجماعية وليست بالحالات الفردية للمرض، ولهذا فهو يهتم بمسألتين على وجه الخصوص:

---

[1] - شلدون واتس: المرجع السابق، ص 14.

[2] - محمد حداد: تمجيد الموت، صورة الوباء في القرن 19م، دار الطليعةبيروت، لبنان، 2002،ط1، ص120.

[3] - أبو مروان بن أبي العلاء ابن زهر: *التيسير في المداواة والتدبير*. ميشال الخوري، و محي الدين صابر، دار الفكر، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دمشق،سوريا،1983، ص 449.

أولا: انتشار الأمراض في المكان وبين الجموع، مثل الجموع العمرية أو العرفية أو الإثنية، وكذلك التي تعتمد على الجنس ذكور وإناث

ثانيا: العوامل التي تؤدي إلى انتشار هذه الأمراض مثل العوائل الناقلة كالحشرات والفئران، وبذلك فعلم الأوبئة يهتم بكل الأسئلة حول المرض ما عدا تلك التي تتعلق مباشرة بأعراض هذه الأمراض وطرق الشفاء منها[1].

أما نظرة الفلاسفة وبعض رجال الدين الغربيين عن الوباء فأرجع بعضهم أن أسبابه روحانية بتقارب الأفلاك كاجتماع الكواكب واتصالها ببعضها البعض، كاجتماع المريخ وزحل في البروج النّارية، وفي هذا الصدد يقول ابن الخطيب: «سبب أقصى وهو الأمور الفلكية من القرانات التي تؤثر على العالم حسب ما يزعمه أرباب صناعة النجوم، ويأخذه الطبيب مسلّما عنهم»[2]، وقد ربط بعض العلماء وخز الجن أو طعنه بأمور فلكية متمثلة في ظهور الثريا وسقوطها، والثريا هي النجم، فإذا سقطت الثريا وغابت تكثر الامراض والطواعين، وإذا طلعت ترتفع كل الأمراض والعاهات عن كل قطر[3]، وذلك استنادا للحديث النبوي الذي يقول : « إذا ارتفع النجم رفعت العاهة عن كل بلد»[4].

لقد شكلت مسألة العدوى جدلا كبيرا بين الأطباء والفقهاء، وفي بعض الأحيان جدلا كبيرا بين الفقهاء أنفسهم، بين من يرى بحقيقة العدوى ومن ينكرها، وقد أفردوا في هذا المجال مؤلفات خاصة ورد على بعضهم البعض وكانت حججهم في ذلك مستنبطة من الكتاب والسنة وكلام الفقهاء الأولين وفي بعض الأحيان من تجربة، حيث عايش الكثير من علماء الإسلام نوازل وأوبئة وطواعين.

ويعود أصل الخلاف إلى أن السنة النبوية وردت فيها عدّة أحاديث عن مسألة الطاعون والعدوى، ومعظمها أحاديث صحيحة، فعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت الرسول صلى

---

[1] - شلدون واتس: المرجع السابق، ص8.

[2] - لسان الدين ابن الخطيب: *مقنعة السائل عن المرض الهائل*، منشورات معهد العلوم العربية الإسلامية، فرانكفورت، ألمانيا،1997، ص 38.

[3] - شمس الدين أبي عبد الله ابن قيم الجوزية: *الطب النبوي* ،شعيب الأرناؤوط، و عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، لبنان، 1986، ط13، ص 39.

[4] - الطبراني: *المعجم الصغير المسمى الروض الداني*، محمود شكور،دار عماد، المكتب الإسلامي بيروت، 1985،ط1، ص 104.

الله عليه وسلم عن الطّاعون فأخبرها نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه: (كان عذابا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا يعلم أنه لن يصيبه إلاّ ما كتب الله له إلاّ كان له مثل أجر الشهيد)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المبطون شهيد والمطعون شهيد)، وهذان الحديثان أخذهما بعض الفقهاء على مطلقهما، أي أن الطاعون أمر مقدر ولا مفر منه إذا وقع بأرض، وأنه يصيب الإنسان دون عدوى ودون أن يكون لديه اتصال بشخص آخر، وفي المقابل توجد أحاديث نبوية صحيحة وقد أوردناها سابقا تشير في سياقها ومعناها إلى أن الطاعون ينتقل بالعدوى، كحديث عبد الرحمان بن عوف في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه)، وأيضا حديث إبراهيم بن سعد قال: سمعت أسامة بن زيد يحدّث سعدا، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها)[1].

وأيضا من قالوا بالعدوى استشهدوا أيضا بحادثة عمر عند خروجه للشام، وأخبره أصحابه أن الوباء قد وقع بها فرجع عن حاجته عملا بقول عبد الرحمان بن عوف الذي ذكرناه سابقا، وقال لأبو عبيدة بن الجراح الذي أنكر عليه رجوعه: نفر من قدر الله إلى قدر الله.

وكنتيجة لهذا الاختلاف فقد ظهرت عدّة مذاهب في هذا الباب لخصها ابن حجر العسقلاني في أربعة مذاهب فيقول: (المحصل في المذاهب من العدوى أربعة: الأول أن المرض يعدي بطبعه صرفا وهذا قول الكفار، والثاني أن المرض يعدي بأمر خلقه الله تعالى فيه وأودعه فيه ينفك عنه أصلا إلا أن يقع لصاحب معجزة أو كرامة فيختلف، وهذا مذهب إسلامي لكنه مرجوح، أما الثالث أن المرض يعدي ولكن ليس بطبعه، ولكن بعادة أجراها الله تعالي فيه، كما أجرى العادة بإحراق النار، وقد بتخلف بإرادة الله عزوجل ولكن التخلف يكون نادرا، الرابع أن المرض لا يعدي بطبعه أصلا بل من اتفق له وقوع ذلك

---

[1] - أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري: *صحيح البخاري*، دار الإمام مالك، الجزائر، 2010، ج4، ص ص 434-436.

المرض فهو بخلق الله سبحانه وتعالى ابتداء[1]، وقد تبنى ابن حجر المذهب الرابع والأخير، أي أنه ينفي وقوع العدوى أصلا.

ومن العلماء الذين سلموا بفرضية العدوى ابن خاتمة الطبيب الفقيه الذي أقر بوجود العدوى ولكن دون أن يمس بالعقيدة الإسلامية، ودون أن يرجع لما كانت تعتقده العرب في الجاهلية بل قرن ذلك بمشيئة الله عز وجل وأنه قضاء وقدر وتدبير من الله عز وجل، وممّا ذكره الطبيب الفقيه في هذا الباب: (الظاهر الذي لا خفاء به ولا غطاء عليه أن هذا الدّاء يسري شرّه، ويتعدّى ضرّه، شهدت بذلك العادة وأحكمته التجربة، فما من صحيح يلابس مريضا ويطيل ملابسته في هذا الحادث إلاّ ويتطرّق إليه إذايته، ويصيبه مثل مرضه، عادة غالبة أجراها الله تعالى، والفعل في الأول والثاني للحق جلّ جلاله خالق كل شيء، نفيا للتوليد الذي يذهب إليه أهل الضلال، وإبطالا للعدوى التي كانت تعتقدها العرب في الجاهلية، وإعلانا للحق الذي قام عليه شاهد الوجود)[2]، وسار على مذهب ابن خاتمة أيضا ابن الخطيب والذي قال فيمن ينكر العدوى: (لا ينكر العدوى إلا أحد الرجلين، إمام منافق يقول بلسانه ما لا يعتقد بقلبه، وإما جاهل ما حضر وباء قط)[3] ، ويضيف أن من أنكر العدوى لم يكن لديهم علم وإحاطة بالنصوص الفقهية وأيضا عدم فهمهم للنصوص الواردة في السنة النبوية خاصة في ما يتعلق بالفرار من الوباء.

وقد أخذ مؤلفوا القرن التاسع عشر في محاولتهم إعطاء تعريفات طبية للوباء والطاعون من الموروث الطبي الإسلامي الذي خلفه أمثال ابن سينا والأنطاكي والرازي وابن رشد، فإن هذه التعريفات قد لعبت دورا فعالا بالنسبة للدارسين والباحثين في هذا الميدان، فبناء على هذه التعريفات وعلى الأعراض التي وردت سواء في الكتابات التاريخية أو النصوص الفقهية أمكن رفع نسبة هامة من اللبس وتحديد طبيعة ونوعية عدد كبير من الأمراض والاوبئة.

[1] - أحمد ابن حجر العسقلاني: *بذل الماعون في فضل الطاعون* ، تحرير: أحمد عصام عبد القادر، دار العاصمة، الرياض، 1991، ص 89.
[2] - ابن خاتمة: تحصيل غرض المقاصد في تفصيل مرض الوافد. دار الغرب الإسلامي، بيروت،(المجلد 1)، ص 179.
[3] - ابن الخطيب: المصدر السابق، ص ص 42-44.

ومن خلال هذه التصورات والمفاهيم التي ذكرناها فالطاعون لا يخضع لقياس الأمراض الأخرى، وإنما يدخل ضمن الأوبئة وهذا كما ذكرنا سابقا لاشتراكهما في مرض عامة الناس وكثرة الموت بسببه، وهذا ما يفسر عجز الأطباء عن فهمه، واستبعاد أي دور للطب في مواجهة الطاعون، وهذا التصور طغى على معظم ما تداوله المؤرخون والفقهاء في القرن 19م، وقد استمدوه ممّا خلفه ابن حجر العسقلاني والذي خصص كتابا لموضوع الطاعون، ويعدّ مصدرا مجملا لمعظم الأحكام الفقهية حول القضايا المتعلقة بالوباء والطاعون منذ صدر الإسلام، ومما ذكره ابن حجر حول ذلك قوله: (فالأطباء إذا لم يتعرضوا لكونه من طعن الجن معذرة، لأن ذلك أمر لا يدرك بالعقل ولا بالتجربة، وإنما يتلقى من خبر الشارع)[1].

نتج عن هذه المرجعية ومع ما تراكم من كتابات حول الأوبئة والطاعون ما عرف فيما بعد بالطب النبوي، والذي نتج عنه تعاريف واصطلاحات جديدة في مؤلفات المؤرخين وخاصة المسلمين منهم.

ومن خلال هذا فلا أحد ينكر وحتى الغرب أنفسهم فضل التراث الإسلامي في التاريخ للأمراض المختلفة وطرق الشفاء منها خصوصا ما تركه ابن سينا والرازي[2]، وأول من كتب في شأن الأوبئة والطواعين ابن أبي الدنيا في كتابه الطواعين، وأفردوا لذلك كتبا خاصة، خصوصا المؤلف الهام الذي اختص بالطاعون لابن حجر العسقلاني والذي جاء بعنوان: « بذل الماعون في فضل الطاعون »، من خمسة أبواب، خصوصا بعد طاعون عمواس أخذ الناس يجمعون الأحاديث المتعلقة به، وقد عدّد منها أكثر من ثلاثين مصنّفا في الطاعون[3]، وكتاب: «المغني في تدبير الامراض ومعرفة العلل والاعراض » لصاحبه هبة الله البغدادي ، والذي حققه ونشره الدكتور " محمد ياسر زكور"[4].

---

[1] - ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ص 104.

[2] - خير الدين سعيدي: المجاعات والاوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني 1700-1830 (أطروحة دكتوراه)، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، الجزائر: جامعة 08 ماي 1945 قالمة، 2018-2019،ص 36.

[3] - ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق، ص 40.

[4] - أبي الحسن البغدادي: *المغني في تدبير الأمراض ومعرفة العلل والأعراض* ، تحرير: محمد زكور، دار المناهج،جدّة، السعودية، 2011،ط1،

ولا يفوتنا ذكر مؤلف هام أيضا وهو كتاب: «الطاعون وأحكامه»، لمحمد بن محمد المنبجي والذي اعتمد فيه على الأحاديث النبوية بشكل كبير وما تكلم به فقهاء الإسلام في باب الطواعين[1].

9- الوباء وتأثيره على الإنسان:

أما من حيث التوازن الزمني أو مدّة قضاء الوباء على المريض أو التغلب عليه، فهي من الاختلافات التي صعب الخروج منها بإجابة موحدة وهذا راجع بالأساس إلى اختلاف العدوى واختلاف مدة حضانة الفيروس إضافة إلى اختلاف الاشخاص من حيث البنية التركيبية وهي ما نقصد بها مناعة الشخص ومقاومته للمرض، فنجد أشخاصا تعرضوا للوباء وقضى عليهم في مدة زمنية قصيرة قد لا تتجاوز الست ساعات[2].

وفي بعض الأحيان يقضي الوباء على المريض بشكل مفاجئ كما ذكر ذلك بول لويس(paul-louis)، عن شاب في الثلاثينيات توفي جراء إصابته بالكوليرا لم يكن مصابا بأي مرض من قبل[3]، وهذا ما جعل الاختلاف كبيرا حول المدة الزمنية التي يستغرقها الوباء في القضاء على المريض، أو التي يحتاجها المريض في التغلب على الوباء، وهذا ما يجعل من مدّة الحضانة المقررة بين ثلاثة ايام إلى ثمانية مثل ما أشار إليه شلدون واتس غير دقيق، ومثلما جاء في أحد التقارير الواردة إلى الأكاديمية الوطنية للطب بفرنسا[4].

بينما ذكر أوغست "Auguste" أن وباء الكوليرا قد يستمر مع مريض لمدة عشرة أيام أو خمسة عشر يوما وحتى أكثر من ذلك للقضاء عليه[5]، وكما هو الحال بالنسبة للجدري ففي بعض الحالات لا ينتبه المريض للوباء إلا بعد مرور أسبوع، وهذا بسبب عدم ظهور الأعراض عليه إلا بعد هذه المدة الزمنية والتي من أبرزها ارتفاع درجة الحرارة والتقيؤ

---

[1] - شمس الدين المنبجي: *الطاعون وأحكامه*، تحرير أحمد بن محمد آل ثاني،دار ابن حزم، بيروت، لبنان،2017،ط1،ص 37.

[2] - Caffe Paul-Louis-Balthasar : Considérations sur l'histoire médicale et statistique du cholé-ra-morbus de Paris, P18.

[3] - ibid. P09.

[4] - A.N.M : Anné1847, P43.

[5] - Millet Auguste : op.cit., P11.

والتعب[1]، وهذا ما ينطبق أيضا على الجذام الذي هو داء يصيب جلد وأطراف الإنسان ويؤدي إلى تآكلها وتقرحها، ولقد شبهه الأطباء بالسرطان، وذلك لما يصاحبه من تقرحات وآلام شديدة لمن يصاب به[2]،بينما نجد نفس الوباء قد يقضي على مريض آخر في مدة زمنية وجيزة لا تتجاوز الأربعة أيام[3]، وبما أن مريض الجذام في أغلب الأحيان يتعرض جسمه لتعفن شديد وانبعاث رائحة كريهة تجعله يؤذي غيره وينقل لهم عدوى المرض، غير أنه ليس من الأمراض التي تقتل بسرعة بل تستمر مع صاحبها سنين، وهذا ما جعل الدولة الإسلامية في عهد الأندلس تقوم بعزل المجذومين في قرى أو حارات لوحدهم[4].

ومن خلال ما ذكرنا يمكن أن نقول أنه من الصعب الجزم بتاريخ محدد لوفاة المريض أو تعافيه[5]، لأن هناك عوامل مختلفة تكون سببا في تطور المرض أو اندثاره، وهذا من خلال بقاء الأرومة أو العصية مختفية لمدة زمنية معينة قد تكون أيام وحتى أسابيع، وفي حالات نادرة قد تظهر هذه الأعراض بعد أسابيع عدّة ويكون حينها تأثيرها فعالا وقاتلا[6]، وهذا ما يعني أن المدة الزمنية للوباء لها علاقة وطيدة بمناعة الإنسان واستعداداته الصحية، فهذه العوامل هي التي تساهم في إطالة عمر المرض أو القضاء عليه أو في حالات كثيرة عدم القدرة على مجابهته والقضاء على المريض مباشرة، كما أن طريقة نقل العدوى للمريض والمناخ الذي يعيش فيه ونظامه الغذائي دور كبير في إطالة المرض أو القضاء عليه.

---

[1] - Levasseur Paul : De la variole et de la vaccine rapport présenté à l'Académie, P05.

[2] - أبي علي الحسين بن علي ابن سينا: القانون في الطب، وضع حواشيه محمد أمين الضناوي،ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1420هـ/1999م،ج3، ص 188.

[3] - Bourgin Pierre : Contribution à l'étude de l'albuminurie dans la variole, Éditeur Impér. nouvelle Lyon, 1885, P12.

[4] - الخليفة الوليد بن عبد الملك (86هـ-96هـ/704م-715م) هو أول من أسس مستشفى خاصا بالمجذومين في الإسلام وذلك سنة 88هـ، وجعل فيه أطباء مهرة، وأجرى عليهم الأرزاق، وأمر بعزلهم عن الأصحاء كي لا تنتقل العدوى من المصابين إلى الأصحاء، انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي(ت 774هـ/1372م)، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط1، 1419هـ/1998م، ج9، ص 134.

[5] - Arnaud Léonard : Essai sur la peste de Benghazi d'Afrique, imp. de F. Pichon, Paris, 1888, P42.

[6] - Bolio Antonin : Grippe et typhoïde, (thèse de doctorat) président de thèse professeur Brouardel, Faculté de médecine de Paris, Éditeur C. Naud, Paris, 1904, P11.

وكنتيجة لما ذكر سابقا فلقد عرفت البشرية في مختلف الازمنة ظهور أوبئة وأمراض حصدت أرواح الملايين من الاشخاص، منها من كان في نطاق ضيق ومنها ما شمل مساحة جغرافية معينة وحصد عدد كبير من الضحايا في فترة زمنية محدّدة والذي اصطلح على تسميته وباءا بغض النضر على نوعه و، ولهذا ظهرت جدلية الفرق بين الوباء والطاعون عبر التاريخ في كتابات المؤرخين ومدونات الفقهاء والأطباء، وفي المصادر الأوروبية، وأخذ ذلك حيزا كبيرا عند علماء المسلمين وذلك لارتباط الطاعون بما ذكر من أحاديث نبوية شريفة جعلت الميت بالطاعون في مرتبة الشهداء، ومن هنا ارتبطت التعاريف الفقهية بما ذكر في الآثار الدينية والسنة النبوية، وكانت نظرتهم عقائدية إذ أن الوباء لا ينتقل بالعدوى، وإنما هو تصريف من الله عز وجل لمن يشاء من عباده، غير أن علماء وفقهاء الفترة الحديثة كانت لهم نظرة أخرى، وأعطوا تعريفات أعمق وأشمل للوباء والطاعون وخلصوا في النهاية إلا أن الوباء أعمٌّ من الطاعون، فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعون، أي أنه يختلف حسب البيئة التي يعيش فيها الشخص، وطريقة انتقاله عن طريق الهواء أو اللّمس، أو رذاذ الشخص، وصنفوا الأوبئة حسب الأعراض التي يعاني منها الشخص المصاب، ومدّة الإصابة، وكيفية انتقال الوباء إليه، وهذا ما تجلى في العصر الحديث أو ما عرف بعلم الأوبئة والذي يركز في دراسته على شقين مهمين وهما انتشار الأوبئة والأمراض والعوامل التي ساعدت في ذلك.

وأخيرا لا يمكن نكران ولو بشكل من الأشكال للدور الذي لعبه الموروث الإسلامي والمدونات الفقهية في التأريخ للأمراض والأوبئة، وطرق العلاج منها، حتى وإن ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمفهوم الديني العقائدي، إلا أنها أخذت حيزا كبيرا في كتاباتهم ومؤلفاتهم، وبحوثهم، وكانت نظرتهم للأوبئة نظرة علمية، دينية إضافة إلى ربطها بالعقيدة الإسلامية من خلال الكلام حول الفرار من الوباء، أو البقاء في الأرض التي ينزل بها، وكانت رؤيتهم أكثر شمولية ووضوحا مما ذكر في المصادر الأوروبية القديمة.

ثانيا: الأوبئة والأمراض في المدونات المحلية والأجنبية

يكتسي موضوع الأوبئة والأمراض والحجر الصحي أهمية كبرى نظرا لكثرة الجوائح التي عرفتها بلاد المغارب وخصوصا الجزائر خلال الوجود العثماني، وأيضا الظروف المحلية والدولية التي أحاطت بالوباء خلال القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر، وقد خلف مؤرخوا وفقهاء هذه الفترة في إطار تفاعلهم مع الموضوع تراثا فكريا وتاريخيا ودينيا يتجلى أساسا في العديد من المدونات والمؤلفات والرسائل والفتاوى والرحلات التي ألفت في موضوع الطواعين والأوبئة، والتي تتضمن الكثير من الإشارات المتعلقة بالموروث الفقهي والطبي حول العدوى وأسباب انتشارها وطرق الاحتراز منها، ويمكن من خلال مضامينها تلمس مدى بطء أو سرعة تطور الذهنيات والمواقف اتجاه الجوائح الطارئة، فكانت التجارب الفردية لمن عايشوا هذه الطواعين حاضرة بجلاء في أعمالهم، كل منهم بحسب مجال تخصصه، فالطبيب يصف المرض وعلاجاته وكيفية الاحتراز منه، والفقيه يذكر بالأحكام الشرعية المتعلقة به، والواعظ يرقق قلوب الناس ويسوقهم لحسن الظن بالله والتوبة، ويذكرهم بالقضاء والقدر، والأديب يصف الحال بأبلغ مقال لينقل الصورة للأجيال، ويسلي المحزون ويخفف آلامه، والمؤرخ يثبت الحدث على مدار الزمان، ويحفظه ليستفيد اللاحق من تجارب السابق، وهنا سنذكر أهم المؤلفات المحلية والأجنبية التي اهتمت بموضوع الأوبئة والطواعين وأرخت لها، واهتمت بتأثيراتها وطرق العلاج والوقاية منها

1- المصنفات المحلية:

إن أول ما صنف في التراث الإسلامي في شأن الأوبئة والطواعين هو "ابن أبي الدنيا" في كتابه الطواعين، جمع فيه الأحاديث النبوية المتعلقة بالطاعون وما ذكر فيه، ثم أخذ الناس يجمعون الأحاديث النبوية المتعلقة بالطاعون، حتى عدَد منها ابن حجر العسقلاني في كتابه "بذل الماعون في فضل الطاعون" أكثر من ثلاث وثلاثين مصنفا في الطاعون[1]، وهذا المؤلف هام فيما تعلق بالطاعون، وقد رتب على خمسة أبواب وخاتمة وفصل قصير.

---

[1] - ابن حجر العسقلاني: بذل الماعون في فضل الطاعون، المصدر السابق، ص 40.

في مجال التدوين حول الوباء نجد أن بعض العلماء والفقهاء الجزائريون أفردوا مؤلفات خاصة به، ومن أبرز ما ألف في هذا الباب كتاب «المن والسلوى في حديث لا عدوى» لمحمد بن أحمد الشريف الجزائري[1].

وأيضا كتاب « فتح الجليل في أدوية العليل » لابن مريم، و« أعلام أهل القريحة في الأدوية الصحيحة» لأحمد بن قاسم البوني، و« مبين المسارب في الأكل والطب مع المشارب» للبوني أيضا، لعب هذا الطبيب دورًا هاما في الجزائر العثمانية وجمع بين الفقه والطب وكان من مشاهير عنابة وألف كتابا بعنوان: أعلام أهل القريحة في الأدوية الصحيحة وتناول فيه أمراض السعال والأسنان والسل والأذن والأنف والعين، وقد اقترح طرق التداوي ضدّ الحمى وسقوط الأجنة[2]، وله مؤلف آخر هو " مبين المسارب في الآكل والطب مع المشارب" حول الأمراض وطرق التداوي وألفه على شكل أبيات شعرية، تعرض فيه إلى أحسن المأكولات والمشروبات ذات المنفعة الصحية، حيث نصح باستهلاك التين للشفاء من القولنج كما يوصي بأكل الرمان لداء الكبد، وما غير ذلك من المأكولات التي تفيد صحة الإنسان وتساهم في اعتداد عمره كالأرز[3].

وكتاب «المنافع المبينة وما يصلح بالأربع أزمنة» لمحمد بن علي الصنهاجي، وتطرق من خلاله إلى منافع الأدوية فيما يخص أمراض الرأس والحلق والأطراس وأعضاء القلب، الرئة المعدة، الطحال فاقترح أدوية وطرق التداوي والأمراض متعدّدة كالروماتيزم والحصا الشائعة آنذاك وجمع بين المعارف الطبية الإفريقية والعربية"[4].

أما عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري فقد ترك لنا «الجوهر المكنون من بحر القانون»، وينقسم إلى أربعة كتب[5]، وهو عبد الرزاق بن محمد بن حمادوش الذي عاش في النصف الأوّل من القرن 18م /12هـ وهو من مواليد 1107هـ/ 1695م بمدينة الجزائر

---

[1] -حمدان خوجة. اتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز من الوباء،تحرير محمد بن عبد الكريم، الجزائر: المطبوعات الوطنية للنشر والتوزيع، 1968، ص 21.

[2]- نفسه، ص 84-85.

[3]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 446.

[4]- أبو القاسم سعد الله، نفسه، ص 434.

[5]- عائشة غطاس. (أوت, 1983). الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني. صفحة 122.

توفي وعمره 90 سنة في مكان مجهول وقد درس بوطنه وتقلد وظائف دينية ثم رحل إلى المغرب والمشرق وهو في العشرينيات من عمره وعام أحداثا هامة وامتهنت أسرته الدباغة"[1].

اهتم ابن حمادوش بالطب فكان صيدليا، طبيبًا، فلكيا منطقيا، وبقيت المادة الطبية المعروضة في كتابه " كشف الرموز" مستعملة في الجزائر خلال السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي وقاما الدكتورين لوسيان لوكلير، وغاربريال كولان بترجمة الجزء الخاص بالأعشاب الطبية المعروف ب كشف الرموز وثم نشره بالفرنسية واعترفا به كطبيب جزائري عصري واعتباراه خارج عصره[2].

ومن خلال هذا الاعتراف يمكن اعتبار ابن حمادوش منفردا عن الأطباء الذين كانوا في الجزائر خلال هذه الفترة. وقد استعمل ابن حمادوش في كتابه كشف الرموز ما ألف في الطب العربي الإسلامي، خاصة أرجوزة الطب لابن رشد، وتطرق إلى أدوية جديدة لم تكن معروفة لدى العرب من قبل وهي أدوية عالج بها الأوروبيون مرض السفلس وكان يسمى عند الجزائريين " مال فرانصة mal Français "[3] ويعتبر هذا الكتاب قاموسًا طبيبا، صنفت فيه الأدوية والأمراض التي تعالجها إضافة إلى مختلف المعادن، العقاقير، النباتات والمصطلحات الخاصة بها، كما ذكر عددًا من أسماء الأدوية الواردة على إيالة الجزائر من البلدان الأوروبية[4].

ولعل أهمية كشف الرموز تكمن في كون هذا الكتاب يحتوي على التعريف بالدواء مع ذكر المرض وتحديد منافع النبات ومقادير كل الأدوية بالموازين المستعملة في الجزائر أثناء العهد العثماني، الأمر الذي جعل استعمال الدواء أمرًا مبسطًا لدى السكان[5].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، رحلة ابن حمادوش، والمشي المسماة لسان المقال في النبأ عن الحسب والنسب والحال، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، الجزائر، ص 3.

[2] راجع -Dr G. Goldin « Abderrazak Aldjazairi, Un médecin arabe, du XIIé siècle de l'Algérie, Thèse de médecine, Monpellier 1905, , Dr L. Le clerc, traduction en arabe de kachefer Roumouz, Révalations de Enigmes d'Abder Rezzak Edjezairi, traite de matière médicale arabe, Balliére, Paris, 1874

[3]- أبو القاسم سعد الله، رحلة ابن حمادوش، المرجع السابق، ص120.

[4]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 446.

[5]- نفسه، ص 448.

ونظرا لمساهمة ابن حمادوش خلال القرن 18م في المجال الطبي وهو صاحب كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب قام بترجمته الطبيب الفرنسي Lucien Leclerc وأنجز بخصوصه Gabriel Colin رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الطب عام 1905م/1322هـ بكلية الطب بمونبيليي Monpelier تضمنت دراسة معمّقة لما فيه، مع إدراج نصوص الكتاب بالعربية في آخره[1].

وكذلك كتاب « الدّر المصون في تدبير الوباء والطاعون» لأبي راس الناصري المعسكري، وأيضا كتاب آخر مهم أفرده صاحبه للكلام عن الأوبئة وخاصة الطاعون وهو كتاب « إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء»، لحمدان بن عثمان خوجة[2]، والذي يعد أول مؤلف في هذا الباب، وقد صنفه حمدان خوجة في الأصل من أجل توضيح موقف الشرع من اتباع النصارى في اتخاذ بعض الترتيبات لمواجهة الوباء كالحجر الصحي أو ما يعرف ب "الكرنتينة"، لذا عد الكتاب من أهم ما ألف في هذا الباب فزيادة على احتوائه على مباحث فقهية، لم يخلوا من إرشادات وتوجيهات للوقاية من الوباء أو في حالات أخرى العلاج منه[3].

ولا يجب إغفال دور مدرسة تلمسان الطبية التي برزت واشتهرت بفضل مؤلفات محمد بن يوسف السنوسي وابراهيم بن أحمد التلمساني[4]، ومدينة ندرومة التي كانت تغز وتفتخر بالمتطبب أبو عبد الله محمّد بن سحنون الندرومي الذي مارس الطب بإشبيليا وقرطبة[5]، ونذكر أيضا محمد بن أحمد الشريف الحسني الذي عاش بتلمسان وكان صوفيا لكنه اهتم بالطب، وألف رسالة فيه تتكون من 13 صفحة سنة 1149هـ/ 1728م شرح فيها الحديث

---

[1] - Colin (Gabriel) Abderrazzaq El jezairi un médecin arabe du 12e siècle de l'Hégire Monpelier, Imprimerie Delord-Boehm et Martial 1905, p 45-46.

[2] -أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص 437.

[3] - شخوم سعدي: قراءة في أوضاع الطب ومتعلقاته بالجزائر العثمانية، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد الأول، العدد الأول، جوان 2015، ص 281.

[4] - أبو القاسم سعد الله: نفسه، ص 436.

[5] - نفسه، ص 437.

المتعلق بالحماية من الأوبئة وأهداها بنفسه إلى السلطان العثماني أحمد باشا في 1149هـ/ 1728م[1].

وأيضا الطبيب عبد الله بن عزوز المراكشي التلمساني المشهور ب (سيدي بلال): جمع بين التصوف والطب، له مخطوط من 118 صفحة موجود بمكتبة باريس تحت رقم 4758 بعنوان:" ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة" وقد قسم هذا المخطوط إلى 70 فصل كل فصل يختص بموضوع تحدث فيه عن الطبيعة، العلم والحكمة، العلم والطب، التوليد، وخصص الفصل الأخير منه لوصف المعدة وأمراضها وعلاجاتها وخصص لكل مرض علاجه، توفي سنة 1204هـ/1783م.

-سعيد بن أحمد المقري فقيه وعالم ولي تلمسان سنة 928هـ/ 1507م، كان طبيبا أيضا وكان مفتيا بالجامع الكبير اشتهر في فن الطب والجراحة وقد توفي سنة (1011هـ/ 1603م) وهو عم صاحب نفح الطبيب [2].

دون أن ننسى مؤلفات محمد ابن رجب الجزائري حول الطاعون تحت عنوان "نظر الماسون في تدبير الوباء والطاعون"[3]، وكذلك أبي راس محمد الناصري المعسكري الذي يعد من أبرز علماء الجزائر في الفترة العثمانية، حيث عرف بتأليفاته الكثيرة والتي بلغ عددها 140 كتاب من بينها كتاب حول مرض الطاعون[4].

ونجد أيضا رسالة محمد ابن العربي في الطب والمداواة التي قدمت إلى المدرسة الطبية بباريس من أجل الحصول على درجة حكيم تحت عنوان « La médecine arabe en Algerie»، وتمت ترجمتها إلى اللغة العربية 1891-1892م/1308-1309هـ[5]، والجذير والجذير بالذكر أن هؤلاء العلماء ركزوا في مؤلفاتهم على وباء الطاعون بدرجة كبيرة،

---

[1] - M. Khiati, Op.cit, p115.

[2]- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر وبيروت، لبنان، 1400هـ-1980م، ص 311-312.

[3]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 432، وانظر أيضا مصطفى الخياطي، المرجع السابق، ص 121.

[4]- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء وطبقة الأطباء الذين ظهروا في بلاد المغرب وأقاموا بها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1998، ص 537.

[5] - ben larby seguir, M. la médecine arab en Algerie. *these pour* le *doctorat*. paris, faculte de médecine, france: university de paris. (1884, juillet 16).

وهذا نظرا لانتشاره في تلك الفترة ولارتباطه بالمعتقد الديني لديهم، كما ذكر الدكتور (شاو) عندما تطرق لوصفة للطبيب محمد زروق للوقاية والمعالجة من الطاعون[1].

وهنا نجد مؤلف مهم تكلم عن الطاعون وهو للعربي المشرفي تحت عنوان " أقوال المطاعين في الطعن والطواعين"، والذي يعتبر من أشهر المدونات الفقهية التي تناولت بشكل مستفيض مسألة الطواعين والأوبئة في مغرب القرن التاسع عشر، وتضمن معلومات عن أوبئة الكوليرا التي ضربت الجزائر والمغرب سنوات 1834-1850-1854م/1249-1266-1270هـ، ولكن أهميته الحقيقية تكمن في مناقشته لقضايا نظرية شائكة ظلت مثار جدل منذ العهد الإسلامي الأول وإلى عهد المشرفي، وقد قسمه المشرفي إلى مقدمة وسبعة فصول وخاتمة، تكلم المشرفي عن أماكن انتشار الوباء والوفيات التي خلفها ونتائجه الديمغرافية، ثم تناول في باقي الفصول قضايا علمة تتعلق بأحكام الأوبئة وآدابها من خلال الاسترشاد بالأحاديث النبوية وجمع الأخبار الواردة في الطاعون، مع شرحها وتيسير معانيها وتبيان أحكامها، ثم تناول ما يعالج به الطاعون من الرقى والأدعية المأثورة، ثم ذكر مسألة العدوى وحقيقتها وقضية الحجر الصحي، ثم تكلم عن مسألة عدم الفرار من أرض حل بها الوباء، والملاحظ أن مضامين كتاب المشرفي اكتفت بنفس مواضيع كتاب ابن حجر العسقلاني بذل الماعون في فضل الطاعون، إذ يعد مرجعا أساسيا لكل كتب ورسائل الأوبئة، حيث كان مصدرا رئيسيا للمشرفي في كتابه إضافة لكتاب "ما رواه الواعون في أخبار الطاعون" لجلال الدين السيوطي، و"عمدة الراوين في بيان أحكام الطواعين" لمحمد حطاب الرعيني، واعتمد في كتابته أيضا على مصدر مغربي وهو عبارة عن رسالة فقهية مالكية لأحمد بن مبارك السجلماسي المسماة "جواب في أحكام الطاعون"، وهذا ما يجعلنا نخلص في النهاية أن ما خطه العربي المشرفي في كتابه أقوال المطاعين في الطعن والطواعين ليس سوى تكرارا لما سبق قوله، وجمع لما قاله الفقهاء الأولون[2].

---

[1] - Shaw, D. Voyade dans la régence d'Alger. Paris ; 1830 ;p87

[2] - العربي المشرفي: أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، دراسة وتحقيق حسن الفرقان، ط1، منشورات التوحيدي، الرباط، المغرب، 2014.

إضافة إلى الكتب والمؤلفات القديمة لداوود الأنطاكي وابن رشد والرازي وابن سينا والتي اعتبرت موروث طبي إسلامي اعتمد عليه الأطباء المسلمون في معرفة الأمراض والوبئة وأعراضها وطرق انتقاله وعلاجها[1].

2- المصنفات الأجنبية:

أما الكتابات الغربية فيمكن جمعها في مذكرات خاصة وضعها أطباء في أمراض وبائية ك غراندميسون (grand misson) (Emmanuel Gabriel)حول وباء الجدري (la variole)، والذي تكلم بشكل مطول عن الوباء وتاريخه وأعراضه [2].

كما لا يجب أن ننسى الدكتور بيرتران (Bertherand)الذي كان يشرف على المجلة الطبية الجزائرية، وكتابه « الطب والنظافة عند العرب»، médecine et hygiéne des arabes والتي صدرت في منتصف القرن التاسع عشر ميلادي [3].

أما في الفترة المتأخرة من الحكم العثماني للجزائر نجد مذكرة بروجر (Ber bruger)، « mémoire sur la peste en algérie »، والتي جاءت ضمن كتاب « Exploration scientifique de l´algerie»، أي الاستكشاف العلمي للجزائر، وخلالها تتبع بروجر الأوبئة في الجزائر بشكل دقيق بداية من سنة 1552م/959هـ [4].

ثم يأتي كتاب غيون (Guyon) تاريخ الأوبئة في شمال إفريقيا « Histoire chronologie des épidemies du nord l´afrique»، وقد غطّى هذا الكتاب الفترة الممتدة من ما قبل الميلاد إلى غاية الربع الاول من القرن التاسع عشر وبالضبط سنة 1822م[5]، وقد اعتمد فيه كاتبه بشكل كبير على ما ذكر (بيربروجر)، وركّز بشكل كبير على

---

[1]- محمد العربي المشرفي، نفسه، ص29.

[2] -Grandmaisson, & Emmnuel, G.. *La variole.* (Rueff, Éd.) Paris. (1894) ; p 145.

[3] - Berthrand, E. médecine et Hygiéne des arabes; études sur l'exercise de la médecine et de la chirugie chez les musulmans de l'Algerie. paris. (1855).p

[4]- خير الدين سعيدي. المجاعات والأوبئة خلال العهد العثماني 1700-1830أطروحة دكتوراه، الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية-قسم التاريخ، الجزائر: جامعة 08 ماي 1945 قالمة. (2018-2019)، ص 46-47.

[5] - نفسه: ص 50.

انعكاسات الأوبئة على السلطة والمجتمع، وتغافل عن الحديث على الانعكاسات النفسية والعقائدية والدينية.

وتوجد أطروحة دكتوراه في الطب لجون مارشيكا (Marcheka) سنة 1901م/1318هـ من جامعة الجزائر بعنوان «La peste en afrique septentrionale » وخصّص جزءا منها للكلام عن الأوبئة في الجزائر تحت عنوان Histoire de la peste en algerie de 1363-1830، وقد ذكر مارشيكا أن الهدف من دراسته هو تأريخ التسلسل الزمني لظهور الأوبئة في منطقة المغرب من المحيط إلى غاية قناة السويس [1].

ونذكر أيضا كتاب الأوبئة والتاريخ المرض والقوة الإمبريالية من تأليف شلدون واتس، ويدرس هذا المؤلف تاريخ الطب عامة، وعلم الأوبئة بشكل خاص، ويسلط الضوء على علاقة الإمبريالية والحركة الاستعمارية بانتشار الأمراض الوبائية في مناطق جديدة لم تكن موجودة فيها من قبل، ويحلل كيف استخدمت الإمبريالية مفهوم " مقاومة الأمراض الوبائية" لتتمكن من اختراق دول إفريقيا وآسيا والأمريكيتين، ونقل الأفكار الاستعمارية وتطبيقها، ويؤكد أن المؤسسات الطبية التي أسسها الغرب تدخل ضمن نطاق القوة والسيطرة بين الحاكمين والمحكومين.

ثالثا: تاريخ الأوبئة في الجزائر العثمانية ومصادر انتشارها

إن الأوبئة في إيالة الجزائر خلال الحكم العثماني لم تقتصر على منطقة دون أخرى، بل عمت جميع إيالات الجزائر، لكنا نجدها تمركزت في العديد من المناطق الرئيسية كعواصم بيالك الإيالة، وتأثيرها اختلف بين مناطق الجنوب وباقي مدن الإيالة الشمالية اختلافا كبيرا، وأن معظم نقاط انتشار الأوبئة كان في المدن الشمالية الساحلية خصوصا الحواضر الكبرى، وهذا راجع بالأساس لارتفاع الكثافة السكانية وتوفر العوامل المسببة للأوبئة والمساعدة على انتشارها كالمناخ وحركة السكان والتجارة، وهذا ما ساهم في انتشار الأوبئة وتفشيها وانحصارها، وهذا ما جعلنا أمام إشكالية طرحناها سابقا وهي هل البيئة

---

[1] - Marcheka, J. la peste en Afrique septentrionel; histoire de la peste en Algérie de 1363-1830. these doctorat. Alger, faculte mixte de médico et de pharmacie d'Alger: (1957, mai 20)

الجزائرية بيئة وبائية؟ أم أنها استوردت إليها من إيالات أخرى كانت تحت الحكم العثماني؟ وما هو سبب استمرار حدوث الأوبئة في الجزائر خلال الوجود العثماني؟ وهل للسياسة العثمانية في مواجهة الأوبئة دور في ذلك؟ وسنجيب على هذه الأسئلة وأخرى من خلال ما سنذكره لاحقا.

1- تاريخ الأوبئة في الجزائر العثمانية:

كانت بداية ظهور الطاعون بمدينة بجاية سنة 1510م/915هـ وظهر مجددا بمدينة وهران سنة 1517م/922هـ وتسبب في أضرار بشرية هامة واضطر السكان إلى مغادرة المدينة والاستيطان بضواحها[1].

ثم عاد الطاعون سنة 1535م/941هـ إلى مدينة الجزائر، وأيضا على مدينتي وهران وبجاية وكان سبب هذا الوباء رسو سفن محملة بالقمح في مدينة الجزائر[2].

ثم اجتاح وباء الطاعون مدينة وهران أيام حكم حسن آغا سنة 1542م/948هـ في شهر سبتمبر وعمره 56 سنة[3]، وقد أكد هذا كل من بير بروجر Berbrugger، غيون (Guyon)، رنيو (Raynaud) وهايدو (Haedo) ونتج عن هذا الوباء خسائر بشرية هامة جعلت الإسبان يغادرون المدينة، وقد استمر لمدة ثلاث سنوات واشتدت وطأته إلى غاية سنة 1545م/951هـ، كما تسبب هذا الوباء في مجاعة كبيرة نتجت عن قلة المحاصيل الفلاحية[4]، وتوفي نتيجة وباء 1548 خير الدين بربروس وعمره لا يتجاوز 63 سنة[5].

وعرفت وهران وباءً آخر سنة 1554م/961هـ والذي كان قد ظهر في مدينة الجزائر سنة 1553م/960هـ مخلّفًا 9000 ضحيّة[6].

---

[1] - R. Dr Deneveu, L'Etat sanitaire de l'Afrique du nord pendant l'Occupation Arabo-Turque » In bulletin de la société Française d'histoire de la médecine 1913.

[2] - H.D de Grammont, Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830), Ed Ernest Le Roux, Paris, 1887, p 17-18.

[3] - Fray Diego, de Haedo, Histoire des Rois d'Alger, Traduit et annoté par Hd. De Grammont Adolphe, Jourdon , ed. Alger, 1981, p 68.

[4] - Marchika, Op.cit, pp 24-15.

[5]- فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي1518-1871، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2003-2004، ص 52.

[6] - I. Illich. Nemesis, Médicale, L'Expropriation de la santé Ed. Seuil, Paris, S.D. pp 20-21., p 15.

بدأ ظهور الأوبئة في الجزائر العثمانية سنة 1552م/959هـ إذ يعد أول الأوبئة وأعنفها حسب هايدو[1]، وهذا راجع للمجاعة التي سبقته سنة 1551م/958هـ[2]، وقد امتد هذا الوباء بشكل كبير في الغرب وبالضبط في مدينة وهران[3]، حتى أن "الرايس صالح" بايلرباي الجزائر توفي به بالقرب من مدينة وهران حين أراد فتحها[4]، وتكرر هذا الوباء لمدة أربع سنوات تقريبا حتى سنة 1556م/963هـ[5]، فقد عانى سكان مدينة الجزائر من الطاعون بشدّة وكان عدد الموتى يزداد يومًا بعد يوم[6]، فتوفى به يوسف باشا وعمره ولا يتجاوز 26 سنة، ويحي باشا الذي ذهب ضحية طاعون 1557م/964هـ[7].

وقد تسرب هذا الوباء إلى مدينتي وهران وتلمسان سنة 1557م/964هـ وتوفي به مولاي حسن وانطلاقا من هذا التاريخ شكل هذا المرض وباءًا محليا متواطنًا (Endemie-Locale)، وقد ارتبط بتلمسان وضواحيها لمدة زمنية طويلة كما أن ضحايا هذا الوباء كان من الفقهاء والأعيان والأئمة والعلماء[8]، ثم تجدّد الوباء سنة 1559م/966هـ في حكم حسن حسن آغا بن خيرالدين[9]، وتجدد سنوات 1561-1571م/968-978هـ وسنة 1584م/991هـ[10].

والملاحظ أنه انطلاقا من سنة 1557م/964هـ إلى غاية 1585م/992هـ (خلال مدة زمنية تقدر ب 17 سنة) نجد أن الطاعون استقر بوهران، تلمسان ومدينة الجزائر، حيث عانت هذه المدن وأحوازها من شدّة تواتر المرض والذي كان ينقل إلى الجزائر عن طريق الحجاج[11].

---

[1] - Frey Diego, de Haedo, Histoire des Rois d'Alger, Tradu ite et aumontée par de Grammont , Jourdon ; Alger, 1981, p 96-97.

[2] - J-L-G. Guyon, Histoire chronologique des épidémies du nord de l'Afrique depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours, Imprimerie du gouvernement Alger 1855, p 207.

[3]- Frey Diego de Haedo, Op.cit, p 96-97.

[4]- مؤلف مجهول، نبذة يسيرة في سيرة محمد باي فاتح ثغر وهران، مخطوط المكتبة الوطنية الفرنسية، باريس رقم (5022)، و/6، ص 11

[5] - J-L-G-. Guyon, Op.cit, p 208

[6] - A. Devoulx, « Assassinat du pacha Med Tekeherli » in, RA, N° 15 année 1871, o.p.u.s.d, Ed Bastide, Paris, 1871, p82..

[7] - Pehaédo, Op.cit, p112.

[8] - Marchika, Op.cit, p 29.

[9]- Adrien Berbrugger, Op.cit, T2, p 205.

[10] - Ibid.

[11]- حمدان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص 282.

وظهر الطاعون الكبير في مدينة تلمسان سنة 1575م/982هـ وذهب ضحيته العديد من الفقهاء والأعيان نذكر منهم: محمد بن الوجدي، محمد الجادوي، محمّد المديوي[1].

أما خلال الفترة الممتدة ما بين 1591م- 1597م/999-1005هـ، نجد أن الطاعون قد ضرب كل منطقة شمال إفريقيا، وهذا نتيجة للاضطرابات المناخية والجفاف وإتلاف المحاصيل الزراعية وهذا ما نتج عنه مجاعة حادة[2].

وفي القرن 17م فقد بلغ عدد الأوبئة التي ضربت إيالة الجزائر حسب الكثير من الدراسات أكثر من 15 وباءًا واختلفت هذه الأوبئة من حيث مدّة بقائها وشدتها، وتأثيرها[3].

وفي المقابل لم تتعرض الجزائر خلال هذا القرن إلى الكثير من المجاعات مقارنة بالأوبئة، وكان أبرز هذه المجاعات التي ضربت الجزائر سنة 1683م/1094هـ[4] والتي كان من أسبابها القحط والجفاف وتزامنت مع وباء ضرب الجزائر، وأيضا المواجهة مع باي تونس وهذا ما لخصه القنصل الفرنسي في الجزائر فليب جاك (Philipe Jacques Durand) بقوله أنه "إضافة إلى المواجهات مع باي تونس خلال سنة 1696م/1107هـ كانت المجاعة والأوبئة أشدها في مدينة الجزائر"[5]وقد عم الوباء معظم أرجاء الدولة العثمانية خاصة إيالتها في إفريقيا، وحصد العديد من الضحايا.

أمّا أبرز الطواعين الذي ضربت الجزائر في القرن السابع عشر ذاك الذي كان سنة 1605م/1013هـ حيث تذكر بعض المصادر أنه كان يقتل 700 فردًا يوميا[6]، الأوبئة التي ضربت الجزائر ما بين سنتي 1601- 1614م/1009-1022هـ فكانت مرتبطة بالجفاف الذي دام تسع سنوات وترتبت عنه مجاعات حادة تأثرت بها كل المناطق الجزائرية وبالأخص مدينة قسنطينة[7].

---

[1] - Jean Marchika, Op.cit, p 33.

[2] - Biraben, Les hommes et la peste en France et dans les pays européens et méditerranéens , T1, Paris Lahaye 1975, p148.

[3] - J-L-G-. Guyon, Op.cit, p p 267-286.

[4] - Grammont Henri Delmas, Relation entre la France et la régence d'Alger au XVII siècle, Alger , 1879, p 81.

[5] - H.D de Gramont, Correspondance des consuls d'Alger (1690-1742), Alger, Adolphe JourdaN- libanaise, Editeur 4 place de gouvernement, 1890, p 57-59.

[6]- فلة موساوي القشاعي، وباء الطاعون في الجزائر العثمانية، درواته وسلم حدوثه وطريق انتقاله، مجلة دراسات إنسانية، جامعة الجزائر، العدد الأول، السنة الأولى، 2001، ص 140.

[7] - E. Mercier, Histoire de Constantine, Constantine, 1903, p 216.

يعرف الطاعون خمودًا ما بين سنوات 1614- 1620م/1022-1029هـ ثم يعود بشدّة وينتشر عبر كل المغرب حتى سنة 1620م/1029هت وسمي عند ساكنة الجزائر " بالحبوبة الكبرى أو الكبيرة" وانشر بالمدن والأرياف[1]، وسمي أيضا بطاعون "سيدي بلخريس" وقد ظهر في نفس المدّة الزمنية في كل من فرنسا وإسبانيا[2].

أما الفترة التي بعد هذا الطاعون فعرفت استقرارًا لمدة تزيد عن 20 سنة، ولكنها عرفت أيضا ما بين 1639م- 1649م/1048-1058هـ أوبئة تكرارية عانت منها مدن الجزائر، قسنطينة، بسكرة، كانت بسبب زلزال سنة 1639م/1048هـ والمجاعة المصحوبة بالطاعون[3]، ثم عاد الوباء للظهور وبشكل قوي سنة 1647م/1056هـ والسنة التي بعدها أي في 1648م/1057هـ[4].

نجد الأوضاع استقرت لمدة تقارب العشر سنوات حسب بعض المصادر، ونجد مصادر أخرى تؤكد اختفاء الطاعون في الجزائر مابين سنة 1650م/1059هـ حتى سنة 1654م/1064هـ، ولكن تلتها عشر سنوات أخرى عرف فيها الطاعون انتشارًا كبيرًا ولمدة زمنية طويلة من سنة 1654 إلى 1666م/1064هـ إلى 1076هـ، وعرف هذا الطاعون بالدملي أو الخراجي (Peste Bubonique) وضرب كل من وهران، بجاية، قسنطينة وكان يذهب ضحيته حوالي 500 شخص كل يوم[5]، كما كان سببا في هلاك ثلث سكان مدينة الجزائر، لأنه تركز بشكل كبير بها[6].

أما وباء سنة 1661م/1071هـ والذي تمت تسميته " الحبوبة القوية" أو "الحبوبة الكبيرة" والذي أحدث انهيار ديمغرافي كبير حيث تشير بعد الإحصائيات إلى هلاك 10 آلاف أسير بالوباء[7]، وهو رقم يظهر أنه مبالغ فيه فسكان مدينة الجزائر خلال هذه السنة لم يكن يتجاوز 100 ألف نسمة[8].

---

[1] - Jean Marcheka, Op.cit, p 40.
[2] - Chabran Jean- Armand, Les grandes épidémies dans le Briançonnais, Grenoble imp France, 1986, p 06-09.
[3] - De Grammont, Op.cit, p 189.
[4] - Grammont Henri Delmas, Relation entre la France et la régence d'Alger au XVIIesiècle, p 8.
[5] - Jean Marcheka, Op.cit, p 49.
[6]- فلة موساوي القشاعي، وباء الطاعون في الجزائر، المرجع السابق، ص 140.
[7] - De Grammont, Op.cit, p 213.
[8] - R. Lespes, « Alger Esquisse de géographie Urbaine », Jules Carbonel, Alger 1925 in R.A, N° 67, 1926.

أما وباء سنة 1662م/1072هـ فهناك مصادر أكدت على هلاك حوالي 60 ألف ضحية في الوباء[1].

ويذكر "دي غرامون" أن الوباء الذي ضرب مدينة الجزائر خلال سنة 1664م/1074هـ قد خلف عدد كبير من الضحايا[2]، وامتد أثره إلى بايلك الشرق وبالضبط وبالضبط إلى مدينة قسنطينة في السنة التي بعده أي سنة 1665م/1075هـ.

عرفت الفترة الممتدة من 1666 إلى غاية 1673م/1076هـ إلى 1083هـ بكونها بيئة خالية من وباء الطاعون في الإيالة الجزائرية، ولكن عاود ظهور الطاعون في المرحلة الممتدة ما بين 1673- 1702م/1083-1113هـ بصفة تكرارية مستمرة خاصة منذ فقد ضرب الجزائر وباء قوي نقل إليها من مدينة (جناكله) العثمانية عن طريق أحد الأساطيل البحرية والذي وصل إليها في 18 ماي 1671م/ 10 محرم 1082هـ وقد قضى على عدد كبير من سكان إيالة الجزائر حسب مارشيكا[3].

وفي سنة 1675م/1085هـ تسرب الوباء من تونس عن طريق الطرق التجارية البرية، ثم وصل الطاعون إلى وهران عن طريق بحارة اسبانيين، وكان من أسباب هذا الوباء فيضانات وادي متيجة في مارس وحرائق سنة 1709م/1120هـ[4].

ثم تسلط الطاعون على مدينة وهران وأحوازها في سنوات 1678- 1679- 1680م/1088-1089-1090هـ، وانتقل إلى مدينة الجزائر سنة 1681م/1091هـ، التي عاشت أيامًا صعبة جراء الوباء والمجاعة بين القبائل والسلطة والتي شكلت عاملاً أساسيا لنقل العدوى[5]، وتواصل الوباء طيلة السنوات التالية 1682- 1683- 1684- 1686- 1690- 1691م/1092-1093-1094-1096-1101-1102هـ[6]، وقد

---

[1]- Masson Paul, Histoire des établissement et du commerce français dans l'Afrique Barbaresque(1550-1793) (Algérie-Tunisie-Tripolitaine-Maroc), Hachette, Paris, 1903, p 154.

[2] - H.D de Gramont, Relation entre la France et la Régence d' Alger, au XVIIe siècle, Alger, Adolphe Jourdan, 1879, p183.

[3] - Jean Marchika, Lapeste en Afrique septentrionale, Histoire de la peste en Algérie de (1363-1830) présentée le le 20 Mai 1927, non publier, pp 55-56.

[4] - L.C.D Feraud, « Ephémé Ride d'un secrétaire officiel sous la domination turque à Alger de 1775 à 1800 I N R R A, N° 18, Année 1874, p 319.

[5] - S.S Peziale, « La langue trêve Epidémiologie : La Tunisie entre 1705 et 1784 R.H.A.E.O N° 17 18 Spt1998, pp 98-99.

[6]- فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان في الجزائر، المرجع السابق، ص 66.

صاحب هذه الأوبئة القحط والجفاف والمجاعة، وكان لها تركيز على الحياة الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية ونخص بالذكر هنا وبائي (1682-1683م/1092-1093هـ)[1].

وسمي وباء سنة 1691م/1102هـ بعام البرورو[2]، والذي تسبب في خسائر بشرية كبيرة واستمر الوباء طيلة السنوات الموالية في إيالة الجزائر 1692- 1693-1694م/1103-1104-1105هـ واشتدت وطأة الوباء ما بين سنتي 1698-1700م/1109-1111هـ في كامل الإيالة الجزائرية وقد بلغ عدد ضحاياه ما بين 25 ألف إلى 45 ألف ضحية سنويًا[3].

وقد اتفق مارشيكا وذي غرامون على أن الطاعون خلال الفترة الممتدة من (1694-1698م/1105-1109هـ) أي خلال أربع سنوات قد قضى على قرابة 100 ألف نسمة، أي بمعدل ألف نسمة سنويا أي بنسبة 10% من سكان المدن[4].

وضرب الوباء إيالة الجزائر وتونس سنة 1696م/1107هـ. وصاحبته مجاعة وقد ذكره القنصل العام الفرنسي في الجزائر (Philippe Jacques Durand) وكان سببا في توقف الحملة الجزائرية على تونس، وقد استمر هذا الوباء والمجاعة إلى الشهور الأخيرة من هذه السنة[5].

2- طرق ومصدر انتقال الأوبئة إلى الجزائر:

أجمع المختصون والمؤرخون في دراسة الأمراض والأوبئة بالجزائر أن الطاعون لم يكن وليد البيئة الجزائرية بل غريب عنها، وإنما نقلت إليها العدوى من منطقة الشرق الأوسط[6]، خصوصا إذا علمنا أن مناخ الجزائر وهو مناخ البحر الأبيض المتوسط هو مناخ مناخ معتدل وصحي وأبعد ما يكون سببا في حدوث الأوبئة وانتشارها، غير أننا نقف على

---

[1] - Jean Marcheka, Op.cit, p 63.
[2] - Ferand, Op.cit, p 319.
[3] - L. Valensi, calamités démographiques en Tunisie, méditerrané orientale aux 18e et 19e Siècle, in Annales E.S.C 1969 , p 1541.
[4] - H.D de Gramont, Histoire d'Alger sous la domination Turque(1515-1830) Ernest Leroux, éditeur Paris, 1887, 1887, pp 268-269.
[5] - H.D de Gramont, Correspondance des consuls d'Alger (1690-1742), Alger, Adolphe Jourdan- libanaise, éditeur 4 place de gouvernement, 1890, p 57-59.
[6] - jean Marcheka : op cit, p 183.

مجموعة من الأسباب المباشرة في حدوث الأوبئة كحركة السكان والتجارة خصوص القوافل التجارية وحركة الموانئ التي كانت سببا مباشرا في انتشار الأوبئة خصوص تلك القادمة من منطقة الشرق الأوسط ومصر، وحتى من أوروبا كفرنسا التي كانت عرضة للأوبئة، وأيضا ركب الحجيج الذي كان سببا في حدوث أوبئة تكررت لسنوات عديدة، ضف إلى ذلك استهتار السكان ولا مبالاة السلطة الحاكمة في مواجهة الأوبئة فور حدوثها واعتبارها قدرا محتوما وجب التسليم به، وسنذكر هنا أهم الأسباب المباشرة والغير مباشرة التي كانت سببا في وقوع الأوبئة وانتشارها.

أ- حركة السكان:

وقد كان لحركة السكان المستمرة وتنقلاتهم داخليا وخارجيا الدور الكبير في ظهوره هذا الوباء بالجزائر وذلك عن طريق الطلبة والحجاج والتجار القادمين من منطقة الشرق في مواسم حدوث الوباء، فالحجاج والقوافل التجارية استعملوا الطريق الساحلي وهو طريق بيروت ثم تركيا فالقاهرة ثم الاسكندرية وبرقة وطرابلس وقابس والقيروان وتونس وباجه وقسنطينة ثم ميلة، فيصلون إلى مدينة الجزائر، ثم يواصلون نحو مليانة وتلمسان، أما المسار الثاني فهو الطريق الصحراوي الذي يتبعون فيه الطريق الأول إلى غاية القيروان، ومنها إلى بسكرة ثم ورقلة والأغواط وصولا إلى تفيلالت[1].

ب- الحركة التجارية:

لقد كان من أهم أماكن تواجد الأوبئة واستيطانها المدن الساحلية مثل الجزائر، عنابة، يجل، وهران، مستغانم، أما مصدرها فكان المشرق العربي ومصر تحديدًا[2]،أو موانئ الدولة العثمانية[3]، فأوّل وباء كان مصدره موانئ الإسكندرية سنة (1130هـ-1718م) عن طريق سفينة انجليزية محمّلة بالسلع من مصر[4]، وأيضا وباء سنة (1153هـ-1740) حيث كان مصدر هذا الوباء سفينة قادمة من الإسكندرية[5]، وهذا من خلال العلاقات التجارية والدينية

[1] - Raynauld, L : Marche origine des grandes épidémies au nord d'Afrique et particuliérement au maroc, communications faites au congresde médecine caire, Cairo, 1902, p 02.
[2] - La Lette Valensi, Le Maghreb avant la prise d'Alger (1790-1830), p 59-60.A.I.P.A 1924 p 21.
[3] - Daniel. Panzec, Histoire Economique et sociale de l'imper Ottoman ; étude la Turquie la respensabilité de vol3, 1995, p 566 Ag E.
[4] - J-L- Guyon, Op.cit, p298.
[5] - H- De Grammont : Histoire d'Alger sous la domination turque,(1515-1830), p 297.

التي كانت تربطها مع الشرق الأدنى وبالخص الحجاج القادمون من شبه القارة الهندية، وهذا ما شكل إجماع لدى الباحثين والمؤرخين على أن شبه القارة الهندية هي مصدر وموطن الأوبئة في الفترة محل الدراسة[1].

أما داخليا فكان انتقال الأوبئة يبدأ من المناطق الساحلية التي كانت تعرف حركة تجارية من الساحل إلى المناطق الداخلية وهذا ما أشار إليه القنصل الفرنسي في الجزائر من انتقال الوباء (1153هـ-1740م) من الجزائر إلى قسنطينة[2]، وأيضا قافلة شيخ العرب التي كانت في الجزائر أثناء وباء (1749م/1162هـ) ونقله إلى مدينة قسنطينة وتوفي شيخ العرب به[3]، كما أن مصدر العدوى كان يمكن في موانئ المشرق خاصة القسطنطينية[4]، وقد شكل ميناء إسطنبول منبع للأوبئة والتي انتشرت عبر كل موانئ الإمبراطورية العثمانية خاصة مصر[5].

هذا ما يفسر انتقالا الوباء من الجزائر إلى تونس والعكس، كما حدث مع وباء سنة 1784م/1198هـ الذي انتقل من تونس إلى الجزائر بعد فراغه من تونس سنة 1785م/1199هـ والذي تفشى رغم فرض باي قسنطينة حجرًا صحيا حول الحدود الجزائرية التونسية[6]، وامتد تأثيره إلى أن وصل بايلك الغرب بعد مروره على بايلك التيطري سنة 1787م/1201هـ وتجدد سنة 1789م/1203هـ، وانتهى سنة 1792م/1206هـ[7].

ويذكر وليام شالر أن الأوبئة تمركزت في المدن الكبرى الساحلية المطلة على البحر الأبيض المتوسط والتي كانت تعرف حركة تجارية كبيرة، وتنقلات خارج إيالة الجزائر من

---

[1]- Clot Antoine-Barihelmy, Coup d'oueil sur la peste et les quarantaines à l'occasion du congrès sanitaire, 1851, Paris, Editeur scientifique, p25.

[2]- H.D De Gramont : Correspondance des consuls d'Alger (1690-1742) p 260.

[3]- Adrien Berbrugger, mémoire sur la perte en Algérie dans exploration scientifique de l'Algérie science médicale, imprimerie royale, Paris, T2, p 227.

[4] - Mourre, Dictionnaire Encyclopédique d'Histoire –La Rousse Bordas, 1996, pp 4276-4277.

[5]- فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص 60.

[6] - Adrien Berbrugger, mémoire sur la perte en Algérie dans exploration scientifique de l'Algérie science médicale imprimerie royale, Paris, T2, p 258.

[7] - Ibid, p 229

خلال موانئها وهي: الجزائر، وهران، عنابة[1]، وهذا ما يفسر إفراد هذه المدن بالأبحاث والدراسات عند التكلم عن الأوبئة.

ج- الجفاف والجراد والمجاعات:

يربط "بيرابن" بين ظهور وباء الطاعون والفيضانات ويستشهد بفيضان نهر النيل في مصر، وما نتج عنه من رطوبة ساعدت في ظهور الفيروس المسبب للطاعون وبالتالي فتتساقط الأمطار والرطوبة يعتبران عاملان مساعدان في ظهور الطاعون وانتشاره[2].

كما أن الأوبئة التي ضربت الجزائر ما بين سنتي 1601- 1614م/1009-1022هـ كانت مرتبطة بالجفاف الذي دام تسع سنوات وترتبت عنه مجاعات حادة تأثرت بها كل المناطق الجزائرية وبالأخص مدينة قسنطينة[3].

وقد ربط مارشيكا حدوث الأوبئة بأسراب الجراد والجفاف خلال حديثه عن الوباء الذي خرّب الإيالة الجزائرية خلال سنة 1700م/1111هـ[4]، ويذكر "شالر" في مذكراته مهاجمة مهاجمة أسراب الجراد لحقول القمح والشعير والتي قضت على الزرع والثمار[5]، والتي وردت من مقاطعة وهران ثم اتجهت إلى بايلك التيطري ودار السلطان[6] وهذا ما دفع بالدّاي بالدّاي إلى منع تصدير الحبوب من قسنطينة ووهران إلى خارج الإيالة وعمل على تغطية قلة القمح باستيراد من الموانئ الأوروبية[7].

كان لاحتكار السلع دور كبير في انتشار المجاعات والتي كانت بدورها سببًا في حدوث الأوبئة فيما بعد خصوصًا الفترة محل الدراسة (1700-1730م/1111-1142هـ) فمثلا المجاعة التي حدثت بالجزائر في سنة 1805م/1219هـ كانت في هذه الفترة بالذات شركة اليهوديين "بكري وبوشناق" تصدّر القمح الجزائري إلى مارسيليا ولفورنا، في وقت كانت السوق الجزائرية في حاجة ماسة إليه، وكانت تعرف نذرة القمح، مستغلا بوشناق القوية

---

[1] - William Shaler, Esquisse de l'état de l'Alger, TR.X Blanchi Librairie l'Aadvocaat, Paris, 12830.
[2] - Biraben, Les hommes, Op.cit,138.
[3] - E. Mercier, Histoire de Constantine, Constantine, 1903, p 216.
[4] - Jean Marcheka, Op,cit, p 69.
[5] - Wiliam Shaler, Esquisse de l'etat d'Alger, Tr. M. X Blanchi, Librairie, L'advocast, Paris, 1830, pp 87-88.
[6] - J-L-G. Guyon, Op.cit, p368.
[7] - Lucette Valensi, Les Maghreb Avant la prise d'Alger (1790-1830) p 59/60.A.i.p.A1924, N°3, p 24.

التي كانت تربطه مع الداي مصطفى باشا[1]، وهذا ما كان سببا في انتشار المجاعات نتيجة احتكار السلع وتصديرها للدول الأوروبية من اشخاص كان لهم نفوذ عند الداي بل هو من كان يحمي مصالحهم الشخصية في كثير من الأحيان.

ومن العوامل التي ساعدت على انتشار الأمراض والأوبئة وجود مستنقعات بالسهول الساحلية، وظروف مناخية كانت تعرفها البلاد من فترة لأخرى من جفاف وفيضانات وزحف الجراد، وعدم وجود ثقافة الالتزام بالقواعد الصحية في حالة وجود وباء أو مرض وعدم وجود أدوية ناجعة[2].

وخلاصة القول أن الأمراض كانت تنتقل إلى الإيالة الجزائرية من المشرق العربي خاصة عن طري الطلبة والحجاج والتجار ومن أوروبا عن طريق التجار والبحارة، ومن إفريقيا أيضا عبر بلاد السودان[3]، وزاد من حدة الأمراض كثرة الكوارث الطبيعية كالجفاف كالجفاف والجراد والزلازل، والتي سببت المجاعة بشكل عام كمجاعة 1752م/1165هـ، التي استمرت 4 سنوات ومجاعات 1778- 1779- 1787- 1789- 1806- 1807م/ 1191-1192-1201-1203-1220-1221هـ التي هلك بسببها كثير من الناس وانعدمت فيها الفلاحة وزالت نباتات الحقول من جراء زحف أسراب الجراد الكثيرة[4].

لقد كانت المجاعات والقحط مقدمة لحدوث الأوبئة، خصوصًا إذا علمنا أن المجاعات لم تكن تختص بمنطقة دون غيرها، فنجدها كانت تعم كامل الإيالة، وهذا ما ذكر في إحدى المخطوطات عن مجاعة وقعت في عهد "محمد باي الكبير فاتح وهران" "...أنه في ابتداء ولايته وقع قحط شديد بإقليم الجزائر وبعمالته خصوصًا"[5].

كان مصدر الأوبئة المدن التي تعرف نشاطًا تجاريًا كبيرًا كإسبانيا، والإسكندرية، مارسيليا، القسطنطينية. فمثلاً وباء 1740م/1152هـ الذي كان مصدره مدينة أزمير[6]،

---

[1]- Berbrugger, L'affaire Bakri d'après un document inédit, In, R.A. N°13.1869, 60-63.

[2] - Thomas Shaw, Op.cit, p 8.

[3]-ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4، العهد العثماني، الجزلائر، م.و.ك، ط1، 1984، ص 88.

[4]-نفسه، ص 90.

[5]- نبذة عن سيرة محمد باي الكبير مخطوط المكتبة الوطنية الفرنسية، باريس، رقم (5022) [2/9]

[6]- أف شينونيرغ، الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال، ترجمة أبو عبد دودو، المجلد الأوّل "دار الأمة، طبعة "خاصة" 2009، ص 39.

ووباء 1786م/1200هـ الذي كان مصدر طرابلس الغرب، ووباء 1796م/1210هـ الذي كان مصدره مصر فحسب "تيروزون" وهذا ما ينقض النظرية التي تقول بأن المناخ كان سببا في حدوث الأوبئة بالجزائر، بل العكس فالمناخ في الجزائر كان صحيا[1]، فمصدر الأوبئة كان المشرق العربي أو موانئ الدولة العثمانية[2].

ولعل من أهم أسباب انتشار الأوبئة وظهورها هجرة الأراضي الزراعية والذي كان من مسبباته في بعض الأحيان الثورات الداخلية والوضع الأمني الصعب، خصوصا المواجهات التي كانت تحدث بين القبائل والسلطة الحاكمة، وهنا نذكر ما حدث في بايلك الغرب خلال ثورة "ابن الشريف"[3]، وهي الثورة التي حدثت بين باي بايلك العرب "مصطفى باي" وزعيم قبيلة درقاوة "ابن الشريف الدرقاوي" مما دفع بالمزارعين الذين تقع أراضيهم في المجال الجغرافي للمواجهات إلى هجرتها، وهذا ما تسبب في انخفاض كبير في إنتاج القمح، إضافة إلى صعوبة ومشقة البذر والزرع والعائد المالي الضعيف خلال هذه الفترة[4].

ووصف العديد من الرحالة الأوربيين والغربيين المزارعين والفلاحين الجزائريين بالكسالى وهذا ما ذكره أيضا الرحالة الألماني هابسترايت[5].

ويرى "Laumonier" لومنيير أن منابع الطاعون الأساسية هي دلتا النيل ونهر الغانج في الهند[6]، وهذا ما وافق فيه تلوزان (Tholozan) الذي أكد أن الوباء الذي ضرب المناطق المناطق المغاربية والسواحل المتوسطية سنة 1796م/1210هـ مصدره مصر[7].

د- استهتار ولامبالاة السلطة الحاكمة:

في بعض الأحيان كانت السلطة الحاكمة هي سبب في انتشار الوباء. كما حدث في وباء سنة 1717م/1129هـ، حيث وفد إلى الإيالة عن طريق سفينة إنجليزية قدمت محمّلة

---

[1]- أف شوبيرغ، نفسه، ص 12-13

[2] - Luchette Valensi, Op.cit, p 21.

[3] - Walsin Nesterhazy Louis-Joseph- Ferdinand, de la domination Turque dans l’ancien regence d’Alger éditeur. C. Gossglin- Paris 1840, p 206.

[4]- محمد صالح العنتري، مجاعات قسنطينة: تحقيق رابح بونار، د.ط، ذخائر المغرب العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، ص 35.

[5]- هابنسترايت، رحلة العلامة الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، ترجمة، ناصر الدين سعيدون، دار الغرب الإسلامي، 1987، ص 60.

[6] - Laumonier Jean, La peste, Histoire et traitement éditeur H, Gautier, Paris, 1897, p 02.

[7] - Tholzan Joseph- Désiré, Du Développement de la peste dans les pays montagneux et sur l hauts plateaux de l’Europe de l’Afrique, Gautier, Villars, Paris, p 03.

بالسلع قادمة من مصر[1]، مع أنه انتشر خبر وفاة قبطان هذه السفينة قبل وصولها إلى الجزائر[2]، غير أن داي الجزائر لم يقم بأي إجراء يوقف هذا الخطر، بل بالعكس سمح للسفينة بالرسو في الميناء وإنزال حمولتها[3]، رغم أن قبطان السفينة (Honore Lyon) كان قد أكد لنائب القنصل الفرنسي بأن السفينة تحمل أشخاص مصابين بالوباء، واتصل هذا الأخير بالداي وشرح له الأمر ونصحه بوضع حجر صحي لركاب السفينة وعدم إنزال السلع والبضائع المتواجدة عليها، إلا أن الدّاي تغاض عن نصائح القنصل وأكد له أن الوباء لن يصيب المدينة وأمر بإنزال جميع البضائع والسلع وبيعت في الأسواق مباشرة[4].

ونجد حادثة أخرى خلال حكم الباشا "إبراهيم باي" حيث حاول إخفاء أمر الوباء الذي حل بالجزائر سنة 1752م/1165هـ، وهذا حتى يحافظ على النشاط الاقتصادي في المدينة، وافتضح أمر الوباء بعد أن عملت فرنسا عن طريق قنصلها بالجزائر "جونفيل" بالوفيات الكبيرة نتيجة الوباء[5].

ونتكلم هنا عن الوباء الكبير الذي ضرب الجزائر سنة (1786م/ 1201هـ) حيث يذكر بيربروجر أن سبب قدومه إلى الجزائر هو بحارة أتوا من إسطمبول وبالضبط من مدينة أزمير التي كانت مركزا العسكر الوافد لإيالة الجزائر، حيث كان قد عمّ بها الوباء وانتشر انتشارًا كبيرًا[6]، ويذكر هذا الوباء أيضا الزهار فيقول: "وفي سنة (1201هـ/ 1786م) جاء جاء الوباء إلى الجزائر حتى وصل عدد الأموات أحيانًا إلى خمسمائة جنازة كل يوم ويسمى بالوباء الكبير، وقيل أنه أتى من برّ الترك في مركب مع رجلٍ يدعى "ابن سماية" وطال الوباء في الجزائر، خلال سنة (1211هـ-1796م)..."[7]، كما أن الوباء الذي ضرب

---

[1] - J-L- Guyon, Op.cit, p 298.
[2] - Jean Marchika- Désiré, Op.cit, p 35.
[3] - J-L- Guyon, Op.cit, p 298.
[4] - Pierre Faroux, Mémoire de la congrégation de la mission principale de la congrégation de la mission, 1887, Tomme 3, Arnoula Bossa, Rapport de M. Boussusar l'Eglise d'Alger 1749, M.CM p31.
[5] - Arnoult Bossu, Rapport de M. Bossu sur l'Eglise d'Alger 1749 , M.C.M ; Mémoire de la congrégation de l mission, à la maison principale de la congrégation de la mission 1867, Tome3, p 228.
[6]- خير الدين سعيدي، المجاعات والأوبئة في الجزائر خلال العهد العثماني (1700-1830) أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، الجزائر، كليو العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ 2018-2019، ص 30.
[7]- أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، دار البصائر، الجزائر، وزارة الثقافة، 2009، ص 78. 78.

الجزائر سنة 1792م/1206هـ كان بسبب قدوم وفد من البحارة الجزائريين من إسطمبول[1].

إن العلاقات الاقتصادية والعسكرية والسياسية لإيالة الجزائر مع الباب العالي كانت سببا في انتقال الأمراض والأوبئة، حيث كانت إسطمبول مركز محور وأساسي لالتقاء الغر الأوروبي والشرق الأسيوي والحركة الإفريقية من الوسط إلى الشمال عبورًا من مصر، وهذا ما جعل إسطمبول مركزًا لتحويل الأوبئة القادمة من آسيا والحجاز والشرق الأدنى وإلى أوربا وإفريقيا خصوصا الإيالات العثمانية.

ويذكر الزهار أيضا أن طاعون سنة 1817م/1232هـ كان بسبب قدوم العديد من السفن إلى الجزائر قادمة من الباب العالي فيقولك "عندما بلغت المراكب المهداة من إسطنبول جاء معها الوباء إلى الجزائر واشتعلت ناره سنة 1817م/1232هـ، وذكر مارشيكا نفس المعلومة من أن سفينة واردة من الأناضول تحمل عددًا من المخبرين الأتراك كان يعاني بعضهم من الطاعون قدموا إلى الجزائر[2].

وقد تم رصد عدد كبير من الأوبئة كان مصدرها مصر والمشرق وعمومًا تجاوز عددها 21 وباءًا ما بين (1783-1844م/1197-1259هـ) دون الحديث عن الأوبئة التي كانت قبل[3].

هـ- ركب الحجاج:

كان لركب الحج وموسم الحج عموما سبباً في انتقال الأمراض والأوبئة وهذا من خلال الاحتكاك الحجاج الجزائريين مع غيرهم من الحجاج من مختلف أقطار العلم في البقاع المقدسة، كما حدث في سنة 1752م/1165هـ في الوباء الذي ذكره "غيون" بأنه قد وفد إلى الجزائر مع جموع الحجاج من مكة المكرمة[4].

وكان وفود الحجاج أو ما يعرف بركب الحج تنقل العدوى خلال مسيرها إلى البقاع المقدسة، حيث كانت تمر على عدّة مدن وبلدان وهذا من خلال احتكاكهم مع وفود أخرى أو

---

[1] - J.L.G. Guyon, Op.cit, p 354-355.
[2] - Jean Marcheka, Op,cit, p 156.
[3] - A.N.M : Bulletin de l'académie nationale de médecine, Editeur J-B. Bailli ère, Paris, 1899, p 46.
[4] - J-L- Guyon, Op.cit, p319.

قبائل مقيمة وقد كان يستغرق وصول الحجاج إلى البقاع المقدسة أكثر من شهرين، أما وصولهم إلى الإسكندرية فكان يستغرق شهرًا ونصف، وكان يجتمع في هذا الطريق البري وفود الحجاج من الإيالات الأخرى كطرابلس وتونس، حيث كانت الطريق البرية الشرقية عبارة عن طريق الانتقال الأوبئة خصوصا مع بداية القرن السابع عشر وهذا ابتداء من وباء سنة 1620-1621-1640-1663م/ 1029-1030-1049-1073هـ[1]، وكذلك الأمر بالنسبة للأوبئة التي جاءت في القرن الثامن عشر خصوصًا وباء 1740م/1152هـ مع السفينة الوافدة من الإسكندرية وهو الوباء الذي ضرب الجزائر لمدة 3 سنوات[2].

وقد كان الحجاج أثناء رجوعهم من أداء فريضة الحج يحضون بتعظيم وتبجيل واستقبال كبير من عائلاتهم وأهل بلدتهم من خلال إقامة الولائم، وهذه الاجتماعات في حال كان الحاج مصابا بوباء كالطاعون أو الجذام فسينقله إلى عائلته وأهله وسكان قريته فيصبح الحاج سببا من أسباب انتشار الوباء دون أن يدري، ومن ذلك نذكر الطاعون الذي ظهر وسط الحجيج سنة 1817م/1232هـ ونقلوه إلى مدينة الجزائر وانتشر أيضا في تونس والمغرب وبقي في الجزائر 05 سنوات حتى انحصر سنة 1822م/1237هـ[3].

أما غيون فيذكر أنه في سنة 1817م/1232هـ رست بميناء عنابة سفينة قادمة من مصر تحمل الحجاج وقد كان بها 25 شخصا مصابًا بالطاعون وكانوا سببا في تفشيه في أرجاء المدينة[4]، أما فيما يخص الحج نلاحظ أن انتقال الطاعون يتم بفعل التنقل عبر مسلكين بري وبحري[5].

فالمسلك البري كان خط سير التجار والحجاج العائدين من الأماكن المقدسة بالحجاز عبر القاهرة، تختلط فيه قوافل المغاربة بالقوافل المصرية حتى مدينة الإسكندرية، ومنها يفضل قسم من الحجاج امتطاء السفن والعودة بحرًا، أما الباقي منهم وهم من الأغلبية فكانوا يسيرون عبر ساحل برقة وطرابلس فيمرون بمنطقة البستان وناحية التميمي إلى غاية طرابلس بالغرب، وقد تستغرق الرحلة بين الإسكندرية وطرابلس الغرب حوالي شهرين،

---

[1] - J-L- Guyon, Op.cit, p 261- p 269.
[2] - H- De Grammont : Histoire d'Alger sous domination turque,(1515-1830), p 297.
[3] - Lucette Valensi, Op.cit, p 21.
[4] - J-L- Guyon, Op.cit, p 373.
[5] -Panzac, Les domaines de l'histoire , peste3.

ومن طرابلس تلتحق قافلة الحجاج والتجار بفاس والقيروان وقد تقصد تونس قبل التوجه إلى قسنطينة والجزائر وتلمسان وفاس، وغالبًا ما كان الحجاج يقضون مدّة في بعض المدن كعنابة وبجاية والجزائر والمدية ووهران للقيام بنشاطاتهم الاقتصادية[1]، ومن ثم كانوا ينقلون العدوى إلى هذه المناطق ويصلون بالعدوى في حالة وجود الوباء بهذه المناطق، ولم يكن: "طريق التل التونسي والجزائري المعبر الوحيد المقصود من طرف القوافل، إذ كان البعض الآخر يسلك طريق الصحراء "مسلك القصور" للذهاب إلى بسكرة وورقلة والأغواط، أو بعض الواحات[2].

أما المسلك البحري فينطلق من موانئ الشرق وخاصة إسطمبول وأزمير والإسكندرية نحو موانئ طرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب، وقد كان سببًا في انتقال عدوى الطاعون، فقد كانت إسطمبول بحكم موقعها الإستراتيجي والتجاري مركز انتشار الطاعون في أقاليم المشرق وبلاد المغرب، فتنتقل العدوى من إسطمبول إلى الإسكندرية ومنها إلى القاهرة عبر النيل ومن مصر إلى أقاليم ليبيا وتونس فالجزائر. وهذا ما جعل كل ميناء عثماني صغيرًا كان أم كبيرًا معرضًا لخطر الطاعون[3].

غير أن هذا لا يعني أن الحجاج كانوا يحملون معهم الوباء من البقاع المقدسة دائما، وإنما في بعض الأحيان كانوا يجلبون الوباء معهم من توقفهم بالطرق والموانئ خصوصًا المصرية، خصوصًا منطقة الصعيد التي كانت مشهورة بالطاعون[4]، والدليل على ذلك أنه لو أصيب بالوباء في الحج ومع أداء المناسك والرجوع يكون قد أهلكه الوباء قبل قدومه إلى الجزائر بفعل العديد من العوامل لعل أبرزها مناعة الشخص، وتاريخ العدوى، وطول المسافة بين البقاع المقدسة إلى الجزائر والمدة الزمنية التي يقضيها الحاج في طريق العودة والتي كانت في بعض الأحيان تتجاوز الشهرين. وهي عوامل تؤكد أنه لو أصيب بالعدوى في البقاع المقدسة سيهلك أو تظهر عليه الأعراض قبل وصوله إلى الجزائر، يضاف إلى ذلك عودة الكثير من الحجاج عبر طرق مختلفة، فربما كان منهم من يصاب بالعدوى أثناء

---

[1] - Raymond, Op.cit, p02.

[2] – Raymond, Op.cit, p02

[3] -Panzac, La peste , p 150.

[4] - J-L. Guyon, Op.cit, p 03.

عودته في الطريق دون أن يكون قد أصيب بالوباء في الحج، لهذا فإن ركب الحجاج كان من بين أسباب تفشي الأوبئة وانتقالها ولم يكن سببًا مباشرًا ومسلّمًا به.

و- حركة السكان:

في الفترة الأولى للحكم العثماني أي خلال القرنيين 16 و17 لم تكن الحركة بين الريف والمدينة كبيرة، وهذا بسبب صراع السلطة مع الأطراف عديدة، فكانت تسعى فقط لتثبت أقدامها في الجزائر وذلك بالتخلص من أعدائها[1].

فالمدن الكبرى الجزائرية كقسنطينة والجزائر، ووهران توجهت للعلاقات التجارية مع الخارج أكثر من ارتباطها داخليا، وهذا ما قلص التدخلات الداخلية خصوصا التجارية منها والتي اقتصرت على بعض الطرق فقط والتي ساهمت في انتشار الأوبئة ونذكر منها:

الطريق الساحلي بين جيجل والجزائر والذي كان يستعمل لنقل الأخشاب لتجهيز وبناء السفن إلى الجزائر[2]، ثم أصبح طريقا تجاريا تتم فيه كل المبادلات، وأيضا طريق الجزائر إلى غرداية مرورًا ببسكرة والذي اعتبر طريق ربط بين الجنوب والشمال خصوصًا إذا علمنا أن المزابيين والبسكريين كانوا حرفيين بمدينة الجزائر، وكانوا يستعملون هذا الطريق في تنقلاتهم خصوصا في فترة انتشار الأوبئة، كما أن تلمسان كانت طريق تجاري محوري للسلع القادمة من إفريقيا والمغرب الأقصى[3].

كما أن البيئات الغير صحية كانت مهد الأوبئة خصوصًا بآسيا الوسطى والعراق وشبه الجزيرة العربية والأناضول ووادي النيل، فمن هذه الأماكن انتقلت العدوى إلى الإيالة الجزائرية وباقي البلدان المطلة على البحر الأبيض المتوسط، بالإضافة إلى الطرق التجارية كانت التنقلات التي كان يقوم بها البايات إلى مركز الإيالة أو دار السلطان من أجل دفع الدنوش، كانت سببًا في نقل الأوبئة والطواعين وأحسن مثال وباء الجزائر سنة 1793م/1207هـ والذي جاء مباشرة بعد قيام باي قسنطينة بزيارة الجزائر لدفع

---

[1] - Ernest Mercier, Histoire de l'Afrique septentrionale depuis le temps les plus reculés jusqu'à la conquieté française (1830), Ernes Leroux, Paris, T3, p70-86.
[2] - Ibid, p 145.
[3] - William Shaler, Op,cit, p 105.

الضريبة[1]، وأيضا باي بايلك الغرب بعد زيارته للجزائر لدفع الضريبة التي كانت تدفع كل ثلاث سنوات، حيث تزامن قدومه مع انتشار الوباء في المنطقة.

وأيضا من أسباب تفشي الأوبئة بين السكان ارتياد الأماكن العمومية، خاصة المقاهي والحمامات والذي كان عاملاً أساسيا في انتشار الأوبئة، حيث كان عددها في الجزائر لوحدها حوالي الستين[2].

ويذكر حمدان خوجة أن الناس كانت تفرّ إلى الحمامات النظيفة للتطهر، والابتعاد عن الحمامات التي يشاع خبر وجود الطاعون بها. ولكن في الحقيقة كانت الأماكن مقصد الجميع للاستحمام وهو ما جعلها مكان لنقل الوباء وانتشاره[3]، وهذا ما تشير إليه إحدى الوثائق المؤرخة سنة 1786م/1200هـ أن كل المزابين الذين يعملون داخل الحمامات لقوا حتفهم في الطاعون الذي أصاب المدينة في تلك السنة، وفي المقابل نجد مصادر أخرى تؤكد أن الحمامات وحراتها وبخارها دور في الوقاية والتعافي من العديد من الأوبئة والطواعين. وهذا ما تم نقله من أحد اليهود الذي أكد أن الذهاب للحمامات يخلص الجسم من الأوساخ ويعافي البدن وهذا ما ذهب إليه "فيشرا" ونقله عنه "كونر"[4].

هذا من جهة ومن جهة أخرى التجمعات العامة التي كانت في المقاهي أو المناسبات خاصة الدينية منها كالأعياد، وهذا ما يفسر تزايد عدد المصابين بالوباء بعد عيد الفطر سنة (1232هـ-1817م) وارتفع عدد الضحايا بعد عيد الفطر بشكل كبير، وهذا راجع للاحتكاك الكبير بين الناس حيث كان يقدم التهنئة الداي للغيد السكان والتجار ورجال الدولة وضباط الجيش ورياس البحر واليهود أيضًا[5].

إن أغلبية أوبئة الطاعون التي تعرضت لها الجزائر في العهد العثماني كان مصدرها الرئيسي موانئ تركيا ومصر التي كانت مرتبطة بالموانئ الجزائرية فهي غالبًا ما كانت مكلفة بنقل الحجاج أو البضائع أو فرق الجيوش أو الأسرى[6]، ونظرًا لسهولة عدوى

---

[1] - Lucette Valensi, Op,cit, p58-59

[2]- مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر العثمانية، منشورات ANEP، الجزائر، 2013، ص 66.

[3]- حمدان خوجة، إتحاف المنصفين والأدباء عن الاحتراز من الوباء، المصدر السابق، ص 62

[4]- Marth Conor, Une épidémie de peste en Afrique mineure (1748-1788) dans (A.i.P.T)

[5] - Jean Marcheka, Op,cit, p 158.

[6] - ibid, pp 125-146.

الطاعون عن طريق البحر المعبر عنه بنوعية العدوى البحرية (mode de contamination maritime) فإن الموانئ الجزائرية أكثر تعرضًا إلى الطاعون من المناطق الداخلية، فمدينة الجزائر كانت مقصد الزوار القادمين من مناطق مطعونة فيقيمون بالخانات المنتشرة بها مدّة زيارتهم لها، كما كانت سجون مدينة الجزائر أيضا في غالب الأحيان وسخة وقليلة التهوية، فانتشرت بها الفئران المعدية الناقلة لمرض الطاعون[1].

3- نظرة عن الأوبئة في الإيالة الجزائرية في القرن 18م وبداية القرن 19م:

عرفت الإيالة الجزائرية في الفترة الممتدة من القرن الثامن عشر إلى غاية بداية القرن التاسع عشر العديد من الأوبئة في مختلف حواضر الجزائر، وقد كان لهده الأوبئة دور كبير في تراجع الكثافة السكانية خلال القرن الثامن عشر، خصوصا إذا ما تمت مقارنتها مع القرن السابع عشر أو بداية القرن التاسع عشر، لكن هذا التأثير لم يكن بنفس القوة فنجده ينقسم إلى مراحل زمنية يكون فيها التأثير الوبائي على الساكنة قوي جدا، بينما يتراجع في مراحل زمنية أخرى، وهنا سنذكر الأوبئة التي ضربت الإيالة الجزائر في المدن الرئيسية خصوصا الجزائر وقسنطينة وعنابة ووهران.

1- في مدينة الجزائر:

لقد كانت معظم الأوبئة التي ضربت الجزائر في القرن 18 وبداية القرن 19 تمركزت في مدينة الجزائر، ولم تشر الدراسات ولا المراسلات الأرشيفية إلى وجود الطاعون في الجزائر في الفترة الممتدة ما بين 1700- 1717م/ 1111-1129هـ أي في الربع الأوّل للقرن الثامن عشر بالرغم من أن العديد من الإيالات العثمانية كانت تعاني من الوباء خصوصًا إيالة تونس، مصر، طرابلس[2]، وفي المقابل نجد وباء سنة 1700م/1111هـ، الذي ذكره القنصل الفرنسي في الجزائر (Durand) بتاريخ 28 /1700/06م بقوله: "لقد هاجم الوباء مدينة الجزائر منذ ثمانية أو عشرة أيام وتوفى نتيجة ذلك 3 أو 4 أشخاص..."[3].

[1] -Panzac, La peste , p 118.
[2]- L. Valensi, calamités démographiques en Tunisie, méditerrané orientale aux 18e et 19e Siècle, in Annales E.S.C 1969 , p 1541.
[3] - H.D- De Grammont : Correspondance des consuls d'Alger (1690-1742), p 64

ومن خلال حجم ضحايا هذا الوباء حسب القنصل "دوران" يتضح لنا أنه لم يكن بتلك القوة التي عرفت بها الأوبئة، ولهذا ربما قد أغفل ذكر هذا الوباء في المصادر التاريخية.
ثم ظهر وباء آخر سنة 1717م/1129هـ ثم عاد للظهور سنة 1730م/ 1142هـ واستمر في الظهور بعد سبع سنوات، سنة 1737م/1149هـ ثم يعود للظهور مرة أخرى 1740م/1152هـ[1].

وكان قد ضرب قبل ذلك زلزال مدينة الجزائر في بداية فيفري (3- 4- 5 فيفري 1716م/ 10-11-12 صفر 1128هـ)، وهو ما دفع سكان المدن للهرب إلى الأرياف وبقيت الهزات الإرتدادية حتى شهر جوان من نفس السنة، ثم ضرب زلزال آخر سنة 1717م/1129هـ[2]، ورافقه جفاف كبير دام مدة زمنية طويلة استمر حتى سنوات والذي صاحبه الجراد الذي أتى على المحاصيل الزراعية وهو ما سبب مجاعة عظيمة، كان من آثارها الحتمة تجدّد الوباء الطاعوني في ايالة الجزائرية سنة 1718م/1130هـ، وقد تسربت العدوى عن طريق سفينة انجليزية قادمة من الاسكندرية محملة بالسلع وقد توفي قائدها وركابها نتيجة المرض[3].

العلاقات التجارية بين الجزائر وفرنسا سنة 1720م/1132هـ، وقد عرف الطاعون خمودًا إلى غاية سنة 1730م/1142هـ حيث عاد للظهور في مدينة الجزائر واستمر إلى غاية سنة 1732م/1144هـ، وقد انتقلت العدوى للجزائر عن طريق ثلاث سفن جزائرية آتية من سوسة تونس وهذا حسب مراسلة الفصل الفرنسي لومير (Lemaire) والذي ذكر أنه مات العديد من ركاب السفينة جراء الطاعون وثم رميهم في البحر، كما حذّر السلطات الفرنسية وحثها على التحلي بالحذر عند قدوم السفن الجزائرية إلى ميناء مارسيليا[4]، ثم عاد الوباء للظهور مرة أخرى سنة 1740م/1152هـ[5].

1- مؤلف مجهول، بيان ملوك الجزائر، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم (1624)
2 - وليام سبنجر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق، عبد القادر زبادة، الشركة الوطنية للنش والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 48.
3 - Marchika, Op.cit, p 75.
4 - A.D.B.R, Lettre de consul Lemaire à L'i.s.m en date du 28 Aout 1733., p 24.
5- مؤلف مجهول، بيان ملوك الجزائر، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم (1624)

انطلاقا من مارس 1740م/1152هـ عاد وباء الطاعون بشدة محدثا ضربات خلال أربع سنوات متتالية[1].

ثم عاد الوباء سنة 1742م/1154هـ في كل من مدينتي الجزائر وقسنطينة محدثًا ما بين 20- 30 ضحية يوميا ومن بين الضحايا نجد ترجمان القنصل الفرنسي[2]، وقد استمر الطاعون خلال سنتي 1763- 1764م/1176-1177هـ واجتاح مدينة الجزائر بعد أن ضربتها مجاعة عظيمة بسبب الجراد الذي اجتاح المنطقة[3].

وقد تكرر الوباء في مدينة الجزائر سنوات 1753-1757-1786م/ 1166-1170-1200هـ ولكن بدأت قوته تزداد في أواخر القرن الثامن عشر خصوصًا وباء سنة 1793م/1207هـ وهذا حسب ما جاء في رسال من القنصل الفرنسي في الجزائر لوزارة خارجية فرنسا[4]، وآخر ظهور له في هذا القرن كان سنة 1798م/1212هـ، وعرفت مدينة الجزائر بعدها هدوءًا دام مدة زمنة قاربت العشرين سنة، حتى عاد للظهور سنة 1817-1819-1822م/1232-1234-1237هـ[5].

2- الأوبئة في بايلك الشرق:

ظهر بها منذ سنة 1700 إلى 1830م/ 1111-1245هـ أكثر من 15 وباء، واستمر الوباء يضرب البايلك وخصوصا مدينتي عنابة والقالة حتى بعد الاستعمار الفرنسي للجزائر واشتهرت هذه المنطقة بوباء الجدري[6].

وقد انشر هذا الوباء عبر كامل الإيالة الجزائر سنة 1152/1740هـ وخاصة مدينة قسنطينة، وازدادت حدته بارتفاع الحرارة مع قدوم فصل الصيف وقد أحدث هذا الوباء حوالي 70 ألف وفاة طيلة سنتي 1740- 1741م/ 1152-1153هـ[7].

1- فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص 73.

2 - Jean Marcheka, Op.cit, p 91.

3- فلة القشاعي، المرجع السابق، ص 77.

4 - Lettre du 17 Février, dans les registres de la correspondance du consulat français, idem, p 355.

5 – حمدان خوجة: المرآة، المصدر السابق، ص 47.

6 - Sistach : La variole Abona, Gazette médicale de l'Algérie Directeur Dr E. L. BERTHERAND Editeur J.B Bailliere ; Paris, année 23, N)° 11, 1879, p 126.

7 - Jean Marcheka, Op.cit, p 80.

وتشير بعض المصادر أن أول وباء ضربها في القرن الثامن عشر كان سنة 1700م/1111هـ[1]، غير أنه كان امتداد فقط للوباء الذي ضرب المدينة قبل ذلك بأربع سنوات سنة 1696م/1107هـ[2]، ولم تعرف عنابة أوبئة منذ سنة 1700م/1111هـ حتى شهر جانفي سنة 1758م/1171هـ وهذا حسب إحدى الوثائق الأرشيفية الفرنسية الرسمية التي تكلمت عن وجود حالات إصابة بالوباء في مدينة عنابة خلال هذه الفترة[3].

في حين نجد بعض المصادر تتكلم عن ظهور الوباء في بالك الشرق متزامنا مع ظهوره في مدينة الجزائر سنة 1742م/ 1154هـ وذلك في كل من مدينتي الجزائر وقسنطينة محدثًا ما بين 20- 30 ضحية يوما ومن بين الضحايا نجد ترجمان القنصل الفرنسي[4]، وقد وقد تواصلت ضربات الطاعون حسب مارشيكا طيلة السنوات الموالية من 1756-1758م/ 1169-1171هـ في الجزائر، القل، قسنطينة، ثم خمد الوباء سنوات 1759-1761م/ 1172-1174هـ وعاد للظهور سنة 1762م/ 1175هـ مصحوبًا بزلزال عنيف مدمر في مدينة الجزائر ورافقته مجاعة كبيرة كادت أن تسبب في تمرّد السكان[5].

ثم يظهر الوباء مرة أخرى بعد حوالي عقد من الزمن في عنابة والقالة سنوات 1784-1785م/ 1198-1199هـ، وهذا بعد رصد وفاتين بنفس الأعراض شهر أكتوبر من سنة 1784م/ 1198هـ[6]، فيما تؤكد مراسلة أخرى أن الوباء تفشى في مدينة القالة من سنة 1783 إلى 1785م/ 1197 إلى 1199هـ[7].

ثم عاد الوباء للظهور والتمكن من مدينة قسنطينة سنة 1783م/1197هـ ثم سنة 1785م/ 1199هـ، ثم يصل العاصمة البايلك سنة 1786م/1200هـ، وقد بذل باي الشرق صالح باي مجهودات كبيرة لمنع تفشي الوباء لكنه فشل في السيطرة عليه، ثم ضرب

---

[1] - ibid, p 69.
[2] - H.D- De Grammont : Correspondance des consuls d'Alger (1690-1742), p 57-59.
[3] - C.C.F.A [A.F.é] A.E/B/I/129. Cotes : F°13-20.journal N° 69 du mois de Janvier 27-01-1756.
[4] - Jean Marcheka, Op.cit, p 91.
[5] - H.D de Grammont, Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830), p 314.
[6] -Letrre de l'agent précite, en date du 04 Octobre Dans histoire chronologique des épidémies (Gyuon) p 330.
[7] - Charles Feraud, Laurent : Histoire des villes de la province de Constantine, La Calle et document pour servir à l'histoire des anciennes concessions française d'Afrique imp, V.Aillaud Etcie, Alger, 1877, p 395

المدينة وباء آخر سنة 1793م/1207هـ وقد نقل هذا الوباء إلى بايلك الشرق عن طريق انتقال الباي لدفع الضرائب إلى دار السلطان[1].

وظهر وباء في سنة 1796م/1210هـ في عنابة كان سببه حسب "بير بروجر" قدوم سفينة من مدينة الجزائر بها رجال الحامية العسكرية كان جلهم مصاب بالوباء وتوفي بعضهم بعد يومين من وصولهم إلى المدينة[2]، وأما في القرن 19 م فنجد الوباء الذي ضرب مدينة عنابة سنة 1817م/ 1232هـ بسبب السفينة التي رست بميناء وهران قادمة من مصر وكانت تحمل على ظهرها 25 مسافرًا قادما من البقاع المقدسة كان معظمهم مصاب بالطاعون وقد تفرقوا في المدينة بعد وصولهم، وهذا الوباء ضرب مدينة الجزائر في نفس السنة ولكن مكان ظهوره كان مدينة عنابة[3].

ضرب الوباء مدينتي دلس وعنابة وانتشرت العدوى في مدينة قسنطينة قادمة من عنابة في سنتي 1796و 1797م/ 1210-1211هـ، وكانت قد حدثت مجاعة في قسنطينة جعلت صالح باي يرفض تصدير الحبوب للوكالة الملكية افريقية[4].

وهذا ما جعلها موطن للأوبئة ثم تأتي بعدها مدينة عنابة وهذا لنفس الأسباب التي ذكرناها ولعل أبرزها أنها كانت مركز للتبادل التجاري لإيالة الجزائر[5]، كما كان ميناء بونة بونة يحتل المرتبة الثانية من حيث المبادلات التجارية مع الخارج وكان يعتبر المركز الرئيسي للمبادلات التجارية مع أوروبا خصوصًا فيما يتعلق بالقمح والفواكه، وهذا لأنه كان خاضعًا للشركة الإفريقية[6].

ضف إلى ذلك أن ميناء عنابة كان معبرًا لخروج وفود الحجاج ودخولهم. وكما فكرنا سابقًا ان الحجاج كانوا يعتبرون في كثير من الأحيان حوامل للمرض والأوبئة وإذا استقرنا خريطة الأوبئة، نجد مدينة قسنطينة تأتي في المرتبة الثالثة من حيث انتشار الأوبئة وحتى

---

[1] - Jean Marcheka, Lapeste en Afrique septentrionale, p 142.
[2] -.Adrien Berbrugeep, Op.cit, p 229.
[3] - J-L-G-. Guyon, Op.cit, p 373.
[4] - A.CH. CM, Compagnie Royale d’Afrique : Bône-journal (1791-1794) Lettre du 31-10-1792 rédigée Guibert adressée à la C.R.A « Refus de Salah Bey de livre du blé à la C.R.A.
[5] - H.D de Gramont, Relation entre la France et la Régence d’ Alger, au XVIIe siècle, Alger, Adolphe Jourdan, 1879, p236-242.
[6] - Boutin Vincent- Yves, De pôt de l guerre, Aperçu historique statistique et topographique sur l’état d’Alger à l’usage de l’arm ée expéditionnaire d’Afrique , 3 édition CH, pirquet, Paris, 1830, p 211.

قبل مدينة وهران الساحلية، رغم أن قسنطينة تعتبر مدينة داخلية، كما أن مدينة عنابة ومينائها يعتبران مناطق نشيطة لنقل الحجاج إلى موانئ مصر، تونس، طرابلس، كما أن عنابة كانت مركزًا لتصدير القمح خصوصًا إلى فرنسا، كما أن عنابة كانت لها علاقات مع إيالة تونس وهذه الأخيرة عرفت اتصال دائم مع الأوبئة. وهذا ما جعلها مركزًا لانتقال الأوبئة إلى الجزائر عبر مدينة عنابة، كما أن وجود الشركة الإفريقية بها جعلها محل تقييد لما يحدث في المدينة بشكل دائم خصوصًا الأزمات الصحية التي كانت تؤثر على المبادلات التجارية.

أما المرحلة الممتدة ما بن 1805-1815م/ 1219-1230هـ فقد تميزت بجمود الأوبئة من إيالة الجزائر ولكن بقيت تعاني من المجاعات المزمنة السابقة عن اجتياح الجراد الذي كان سببًا في القضاء على المحاصيل الزراعية، وهذا ما كان يترتب عنه نقص في الإنتاج الفلاحي وانعدامه في بغض المناطق وفي هذا يقول العنتري: "أنزل الله القحط على الخاص والعام حتى صار العباد يأكلون لحوم بعضهم من شدّة الجوع وانقطاع الطعام واستمر ذلك مدّة سنة كاملة، ثم عفى الله تعالى وزالت تلك المجاعة الواجعة"[1].

تجدد ظهور الأوبئة بالضبط كما حدث في مدينة عنابة في القرن 19م، حيث ضرب الوباء المدينة سنة 1817م/ 1232هـ[2]، ثم في سنة 1819-1820 و1822م/ 1234-1235-1237هـ وهذا ما جعل مدينة قسنطينة، مدينة ناقلة للأوبئة وحاضنة لهم رغم أنها ليست مدينة ساحلية.

لعل أهم ما ميز المرحلة الأخيرة من حياة إيالة الجزائر هو سوء الأحوال الصحية وتدهور الأوضاع المعيشية مما أثر سلبا على نمو السكان وأضرّ بوضعهم الاجتماعي[3]، حيث ظهرت المجاعات المهلكة بين الفينة والأخرى، وساعد ذلك بدوره على تردي الأوضاع الصحية فانتشرت الأوبئة الفتاكة التي كان لها أسوأ الآثار على البلاد والعباد عل

---

[1]- محمد صالح العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاءهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقدم وتعليق الدكتور يحيى بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1991، ص 73.

[2]- Adrien Berbrugger, Op.cit, T2, p 232.

[3] - دغموش كاميلية: المرجع السابق، ص 256.

حدّ سواء[1]، ويعود السبب الرئيسي لهذا التردي والتدهور الاجتماعي إلى انتقال العدوى وانتشار الأمراض من الأقطار المجاورة بسبب صلة الجزائر ببلدان البحر لأبيض المتوسط، وانفتاحها على أقاليم السودان وعلاقاتها التجارية مع أوروبا وارتباطها الروحي بالمشرق الإسلامي[2].

إن صلة الجزائر بالعلم الخارجي وانتشار المستنقعات بالسهول الساحلية وحول بعض المدن الداخلية وكذا انعدام التدابير الوقائية والجهل النسبي بالقواعد الصحية كانت تلك هي العوامل التي ساعدت في الانتشار الواسع والسريع لمختلف الأوبئة والأمراض[3].

وقد بلغ عدد الأوبئة التي ضربت الجزائر خلال القرن 18م حوالي 22 وباء و6 اوبئة في القرن 19م ليكون المجموع حوالي 28 وباءا في مدة زمنية قدرت بحوالي قرن و30 سنة لهذا كانت هذه المنطقة الأكثر تحملا للأوبئة والأزمات الصحية بسبب تحملها للحمى التكرارية[4].

لقد عرفت الجزائر خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر تدهورا اقتصاديا وتراجعا عمرانيا، وساءت الأوضاع الاقتصادية وأقفرت وافتقرت الأرياف والمدن، وكثرت الأمراض والأوبئة وهذا ما اثر سلبا على الساكنة صحيا ومعاشيا واجتماعيا، ومع نهاية القرن الثامن عشر تراجع عدد السكان الأرياف والمدن، وهذا ما أدى إلى تناقص عدد التجار والحرفيين والصناع وانعدام العاملين في مجال الزراعة، وكل هذه العوامل كان سببها انتشار الأمراض والأوبئة من الأقطار المجاورة بسبب علاقة الجزائر ببلدان البحر الأبيض المتوسط، وعلاقتها التجارية مع أوروبا والمشرق الإسلامي.

---

[1] - عائشة غطاس: أوضاع الجزائر المعاشية والصحية أواخر العهد العثماني، المجاعات والأوبئة 1787-1830م، المجلة التاريخية للدراسات العثمانية، العددين 17-18 سبتمبر 1998، ص 361.

[2] - توفيق دحماني: الأوضاع الصحية والكوارث الطبيعية في الجزائر عشية الاحتلال، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد السابع، الجزائر، 2013، ص 137.

[3] - ناصر الدين سعيدوني: الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني، المجلة التاريخية المغربية، العدد 39-40، ديسمبر 1985، ص 432.

[4]- حمدان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص 47.

أثرت الأوبئة على الأوضاع الصحية بالإيالة الجزائرية وزاد الوضع سوءا الاضطرابات الجوية والجفاف والمجاعات واجتياح الجراد والزلازل، كما أن الأوبئة كانت تتكرر كل عشرة أعوام أو خمسة عشر سنة، واستمرت في كثير من الأحيان لسنوات عديدة كما حدث خلال أعوام 1784م و 1798م، وقد عرف القرن الثامن عشر استمرار حدوث الأوبئة من سنة 1700م إلى غاية نهايته سنة 1799م، وقد تأصلت هذه الأوبئة بسب انتشار المستنقعات بالمدن وانعدام القواعد الصحية، وبالنسبة لوباء عام 1792م و 1798م فإنه أضر بجميع الإيالات لا سيما وهران وقسنطينة والجزائر، ولهذا فقد أصبح وباء الطاعون من مظاهر البيئة الجزائرية فقد تكرر بها باستمرار وارتبط بحركة الاسطول الجزائري واحتكاكه بموانئ الشرق التي كانت مصدرا لمختلف الأوبئة، فأصبحت الجزائر مركزا دائما وبيئة مفضلة لوباء الطاعون، كما أن الإيالة الجزائرية كانت لها صلات وثيقة بالمناطق المجاورة التي كان يأتي منها الطلبة والحجاج والتجار خصوصا مصر وتونس وهذا ما ساهم أيضا في انتشار الأوبئة وانحصارها.

الفصل الثاني: الأوبئة والأمراض في بايلك الغرب الجزائري من 1700م إلى 1830م: المظاهر والانعكاسات

أولا: تاريخ الأوبئة في بايلك الغرب الجزائري

ثانيا: الأمراض في بايلك الغرب الجزائري

ثالثا: انعكاسات الأوبئة والأمراض على بايلك الغرب (اقتصاديا، اجتماعيا، سياسيا)

رابعا: دور السلطة المركزية في مواجهة تفشي الأوبئة والامراض

أولا: تاريخ الأوبئة في بايلك الغرب الجزائري ما بين 1700 إلى 1830م:

تعتبر مدينة وهران من المدن الأولى التي نزلت بها الأوبئة ومنذ أن أصبحت الجزائر إيالة عثمانية وقد تحملت هذه المدينة وبعض المدن المجاورة لها كمستغانم ومعسكر وتلمسان العديد من الأزمات الصحية بسبب موقعها الساحلي ومركزها الحيوي، كما أن أول ضحايا الأوبئة في الجزائر من حكامها البايلرباي صالح رايس الذي لقي حتفه بسبب الوباء عندما كان يحاول تحرير مدينة وهران[1].

وبالرغم من كل هذا كانت حصة الغرب الجزائري لا تتعدى 15% من أوبئة الطاعون فيما احتلت المناطق الوسطى من البلاد الجزائرية المراتب الأولى وفي مقدمتها مدينة الجزائر بنسبة 54% [2]، واحتل الشرق الجزائري أو بايلك الشرق المرتبة الثانية بنسبة 26% [3].

إن الحديث عن الأوبئة في وهران وبايلك الغرب عموما والأزمات الصحية لا يعدو أن يكون إشارات أو شذرات ذكرت هنا وهناك، ولم تقيد الأزمات بها بشكل واضح إلا بعد تحريرها وفتحها من طرف محمد الكبير سنة 1792م/1206هـ[4].

1-انتشار الأوبئة في بايلك الغرب في القرن 18م:

1-1(1700-1737م/1111-1149هـ):

لم تشر الدراسات ولا المراسلات الأرشيفية إلى وجود الطاعون في الجزائر في الفترة الممتدة ما بين 1700- 1737م/ 1111-1149هـ أي في الربع الأوّل للقرن الثامن عشر بالرغم من أن العديد من الإيالات العثمانية كانت تعاني من الوباء خصوصًا إيالة تونس، مصر، طرابلس[5].

---

[1]- مؤلف مجهول: نبذة يسيرة من سيرة الباي محمد فاتح الثغر الوهراني، مخطوط المكتبة الوطنية الفرنسية، باريس رقم 5022، و/6، ص 11.

[2]- Boubaker, La peste dans les pays du maghreb , Attitudes au fléau et impacts sur les activités commerciales (16e 18e siècle) in R.H.M 22E an) 79-8. Mais 1995, pp 323.

[3] - idem , p 323-324.

[4]-Paul Masson, Histoire des établissement et du commerce français dans l'Afrique Barbaresque(1550-1793), Paris, librairie Hachette ; 1903, p 106-128.

[5]- وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق، عبد القادر زبادة، الشركة الوطنية للنش والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 48.

وترى فلة موساوي ولوسيت فلنسي Lucette valensi أن إيالة الجزائر خلال القرن 15 سنة الأولى من القرن 18م (1700-1715م/ 1111-1126هـ) لم تعرف موجات الطاعون الذي كان يحل بإيالة تونس ومصر وطرابلس الغرب[1]، باستثناء ما ذكره القنصل الفرنسي في مدينة الجزائر "دوران" (Durand) بأن الوباء هاجم الجزائر سنة 1700م/1111هـ في 18 يومًا قائلاً: "إن الوباء قد هاجم مدينة الجزائر منذ ثمانية أو عشرة أيام، وتوفي جراء ذلك 3 أو 4 أشخاص..."[2]، وقد فصلنا في ذلك خلال حديثنا حول الأوبئة في مدينة الجزائر، وهو ما يرجح رأي فلة موساوي من أن الإيالة الجزائرية خلال الفترة المذكورة كانت بيئة خالية من الأوبئة.

لكن الإيالة الجزائرية عرفت أوبئة ابتداء من سنة 1717م/1128هـ، ولكنها لم تمس بايلك الغرب وبقي بعيدا عن الأوبئة لفترة زمنية طويلة، ونذكر في هذا الصدد وباء سنة 1717م/1128هـ والذي ذكر "غيون" أنه وفد إلى إيالة الجزائر عن طريق سفينة انجليزية محمّلة بالسلع[3]، وقد انتشر خبر توفي قبطان هذه السفينة والعديد من ركابها قبل رسوها بالمدينة[4]، وما زاد من أثر وباء 1717-1718م/1128-1129هـ هو تزامنه مع زلزال ضرب المدينة في نفس السنة، ومن خلال رسالة باتولت Batault التي أرسلها إلى فرنسا يظهر أن هذا الوباء لم يكن كبيرا وسرعان ما انحصر تأثيره[5]، لكن لا نجد أي مصدر تكلم عن وصوله لمدن بايلك الغرب بل انحصر في مدينة الجزائر فقط.

ضرب الوباء مدينة الجزائر سنة 1720م/1132هـ دون أن يصل لبايلك الغرب الجزائري، أوصل هذا الوباء بلاد المشرق وتحديدًا سوريا[6]، وانتقل إلى مارسيليا عبر سفينة سفينة (Le grand Saintantoine) خلال نفس المرحلة الزمنية[7].

---

[1] - Lucette Valensi, Calamités démographique en Tunisie et en méditerrané orientale aux 18ème et 19ème siècle in annales E.S.C. ,N° 6 p 1541.
[2] - H.D- De Grammont: Correspondance des consuls d'Alger (1690-1742), p 64.
[3] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p298.
[4] - Jean Marcheka, Op.cit, p75.
[5] - Lettre du R.P.J Batault, missionnaire Apostqlique à Alger (1676-1736) avec note historique sur le Rachat des excaves à cette époques Chalonsur, Saone, 1880 Paris, p 49.
[6] - Laumonier Jean, Lapeste. P 06.
[7] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p298-303.

ثم ضرب الطاعون مدينة الجزائر سنة 1730م/1142هـ، ويذكر ذي غرامونت عن وفاة القنصل العام الفرنسي "دوراند" القائم بالأعمال في الجزائر في الثامن من شهر أكتوبر سنة 1730م/ 1142هـ[1].

ونقل غيون عن إحدى المخطوطات يقول صاحبها: "الطاعون قد عاد من جديد إلى الجزائر في هذه السنة 1731م..." [2]، وقد استمر هذا الوباء حتى سنة 1732م/ 1145هـ.

وذكر هذا الطاعون "ابن رقية التلمساني" نقلا عن "الزهرة النائرة" وأكد على تجدده في مدينة الجزائر سنة 1145هـ/ 1732م[3]، لكن هذا الوباء لم يكن شديدًا وذو أثر كبير وكان هذا الوباء في فترة حكم الداي "الحاج أحمد"، ونقل مارشيكا هذه المعلومة عن "غيون" و"بير بروجر"[4].

وقد استمر هذا الوباء إلى غاية سنة 1735م/1147هـ، وسبب عدم وصول هذه الأوبئة إلى مدن بايلك الغرب هو أن معظمها كان سبب انتقالها سفن تجارية نزلت في ميناء الجزائر، وكما ذكرنا سابقا فإن بايلك الغرب عرف نشاطا تجاريا بحريا ولكنه كان تحت سيطرة الإسبان، ولم يكن تابعا لمركز الحكم، ولهذا كان هناك نظام لدخول السفن وخروجها من ميناء وهران والمرسى الكبير، كما أن هذه الفترة عرفت احتلال الإسبان لمدينة وهران للمرة الثانية، وهذا ما كان سببا في ركود المبادلات التجارية خلال هذه الفترة.

1-2-وباء 1738م/ 1151هـ:

هو وباء ظهر في بايلك الغرب وبالضبط مدينة تلمسان بداية من سنة (1151هـ/ 1738م) لينتقل بعدها إلى المناطق المحاذية خصوصًا مدينة وهران وأحوازها[5]، وقد كان حينها بايا على بايلك الغرب "يوسف بن مصطفى بوشلاغم" والذي خلف والده "مصطفى بوشلاغم"[6]، حيث كان يحاول يوسف بن مصطفى بوشلاغم أن يسيطر على النظام في

[1] - H.D de Gramont, Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830) p285.
[2] - J-L-G-. Guyon, Op.cit, p 298
[3] - ibid, p 314
[4] - Jean Marcheka, Op,cit, p 78.
[5] - J-L-G-. Guyon, Op.cit, pp 314-315.
[6] - Walsin Esterhazy,Op.cit, p 175..

بايلك الغرب بعد أن أعاد الإسبان احتلال مدينة وهران والتي كان قد حررها والده، إلا أنه سقط ضحية الوباء سنة (1151هـ/ 1738م) [1].

وقد انتشر الطاعون في بايلك الغرب بشكل واسع، وإذا كان هذا الوباء قد وصل لباي بايلك الغرب، فهذا يعني أنه قد وصل لقوته العسكرية، ونقصد بها هنا جيشه والمقربين منه، وهذا ما خلق مواطن وبائية أخرى، وهذا ما ذكره مارشيكا عندما تكلم عن هذا الوباء، فيقول أن هذه السنة 1738م/1151هـ عرفت بـ "عام الوبا"[2]، وهذا ما يدل على قوة هذا الوباء وسرعة انتشاره، وهناك من يرجح بأن هذا الوباء هو الذي انتقل إلى المغرب الأقصى، وقد كانت هذه الأوبئة القوية تمتد لفترة زمنية طويلة تقارب ثلاث سنوات.

ومن المدن التي عرفت العديد من الأوبئة نذكر مدينة تلمسان في بايلك الغرب خصوصًا وباء 1738م والذي أثر فيها بشكل كبير[3]، وكانت مدينة ناقلة له خلال هذه السنة إلى أحوازها والمناطق القريبة منها، كما نذكر وباء سنة 1740م والذي بقي نشيطا بها لمدة 3 سنوات أي إلى غاية سنة 1743م، حيث انتقل هذا الوباء إلى مدن رئيسية أخرى خصوصًا مستغانم، قسنطينة، وقد راح ضحية هذا الوباء حسب المؤرخين ما يقارب 60 ألفًا ضحية[4]، واستمرت الأوبئة في هذه المدينة، وعاد للظهور وبشكل قوي سنة 1790م والذي خلق عددًا كبيرًا من الضحايا وهذا ما ذكر في التقارير الخاصة بالقنصلية الفرنسية سنة 1791م[5]، ثم تفشى الوباء في المدينة والقرى المجاورة لها في الربع الأول من القرن التاسع عشر، خصوصًا سنتي 1820-1821م، وسنفصل في ذلك لاحقا.

ولقد كان من أهم أسباب انتشار الأوبئة في هذه المدينة هو موقعها الجغرافي الاستراتيجي والمهم، خصوصًا بعد سيطرة الإسبان على وهران وبالتالي أصبحت مدينة تلمسان، نقطة تبادل للسلع من مناطق مختلفة سواءً من المغرب الأقصى أو المناطق الإفريقية[6]، إضافة إلى أن تلمسان كانت من قواعد الحكم في بالك الغرب فتح وهران الثاني

---

[1]- Adrien Berbrugger, Op.cit, T2, p 206.
[2] - Jean Marcheka, Op,cit, p 78.
[3] - Jean Marcheka, Lapeste en Afrique septentrionale, Histoire de la peste en Algérie de (1363-1830) p78.
[4] - Jean Marcheka, Op.cit, p92.
[5] - C.C.F.A [A.F.E] A.E/B/I/124. Cotes : F°266-271. 08-06-1740.
[6] - Lucette Valensi, Op.cit, p58-59.

مع مازونة ومعسكر. وهذا ما جعلها تعرف نشاطا وحركية اقتصادية مهمة، إضافة إلى النشاط السياسي.

3-1 وباء 1740م/1153هـ:

وهذا الوباء انتشر في كامل المنطقة (أي شمال إفريقيا) وليس إيالة الجزائر فقط، وكان من أقوى الأوبئة التي اجتاحت الجزائر خلال النصف الأول من القرن 18 ويحتمل أن يكون قد اجتاح مدينة الجزائر عام 1740م-1153هـ [1]، وقد وصفه القنصل الفرنسي بالجزائر السيد Taitbout)) بالشديد وأن الطاعون تفشى في إيالة الجزائر[2]، وقد استمر نشاطه لمدة 3 سنوات بشكل منقطع[3].

أما تاريخ ظهوره الفعلي فيرى غيون بأنه ظهر في شهر جوان 1153هـ-1740م [4]، وترى فلة موساوي أنه انتشر في الجزائر بداية من شهر مارس 1740م/ 1153هـ[5]، أما مارشيكا فقد ذهب لما أورده "غيون"[6] ودليل "غيون" و"مارشيكا" هو ما أورده الأب "بيير فاروكس" والذي ذكر أن الوباء ولج للجزائر بداية من شهر جوان 1740م/ 1153هـ[7].

أما دخوله إلى الجزائر فهناك من رجح دخوله بواسطة سفينة قادمة من أحد الموانئ المتواجدة في الإسكندرية[8]، ويذكر "غيون" نفس الرواية بأن الوباء دخل إلى الجزائر عن طريق سفينة فرنسية[9]، بينما يذكر "مارشيكا" بأن هذا الوباء كان مصدره البرّ وأنه أتى من بايلك الغرب الجزائري، ويضيف أن هناك من يرى أن مصدره سفينة فرنسية قدمت إلى الجزائر في جوان 1740م من مصر.

1- مؤلف مجهول، بيان ملوك الجزائر، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم (1624)

2 - H.D- De Grammont: Correspondance des consuls d'Alger (1690-1742), p 221.

3- Adrien Berbrugger, Op.cit, T2, p 206.

4 - H- De Grammont : Histoire d'Alger sous domination turque,(1515-1830), p 297.

5- فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان في الجزائر، المرجع السابق، ص 73.

6 - Jean Marcheka, Op,cit, p 78.

7 - Pierre Faroux, Mémoire de la congrégation de la mission Tome3, p31.

8 - H- De Grammont : Histoire d'Alger sous domination turque,(1515-1830), p 297.

9 - Jean Marcheka, Op,cit, p 78.

وتنقل إلينا بعض المصادر الأرشيفية الفرنسية، أن عدد الضحايا كان يبلغ ما بين 100 إلى 103 ضحية في اليوم[1]، ويذكر القنصل الفرنسي في الجزائر "تابتو" أن هذا الوباء كان كان يخلف يوميا قرابة مائتين ضحية[2].

وهو الطرح الذي أكد عليه الأب "بيير فارو" Faroux أن شدّة الوباء تمثلت في أنه كان يقضي على قرابة الألف ضحية في أسبوعه الأوّل (أي حوالي 150 ضحية يوميا تقريبا)، ثم يستمر في الفتك بعدد الضحايا والذي كان ما بين 100 إلى 400 ضحية يوميا خلال الشهر الأوّل[3].

أما "غيون" و"مارشيكا" فكان لهم نفس رأي "غرامونت" بأن الوباء كان يخلف يوميا بين 200 إلى 400 ضحية[4].

ومن خلال هذه الأرقام يتضح لنا بشكل قاطع أنها أرقام منطقية فلا تتعارض فيما بينها إذا أن جل هذه المصادر تؤكد أن عدد ضحايا وباء 1740م كان بين 100 إلى 400 ضحية يوميًا.

وخلاصة القول أن مصدر طاعون 1740م يعود إلى سفينة فرنسية ناقلة للعدوى قدمت من ميناء الاسكندرية، وكان قائدا السفينة قد أخبر الفضل الفرنسي بوجود مصابين بالطاعون عليها وضرورة تطبيق الحجر الصحي على ركابها، لكن الداي ابراهيم لم يقيم باتخاذ أي إجراءات بل بالعكس أمر بإنزال البضائع وتسويقها، وهذا ما تسبب في حدوث وباء خطير استمرت آثاره لمدة أربع سنوات حيث أنشر الوباء في كامل الإيالة الجزائرية وتسبب في خسائر بشرية كبيرة حيث بلغ عدد ضحاياه في الأسبوع الأوّل فقط ألف ضحية نسبة ما بين 200 إلى 400 وفات يوميا[5].

وقد أحدث هذا الوباء حوالي 70 ألف وفاة طيلة سنتي 1740- 1741م[6]، أما الأب فرانسوا فقد حدد عدد الضحايا ب 60 ألفا[7].

---

[1] - J-L-G-. Guyon, Op.cit, pp 315.
[2] - H- De Grammont : Correspondance des consuls d'Alger (1690-1742), p 221.
[3] - Pierre Faroux, Mémoire de la congrégation de la mission Tome3, p32.
[4] - J-L-G-. Guyon, Op.cit, p 316, Jean marcheka, La peste en Afrique septentrional, p 78.
[5]- فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص 74.
[6] - Jean Marcheka, Op.cit, p 80.
[7] - Adrian François Poissant, Mémoire de la congrégation de la mission Tome3, p 64.

وهذه الأرقام تبدوا مقبولة فبعملية بسيطة إذا كان متوسط الوفيات اليومي حسب "غيون" و"مارشيكا" و" بيار فارو" هو 200 ضحية، فعدد الضحايا شهريا سيكون 6آلاف ضحية، وسنويا سيكون حوالي 70 ألف ضحية، وهذا ما ذكره مارشيكا.

وقد انتشر هذا الوباء بشكل كبير في بايلك الغرب وخصوصا مدينة تلمسان، مستغانم ووهران، ولقد كان من أهم أسباب انتشار الأوبئة في هذه المدينة هو موقعها الجغرافي الاستراتيجي والمهم، خصوصًا بعد سيطرة الإسبان على وهران وبالتالي أصبحت مدينة تلمسان، نقطة تبادل للسلع من مناطق مختلفة سواءً من المغرب الأقصى أو المناطق الإفريقية[1]، إضافة إلى أن تلمسان كانت من قواعد الحكم في بايلك الغرب قبل فتح وهران الثاني مع مازونة ومعسكر، وهذا ما جعلها تعرف نشاطا وحركية اقتصادية مهمة، إضافة إلى النشاط السياسي.

1-4 وباء سنتي 1741م-1742م/1154-1155هـ:

انتشر هذا الوباء بصورة واضحة في مناطق تعتبر مصادر وبائية كقسنطينة ومستغانم وهذا راجع لعلاقاتها التجارية مع عاصمة الإيالة، وقد تجدد نشاط هذا الوباء بداية من منتصف شهر فيفري 1741م/1154هـ[2].

وقد انشر هذا الوباء عبر كامل الإيالة الجزائر خاصة مدينة قسنطينة وازدادت حدته بارتفاع الحرارة مع قدوم فصل الريف، وقد أحدث هذا الوباء حوالي 70 ألف وفاة طيلة سنتي 1740- 1741م/ 1153-1154هـ[3]، وتذكر بعض المراسلات والوثائق الأرشيفية إلى ظهور هذا الوباء في شهر جانفي من نفس السنة 1741م/ 1154هـ في مدينة تلمسان وضواحيها[4].

وقد وصل هذا الوباء إلى مدينة مستغانم وضواحيها، ويفهم من خلال هذا أن وباء سنة 1741م/1154هـ ما هو إلا امتداد لوباء سنة 1740م/1153هـ، كما أن إحدى المراسلات

[1] - Lucette Valensi, Op.cit, p58-59.
[2] - Jean Marcheka, Op.cit, p87.
[3] - ibid, p 80.
[4] - C.C.F.A [A.F.é] A.E/B/I/124. Cotes : F°279-282. 19-01-1741.

الصادرة من القنصلية الفرنسية في النصف من شهر جويلية تشير إلى الضرر الكبير الذي أحدثه الوباء في مدينتي تلمسان وقسنطينة[1].

وتشير إحدى المراسلات أن هذا الوباء كان التيفوس Typhus)) من خلال رسالة بعثتها الكنيسة للرهبان والتي جاء فيها: "جواز ترك القيام بالقداس في السجون في حالة الالتباس بوجود الطاعون في السجن وهذا من أجل الحفاظ على أنفسهم من خطر الاحتكاك بالمصابين من المساجين خاصة وأنه قلّما يدرك العبيد والأسر إصابتهم بالوباء"[2]، وهذا يدل على سرعة انتشاره في الأماكن المكتظة والقليلة النظافة كالأسواق والسجون والحمامات وهذه العوامل تساعده على التطور والانتشار[3]، وهذه العوامل تساعد التيفوس على الانتشار بسرعة.

استمر وباء سنة 1742م/1155هـ لمدة ثلاثة سنوات كاملة وهذا من خلال التقرير الذي أورده "تابتو"[4]، وتشير مراسلة للقنصل الفرنسي في الجزائر بتاريخ جانفي سنة 1742م/ 1155هـ بأن هذا الوباء كان موجودًا في جهة تلمسان لكن ظل إلى نهاية الشهر على نطاق طفيف وتأثيره ضعيف[5]، وهو ما تؤكده مراسلة أخرى للقنصل نفسه مؤرخة في الفاتح فيفري 1742 يصف فيها الوضع بإيالة الجزائر قائلاً: "إن الأوضاع الصحية جيدة جدًا (يقصد مدينة الجزائر) لكن الوضع مغاير في منطقة تلمسان، والمناطق المحيطة بها، إذ بقي بعض النشاط الطاعوني..." [6].

وقد وصل عند ضحايا هذا الوباء حسب ما أورده "غيون" ما ين (20-24) ضحية يوميا في الأسبوع الأول من شهر جوان[7]، ليصل في منتصف الشهر إلى متوسط (30-40) ضحية يوميا[8].

[1] - C.C.F.A [A.F.é] A.E/B/I/124. Cotes : F°285-286. 17-07-1741.
[2] - Poirier Dubourg, Mémoire de la congrégation de la mission Tome3, p 110.
[3] - Bailliere Georges Jean, Baptiste : Les maladies Evitables, Editeur. J-B. Bailliere, Paris, 1898, p 53.
[4]- Notice sur le consulat de m. Taitbout et l'intérim de m. Dejouville. Dans correspondance des consuls (1690-1742) Gramont. P 221. Op.cit vol N° 1 1856P 407
[5] - Lettre de Jonville à Alger le 10-07-1741, dans correspondance des consuls d'Alger (1690-1742) H-D. De Grammont, p 282.
[6] - Lettre de m. de Jonville à Alger le 10-07-1742, dans correspondance des consuls d'Alger (1690-1742) H-D. De Grammont, p 282.
[7] - J-L-G. Guyon, Histoire chronologique des épidémies du nord de l'Afrique, p 91.
[8] - Jean Marcheka, Op,cit, p 91.

وقد انحصر الوباء فعليا بداية من شهر (أوت) وانقضى تماما في نهاية الشهر نفسه حسب "غيون" مستندا على رسالة موجودة في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية[1].

5-1غياب الأوبئة في بايلك الغرب ما بين 1743م إلى 1777م/ 1156هـ - 1191هـ:

عرفت هذه الفترة الزمنية الطويلة خلو بايلك الغرب من الأوبئة، وهذا لفترة زمنية طويلة قدرت بحوالي 35 سنة، ولكن في المقابل نجد أن النشاط الوبائي ظل مستمرا في باقي الإيالة خصوصا مدينة الجزائر، حيث يذكر "غيون" أن الوباء عاد للظهور بعد مرحلة الانكماش في بداية سنة 1743م/1155هـ، وأنه لم يكن يحصد يوميا أكثر من (10-12) وفية[2]، وهذا ما يذكره "ابن حمادوش" في رحلته "لسان المقال" بأنه كان يوجد وباء في الجزائر حيث يقول: "... بعد خروجنا من الجزائر بعشرة أيام توقفي الحاج "عبد القادر" شهيدًا بالوباء ..." وهذا ما دفع رئيس ميناء جبل طارق بعدم السماح لسفينتهم والتي كانت تقل "ابن حمادوش" وغيرهم من المسافرين بدخول الميناء وأمرهم بالابتعاد عن المرسى مخافة دخول الوباء إليهم"[3].

ونجد بعض المصادر والمراسلات الأرشيفية تؤكد وصول وباء سنة 1743م/1155هـ لبايلك الغرب وأنه استمر إلى غاية الأسبوع الأوّل من شهر أوت[4].

ولكن في الحقيقة أنه امتداد للوباء الذي ظهر سنة 1740م/ 1153هـ ولم ينحصر في منطقة معينة، بل انتقل إلى أماكن أخرى من أهمها: مستغانم، تلمسان وقسنطينة، وهذا السبب الذي دفع "بلفان Blavin "للقول بأن عدد ضحاياه يصل إلى قرابة 60 ألف[5]، وهذا لأنه كما ذكرنا سابقا فوباء سنة 1740م/1153هـ استمر لمدة ثلاث سنوات، أي أنه كان موجود في سنة 1743م/1156هـ، ولم ينحصر في منطقة معينة بل امتد لمناطق أخرى من الإيالة الجزائرية، ولم يكن وباءًا جديدا ظهر في تلك السنة.

والأمر نفسه عندما نتكلم عن وباء 1745م/1158هـ الذي ذكر فقط في المصادر المحلية ولم تذكره المصادر الأجنبية والتي استندت في حدوثه على إحدى المراسلات بين

---

[1] - Lettre du consulat français à Alger dan les archives des affaires étrangères, dans Guyon, p 319.idem, p 355.

[2] - J-L-G. Guyon, Histoire chronologique des épidémies du nord de l’Afrique, p319.

[3] - عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تحقيق، أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص 30.

[4] - C.C.F.A [A.F.é] A.E/B/I/125. Cotes : F°149-150. 17 Aout 1743.

[5] - Jean Marcheka, Op.cit, p 92.

الداي وأحد البايات والتي يطالبه فيها بإرسال مساعدات عسكرية للبايلك، ولكن الداي تحجج بسوء الأحوال الصحية في الجزائر نتيجة للطاعون الذي كان يضربها[1]، وهنا الداي ربما يقصد بسوء الأحوال الصحية تبعات الوباء الذي ضرب الجزائر سنة 1743م/1156هـ، وما كان له من آثار سيئة على الإيالة الجزائرية اجتماعيا واقتصاديا وعسكريا.

لقد عرفت الفترة الممتدة من سنة 1745م/1158هـ حتى سنة 1748م/1161هـ هدوء نسبيا ومتقطعا، ثم تجدد ظهور الوباء حسب "بير بروجر" سنة (1162هـ- 1749م) [2]، وهذا ما تذكره إحدى المخطوطات الموجودة في المكتبة الوطنية الجزائرية عن دخول الطاعون إلى الجزائر بقولها:" ...عام 1163هـ/1749م الثلث كذا وستين ومائة وألف "جات الحبوبا..."[3]، ويذكر مارشيكا بأنه يصعب الحديث عن تفاصيل هذا الوباء[4]، بسب المعلومات القليلة حوله.

وعرفت الجزائر حلال الفترة الممتدة ما بين (1743-1751م/ 1156-1165هـ) فترة تعافي وصحة جيدة إذا استثنينا الكلام عن وباء سنتي 1745- 1749م/ 1158-1162هـ والذي تختلف المصادر حولهما.

عاد الوباء للظهور في ماي 1752م/ 1166هت واكتسح مدينة الجزائر، وقد انتشرت العدوى عن طريق الحجاج الذين وصلوا إلى ميناء الجزائر عبر سفينة بها وباء الطاعون، وكان الطاعون قد احتاج القسنطينة عاصمة الدولة العثمانية سنة 1751م/ 1165هـ وفقدت به ثلث سكانها، واجتاح أيضا المغرب الأقصى، وقد كان هذا الوباء الذي ضرب الإيالات العثمانية والمغرب الأقصى قد انتقل عن طريق السفن المحملة بالحجاج، وقد ثم نقله برًّا وبحرًا، إضافة إلى القوافل التجارية، وهذا من خلال ما ذكره مارشيكا من أن طبيب كان شاهدًا على هذا الوباء في سنة 1752م/ 1166هـ والذي أعطى معلومات عن المرض وكيفية انتشاره عبر المدن والأرياف وأنه قد زادت حدته في شهر ماي 1753م/ 1167هـ ووصل عدد الموتى في شهر جويلية 1700 ضحية[5].

[1] - Jean Marcheka, Op.cit, p 92-93.
[2]- Adrien Berbrugger, Op.cit, T2, p 207.
[3]- مؤلف مجهول، بيان ملوك الجزائر، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، ورقة [3] رقم (1624)
[4] - Jean Marcheka, Op.cit, p 94.
[5] - ibid, p 97-98.

ويذكر هذا الوباء " دي غرامون" بالقول إن الجزائر شهدت خلال سنة 1165-1166هـ/ 1752- 1753م وباءا شديدًا والذي كان يحصد في الشهر الواحد 700 ضحيّة واستمر لأربع سنوات كاملة[1]، ولم يتطرق **" بير بروجر"** للحديث عن هذا الوباء خلال هذه السنة.

ويذكر مارشيكا أيضا أن طاعون سنة 1752-1753م/ 1165-1166هـ هو الذي تسبب في وباء سنة 1754م/ 1167هـ والذي اشتدت وطأته سنة 1755م/ 1168هـ بسبب المجاعة والزلزال الذي حدث في البرتغال وإسبانيا وهز الجزائر خلال شهرين حيث انهارت كل منازل مدينة الجزائر وصاحبه حريق كبير أثر على السكان والاقتصاد[2].

وهذا ما نقف عليه في مذكرات الرهبان الأوروبيين في الجزائر عن طريق رسالة مؤرخة في 01 جانفي 1753م بقولهم:".. قام عدد كبير من التجار في المدينة بغلق محلاتهم وسقوط عدد كبير من الموتى يوميا في الجزائر، يسبب الوباء الذي انتشر بالمدينة واستحكم بها"[3].

ويضيف مارشيكا أن الوباء قد وفد إلى مدينة الجزائر من الجهة الغربية وأنه كان مستقرا في مدينة طنجة المغربية[(4)]، وهذا ما يذكره " غيون" نقلا عن الأرشيفات الفرنسية[5].

وهذا غير وارد بسبب أنه لو كان مصدره المغرب الأقصى لوجدنا له أثر في مدن بايلك الغرب خصوصا مدينة تلمسان، لهذا ذكر "غيون" هذه المعلومة ولكنه لم يرجحها، وإنما ذكر أن مصدر هذا الوباء قوافل الحجاج الوافدة من مكة المكرمة[6].

وقد عرفت إيالة الجزائر هدوءًا حذرًا من نهاية سنة 1753م/1166هـ إلى ربيع سنة 1756م/ 1169هـ، غير أن مارشيكا يتكلم عن وجود طاعون في قسنطينة في مستهل شهر فيفري 1754م/ 1167هـ[7]، والذي اشتدت وطأته سنة 1755م/ 1168هـ بسبب المجاعة

---

[1] - H.D de Grammont, Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830) p 306.
[2] - ibid, p 310.
[3] - Arnoult Bossu, Mémoire de la congrégation de la mission, Tome3, p 227.
[4] - Jean Marcheka, Op.cit, p 95.
[5] - Les archives du lazeret de Marseille dans Histoire chronologique des épidémies du nord de l'Afrique, p 320.
[6] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p319.
[7] - Jean Marcheka, Op.cit, p 96.

والزلزال الذي حدث في البرتغال وإسبانيا وهز الجزائر خلال شهرين حيث انهارت كل منازل مدينة الجزائر وصاحبه حريق كبير أثر على السكان والاقتصاد[1].

ويشير صاحب مخطوط "بيان ملوك الجزائر" إلى تجدد الوباء أو كما سماه الحبوب سنة 1168هـ/ 1755 على مرتين الأولى صادفت عيد الأضحى بقوله:" ...عام 1168 في شهر العيد الكبير جات الحبوبا.." [2]، وهذا ما يوافق ما ذكره أحد الرهبان الأوروبيين والذي تكلم عن وجود ضحايا للطاعون في نفس المدة تقريبا في مدينة القالة قاربت 10 آلاف ضحية[3].

وقد تواصلت ضربات الطاعون طيلة السنوات الموالية من 1756-1758م/1169-1171هـ في الجزائر، القل، قسنطينة، ويذكر "بير بروجر" أنه وجد في الوثائق الأرشيفية للشركة الإفريقية على إشارات تتحدث عن مرور الوباء بالجزائر خلال شهر أكتوبر سنة 1756[4]، وبلغ عدد ضحاياه 4324 ضحية خلال الأربعة أشهر الممتدة من فيفري إلى ماي ماي من سنة (1169هـ/ 1756م) أي بمعدل 37 ضحية يوميا[5].

ثم خمد الوباء سنوات 1759- 1761م/1172-1174هـ وعاد للظهور سنة 1762م/1175هـ مصحوبًا بزلزال عنيف مدمر في مدينة الجزائر ورافقته مجاعة كبيرة كادت أن تتسبب في تمرّد السكان[6]، ويعود مصدر هذا الطاعون إلى سفينة حجاج قادمة من من الاسكندرية، مثلما كان عليه الأمر بالنسبة لوباء 1756م/ 1169هـ الذي نقلته سفينة انجليزية أتت من مدينة أزمير إلى مدينة الجزائر[7].

وقد استمر الطاعون خلال سنتي 1763- 1764م/ 1176-1177هـ واجتاح مدينة الجزائر بعد أن ضربتها مجاعة عظيمة بسبب الجراد الذي اجتاح المنطقة[8].

---

[1] - H.D de Grammont, Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830) p 310.

[2]- مؤلف مجهول، بيان ملوك الجزائر، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، و[3] رقم 1624.

[3] - Arnoult Bossu, Op.cit, M.C.M, T3, p 229.

[4]- Adrien Berbrugger, Op.cit, T2, p 207.

[5] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p 321.

[6] - H.D de Grammont, Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830),op cit, p 314.

[7] - D Panz, les domaine de l'histoire, La peste à smyrne en 18 siècle, In annales Economies sociétés. Civilisation, Civilisation, N° 4 Juillet- Aout 1973, Lib Armond Colin, p 1073-1084.

[8]- فلة القشاعي، المرجع السابق، ص 77.

1-6 سنوات خالية من الأوبئة 1764م-1778م/ 1177-1191هـ:

تميزت الفترة ما بين 1764- 1778م/ 1177-1191هـ بخمود مرض الطاعون الذي غاب عن الإيالة الجزائرية لمدة 14 سنة ولا نضطلع سوى على بعض المجاعات الناتجة عن احتياج الجراد كالتي حدثت سنة 1767م/1180هـ، والحروب القبلية بين العشائر كتلك التي حدثت بين قبيلتي فليسة ومعاتقة سنة 1769م/1182هـ ودامت مدة زمنية طويلة حوالي 7 سنوات أثرت سلبا على الأوضاع الاقتصادية خصوصًا مع حدوث المجاعة[1].

بينما يذكر "بيربروجر" أن مرحلة الهدوء امتدت من نهاية وباء 1756م/ 1169هـ إلى ظهور بعض الحالات أواخر سنة 1784م/ 1198هـ وهذا ما ذهبت إليه معظم الدراسات والمصادر التاريخية[2].

1-7 وباء ومجاعة 1778م/1191هـ ببايلك الغرب:

وكانت من أسبابه اجتياح الجراد وانتشار المجاعات وقد عانى بايلك وهران منها معاناة شديدة، وهذا ما دفع الباي محمد الكبير إلى استيراد كميات كبيرة من القمح وجعل سعرها في متناول الجميع وأحيانا وزعها بالمجان، كما سمح للفقراء والمحتاجين وعابري السبيل بتناول الطعام في قصره ووزع عليهم ملابس خاصة بالشتاء[3].

ولكن نجد العديد من المصادر لم تتطرق إلى هذا الوباء وإنما تكلمت عن حدوث مجاعة في بايلك الغرب وخصوصا في مدينة وهران، وربما كان من آثار هذه المجاعة حدوث وباء ولو لم يكن بتلك القوة التي كانت معروفة سابقا، لهذا لم يتم الإشارة إليه، وهذا يفهم من خلال ما ذكره "بيربروجر" من أن فترة التعافي من الأوبئة في الإيالة الجزائرية كانت من نهاية وباء 1556م إلى ظهور الوباء سنة 1884م.

1-8سنوات خالية من الأوبئة في بايلك الغرب من 1779م-1786م/ 1192-1200هـ:

عرفت هذه الفترة والمقدرة بحوالي سبع سنوات خلو بايلك الغرب من الأوبئة، بينما عرفت باقي مناطق الإيالة الجزائرية عودة قوية للأوبئة الطاعونية مع ملاحظة شدتها وقوة

---

[1] - Haedo, Histoire des Rois, Op.cit, p 331

[2]- Adrien Berbrugger, Op.cit, T2, p 207-208.

[3] - Gorgos: Notice sur le Bey d'Oran Mohamed ElKebir « In R.A , N°1, Année 1856-1857, ed Bastide, Alger, 1856, p 408.

فتكها حيث لم تكن كالتي سبقتها، خصوصا وباء سنة 1783م/ 1197هـ فقد انتشر في كامل الإيالات العثمانية سوريا، مصر، ليبيا، تونس، الجزائر المغرب الأقصى، وقد ذكر مارشيكا أن هذا الوباء كان مصدره عاصمة الدولة العثمانية استانبول وأنه انتشر شرق وجنوب حوض البحر الأبيض المتوسط، كما أن القس "بواري" كان شاهدًا على هذا الوباء، ويذكر أن الوباء اجتاح الايالة الجزائرية منذ سنتين محدثا بها خسائر بشرية كبيرة وكان مصدره الشرق العثماني[1].

ومن المرجّح أن يكون هذا الوباء هو استمرار للوباء الذي ضرب الإيالة في السنة التي بعدها أي سنة 1784م/1198هـ، غير أن " بير بروجر" يذكر أنه لم يقف له على أي أثر في مدينة الجزائر على الإطلاق[2]، غير أن مراسلة من الشركة الإفريقية أوردها "شارل فيرو" مؤرخة في 28 جانفي 1785 تشير إلى انتشار الوباء في القالة منذ تسعة أشهر تقريبًا[3]، أي منذ أواخر شهر أفريل وبداية شهر ماي من سنة 1784م/1198هـ، وقد كان مصدر هذا الوباء مدينة تونس حيث يذكر:" فونتير دي برادي" "venture de paradis " أن هذا الوباء تسبب في فوضى داخل الإيالة التونسية وقضى على قرابة 150 ألف نسمة خلال ستة أشهر[4].

وإذا سلمنا بما ذكره "دي بارادي" فبنسبة كبيرة يكون الوباء قد ضرب الإيالة الجزائرية خصوصا مدينة عنابة التي كان لها علاقات تجارية مع الإيالة التونسية، كما أنها كانت تعتبر طريق بري بين الإيالتين وكانت تعرف مبادلات تجارية، كما أنها كانت تعتبر طريق بري للحجاج في ذهابهم وعودتهم، ورغم هذا فإن هذا الوباء حتى وإن ضرب الإيالة الجزائرية فإن تأثيره لم يكن كبيرا، ولهذا اقتصرت الأخبار حوله في الإيالة التونسية فقط.

وقد ازداد هذا الوباء حدّة وقوّة سنة 1785م/1199هـ خصوصًا بقسنطينة وضواحيها بسبب انتقال العدوى من تونس التي كانت تحت وباء قاتل كان مصدره سفينة حجاج قادمين

---

[1] - Marchika, Op.cit, p 109-116.
[2]- Adrien Berbrugger, Op.cit, T2, p 207-208.
[3] - Charles Feraud, Op.cit, p 414.
[4] - Venture de paradis Alger au XVIII siècle (1700-1799) Edite par Fagman, Alger, Typographie, Adolf, Jordan 4 place du gouvernement, 1989, p 33.

من مدينة الاسكندرية[1]، وقد حاول صالح باي منع سكان بايلك الشرق من جميع أشكال المعاملات التجارية والاحتكاكات مع القبائل التونسية[2].

وقد تفشى وانتشر الوباء في إيالة الجزائر ابتداءً من شهر فيفري 1785م/ 1199هـ وهذا حسب الوثيقة المرسلة من وكيل الشركة الإفريقية الفرنسية في عنابة إلى القنصل العام الفرنسي في الجزائر وقد انتشر في مدينتي القالة وعناية [3]، ثم وصل هذا الوباء إلى مدينة الجزائر وأسقط العديد من الضحايا، خاصة الجنود الإنكشاريين، وهذا من خلال ما أوردته إحدى الرسائل من أسير إسباني كان متواجدا في الجزائر[4].

وابتدءًا من تاريخ 26 مارس 1786م انخفضت شدة الوباء وأصبح يقتل ما بين 8- 10 أفراد يوميا ولكنه عاد للظهور مجددًا عن طريق سفينة حجاج قادمة من الاسكندرية وعلى متنها 65 فردًا هلكوا كلهم بالطاعون في مدة لا تتجاوز 28 يوم، ورست بمدينة عنابة وانتشرت بها العدوى وأصبح عدد الموتى 45 ضحية يوميا[5].

وقد أتى هذا الوباء بعد مجاعة كبيرة عرفتها البلاد وسمي في بعض المناطق باسم "حبوبة المجاد" بسبب ما حصد من ضحايا في هذه العائلة، فيما تروي مصادر أخرى أنه قضى تماما على أفراد عائلة المجاد[6]، وهو يعتبر من أشدّ وأسوء الأوبئة التي ضربت الإيالة الجزائرية، ويذكر فيشرا Vicherat)) في مذكراته بأنه أعلن عن تواجد هذا الوباء في الجزائر شهر جويلية سنة 1786م[7]، ويذكر صاحب مخطوط بيان ملوك الجزائر قائلاً عن هذا الوباء: "ثم من بعد ذلك جات الحبوبا للجزائر عام 1200هـ... " [8]، وذكر "غيون" أن الوباء تجدد ظهوره مع بداية شهر فيفري من سنة (1200هـ/ 1786م) وتحديدًا في الأماكن القريبة من مدينة عنابة[9]، فيما يرى "بير بروجر" أن ظهوره كان في بداية الربيع وتحديدا منتصف شهر مارس[10].

---

[1] - Valensi, calamités démographiques, Op.cit, p 154.
[2]- Adrian Berbrugger, Op.cit, T2, p 212.
[3] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p332.
[4] - Venture de paradis, Op.cit, p 168.
[5] - Marchika, Op.cit, p 117.
[6] - Walsin Esterhazy,Op.cit, p 190.
[7]- Jean Claude Vichet : Peste de 1786 et 1788, dans : Mémoire de la congrégation de la mission, pp (559-568).
[8]- مؤلف مجهول، بيان ملوك الجزائر، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، و[5] رقم (1624).
[9] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p343.
[10]- Jean Claude Vichet, Op.cit, pp (559-568).

ويرجع مارشيكا حدوث طاعون 1786م/1200هـ إلى نشاط البحرية الجزائرية خلال هذه السنوات، وقد وصل عدد الموتى إلى 500 جنازة في اليوم وسميّ بالوباء الكبير واستمر هذا الوباء في الجزائر لغاية سنة 1796[1].

9-1عودة الأوبئة لبايلك الغرب سنة 1786م و 1787م/ 1200-1201هـ:

وصل الوباء الذي ضرب مدينة الجزائر سنة 1786م/ 1200هـ إلى كل من وهران ومعسكر بسبب المجاعة التي ضربت بايلك الغرب سنة 1784م/1198هـ[2]، وتذكر مختلف مختلف الدراسات أنه خلال سنة 1200هـ-1786م وخلال زمن حكم "محمد بن عثمان الأكحل" ظهر طاعون ببايلك الغرب، وقد سبق هذا الطاعون مجاعة كبيرة أثرت بشكل سلبي في حياة قاطنة البلاد سنة 1195هـ/1782م [3]، وهذا أيضا ماذكره مارشيكا بأن هذا الوباء قد انتقل من الغرب الجزائري، وهو ما ترك أثرًا كبيرًا على الإيالة وزرع الخراب في جميع أنحائها[4].

ومن أعراض هذا الوباء ما ذكره الأب "جون أليسيا" فيقول أن من أعراضه في بدايته ظهور آلام في الرأس، وتصاحبه آلام شديدة في المعدّة، وهنا يصبح الترياق الممنوح من الأطباء غير مجدي وتتطور هذه الآلام في مرحلة لاحقة بحيث يظهر على أجسام المرضى ندبات وتتطور في كثير من الأحيان وتصبح خرجات مختلفة [5]، وقد وصل عدد ضحايا هذا الوباء في نهاية شهر مارس ما بين (14 و18) ضحية في اليوم [6]، وقد استمر هذا الوباء حتى شهر سبتمبر من سنة 1786م/1200هـ، وهذا حسب غيون وبير بروجر اللذان يذكران ظهور ضحايا جدد بعد شهر سبتمبر نتيجة لهذا الوباء مستندين على مصادر جزائرية مخطوطة [7].

---

[1]- توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار أشراف الجزائر (1754-1830)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974، ص 51.

[2] - Haedo, Histoire des Rois, Op.cit, p 339.

[3] - Brosselard, Les inscriptions arabes de Tlemcen, Revue Africain 1860, N° 4, p 88.

[4] - Jean Marcheka, Op.cit, p 116.

[5]- Jean Alasia, Mémoire adressé par M.Alasia au roi de Doroaigne, Dans Mémoire de la congrégation de la mission principale de la congrégation de la mission, pp (444-448).

[6]- Adrian Berbrugger, Op.cit, T2, p 218-219.

[7]- Adrian Berbrugger, Op.cit, T2, p 218.et Guyon, Histoire chronologique des épidémies du nord de l'Afrique p347.

أما وباء 1787م/ 1201هـ فظهوره كان في بداية شهر جانفي وتفشى بسرعة وقسوة إلى المناطق المجاورة [1]، أما "دي غرامونت" فيرى أن حقيقة ظهور هذا الوباء كانت في مدينة الجزائر وتحديدًا في 27 أفريل1787[2]، أما الزهار فعندما يتكلم عن وباء (1211هـ-1797م) فيذكر أنه كان امتدادًا لوباء (1201هـ-1787م) وأنه دخل إلى الجزائر عن طريق برّ الترك وقد اشتهر بين الأهالي باسم "الوباء الكبير"[3].

و كان هذا الوباء ضمن نطاق ضيق ولم يعرف انتشارًا كبيرًا إلا أنه ما لبث أن أصبح له أثر كبير في المناطق التي انتشر بها وخلال فترة قصيرة ما بين 26 جانفي إلى غاية الشهر أي في أقل من أسبوع أسقط أكثر من 314 مسلمًا و21 مسيحي و4 يهود[4].

ويذكر "دي غرامون" عن عدد ضحايا هذا الوباء ما بين أواخر شهر أفريل ومنتصف شهر جوان سنة 1787م يقدر بحوالي 8065 [5]، وهو نفس الرقم الذي أوردته تقارير المجلة الفرنسية، أما مارشيكا فيذكر أن عدد الضحايا قارب الستة عشر ألفًا 16000 [6]، أما أما الزهار فأشار إلى الأثر الكبير لهذا الوباء وأنه كان يقضي يوميا على حوالي 500 ضحية[7].

وقد ضرب هذا الوباء مدينة معسكر في بايلك الغرب، وتذكر (لوسيت فلنسي) أن هذا الوباء توغل سنة 1789 اتجاه الجنوب الجزائري إلى منطقة الزّاب وغيرها[8].

10-1وباء 1788م-1789م/ 1202-1203هـ:

لم يعرف وباء 1787م/1201هـ جمودًا بل استمر بقوّة عام 1788م/ 1202هـ في مدينة الجزائر وضواحيها وعنابة وبدأ يخمد بصفة مؤقتة ابتداءً من شهر سبتمبر من عام 1788م/1202هـ، لكنه عاد للظهور في شهر مارس من نفس السنة 1789م/ 1203هـ

[1] - Jean Marcheka, Op.cit, p 125.
[2] - H.D de Gramont, Histoire d'Alger sous la domination Turque(1515-1830) p339.
[3]- الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 78.
[4] - Jean Marcheka, Op.cit, p 126..
[5] - H.D de Gramont, Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830), p339.
[6] - Jean Marcheka, Op.cit, p 137.
[7]- الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 78-79.
[8] - Lucette Valensi, Op.cit, p 21.

وبصفة كبيرة على غرب الإيالة الجزائرية، حيث تسرب عن طريق سفينة إسبانية لم تخضع للحجر الصحي[1]، وتواجد بالخصوص في مدينة معسكر.

1-11 وباء 1790م-1792م/ 1204-1206هـ:

ذكرت بعض المصادر وجود الطاعون في مدينة تلمسان خلال سنة 1790م/ 1204هـ[2]، وقد نقل مارشيكا ذلك أيضًا[3]، وهذا ما أورده تقرير القنصلية الفرنسية في الجزائر على إشارة عرضية لوباء أصاب مدينة تلمسان سنة 1791 [4].

وعرفت الإيالة الجزائرية انهيار جغرافي نتيجة الزلزال العنيف الذي ضرب وهران وضواحيها في ليلة 8-9 أكتوبر 1790م/ 30محرم و 1 صفر 1205هـ، إذ دمّر في ظرف 3 دقائق على الساعة الواحدة ليلاً كل المنازل والكنائس ونتج عنه حريق وهزات متكررة إلى غاية 22 نوفمبر و06 جانفي 1791م. متسببًا في قتل 3000 ضحية[5]، وقد فقدت الفرقة أو الحامية العسكرية الإسبانية ثلث رجالها، أما الناجون فقد غادروا ما تبقى من منازل المدينة ملتجئين إلى الأرياف المجاورة وتم تنظيم عملية إنقاذ المنكوبين بأمر من الباي محمد الكبير، حيث وزعت عليهم الحبوب الزيوت والخيم[6]، وورد رقم 2000 ضحية ضحية حسب صحيفة لاغازيت دي مادريا La gazette de Madrea كما انهار المشفى الوحيد لمدينة وهران ومات الطبيبان العاملان به [7].

وقد ظهر الطاعون أواخر سنة (1206هـ/ 1792م) من خلال أحد الأساطيل البحرية الجزائرية القادمة من إسطمبول[8]، أما مارشيكا فيذكر من خلال نقله لرسالة من القنصلية الفرنسية للجزائر إلى السلطات الفرنسية أن تأثير العدوى في وباء 1792، لم يكن كبيرًا لذا لا نقف عليه كثيرًا في المصادر المختلفة[9].

---

[1] - A.CH. CM, série Op.cit, Lettre du 11-05- 1789, à L'I.SM.
[2] - J-L-G. Guyon, Histoire chronologique des épidémies du nord de l'Afrique, p 321.
[3] - Jean Marcheka, Op.cit, p 140.
[4] - C.C.F.A [A.F.é] A.E/B/I/143. Cotes : F°138-144, 28/07/1791.
[5] - H.D de Grammont, Op.cit, p 343.
[6] - M. Gaid, l'algérie sous les turcs. Ed Mimouni 2e Alger 1991, pp 164-165.
[7] - Dr Monnereau, Les inscriptions d'Oran et des Mersa El Kebir PAR LE gl.c.x de Sandonal in R.A.N n) 16, Année 1872, pp 289-290.
[8]- Adrian Berbrugger, Op.cit, T2, p 225.
[9] - Jean Marcheka, Op.cit, p 141.

1-12 طاعون 1793م/1207هـ:

وقد انطلق هذا الوباء بقوّة في النصف الثاني من شهر فيفري واشتدّت حدّته في مارس وأفريل من السنة نفسها[1]، وحسب مراسلة القنصلية فإن الوباء كان موجودًا بمدينة البليدة بداية من الثلث الثاني من شهر أفريل، ويشير مارشيكا إلى انتقال الطاعون سنة 1793م/1207هـ من جائحة حيوانية (Epizootie) إلى وباء حيث انتقلت الجرثومة المسببة للطاعون من فئران الميناء إلى الإنسان خصوصًا الحمّالين المبكرين الذين أفرغوا البضائع، وفي شهر أبريل عم الوباء مدينة البليدة وأريافها وأحوازها مسببا خسائر بشرية إلى غاية حلول فصل الصيف، حيث انقطع في شهر نوفمبر وظهر من جديد أواخر ديسمبر من عام 1793م محدثا كارثة ديمغرافية قدرت بحوالي 12 ألف ضحية [2]، ثم امتد إلى المناطق الداخلية خاصة مدينة قسنطينة وغيرها[3].

وبلغ عدد ضحايا هذا الوباء في نهاية شهر جويلية ما بين (80-100) يوميا[4]، ثم تناقص في نهاية شهر أوت ليصل إلى ما بين (20-25) يوميا[5].

وقد أدت قوة وسرعة انتشار هذا الوباء لوصوله إلى بايلك الغرب الجزائري، وهذا ما دفع بالسلطة في المغرب الأقصى إلى فرض حجر صحي على القادمين من الجزائر، وبقي العمل بهذا الحجر من شهر جوان إلى غاية شهر أكتوبر من سنة 1793م/ 1207هـ تقريبًا[6].

نجد هذا الوباء قد انحصر مع شهر أكتوبر، وهذا من خلال رسالة أرسل بها وكيل الشركة الإفريقية نحو مدينة بونة إلى القنصل الفرنسي العام بمدينة الجزائر يعلمه فيها بانحصار الوباء تمامًا وقد كانت هذه الرسالة في 04 نوفمبر من نفس السنة[7].

1-13 وباء سنة 1794م/ 1208هـ:

---

[1]- Adrian Berbrugger, Op.cit, T2, p 226.
[2] - Jean Marcheka, Op.cit, pp 141-143.
[3] - J-L-G. Guyon, Histoire chronologique des épidémies du nord de l'Afrique, p 353.
[4] - Charles Feraud,Laurent, Op.cit, p 461.
[5]- Adrian Berbrugger, Op.cit, T2, p 226.
[6] - محمد الأمين بزاز، المجاعات والأوبئة في المغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية العلوم الإنسانية، الرباط، 1992، ص 87.
[7] - Jean Marcheka, Op.cit, p 142.

قدم هذا الوباء مع الوافدين من الحج سنة (1208هـ-1794م)[1]، وتذكر المصادر أن من أعراض هذا الوباء والتي يتركها على ضحاياه أنواع من الترسبات والبقع السوداء المتضخمة على أجسام الضحايا[2].

وانتقل هذا الوباء إلى بايلك الغرب وبالضبط وهران نتيجة الزلزال والمجاعة المروعة التي ضربت المدينة إذ أصبح الناس يأكلون الموتى، إذ ضرب الطاعون كل المنطقة وأطلق عليه تسمية حبوبة عثمان نسبة إلى الباي عثمان بن الباي محمد الكبير[3].

ثم ظهر الطاعون في بايلك الغرب الجزائري في فترة حكم "محمد بن عثمان الأكحل" أو "محمد باي الكبير" وبالتحديد سنة 1208هـ-1794م [4]، وهذا بعد قحط شديد ألم بالبايلك بالبايلك سنة قبل ذلك[5]، وأطلق السكان على هذا الوباء اسم (جنون عثمان) [6]، نسبة إلى عائلة عثمان بن محمد الكبير، إذ أنه قضى على عدد كبير من أفراد هذه العائلة[7].

وساد الاعتقاد لدى سكان بايلك الغرب أن السبب وراء هذا الوباء هو مجموعة من الحجاج العائدون من مكة المكرمة [8]، وهذا ما اعتبره بير بروجر يتعارض مع ما قدمه من حقائق حول تفشي الوباء من مدينة الجزائر إلى بايلك الشرق ثم وصوله إلى بايلك الغرب الجزائري[9]، وهذا ما لا يستطيع بربروجر الجزم به على إطلاقه لأنه في كل الحالات لا يمكن أن يقدم دليلاً مؤكدا حول عدم دخول أي سفينة إلى وهران أو مستغانم تحمل حجاجًا أو قادمة من البقاع المقدسة، أو أن مدينة وهران لم يكن لديها أي علاقات تجارية أو سياسية خارجيا، كما أن الأهالي قد شاع بينهم مصدر الوباء، وأنه قد وصل إليهم عن طريق سفينة تحمل الحجاج، فلابد أنه كان لديهم دليل حول ذلك، وهذا ما يتنافى مع رؤية "بير بروجر" التي تقول بأن الوباء خلال هذه السنة وصل إلى بايلك الغرب برًا وليس بحرًا عن طريق السفن التجارية أو القادمة من مكة أو التي كان على ظهرها حجّاج.

---

[1] - Walsin Esterhazy,Op.cit, p 190.
[2] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p358.
[3] - Marcheka, Op.cit, p 144-145.
[4] - Brosselard, : Loc.cit, Revue Africain 1860, N° 4, p 88.
[5]- مؤلف مجهول، نبذة من سيرة الباي محمد الكبير (مخطوط)، المكتبة الوطنية الفرنسية، رقم 5022[و/م]
[6] - Walsin Esterhazy,Op.cit, p 196.
[7] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p357.
[8] - Walsin Esterhazy,Op.cit, p 197.
[9]- Adrian Berbrugger, Op.cit, T2, p 227.

بلغ عدد ضحايا هذا الوباء من 50 إلى 150 ضحية يوميا[1]، وتطور نشاطه في فصل الصيف وبالتحديد في النصف الأوّل من شهر جويلية 1794م/1208هـ، وهذا ما يفسره "بير بروجر" بتواصل سقوط الأمطار على غير العادة في قسنطينة خلال تلك الفترة[2].

وعرف هذا الوباء انتشارا كبيرا في مدينة الجزائر، ثم انتقل باتجاه بايلك الشرق حيث تفشى في عاصمته مدينة قسنطينة، ومدينة عنابة، وأصبح أثر الوباء بهما أكبر من مدينة الجزائر، إذ بلغ عدد الضحايا في مدينة قسنطينة 50 ضحية يوميا، بينما لم يتجاوز عدد الضحايا في مدينة الجزائر 31 ضحية يوميا[3].

1-14 وباء 1796م-1797م/1210-1211هـ :

اجتاح هذا الوباء مدينة وهران وضواحيها [4]، وبدأ الحديث عن ارتفاع عدد ضحايا هذا الوباء بعد شهري جويلية وأوت حسب ما أورده "فيشرا"، ونقله عنه "مارشيكا" إلى 48 ضحية يوميا بينهم عدد كبير من النصارى[5]، أما "غيون" فيؤكد خلال حديثه على هذا الوباء الوباء أن مصدره عرف خلال خروج سفينتين من ميناء مدينة الجزائر الأولى في شهر جوان واسمها ((Eglalie والأخرى شهر جويلية اسمها ((Lafortune، وبعد وصولهما لميناء مارسيليا اكتشف أنهما تحملان الوباء[6].

وفي نفس التاريخ ضرب هذا الوباء مدينتي دلس وعنابة واستمر في مدينة الجزائر سنة 1797م/1211هـ، حيث وصل عدد ضحاياه في شهر جوان إلى 500 ضحية يوميا، وانتشرت العدوى في مدينة قسنطينة قادمة من عنابة وكانت قد حدثت مجاعة في قسنطينة جعلت صالح باي يرفض تصدير الحبوب للوكالة الملكية افريقية[7].

أما وباء 1797م/1211هـ فيعتبر من أشد الأوبئة التي ضربت الجزائر وتونس وقد ظهر في إيالة الجزائر ابتداءً من ربيع 1797م/1211هـ وبدأ في حصد الضحايا بشكل

---

[1] -Lettre de 4 Juin, de l'agent consulaire de France à bône, au conseil de France à Alger, J.L.G Guyon, Histoire chronologique des épidémies du nord de l'Afrique p 356-357.

[2]- Adrian Berbrugger, Op.cit, T2, p 227.

[3] - J-L-G, Guyon, Op.cit, pp 356-357.

[4]- فلة موساوي القشاعي، ص 88.

[5] - Jean Marcheka, Op.cit, p 145.

[6] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p357-358.

[7] - A.CH. CM, Compagnie Royale d'Afrique : Bône-journal (1791-1794) Lettre du 31-10-1792 rédigée Guibert adressée à la C.R.A « Refus de Salah Bey de livre du blé à la C.R.A.

كبير بداية من شهر ماي[1]، وحسب (Tholozan) فإن أصل هذا الوباء هو صعيد مصر وأنه ظهر هناك سنة 1796م/1210هـ وانتقل منه إلى إفريقيا أو أنه ظهر في الحبشة وانتقل إلى صعيد مصر[2].

تزامن ظهور هذا الوباء مع قحط شديد وأزمة غذائية في مدينة وهران، وقد خفف من وطأة هذه الشدة سياسة الباي "محمد الكبير" الذي فتح مخازن الحبوب وسخر مطعم قصره للضعفاء من السكان والأهالي[3].

ومما ساهم في إنعاش الأوبئة خلال هذه السنة 1797م/1211هـ حركة القبائل الكبيرة داخل الإيالة نتيجة ثورة درقاوة والتي امتدت في أرجاء واسعة في بايلك الغرب الجزائري، وهذا ما ذكره ابي راس الناصري عن فتنة درقاوة وما تبعها من طاعون تهرّب منه الواعون[4]، حصد هذا الوباء في مدينة الجزائر وحدها خلال شهر ماي ما بين 20-25 ضحية يوميا[5].

1-15 وباء سنة 1798م-1799م/1212-1213هـ:

استمر الوباء سنتي 1798-1799م/1212-1213هـ في تلمسان ومدينة الجزائر، حيث بلغ عدد الموتى يوميا 300 ضحية في شهر سبتمبر، كما عانت وهران من الطاعون الذي أدخله الحجاج في 23 مارس 1799م[6]، ونقلوا العدوى من وهران إلى تلمسان ومعسكر وتادمايت وبقي الطاعون يضرب بقوة طوال سنة 1802م/1216هـ وقد تميزت هذه السنة بزلزال مدينة الجزائر الذي دمّر قرية القليعة، "وما بها خلق كثير تحت الهدم، ولما بلغ خبرها للأمير مصطفى باشا رحمه الله ركب من حينه وذهب إليها بنفسه وأمر بإخراج ما كان تحت الردم، فمن وجده حيّا كساه، وأعطاه نصيب مال بيده، وأمر بتكفين جميع الموتى وفرّق أموالاً هناك...." [7].

---

[1]- Adrian Berbrugger, Op.cit, T2, p 229.

[2] - Tholozan Joseph- Désiré, Op.cit, p 03..

[3]- مؤلف مجهول، نبذة من سيرة الباي محمد الكبير (مخطوط)، المكتبة الوطنية الفرنسية، رقم 5022[و/م]

[4]- أبو راس الناصر، فتح الإله ومنيته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب،ص 24.

[5] - Adrian Berbrugger, Op.cit, T2, p229-230.

[6] - Marcheka, Op.cit, p 150.

[7]- توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، المرجع السابق، ص 83.

وكان هذا الوباء شكل عبارة عن طاعون رئوي اجتاح الجزائر والمغرب في نفس التوقيت تقريبًا[1]، لكن "بير بروجر" يقول أن الكلام عن ظهوره لم يكن سوى إشاعات ظهرت في شهر أفريل من سنة 1798م/1212هـ وحقيقته أنه وباء بسيط اقتصر على بعض الحالات المعزولة خلال هذه السنة[2]، وقد ازدادت قوّة ونشاط هذا الوباء مع مرور الوقت ليصل إلى غاية أقصى الغرب الجزائري وبالتحديد إلى مدينة تلمسان في نفس السنة[3]، وهذا ما أكده "رينو" عن امتداد الوباء وانتقاله من مدينة تلمسان خلال سنة 1798م/1212ه، إلى المغرب الأقصى عبر الطريق القاري[4]، غير أنه يقل الكلام عن هذا الوباء سوى ما ذكرناه، أي ما أشار إليه "بير بروجر" ونقله عنه "غيون" و"مارشيكا" في كتاباتهم[5].

أما وباء سنة 1799م/1212هـ فقد أصبح يقضي في بعض المناطق الوبائية على 15 شخص يوميا وقد انتشر في كل من وهران، معسكر وتلمسان[6]، وامتد إلى صحراء الزيبان، الزيبان، حيث في سنة 1212هـ/ 1799م تقدمت سفينة تركية تقل بعض الحجّاج وترسوا في موانئ بايلك الغرب الجزائري محملة بالوباء، وبعد ذلك بزمن قصير سمع خبر تفشيه في مدن: وهران، تلمسان، معسكر وانتقل بعد ذلك من بايلك الغرب الجزائري إلى المغرب الأقصى[7].

أما عن آثار هذا الطاعون فيذكر مسلم بن عبد القادر أنه تسبب في موت الكثير من لناس، فقال: "عاد في أيامه -أي الباي عثمان- الطاعون بهذا الوطن، ومات به الجل من الناس، والعلماء كالعلامة الشيخ سيدي عبد القادر بن السنوسي وبن زرفة، وأخيه الفقيه الألمعي الأريب صاحب فتح وهران السيّد محمد المصطفى بن عبد الله وغيرهم..."[8].

---

[1]- العربي المشرفي، المصدر السابق، ص 181.

[2]- Adrian Berbrugger, Op.cit, T2, p 231

[3] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p359.

[4] - محمد الأمين بزاز، المرجع السابق، ص 87.

[5] - Jean Marcheka, Op.cit, p 149.

[6] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p 360.

[7] - ibid, p360..

[8] - مسلم بن عبد القادر : المرجع السابق، ص 69.

وقد بدأ هذا الوباء في الانحصار في شهر جوان وبلغ عدد ضحاياه 3 إل 4 يوميا وظهر بعد ذلك في المغرب الأقصى بعد مدة وجيزة [1].

1-16 وباء 1802م/1215هـ:

لم تشهد الإيالة الجزائرية أي وباء في بداية القرن 19م، وهذا حسب جميع المصادر التاريخية والمراسلات الأرشيفية، وأول ظهور للوباء كان بعد سنتين وبالضبط في سنة 1802م/1215هـ، واقتصر ظهور هذا الوباء على بعض أحواز مدينة وهران[2]، وقد لمح إليه (غيون) ولم يفصل في ذلك فلم يشر إلى أثره أو طريقة وصوله، وكل المعلومات التي ذكرها كانت ضمن الوثائق الأرشيفية لازارات Lazaret))، وأن هذا الوباء قد ظهر فعلا في مدينة وهران وبعض النقاط على الساحل[3].

أما المرحلة الممتدة ما بن 1805-1816م/1219-1231هـ فقد تميزت بجمود الأوبئة من إيالة الجزائر ولكن بقيت تعاني من المجاعات المزمنة السابقة عن اجتياح الجراد الذي كان سببًا في القضاء على المحاصيل الزراعية وهذا ما كان يترتب عنه نقص في الإنتاج الفلاحي وانعدامه في بغض المناطق وفي هذا يقول العنتري: "أنزل الله القحط على الخاص والعام حتى صار العباد يأكلون لحوم بعضهم من شدّة الجوع وانقطاع الطعام واستمر ذلك مدّة سنة كاملة، ثم عفى الله تعالى وزالت تلك المجاعة الواجعة"[4].

إن أغلب المصادر التاريخية والوثائق الأرشيفية تؤكد خلو إيالة الجزائر من الأوبئة خلال هذه الفترة الزمنية الممتدة من 1804-1816م/1218-1231هـ، وهذا ما دفع مارشيكا للقول من أن الأمراض خلال هذه السنوات كادت أن تنسى[5].

ولكن خلال هذه الفترة التي عرفت هدوءًا من أزمات الأوبئة عرفت الإيالة الجزائرية سلسلة من الكوارث الطبيعية التي أثرت على السكان وحياتهم الاقتصادية وهذا ما يفسر قيامهم بالعديد من التمردات نتيجة حياتهم البائسة[6]، ويذكر نقيب أشراف الجزائر الحاج أحمد الشريف الزهار أن الإيالة اجتاحها الجراد سنة 1814م/1229هـ بقوله: "وجاء

---

[1] - Jean Marcheka, Op.cit, p 149-150.
[2] - ibid, p 16.
[3] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p364.
[4]- محمد صالح العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاءهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق الدكتور يحيى بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1991، ص 73.
[5] - Jean Marcheka, Op.cit, p 150.
[6] - M. Belhamissi, Histoire de la marine algérienne (1516-1830) E.N.A.L, Alger 1983, p 164.

الجراد في هذه السنة، أوله أتى طائرًا ثم غرس وأقام أيامًا في الأرض ثم خرج وأكل الزرع والأشجار والثمار ووقع الغلاء في تلك السنة.... وصار الناس يقتتلون على الخبز"[1].

1-17 عودة الأوبئة سنة 1816م-1817م/1231-1232هـ:

يعدّ هذا الوباء من أخطر الأوبئة الذي ضرب المنطقة إذ امتد من المغرب الأقصى إلى غاية إيالة طرابلس ولم تستثنى منه أي منطقة[2]، وأرجع عدد من الباحثين أصل ومصدر هذا الوباء إلى مناطق في الأناضول وأرمينيا[3]، وقد امتد هذا الوباء حسب "بير بروجر" من خريف سنة 1232هـ-1816م إلى غاية خريف السنة التالية 1233هـ-1817م [4]، ويذكر مارشيكا أن تأثير هذا الوباء المباشر وغير المباشر ظل ساري المفعول حتى سنة 1822م/1237هـ، اعتبره ماريشكا ظاهرة وبائية كبيرة فقد استمرت وطأته مدة زمنية طويلة واقترن بالجائحات الحيوانية واجتياح الجراد والمجاعات [5]، وقد توفى بهذا الوباء الدّاي علي باشا سنة (1817م/1232هـ)[6].

ويرى العديد من الباحثين أن سبب تفشيه وامتداده الكبير والقوي أن أعراضه لم تكن كالتي ألفها واعتادها السكان، فلم يلاحظوا هذه الأعراض الجديدة للوباء، عكس تلك التي تعارفوا عليها.، لهذا كان اعتقادهم أن هذه الأعراض هي أعراضا "الحمى الخبيثة" [7].

ويرى مارشيكا أن سبب انتقال العدوى السفينة السويدية دلفين " Le Delphin "القادمة من ميناء آزمير إلى ميناء الجزائر والتي أرسلت بتاريخ 14 جانفي، وهناك فرضية أخرى ترجع انتقال العدوى عن طريق سفينة جزائرية عائدة من ميناء آزمير، وهناك احتمال آخر يرجع انتقال العدوى عن طريق سفينة تجارية إغريقية إسمها لا فريك " L'Afrique " قادمة من بيروت، أو من السفينة " لافورتين"la fortune " الآتية من ميناء آزمير والتي كان على متنها 3 حالات مصابة بالوباء وهذا حسب القنصل الإنجليزي في مدينة آزمير الذي أثبت

[1]- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 117.

[2] - Jean Marcheka, Op.cit, p 151.

[3] - Tholozan Joseph- Désiré, Op.cit, p 03.

[4]- Adrian Berbrugger, Op.cit, T2, p 291.

[5] - Jean Marcheka, Op.cit, p 151.

[6]- مؤلف مجهول، بيان ملوك الجزائر، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، و[3] رقم 1624.

[7] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p372.

أن وفاة هذه الحالات كان بسبب الطاعون وهذا وفقا للشهادة الصحية للسفينة التي أمضاها[1].

وكان مصدر الوباء حسب الشريف الزهار سفن واردة من إسطمبول سنة 1232هـ/ 1816م واشتعلت ناره في الجزائر حينها [2]، وهو نفس طرح غيون الذي يرى أن السفينة التي على متنها الوباء هي سفينة تركية قادمة من الإسكندرية بمدينة عنابة، ومن خلالها انتقل الوباء إلى مناطق أخرى، وقد ذكر أن سفينة تركية على متنها حجاج عائدون من الإسكندرية قد رمت في البحر 25 شخصا لإصابتهم بالطاعون، وبعد رسوها بميناء عنابة نزل منها 25 مصابا بالطاعون وانتشروا في مختلف أرجاء المدينة وهذا ما تسبب في تفشي الوباء[3]، وبنسبة كبيرة هي السفينة نفسها التي مرّت بمدينتي الجزائر ووهران في نفس المدة[4]، وهذا ما يبرر ويفسّر ظهور الوباء في المدينتين في نفس الفترة وبنفس القوّة تقريبًا وقد توفي بسبب هذا الوباء نائب القنصل في الجزائر فرانكوش "M. Francowich " ودخل إلى الثكنات العسكرية، كما ولج بيوت كبار رجال الدولة، كالخزناجي والآغا والكثير ممن هم دونهم[5].

اشتد هذا الطاعون في مدينة وهران حيث " كان الناس يموتون في الشوارع"[6]، ثم انتقلت العدوى من الجزائر إلى المغرب الأقصى مخلفا ما بين (40-60) ضحية يوميا وهذا ما حمل السلطان مولاي إسماعيل بتوصية من القناصل الأوربيين في المغرب إلى اتخاذ إجراءات لمحاصرة الطاعون في المناطق الشرقية للمغرب المتحادة مع المناطق الغربية لإيالة الجزائر، خاصة تلمسان ومن جملة هذه التدابير:

- فرض حجر صحي على المراكب القادمة من المغرب الكبير لمدة أربعة أيام.
- مراقبة المناطق الشرقية واتباع أسلوب والده المتمثل في إقامة حزام عسكري طبي بين مملكة المغرب وإيالة الجزائر[7].

استمر الوباء على غير العادة في شهر أوت فهلك بسببه 55 شخصا في الأوّل منه، و80 ضحية في اليوم الثاني، وفي اليوم الثامن وصل عدد الضحايا 140 ضحية، ثم بدأ في

[1] - Marchika, Op.cit, p 152-153.

[2]- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 158.

[3] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p372-373.

[4]- Adrian Berbrugger, Op.cit, T2, p p 332-333.

[5] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p374.

[6] - Marcheka, Op.cit, p 162.

[7] - محمد الأمين بزاز، المرجع السابق، ص 104-105.

الانخفاض في النصف الثاني من الشهر. فقد بلغ عدد الضحايا في 18 أوت 3 ضحية[1]، وينخفض بشكل ملحوظ أواخر شهر أوت حتى يكاد يختفي تمامًا بداية النصف الثاني لشهر سبتمبر[2].

وتميّز هذا الوباء عن غيره بأنه لم ينتشر في المدن الرئيسية والساحلية المهمة كمدينة الجزائر، عنابة ووهران، بل يكاد ينتشر في جل مدن الإيالة الجزائرية وقد بدأ الوباء في الانحصار بداية من منتصف شهر أكتوبر وكاد ينقص أمره تماما من كامل الإيالة قبل نهاية السنة[3].

18-1 وباء 1818م/1233هـ:

وظهر في شكل غريب لم يتعود عليه الأهالي، لهذا لم ينتبه له الكثير، حيث ظهرت فقاعات وتصلبات للأعصاب وتشنجات على بشرة بعض الموتى. فقال البعض بأنه "الوباء الشرقي" وقال آخرون إنه الحمّى الخبيثة[4]، لقد تميز وباء سنة 1818م/1233هـ بقوته وشدته وانتشاره في كل الإيالة الجزائرية ويقول في هذا الصدد الحاج أحمد الشريف الزهار: "..وكان الوباء قد اشتعلت ناره وقت الضحى وصلت مائة جنازة..." [5].

ويقول مارشيكا إما أنه "وباء الجدري أو الحمّى الخبيثة[6]، ويمكن أن يكون هذا الوباء هو حمى التفوئيد لأن حمى التفوئيد من أعراضها حدوث تشنجات وتقلصات مختلفة نتيجة ردود الفعل الوترية في سياق حمى التفوئيد[7].

ونجد هذا الوباء قد استمر في مدينة وهران سنة 1818م/1233هـ وبلغ عدد الضحايا بها 7000 ضحية وفي أرزيو أيضا، وذلك رغم انخفاض حدته وشدته لهاتين المنطقتين[8].

---

[1] - Ibid, p 157.
[2]- Adrian Berbrugger, Op.cit, T2, p 333.
[3] - Jean Marcheka, Op.cit, p 159-160.
[4] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p372.
[5]- أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار ، المرجع السابق، ص 144-145.
[6] - Jean Marcheka, Op.cit, p 156.
[7] - Libert Marcel, Etude des reflexes dans la fièvre typhoide (Thèse de doctorat) président de thèse professeur Raymond, Faculté de médecine de nature, Thèse de doctorat, diteur ,A Michalon, Paris, 1902 p 11.
[8] - A.D.B.R, Lettre du consul Deval en date28-12-2018 et du 12-01-1819 à L'I.S.M, peste a Oran et Arzew.

وقد كان امتداد هذا الوباء ملفت للانتباه، حيث يشمل معظم الإيالة، فكثير من الدراسات تحدثت عن وجوده في مدينة معسكر ووهران وغيرهما، ثم نجده في منتصف شهر أفريل في مدينة معسكر فقط يسقط عدد من الضحايا[1].

ووصل الوباء إلى مدينة وهران في 16 أفريل من نفس السنة، وهذا ما دفع بعض اليهود للفرار من المدينة بعدما اتسع خبر انتشار الوباء، وتأخر ظهوره بمدينة بجاية إلى غاية 8 جوان من نفس السنة[2]، وكان يحصد ما يقارب 40 ضحية يوميا في مدينة وهران في النصف الأوّل من شهر ماي، كما نقف في مراسلة قنصلية على انتقال الوباء من الغرب الجزائري باتجاه المغرب الأقصى خلال المدّة[3].

وقد قدّر عدد ضحايا هذا الوباء في شهر أفريل بـ 25 ضحية يوميا، وفي شهر ماي إلى 30 ضحية يوميا[4]، أما بعض الأرقام فتذكر أن عدد الضحايا خلال شهر أفريل بلغ حوالي (1556 ضحية) منهم (1395 مسلمًا) و(161 يهوديًا)[5].

1-19 وباء 1819م/1234هـ:

تعرضت مدينتي وهران ومعسكر للوباء بنفس القوّة التي كان عليها في مدينة الجزائر، حيث كان يروح ضحيته يوميا ما بين 20- 30 شخص وراح ضحية خادم عند قنصل إسبانيا في الجزائر السيد أورتيزّ "Ortiz " وانتشرت العدوى بشكل كبير في الثكنات[6]، وزادت شدته في مدينة وهران في الربع الأوّل من شهر ماي من سنة 1819م/1234هـ حيث كان يروح ضحيته يوميا بمدينة وهران وحدها ما بين 30-40 شخصا ووصل عدد الضحايا في نهاية شهر جوان إلى 80 ضحية يوميا[7].

وانتقل هذا الوباء من بايلك الغرب إلى المغرب بالأقصى وانتقل من بايلك الشرق إلى تونس متسببا في موت غالبية السكان[8].

---

[1] - Jean Marcheka, Op.cit, p 167.
[2] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p382-383-384.
[3] - Jean Marcheka, Op.cit, p 167.
[4]- Adrian Berbrugger, Op.cit, T2, p 394.
[5] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p382.
[6] - فلة موساوي القشاعي: المرجع السابق، ص 101..
[7] - Jean Marcheka, Op.cit, p 168.
[8] - A. Devouly, Voyage à l’amphithéâtre Roman d’El-Djem en Tunisie »in R.A. N° 18 année 1874. A Jourdan Ed 1974, p243.

وبلغ عدد ضحاياه في نهاية الشهر الأوّل إلى ما يقارب 93 ضحية[1]، فيما بلغ عددهم خلال الشهر الثاني 140 ضحية[2]، وازدادت حدّة الوباء فبلغ عدد ضحاياه خلال شهر مارس ما بين (12-13) ضحية يوميا، إلى قرابة 20 ضحية يوميا، وقد أورد "مارشيكا" رسالة للقنصل الفرنسي في الجزائر يقول فيها: "إن الطاعون يقلقنا مرة أخرى، إذ ظهر منذ قرابة ثلاثة أشهر، وإن كان ليس بالقوة المعهودة، لكننا كنا نأمل أن ينقضي تمامًا قبل أن نضطر إلى ترقب ارتفاع درجة الحرارة...إنه يأتي على معدل ثمانية عشر إلى عشرين فردًا في اليوم وقد تسارع هذه الأيام إلى ثلاثين ضحية في اليوم... وبالرغم من الاحتياطات التي اتخذتها قنصليات دول انجلترا، فرنسا، وإسبانيا، إلا أن ذلك لم يمنع سقوط بعض خدمنا من القبائل نتيجة هذا الطاعون..."[3].

لهذا يمكن القول أن هذا الوباء ظهر في بداية السنة، لكنه كان منحصرًا من حيث النطاق الجغرافي والتأثير، كما أنه لم ينتقل إلى الجهة الغربية من البلاد، إلا مع نهاية شهر ماي من نفس السنة، إذ وردت أخبار تفيد بوجود الطاعون بتلك المضارب[4].

ونجد الوباء فقد قوته في الفترة الصيفية الممتدة من ماي إلى بداية أكتوبر، ثم استرجع نوعًا ما قوته مع بداية شهر نوفمبر[5].

1-20 وباء 1820م/1235هـ:

عاد الوباء إلى مدينة وهران وكان قويا وانتشر في أحوازها حيث كان يقتل يوميا ما بين 30-40 شخص، وكان هذا الوباء قد ظهر في مدينة الجزائر في شهر مارس 1820م/1235هـ ثم تفشى في قسنطينة وعنابة، هذا وقد أثر هذا الوباء بشكل كبير في مدينة قسنطينة في شهر أوت متسببا يوميا في قتل ما بين 25- 30 شخص[6].

وتأتي بعض المراسلات من مدينة وهران لتؤكد أن الوباء تجدّد نشاطه بالفعل خلال شهر أفريل ويحصد ما بين (7-8) ضحايا يوميا ليرتفع العدد في شهر ماي إلى ما بين (30-40 ضحية يوميا)، وبقي يحصد هذا العدد من الضحايا إلى غاية نهاية شهر ماي

[1] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p382-388.
[2] - Jean Marcheka, Op.cit, p 173.
[3] - Jean Marcheka, Op.cit, p 174.
[4] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p389.
[5] - ibid, p391.
[6]- فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص 101-102

حيث بدأ عدد الضحايا في انخفاض بسبب ارتفاع درجة الحرارة فلا نقف للوباء على أي أثر خلال الصيف في أشهر: جوان، جويلية، أوت، وينعدم بعد السابع من شهر سبتمبر[1]، وقد كان معدل الوفيات في حدود 25 ضحية يوميا خلال شهر مارس وشهر أوت[2].

1-21 وباء 1821م/1236هـ: بدأت آثاره في مدينة عنابة، وقد أوردت العديد من الرسائل إلى القنصلية الفرنسية في الجزائر عن تجدد النشاط الوبائي في المدينة، ويظهر ذات الأمر في مدينة وهران وقبلها تجدد الوباء في مدينة تلمسان وعنابة[3].

وخلال تاريخ 17 فيفري 1821م وردت على ميناء مدينة وهران سفينة نمساوية من الإسكندرية تحمل على متنها أربع مائة حاج عائد من مكة ورست فعلاً، ولكن في فترة لاحقة رفض استقبال إحدى السفن العثمانية الكبيرة كان عليها أيضا عدد من الحجاج من بينهم من تأكد إصابته بالوباء وهذا لسبب عدم السماح لها بالرسو في الميناء وإنزال ركابها في البر، بل إنها غادرت ذلك بيومين من دون أن تستطيع إنزال الركاب[4].

وقد استمر الوباء في حصد ضحاياه لكن على نطاق ضيق خاصة إذا ما قورن بسابقيه، وكانت آخر ملاحظة لوجوده ترجع به إلى آخر شهر أوت[5]، وضربت العدوى مدينة الجزائر في 10 جوان 1821م/10 رمضان 1236هـ عن طريق سفينة حجاج مطعونين قادمة من مدينة الإسكندرية، وكان من بين ركابها مجموعة من الأعيان الأتراك الذين نقلوا العدوى لمدينة الجزائر وأصيب حوالي 10 أفراد[6].

1-22 وباء سنة 1822م/1237هـ:

هو امتداد طبيعي لوباء سنة 1817م/1232هـ والذي ظل يستجد كل أربع سنوات، ويذكر مارشيكا أن عدد ضحايا هذا الوباء قارب (2262 ضحية)، وهو رقم يقارب ما فقدته الجزائر خلال سنتين قبل هذا التاريخ، وهو يفوق بكثير سنتي 1820 و1821م، ويضيف مارشيكا أن هذه الهجمة الوبائية كانت آخر جائحة وبائية ضربت شمال إفريقيا واستمرت به طيلة أربع سنوات كاملة، واشتدت أكثر في شهر جوان 1822م، حيث كان

---

[1] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p391-393.
[2] - Jean Marcheka, Op.cit, p 177.
[3] - ibid, p 177.
[4] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p394.
[5] - ibid, p 397.
[6] - فلة موساوي القشاعي: المرجع السابق، ص 103.

يموت يوميا 50 شخص بمدينة الجزائر، وعدد الضحايا في الأرياف كان أكبر، أما في شهر جويلية فوصل عدد الضحايا 416 بمدينة الجزائر وكان من بين الضحايا قنصل دولة الدانمارك السيد " هولستن" "Holstein " الذي أصيب بالطاعون نتيجة لمسه برنوس الترجمان أثناء اجتماع الديوان[1].

وظلّ الأمر على هذا الحال إلى غاية نهاية جويلية إذ قلت ضربات المرض مع حلول فصل الصيف وارتفاع درجات الحرارة حيث أصبح عدد الضحايا ما بين 6-8 أفراد بالمدن والأرياف ما بين 12- 15 ضحية[2].

1-23 سنوات خالية من الوباء 1823م-1830م/1238-1245هـ:

تميزت السنوات ما بين 1823 إلى1830م/1238-1245هـ بخلو الجزائر من الأوبئة وبوضع صحي ممتاز، وهذا من خلال المراسلات القنصلية وتقارير خاصة تقارير الضباط الفرنسيين حيث أن جل الرسائل الدبلوماسية تثبت ذلك، كما نجد مراسلة تشبه القنصلية الفرنسية بوهران تثبت الصحة الجيدة التي تسود بايلك الغرب، حيث يشير شبه القنصل بوهران إلى عدم وجود الطاعون أو مرض معدي آخر[3].

إلا أن هذا لا يعني زوال الأوبئة فقد وقفنا على وباء الكوليرا الذي ضرب منطقة متيجة 1831م/1246هـ وامتد منها إلى مناطق أخرى[4]، وأيضا الكوليرا التي ضربت المرسى الكبير ووهران وما تلاها سنة 1834م/1249هـ والتي كان مصدرها السواحل الإسبانية[5].

والمقصود هنا بعدم وجود الأوبئة خلال فترة الحكم العثماني للجزائر، أما بعد احتلال فرنسا للجزائر فكما ذكرنا سابقا نجد أن الجزائر عرفت العديد من الأوبئة.

2- المجاعات التي ساهمت في انتشار الأوبئة في بايلك الغرب:

كانت أراضي بايلك الغرب موردًا أساسيًا للقمح باتجاه البلدان الأوربية[1]، وهذا ما ذكره ذكره أبي راس الناصري في أرجوزته بقوله: "... وانتساب بتلك الأرض بأخصب عيش، وأطيبه وأرغده وأعذبه، فكثرت عندهم الخيرات، وتمت لهم البركات..."[2].

---

1 - Jean Marcheka, Op.cit, p178-179.

2 -فلة موساوي القشاعي: مرجع سابق، ص 104.

3 - نفسه، ص 106.

4 - Vignes Pierre, Histoire du choléra-morbus qui a régné épidémiquement à Oran pendant les mois d'Octobre 1834 et de Janvier 1835, Verroannais, metz, 1836, p 42.

5 - Vincent Martin Antoine,Et collardot, Victor, Le choléra d'après neuf épidémies qui ont régné à Alger depuis 1835 jusqu'en 1865, Editeur : V. Rozier, Paris, 1867, p09.

وظهرت أول مجاعة في إيالة الجزائر خلال القرن 18م في سنة 1702م، وكان سببها أسراب الجراد التي ضربت الإسالة خلال وباء 1700م. وهذا ما أحدث نقص في الغذاء، وهذا ما تؤكده إحدى المراسلات الفرنسية (مارشيكا) كما وصف أوضاع سنة 1702م بأنها كانت سنة صعبة بسبب ما شهدت من مجاعة[3].

عرفت الجزائر استقرارًا منذ سنة 1775م ولمدة خمس سنوات، ليعود الحديث عن ظهور المجاعات خصوصًا تلك التي ضربت بايلك الغرب الجزائري، إذ تذكر "المجلة الإفريقية" أن من بين الأمور التي سكنت في ذهن سكان بايلك الغرب خلال فترة حكم "محمد بن عثمان" المجاعة الرهيبة سنة 1195-1780م[4]، وهي نفس المعلومة التي تكلمت عن مجاعة استمرت 05 سنوات مختلفة من الإيالة وترقب السكان سنة 1781م لتكون سنة منقذة من جحيم هذه المجاعة[5].

ثم تجددت المجاعة على بايلك الغرب الجزائري، بعد تعيين "محمد باي الكبير" سنة 1199-1785م بايًا على بايلك الغرب الجزائري[6]، حيث نقف في إحدى المخطوطات: "أنه في ابتداء ولايته وقع قحط شديد بإقليم الجزائر، وبعمالته خصوصًا"[(7)]وقد صاحب هذه المجاعة اضطرابات وثورات في البايلك، إضافة إلى الوباء الذي تبعها، وسما الناس هذا العام "عام الشر"[8] ، وقد راح ضحية هذه المجاعة والوباء الذي تبعها عدد كبير من الضحايا.

ثم عرف بايلك الغرب هدوءًا ووفرة غذائية لمدة 7 سنوات، ثم عادت المجاعات لبايلك الغرب وبالتحديد مدينة وهران سنة 1792م وهي سنة الفتح الثاني لها، وقد سبق هذه المجاعة كارثة أخرى تمثلت في الزلزال الذي ضرب بالمدينة سنة 1790م ما جعل سكان

---

[1]- أو، هاسترايت، المصدر السابق، ص55.

[2]-أبو راس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، دراسة وتحقيق بوكبة محمّد، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2011، ج2، ص456.

[3] - Jean Marcheka, Op.cit, p73.

[4] - Brosselard, Les inscriptions arabes de Tlemcen, Revue Africain, Journal des travaux de la société historique algérienne, Publication honorée de souscription du ministre de l'insrtuction publique, Jourdan Librairie éditeur ; Alger. Année 1860, N° 7, p 88.

[5] - C.C.F.A [A.F.E] A.E/B/I/139. Cotes : F°135-136. 28-05-1781.

[6] - Walsin Nesterhazy,Op.cit, p 206.

[7]- نبذة في سيرة محمد باي الكبير، مخطوط المكتبة الوطنية الفرنسية، باريس رقم (5022)، [و/2]

[8] - Walsin Nesterhazy,Op.cit, p 191.

المدينة يعيشون سنتن صعبتين وشديدتين عليهم[1]، وزاد من سوء الوضع ظهور وتفشي طاعون قوي على بايلك العرب وامتدت هذه الأزمنة، إلى الحدود الجنوبية العربية، وقد حدث سنة 1793م أزمنة في الصحراء تمثلت في هلاك الناس والمواشي وصعوبة العيش في المنطقة، إضافة إلى الجفاف، وهذا ما تنتج عنه حركة قبلية ونزوح وكانت هذه العوامل أحد الأسباب الأساسية لحملة الباي محمد الكبير على الجنوب.

تواصلت المجاعة في السنة التي تبعتها أي في 1754م فيذكر مارشيكا على تزامن الوباء الذي تفشى في الجزائر مع المجاعة في نفس السنة، وهذا ما ذكره "مسلم بن عبد القادر" في خاتمة أنيس الغريب والمسافر بقوله: "مغبة عظيمة أهلكت أمم كثيرة، حتى أكلوا الميتة والدم ولحوم بعضهم بعضا..." وقد كانت هذه المجاعة سيئة على إيالة الجزائر عمومًا وبايلك الغرب خصوصًا[2].

عادت المجاعة للظهور مع مطلع القرن 18م وهذا ما ذكره حمدان خوجة قائلاً: "أصيبت الجزائر بمجاعة كبرى، ووقعت الحاجة إلى الأقوات، فأمر الداي لتموين البلاد بالذهاب إلى موانئ البحر الأسود لشراء القمح"[3].

واستمرت نتائج هذه المجاعة لتصل حتى سنة 1805م وتسببت في ثورة كبيرة قام بها سكان الإيالة الجزائرية ضد اليهود لاعتقادهم أن سبب المجاعة هو سيطرة اليهود على تجارة القمح وتصديرهم إلى الدول الأوروبية في وقت كان الأهالي في أمس الحاجة إليه[4].

ثم ازداد حجم أثرها في السنة التي تلتها سنة 1806-1807م، ونجم عنها ارتفاع سعر القمح أكثر من 3 أضعافه حيث أصبح سعر الصاع من القمح ما يقارب 15 ريالاً، وسعر الشعير قرابة 8 ريالات.

وفي سنتي 1814-1815م تقف على ندرة الغذاء بسبب غزو الجراد حيث يذكر الزهار: "أنه في هذه السنة جاء الجراد أوله أتى طائرًا، ثم غرس وأقام أياما في الأرض، ثم خرجوا كل الزرع والأشجار والثمار، ووقع الغلاء في تلك السنة..."[5].

---

[1] - Jean Marcheka, Op.cit, p145.

[2]- خير الدين سعيدي، المرجع السابق، ص 144.

[3]- حمدان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص 122.

[4] - Lucette Valensi, Op.cit, p24.

[5]- أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 144.

3- جدول كرونولوجي للأوبئة في الإيالة الجزائرية[1]:

ومن خلال هذا الجدول وضّحنا أهم الأوبئة التي ضربت الجزائر قبل الوجود العثماني، وبالضبط في العهد الزياني للغرب الجزائري، وصولا لبداية القرن السادس عشر والهجمات الإسبانية على السواحل الجزائرية، وحتى الحكم العثماني للجزائر.

السنة	المنطقة	السنة	المنطقة
1348	تلمسان	1741	الجزائر
1363	تلمسان	1742	الجزائر- تلمسان- قسنطينة
1365	تلمسان	1743	الجزائر
1500	تلمسان	1745	إيالة الجزائر
1510	بجاية	1749-1751	الجزائر
1530-1535	الجزائر	1752	الجزائر- قسنطينة
1542-1544	وهران	1753-1758	الجزائر
1552-1556	الجزائر-وهران	1762-1765	الجزائر
1557-1561	الجزائر-وهران-تلمسان	1778-1779	بايلك الجزائر
1565-1567	الجزائر	1780	الجزائر
1571-1572	الجزائر	1783	الجزائر- بايلك قسنطينة

[1] - Biraben, Les hommes et la peste, T1, p p 430-439.

1575-1573	الجزائر-وهران-تلمسان	1784	عنابة-القالة-قسنطينة
1584-1582	قسنطينة- الجزائر	-1785 1786	عنابة-الجزائر-بجاية-قسنطينة
1592-1590	الجزائر	1787	عنابة-قسنطينة-معسكر-بجاية-الجزائر
1614-1601	الجزائر	1788	معسكر-الجزائر
1630-1620	الجزائر	1789	معسكر
1634	قسنطينة	1790	تلمسان
1643-1639	الجزائر	1791	تلمسان-الجزائر
1644	قسنطينة	1792	الجزائر
1647	الجزائر	1793	الجزائر-البليدة-قسنطينة-معسكر
1649	بسكرة	1794	الجزائر-قسنطينة-وهران
1654	الجزائر-وهران-بجاية-قسنطينة	1795	الجزائر
1660-1659	الجزائر-وهران-بجاية-قسنطينة	1696	الجزائر-دلس-عنابة-قسنطينة-وهران-الجزائر-تلمسان
1661	بسكرة	1798	الجزائر-تلمسان
1662	الجزائر-بسكرة	1799	الجزائر-وهران-الزيبان-قسنطينة-معسكر-تلمسان-وهران
1666-1663	الجزائر-وهرن-بجاية-قسنطينة	1804-1802	وهران
1676-1673	الجزائر-وهرن-بجاية-	1816	عنابة-الجزائر

	قسنطينة		
1676-1675	الجزائر-وهرن-بجاية-قسنطينة	1817	الجزائر-قسنطينة-وهران-البليدة- القليعة-بجاية-جيجل
1677	وهران		
1678	الجزائر-وهرن-بجاية-قسنطينة	1818	الجزائر-وهرن-عنابة-قسنطينة-بوسعادة-عمورة-أولاد جلال-طولقة-الحلفاء
1679	وهران		
1680	الجزائر	1819	الجزائر-عنابة-قسنطينة-وهران-بسكرة
1682	الجزائر	1820	الجزائر-وهران-قسنطينة
1687	الجزائر	1821	عنابة-وهران-تلمسان
1697-1690	الجزائر	1822	الجزائر
1702-1700	الجزائر		
1723	الجزائر	1835	قسنطينة
1732-1730	الجزائر	1853-1852	مليانة
1738	الجزائر-قسنطينة-مستغانم-تلمسان-وهران		

جدول كرونولوجيا الأوبئة في الجزائر1348م-1853م

من خلال هذا الجدول الكرونولوجي للأوبئة في الجزائر نلاحظ أن الجزائر كانت بيئة وبائية منذ الحكم الزياني حتى وإن كان حدوثة في فترات متقطعة ومختلفة، فمنذ سنة 1348م والأوبئة منتشرة في الجزائر خصوصا في حواضرها الكبرى كتلمسان التي كانت عاصمة الدولة الزيانية والجزائر ووهران وقسنطينة وبدرجة أقل بسكرة وبجاية والبليدة وجيجل، والملاحظ من خلال الجدول أن الأوبئة خلال القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر عرفت فترات انتشار وفترات خلو من الأوبئة، أما خلال القرن السابع عشر

فنلاحظ تركزه في مدن معينة فقط خصوصا الجزائر وقسنطينة، وهذا بفعل النشاط التجاري في هذه المدن والعلاقات التجارية مع دول مجاورة كتونس ومصر والمشرق العربي والتي كانت تعرف نشاطا وبائيا كبيرا، أما القرن الثامن عشر فنلاحظ خلو الجزائر من الأوبئة في بداية هذا القرن، وظهور الأوبئة بداية من الربع الثاني له، وهنا يتبين لنا انتشار الأوبئة ووقوعها في فترات زمنية متقاربة، واستمرارها أحيانا لعدة سنوات كوباء 1784م ووباء 1792م، أما بداية القرن التاسع عشر فنلاحظ تناقص في حدة النشاط الوبائي، وخلو الحواضر من انتشاره، إلا في فترات متقطعة لم تدم مدة زمنية طويلة.

ثانيا-الأمراض في بايلك الغرب الجزائري:

كما أشرنا سابقًا فإنه من العوامل التي ساعدت على انتشار الأمراض والأوبئة وجود مستنقعات بالسهول الساحلية، وظروف مناخية كانت تعرفها البلاد من فترة لأخرى من جفاف وفيضانات وزحف الجراد، وعدم وجود ثقافة الالتزام بالقواعد الصحية في حالة وجود وباء أو مرض وعدم وجود فرحة ناجعة[1].

أما فيما يتعلق بالأمراض التي كان يعاني منها سكان الجزائر عموما وبايلك الغرب خصوصا في أواخر العهد العثماني فهي متعددة، البعض منها كانت ناتجة عن سوء التغذية والبؤس، والبعض الآخر كانت مرتبطة بعدم الالتزام بالقواعد الصحية.

نجد الأمراض قد تسلطت على الأطفال كما مست أمراض أخرى المسنين، وحينما نتكلم عن الأمراض فهذا استكمال لما ذكرناه عن الأوبئة، فكل وباء هو مرض ولكنه يتميز بخاصية وهي العدوى وسرعة انتشاره وعدد الضحايا التي يخلفها، وهذا يقودنا للقاعدة السابقة بأن كل وباء هو في حدّ ذاته مرض، ولكن ليس كل مرض وباء، لهذا فكلامنا عن الأمراض سيقتصر على بعضها والتي كانت منتشرة في الإيالة الجزائرية عموما، والتي عانى منها السكان بشكل كبير.

ومن أخطر تلك الأمراض وأكثرها انتشارا بين الساكنة نذكر:

1- الحمى:

اختلفت أنواعها وأصيب بها السكان بمختلف أعمارهم ومن أنواعها المترددة والمتواترة، وحمى الربيع وما يسمى الحمى الصفراء (Fièvre jaune) وحمى الصيف وهي أخطر، حيث تسببت في نسبة هامة من الوفيات وقد تسلطت بصفة عامة ومتكررة على المسنين [2]، ومن أنواع الحمى نجد:

أ-حمى المستنقعات الملاريا: (malaria) أو (paludisme):

[1] - Thomas Shaw, Op.cit, p 81..
[2] - Marchika, Op.cit, p156.

تواجدت هذه الحمى بالأماكن التي تواجدت بها المياه الملوثة مثل سهل متيجة حتى أن سكان هذا السهل تأقلموا مع المرض[1]، وهذا ما ذكره حمدان خوجة محذرا من هذه المنطقة خلال فصل الصيف قائلا: " وأخشى الحمى إلى درجة أني آخذ معي ماء كولونيا للوقاية من الهواء المضر بالصحة، كما أنني استحضر كمية هامة من الماء للشرب، هذا السهل مستنقع خلال الشتاء مما يؤدي إلى اجتياح مرض الحمى خلال الصيف والخريف بطريقة مستمرة، الأمر الذي يجعل الوقاية صعبة "[2].

ولهذا وصفت المتيجة سنة 1784م بكونها مملوءة بهواء الأمراض المعدي وتتخللها في كل الجهات المياه الراكدة مشكلة مستنقعات غير صحية[3]، في حين نجد أن القبائل الرحل والبدو كانوا يبتعدون عن المياه الراكدة المسببة للحمى وكانوا يطلقون عليها تسمية "الحمى تشم"[4].

وتسبب الحمى الإسهال الذي يضعف الجسم خصوصا إذا كان قليل المناعة نتيجة الاجتفاف، وهذا ما يؤدي إلى هلاك نسبة هامة من المصابين بهذا المرض الذي كان موجودًا بالإيالة منذ 1664م حيث تسبب في خسائر فادحة في وسط السكان وأثناء قصف الجزائر من طرف Duquesne عام 1683م[5].

كما أن التشخيص يجعلنا ندرج ضمن حمى الخريف مرض التيفوئيد والحمى التيفية (Typhoïde) الذي كان مسلطا على الشرائح الاجتماعية البسيطة التي كانت تعاني من سوء التغذية خصوصًا أثناء فترات القحط والمجاعات، حيث كان غذاؤها يتركز على الأعشاب مثل "التلرودة واليكوكة" التي تسبب انتفاخ الحلقوم وتورم القناة الهضمية[6].

ب-الحمى الصفراء:

[1]- حمدان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص 74.

[2]- نفسه، ص 76.

[3]- سبينسر ، المرجع السابق، ص 115.

[4] - Feraud, Les Ben –Djellab, sultan de Touggourt notes historiques sur la province de Constantine, In r.a. N° 24 Année 11880, p106.

[5] - Lamarque, Leon, Recherche historique sur la médecine dans la régence d'Alger, imp Bacconier, Alger, 1951, pp 45-46.

[6] - A. Merad Boudia, La formation sociale algérienne précoloniale, Essai d'analyse théorique, O.P.U. Alger 1981, p 144..

كان مصدر الحمى الصفراء القادمة من برشلونة وهافانا[1]، وأيضا منطقة قرطاجنة كانت منبعا لوباء الحمى الصفراء بتاريخ 12 أكتوبر 1810م[2].

وكانت هذه الحمى منتشرة في كامل الإيالة الجزائرية[3]، خصوصا عام 1765م[4]، وكان وكان يصاحبها صداع والتهاب في المعدة والأمعاء حتى أصبحت تشكل أوبئة مزمنة خطيرة خصوصًا تلك التي ذكرناها سابقًا والتي كان مصدرها قرطاجنة وضربت الإيالة الجزائرية في 12 أكتوبر 1810 حيث ضربت الحمى الصفراء الإيالة بشدة[5].

وفي بعض الأحيان نجد الحمى تتسلط على من لا يعانون من سوء التغذية كالحكام الذين غالبًا ما هلكوا إثر هذه الأمراض وندرج في هذا السياق خير الدين بربروس الذي توفي عام 1548م وحسن آغا بسبب حمى شديدة في سبتمبر 1543م وعمره لا يتجاوز 56 عام[6]، كما توفي بسبب الحمى المصحوبة بالإسهال أحمد باشا سنة 1562م[7].

2- مرض الزهري:

عانى سكان الإيالة باختلاف أعمارهم وأجناسهم من مرض الزهري (petite verole) عام 1792م[8]، ثم ظهر سنة 1813م وكان بشدة أكبر[9]، وثم نشر العدوى عن طريق الأسرى[10].

3- مرض الجذري:

عانى الأطفال من أمراض متعدّدة خصوصًا الجدري[11] variole çiçek، ومرض الجدري Variole كما ذكرنا سابقا لم يكن معروفا بشكل واضح لدى العوام من الناس من حيث منبعه وأصله ومسبباته، واشتهر أنه كان يأخذ مدة زمنية قبل أن ينتشر في حيز

[1] - Série 200E 976 ,Fièvre jaune (1758-1870) Série 200 E 977 Recueil des pièces relatives à la fièvre jaune d'Amérique de 1799, pp 183-185.
[2] - correspondance des intendants de la santé de Marseille : Forte épidémie de fièvre jaune venu de Carthagène
[3] - J. Cailla, L e voyage d'Alphonse Daudet en Algérie In R.A.N° 64 , année 1923, O.P.U 1986, p 28.
[4] - Ferand, Op.cit, p 106.
[5] - A.D.B.R, Série 200E 454 Lettre du 12-10-1810, Forte épidémie de fièvre jaune.
[6] - Haédo, Op.cit, p68.
[7] - Idem, p69.
[8] - Marchika, Op.cit, p 143.
[9] - A.D.B.R, Op.cit, Lettre en date Fev 1817.
[10] - Valensi Calamité, p 1554.
[11] - Précis historique de l'épidémie qui regne à Marseille et vue nouvelle sur la vaccine par L.J.M, Robert professeur d'hygiène naval à l'école de médecine de Marseille, Marseille 1828.

جغرافي معين[1]، حتى تظهر على المريض بعض الأعراض مثل الحمى والصداع والتقيؤ والارتعاش لكن هذه الأعراض كانت متفاوتة بين المرضى فمنهم من كان يظهر عليه عرض واحد فقط ومنهم من كانت تظهر عليه كل هذه الأعراض[2].

كان مرض الجدري أحد الأوبئة المؤثرة في الجزائر سواء في العصور القديمة أو المرحلة التي هي محل الدراسة، إضافة إلى مرض الشهاق الذي كان يصيب الأطفال الصغار في فصل الربيع [3].

4- الالتهابات الرئوية:

عانى سكان الإيالة الجزائرية من الالتهابات الرئوية Pneu monie)) السارية، حيث انتشرت أوبئة البرسام الناشف أو الجناب Pleurite Pleuresie)) والتي كانت تسبب العديد من حالات الوفاة.

5- مرض السل:

ضرب هذا المرض الجزائر ما بين سنتي 1552- 1782م حوالي 26 مرّة حيث سجلت مدينة الجزائر عدّة حالات الإصابة بهذا الداء سنة 1693م واستمر إلى سنة 1654م، بينما لم تعرف تونس هذا المرض سوى 05 مرات[4].

6- أمراض العيون:

أما أمراض العمى والرمد، التهاب العين، فكانت راجعة للتغيرات المناخية وتأثيرها على تركيب العين، فكانت تسلط على الكبير والصغير نتيجة عدم الالتزام بالقواعد الصحية البسيطة وجهل وسائل الوقاية والمعالجة التي كانت غير متوفرة[5].

7- التيفوسTyphus)): وتسببه عدوى ناجمة أساسا من انتقال بكتيريا تدعى (السالمونيلا التيفية) (salmonella Typhi) بين البشر[6]، وتنتشر بشكل كبير في الأماكن المغلقة المتّسخة،

---

[1] - Du Mesnil, Octave : Nécessité de la revaccination des ouvriers venant prendre du travail à Paris, Éditeur imp. imp. de E. Martinet, Paris, N°4, 15 Avril 1879, P01.

[2] - Legée, Émile : Rapport sur l'épidémie de variole, qui a régné en 1870-71 dans l'arrondis-sement d'Abbeville, Éditeur : imp. de Briez, Abbeville, 1872, P04.

[3]- فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص 176.

[4] - E. Pellissier, Annales Algériens, Librairie militaire, Tome02, Paris, 1854, p 02.

[5]- فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص 177..

[6] - Clot Antoine-Barthélémy : Coup d'oeil sur la peste et les quarantaines, à l'occasion du Congrès sanitaire réuni réuni à Paris au mois de juillet 1851, V. Masson (Paris), Congrès sanitaire (1851 ; Paris). Éditeur scientifique.P22

المتّسخة، وهو ما يفسر وجوده بقوة في السجون والأماكن المزدحمة التي يتواجد بها الفقراء والمعوزين[1]، ويذهب عدد كبير من المختصين إلى أن الجراثيم المختصة بهذا الوباء تنتجها الحيوانات ولكنها لا تتأثر بها[2].

ويسمى أيضا الهواء الأصفر والذي شكل مرضًا خطيرًا جدًا ارتبط بسنوات المجاعة البؤس، الجوع، واجتياح الجراد، وقد وجد هذا الداء بالجزائر منذ أقدم العصور، حيث تم وصفه من طرف أصحاب الحوليات والمخطوطات بالحمى القرصية Fièvre pourprée)) وتتكرر تقريبا كل 20 سنة"[3]، وينقسم على نوعان هما:

أ-التيفوس الطفحي أو النمشي المعروف بالمصطلح :Typhus Exan Thematique

وهو الذي أصاب الفرق العسكرية الإسبانية المتواجدة ببجاية[4]، أما أعراضه فتتمثل في ارتفاع درجة حرارة الجسم إلى 40° مع صداع شديد وطفح جلدي شديد وتضرر السكان منه بصورة كبيرة في أوت 1826[5].

وأغلب أوبئة التيفوس كتنت تحدث أثناء الحروب بسبب أن هذا المرض يرتبط بسوء التغذية والأوساخ، وعدم توفر أبسط قواعد النظافة حيث تشكل قملة الجسم ناقلاً للداء والعدوى وقد اجتاحت المحلات المكلفة بجمع الضرائب[6].

ب- النوع الثاني فهو التيفوس المعروف :Typhus Murin:

حيث تنتقل العدوى عن طريق برغوتة الفأر وأعراضه متشابهة بأعراض النوع الأول[7].

الأول[7].

وتجدر الإشارة لعدم وجود مرض المفاصل Rhumatisme)) وداء النقرس La goute)) وهذا حسب حمدان خوجة الذي ينفي تمامًا وجود هذين الداءين من البيئة الصحية

---

[1] - Baillière Georges Jean-Baptiste : op.cit., P113.
[2] - Department of Health: Typhoid Fever, September 2017.
[3] - L. Raynaud , H.Soulie, P.picard, « Hygiène et phatologie nord africaines » In assistance médicale T1, p 415.
[4] - Lamarque, Op.cit, p 46.
[5]-الزين محمد، الأوضاع الاجتماعية والصحية في الجزائر العثمانية 1518-1830، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر غير منشورة، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2010-2011، ص 209..
[6]- فلة موساوي، المرجع السابق، ص 178.
[7] - Petit La rousse de la médecine, Typhus, p 797.

الجزائرية[1]، أما الزكام Grippe فغالبا ما كانت ضرباته تتسبب في هلاك نسبة هامة من المصابين به كتلك التي حدثت في أفريل عام 1743م[2].

8- مرض الحصبة:

شهدت الإيالة الجزائرية سنة 1700م انتشار المرض الأحمر (الحصبة) La Rougeole الذي قتل الكثير من الأطفال[3].

9- الأمراض المعدية المحجرية:

والتي تؤدي إلى حدوث أوبئة في حال عدم الحد من انتشارها في أماكن ظهورها وهي: الحمى الصفراء، والجمرة الخبيثة، والحمى الراجعة والطاعون والكوليرا، إضافة إلى أمراض معدية أخرى مثل: السعال الديكي ومرض الجدري المائي (العنقز) والتهاب الحمى الشوكية[4]، وكلها أمراض كانت موجودة في الإيالة الجزائرية وبنسب متفاوتة من بايلك لآخر.

10-1 الكوليرا:

أما الكوليرا فهي من الأوبئة التي تتميز بمحدودية انتقالها عن طريق الاحتكاك[5]، ويدخل ويدخل ضمن صنف الأوبئة التكرارية[6]، وهو ناجم عن بكتيريا وعصيات تهاجم الجهاز العصبي مباشرة لدى الإنسان، لذا يلاحظ على المصابين نوع من الإسهال أو الإمساك وكثرة التعرق والغثيان[7].

---

[1]- حمدان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص 92.

[2] - فلة موساوي القشاعي: المرجع السابق، ص 180.

[3] - Moncer Roussi, Population et société au Maghreb (Horizon Maghrébine) office des publication universitaire, Tunis, 1983, p 35.

[4] - رياض بواعنة: الأمراض الوبائية...فيروسات لا تفرق بين الصالح والطالح، مقال مأخوذ من الموقع الإلكتروني: WWW.BAB.COM، وعبد الله المنيف: الأمراض الوبائية والوقاية منها، مقال مأخوذ من نفس الموقع، ثم الاضطلاع على الموقع يوم 05 ديسمبر 2020 على الساعة 12.30

[5] - Barbier Émile Julien Nicolas : Le choléra épidémique et l'hydrologie médicale : Vichy et ses eaux minérales comme médication préventive et effective, Éditeur Vichy, 1866, P12.

[6] - Chrestien André-Thérèse : Étude du choléra-morbus à l'usage des gens du monde, Éditeur L. Castel Montpellier, 1835, P22.

[7] - Millet Auguste : Du choléra-morbus épidémique, Éditeur Labé Paris, 1851, P8.

ويكثر الاستفراغ والألم الحاد في البطن إضافة إلى إمكانية تعرض المصاب إلى نوبات من العطش والجفاف الشديدين[1]، ولعل هذا الجفاف والعطش مرده إلى كثرة الاستفراغ والتبرز[2]، إضافة إلى تشنجات في الأطراف وضعف في النبض، وفي بعض الأحيان تصاب مقلة العين بالشلل إلى أعلى أو إلى أسفل[3].

وقد ضربت الكوليرا الجزائر ولكن بصفة كبيرة بعد الاحتلال الفرنسي وبالضبط سنة 1834م، ومست المنطقة الغربية بشكل كبير خصوصا المرسى الكبير –وهران – تلمسان –مستغانم –معسكر –مليانة- المدية[4].

عرف المجتمع الجزائري إضافة إلى الأوبئة العديد من الأمراض التي زادت الوضعي صحي سوءا، وكانت لها آثار وانعكاسات على الساكنة في بايلك الغرب، خصوصا طريقة علاجها التي اعتمدت على الطب الشعبي المتوارث عن الأجداد، وغياب المرافق الصحية لمعالجة الأمراض واستقبال المرضى، خصوصا إذا علمنا أن الكثير من هذه الأمراض كان يؤدي للموت في حال غياب المراقبة الطبية كالحمى والالتهابات الرئوية والسل وغيرها.

وفي ظل غياب سياسة صحية واضحة من طرف السلطة الحاكمة كان سكان الإيالة الجزائرية بين استمرارية حدوث الأوبئة وعدم انقطاعها، وبين المجاعات التي كانت تصرب الإيالة من فترة لأخرى، وبين الأمراض التي زادت الوضع سوءا.

---

[1] - Department of Health: Plague, August 2017. https://www.health.ny.gov/diseases/communicable/cholera/fact_sheet.htm 15 novembre2020. 17.50h

[2] - Dubar Léon : Quelques notes et souvenirs personnels concernant le choléra, Édi-teur imprimerie E. Ramon, Armentières, 1909, P10.

[3] - Caffe Paul-Louis-Balthasar : Considérations sur l'histoire médicale et statistique du cholé-ra-morbus de Paris, Paris, Éditeur : imp. de H. Tilliard, Paris, 1832, P15.

[4] -I.S.M, Série 200E 973 Choléra 1824-1849, p 183.

ثالثا- انعكاسات الأوبئة والأمراض على بايلك الغرب (اقتصاديا، اجتماعيا، سياسيا):

كان للأوبئة التي وقعت في بايلك الغرب الجزائري تأثيرا سلبيا على جميع المستويات فاقتصاديا عرفت معظم المناطق تدهورا تجاريا ونموا ضعيفا، وهذا بسبب الوضع الصحي المتدهور وانعكاساته على المستوى المعيشي لمختلف الشرائح الاجتماعية، كما عرف بايلك الغرب تناقصا في عدد السكان خصوصا في الفترات الوبائية، وتميز الوضع الديمغرافي بعدم الاستقرار لا من حيث عدد السكان ولا من حيث كثافتهم، وهذا تبعا للظروف الصحية والأحوال المعيشية والشروط الطبيعية، كما تأثر الإنتاج الفلاحي سلبيا بالكوارث الطبيعية، وتسببت الأوبئة في تغيير جذري للبنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري فاختفت بعض الأسر والقبائل بأكملها كقبائل الأمحال، كما تأثرت المبادلات التجارية فالطاعون كان يؤثر على الحركة التجارية وكان أحيانا يتسبب في إيقافها لفترات طويلة، لقد عانى القطاع الاقتصادي من الأوبئة والأمراض حيث اختفت اليد العاملة في حرف عديدة مثل: صناعة الحرير والنسيج.

ومن نتائج الحالة الوبائية في بايلك الغرب فرار الناس وتشتتهم وتفرقهم، حيث فر سكان الأرياف إلى المناطق التي لم يصلها المرض ولو كانت بعيدة، وهذا ما زاد في تأزم الوضع الاجتماعي والاقتصادي وحتى السياسي وذلك بهجر الأراضي وترك الممتلكات وافتقار الأسر، وسنفصل في أهم الانعكاسات الوبائية على الساكنة والسلطة في بايلك الغرب الجزائري اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا.

1- الانعكاسات الاقتصادية:

قد اختلفت التأثيرات الاقتصادية للأوبئة والأمراض حسب اختلاف الكثافة السكانية للمنطقة التي أصابها والفترة الزمنية التي استقر بها ولعل ما قاله حمدان خوجة سيعطينا نظرة واضحة وشاملة لما سنذكره من آثار فيقول: "..فشوهت خلقة الجزائر بعد أن كانت عذراء مستحسنة، فأقفرّت معالم البلاد، وشوشت أحوال العباد واضمحل العلم وذوو

الاستعداد وانقرض من العساكر من كان عدة في العمران والفلوات، وخلف جميعهم بعد العناء والتعب خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات.." [1].

لقد كان للأوبئة التي ضربت الإيالة الجزائرية خلال الحكم العثماني، أثر سلبي على البنية الاقتصادية للبلاد، فقد عرقلت نمو وازدهار أغلب المدن والمناطق ولا يفسر هذا إلا بتردي الوضع الصحي للإيالة الجزائرية، وانعكاساتها السلبية على كل القطاعات الاقتصادية والشرائح الاجتماعية[2].

وما يجب ذكره أن السكان وخاصة اليهود كانوا يحققون أرباحا كبيرة خلال ظهور الأوبئة، ولعل القارئ يتساءل كيف يتم ذلك؟ حيث نضطلع على وثيقة أرشيفية لشركة إفريقية تعطي جدول للمصاريف الخاصة بالسيد فرنسوا أرول والذي توفى بالطاعون في 04 فيفري 1818م وهي كما يلي: النقل: 4 ريال، استضافة المريض 72 ريال، لباس 6 ريال، الأكل 12 ريال، حمل الجثة إلى المقبرة 48 ريال، مصاريف الخدمات في البيت 12 ريال، المجموع: 184 ريال[3]، إذ نلاحظ أنه ومع خطر هذه الإجراءات خصوصا على من يقوم بها إذ أنه يحتك مع المريض فإن ذلك لم يثن السكان خاصة اليهود منهم عن هذا العمل[4].

كما أثرت الأوبئة على المبادلات التجارية، فقد أدّى وباء 1750م والمجاعة المرعبة إلى ركود الحركة التجارية بين الجزائر وباقي موانئ البحر الأبيض المتوسط التي كانت مغلقة أمام السفن الجزائرية، الأمر الذي أدى إلى عجز تجاري هام كان له صدى سلبي على اقتصاد البلاد[5].

أما طاعون 1787م فقد حال دون ممارسة اليهود نشاطهم التجاري وخاصة بيع الملابس والأثاث المستعمل، حيث كانت تجارة الأثاث تدر عليهم أرباح وفيرة، وقد واصلوا ممارستهم التجارية رغم الخطورة التي تشكلها على الصحة أثناء الأوبئة[6].

[1]- حمدان بن عثمان خوجة، إتحاف المنصفين والأدباء مباحث الاحتراز من الوباء، المصدر السابق، ص 04.
[2] - F. Braudel, L'empire Ottoman est-il une Economie- monde « In mémorial. Omer-Lufti B arkan, Paris, 1980, p 73.
[3]- Adrian Berbrugger, Op.cit, T2, p 235.
[4] - Ibid, p 235.
[5] - J. Marchika, Op.cit, p 101.
[6] - ibid, p 102.

لقد عانى قطاع الصناعات التقليدية من الأوبئة حيث انقرضت اليد العاملة في حرف عديدة مثل صناعة الحرير والنسيج فانخفضت صادراتها مما أثر سلبا على التجارة[1].

أما الإنتاج الفلاحي فقد تأثر سلبًا بالكوارث الطبيعية وأيضا الأوبئة والطواعين، فقد تسبب وباء 1702م في مجاعة مرعبة نتجت عن قلة الإنتاج الفلاحي، حيث أهملت الزراعة وتحولت أراضي واسعة إلى مساحة غير مزروعة[2].

كما ترك وباء 1718م أثارًا اجتماعية واقتصادية سلبية على القدرة الشرائية[3]، أما المجاعة الكبرى التي امتدت من عام 1734م إلى 1737م فقد أدت إلى انخفاض مستوى المعيشة إلى حدّه الأدنى، إذ أصبح من الصعب على الأغنياء اقتناء الخبز[4].

كما أن مسغبة 1774م المترتبة عن اجتياح الجراد، أدت إلى ارتفاع سعر القمح بـ 4 بوجو والرجل كان يأكل مقدار ما يأكل الرجلان ولا يشبع وبعد الأكل يموت وهو يقول: "..جعت أعادنا الله من هذا الداء لأنه ليس له دواء، وسمعت من بعض من أثق به من الشيوخ الذين حضروا هذه المجاعة قالوا: أن القمح كان قليلا لا أتذكر هل قالوا أن ذلك كان من قلة المطر أو كثرة المطر، وترادفت السنين بذلك، وأما اللحم والسمن والرز فكان خيرًا كثيرًا وفيها الرفق في الأسعار، وقد حضرت أن سنوات الغلاء، فوصل القمح عندنا في الجزائر سنة 1219 هـ وكنت صغيرًا دون البلوغ بـ 15 بجة وهي 5 دورو للصاع الجزائري .."[5].

وأعقب وباء 1816م اجتياح الجراد 1815م مما زاد أوضاع الزراعة سوءًا وأدى إلى ارتفاع أسعار الخبز، حيث حُرِست المخبزات خوفًا من اقتحامها من طرف الجائعين وأصبح صاع القمح يباع بـ 5 سلطاني بينما كان سعره قبل المجاعة والوباء نصف سلطاني مما جعل السلطات تستورد الحبوب من بلاد اليونان، فانخفض سعر القمح[6].

---

[1] - Kamel Fillali, Femines et Epidémies, Facteur Potentiel de l'Eclipse de l'Ottman en Algérie, In A ctes du 7^{e} sym d'études ottomanes sur la société et l'état dans le monde ottoman, pub . fondation femini Zeghouan, sep 1990, p 39-55.

[2]- إبراهيم خليل أحمد، الأمراض والأوبئة وانعكاساتها على الموصل والمجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 17-18 سبتمبر1998، زغوان، ص 25.

[3] - H.D de Grammont, Op.cit, pp 278-282.

[4]- فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص 297.

[5]- أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، المرجع السابق، ص 31.

[6] - Runckel D'hergulus (J), Invasions des acridiens vulgusau t-urelles en Algérie

وكان التعسف في جميع الضرائب التي زادت من فقر الجزائريين خصوصًا الفلاح الجزائري وسوء أحواله المعيشية ونقص مستواه الغذائي وتدني للأوضاع الصحية والممارسة الطبية، حيث كانت الزراعة هي الموردة الرئيسي الذي يؤمن معيشة الغالبية من السكان وتميز فيها أسلوب الإنتاج بالنظام الإقطاعي حيث كانت إقطاعات الأرض الخصبة ملكًا للطائفة التركية واعتمادها على طريقة الخماسة وهذا ما أثر سلبًا على الإقتصاد بتدني المستوى المعيشي خاصة إذا تعرضت الجزائر لمجاعات مهلكة تلك التي حدثت سنة 1798م والتي وضعها مسلم بن عبد القادر:" مسغبة عظيمة، أهلكت فيها أمم كثيرة حتى أكلوا الميتة والدم ولحوم بعضهم بعضا"[1].

ولقد أهمل حصاد الأراضي الفلاحية أثناء وباء طاعون 1799م وقد أثرت المجاعة التي رافقته تأثير سلبيا على الإنتاج الفلاحي تضاءل، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع أسعار القمح والخبز[2].

أما في المدن فإن النشاط الحرفي الصناعي كان ضعيفًا حيث اقتصر على الصناعات المحلية اليدوية، وبعض الصناعات المعدنية التحويلية الأخرى والتي تمثلت في: صناعة الأغطية الصوفية والأحزمة الحمراء بتلمسان والبرانس والزرابي والحصر بالأطلس والفخار بندرومة، والأحذية والزرابي بقلعة بن راشد، والأدوات الجلدية والأقمشة بمازونة، ومهن الحدادة وضع الأسلحة أو الفضة بمناطق جرجرة، ومعالجة الأصواف والجلود وضع السروج بقسنطينة، وصناعة الحلي والأحذية والشواشي بمدينة الجزائر"[3].

وذكر أن كل إيالات الدولة العثمانية كانت تعاني سنويا من أزمات اقتصادية حادّة نتيجة كثرة الأوبئة وخاصة الطاعون الذي يؤثر على النشاط الاقتصادي بطريقة مأساوية ويحول دون استقرار الاقتصاد والتبادل التجاري كما عانت الإيالات العثمانية في أواخر القرن 18م

---

[1]- مسلم بن عبد القادر الوهراني، خاتمة ابن الغريب والمسافر، تحقيق: رابح بونار، سلسلة دخائر المغرب العربي، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، 1974، ص 130.

[2] - N. Saidouni, L'Algérie rural à la fin de l'époque attoman (1791-1830) Ed.Ddor-Al Gharb,Beyrout 2001, p 266.

[3]- سعيدوني ناصر الدين ، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية، 1800-1830، المرجع السابق، ص 34.

من أزمة خطيرة، تمثلت في الانهزامات العسكرية والتوترات السياسية، المشاكل المالية، الأوبئة الفتاكة، وما ترتب عنها من انهيار ديمغرافي وعجز اقتصادي[1].

إضافة إلى تأثير الأوبئة على الإنتاج والنشاط الفلاحي فقد كان لأوبئة الطاعون عواقب وخيمة على الثروة الحيوانية للبلاد، فعلى سبيل المثال تسببت في هلاك عدد كبير من القطعان إثر الجائحة التي نتجت عن وباء عام 1822م[2].

وحسب ما أورده ناصر الدين سعيدوني حول التدهور الكبير للإيالة من حيث الوضع الصحي والمعيشي، قد أثر سلبًا على الوضع الديمغرافي في أواخر القرن 18م، حي تناقص عدد السكان، وبالتالي تناقصت اليد العاملة، بما فيها الحرفيين والصناع والمزارعين وتناقص عدد البحارة، ويعود ذلك إلى انتشار الأمراض والأوبئة وانتقال العدوى من الدول التي تتعامل معها الإيالة كالدول الأوروبية وبلاد السودان والمشرق العربي ومن هذه الأمراض: الكوليرا، التيتانوس، الجدري، الطاعون، وكانت العدوى تنتقل خاصّة عن طريق التجار، البحارة، الحجاج، الطلبة[3].

ويؤكد نصر الدين سعيدوني أن الأرياف كادت أن تفقر بسبب الظروف الصحي، وحتى الضرائب كادت أن تنعدم بعد تضرر المزروعات بسبب الكوارث في سنة 1816م[4]، ونتج اختلال في البيئة فانكمشت الأراضي الصالحة للزراعة وتقلصت الثروة الحيوانية حتى أصبحت المسافات المستغل فعلي لا تتجاوز 359 ألف هكتار وبلغت قطعان الماشية 7 ملايين رأس على أقصى تقدير[5]، وتحول الفلاح من حياة الاستقرار وإنتاج إلى حياة ترحال وإهمال للأرض بحثا عن الكلأ للمواشي وهروبًا من الضرائب، وأصبحت الأراضي مراعي موسمية ، وهذا ما كان له تأثير على التوازن البيئي للأرض، حيث في حوالي سنة 1791م، اضطر قسم كبير من السكان إلى اللجوء إلى المناطق الجبلي المنيعة،

---

[1] - Panzac, La pestepp 405-406.

[2] - J. Marchika, Op.cit, p 179.

[3]-ناصر الدين سعيدوني، دراسات أبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، 1988، ص 559.

[4]-ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثماني 1800-1830، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 56.

[5]-ناصر الدين سعيدوني، دراسات في الملكية العقاري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 37.

فنتج تناقص المحاصيل الزراعية التي لم تعد تفي إلا حاجة السكان الاستهلاكية وقد كانت من قبل تصدر إلى الخارج[1].

أ-ركود واضطراب المعاملات التجارية خلال حدوث الأوبئة:

في سنة (1130هـ/ 1718م) رفض المتعاملون التجاريون الفرنسيون في مارسيليا استلام أي شيء يكون مصدره الجزائر، خوفا من إصابتهم بالوباء الذي شاع صيته في الجزائر، ووصل الحد إلى رفض بعض التجار استلام الرسائل التي كانت تصله من ممثليه في الجزائر خوفا من انتقال الوباء إليهم من خلالها[2]، وهذا ما يؤكد انكماش التبادلات التجارية بين الإيالة الجزائرية والدول الأوروبية خلال حدوث الأوبئة[3].

وغالبا ما كانت تتعطل الأركان التجارية مع الدول الأوربية بسبب التوجس من الطاعون[4].

ونقف على شكل آخر من أشكال انعكاس الأزمة على الاقتصاد الخاص البايلك أو على خزينة البايلك، حيث قام بعض البايات في بعض الأحيان بمحاولة مساعدة الأهالي على تجاوز أزمة لجوع من خلال شراء القمح من الأسواق الخارجية وتوفيره في السوق الداخلي بنفس السعر ومجانًا، مثلما قام بذلك وذكرناه سابقًا محمد الكبير باي الغرب سنة (1189هـ/1785م) أو ما سمي حينها بـ "عام الشر" كما إن إعفاء القبائل المخزنية وحتى المتعاونة والممانعة من دفع العشور بسبب الوضعي المعيشي السيئ[5]، وهذا ما أثر ولو بشكل نسبي على خزينة الباي، خاصة وأنه خلال تلك الفترة كان الباي محمد الكبير يحاول السيطرة عل بعض التمردات وهذا ما كان سببا في توجه محمد الكبير إلى الجنوب لحاجته إلى أموال الضرائب التي كانت تدفعها بعض قبائل تلك الجهات لملك المغرب، فتحصيلها كان يغطي العجز الناجم عن تقديم المساعدات إلى سكان البايلك، كما كان إغلاق المحلات التجاري وفرار أصحابها إلى القرى والأرياف وهذا ما كان له انعكاس على الحياة الاقتصادية بشكل عام وهذا ما تذكره العديد من لمصادر مثلا عن تعقد الحالة التجارية في

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي، المرجع السابق، ص 37.

[2] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p298.
[3] - Arnoult Bossu, Op.cit, M.C.M, T3, p 228.
[4] - Arnoult Bossu, Ibid, Op.cit, M.C.M,T3, p 229.
[5] - Walsin Esterhazy,Op.cit, p 190.

مدينة لجزائر سنة 1787 بسبب غياب أصحاب المحلات والحرفيين عن مواضع عملهم وإغلاقها بشكل مؤقت حتى ينجلي الوباء[1].

ونجد الأوبئة قد أثرت على الساكنة الوافدة من نصارى وأسرى ويهود، فقيمة الأسرى ارتفعت سنة (1132هـ/1720م) إلى ثلاثة أضعاف ما كانت عليه[2].

وفي المقابل نجد بدل ارتفاع سعر الأسرى نلاحظ تراجع سعره وانكسار قيمته المالية خاصة في حال وجود الأزمات الغذائية، إذ يصبح العبد أو الأسير أرخص ما في يد الأهالي فيسعون للتخلص منه لصالح بعض الكسب العاجل وهذا ما أدى إلى تراجع أسعاره، وهذا ما حدث في حكم الدّاي "إبراهيم باشا" إذ أنه أثناء وباء 1741م ظهر عدد كبير من التجار وكبار الملاك لبيع العبيد الجنوبين بسعر رخيص خوفا من أن يصيبهم ما أصابهم في طاعون 1740[3].

لقد كان للأوبئة تأثير كبير على ارتفاع الأسعار، خاصة القمح، حيث كانت ترتفع أسعارهم إلى أرقام قياسي قد تتعدى السعر الحقيقي بأكثر من 10 أضعاف. فالصاع الواحد من القمح كان سعره ربع بوجو، ليصل أيام الأوبئة والمجاعات إلى 6 بوجو كاملة، وانتقل سعر الشعير إلى قرابة 8 ريالات[4].

وكانت الأوبئة تفرض نوعًا من الحصار عل المدن مثلما أشار إلى ذلك القنصل الفرنسي في مراسلة للغرفة التجارية بمارسيليا بقوله: ".. أن تفشي الوباء قد ضرب ما يشبه الحصار على المدينة..."[5]، وهذا ما كان يؤدي إلى صعوبة التزوّد المؤن وإخراج السلع من من مدينة إلى أخرى.

ومن آثار الأوبئة السلبية على الأنشطة والمبادلات التجارية إجراء ثم تطبيقه في جوان 1797م حيث حصلت الهيئة القنصلية المقيمة بطنجة من السلطان على أمر خاص يقضي بفرض الحجر الصحي على السفن القادمة من وهران، وشل جميع المواصلات القارية على حدود المغرب الشرقية، ورغم ذلك نجحت المغرب في تأخير وصول الطاعون فقط حيث

---

[1] - Gazette de France, 1787, N° 67. 21-08-1787.
[2] - H.D de Gramont, Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515-1830), p282.
[3] - Jean Marcheka, Op.cit, p 79.
[4] - Auteur inconnu, Note chronologiques pour l'histoirede Constantine, Revue Africain année 1895, N°39, p 165.
[5] - H.D de Grammont, Correspondance des consul d'Alger (1690-1742), p222.

وصل إليها في صيف 1799م مع الحجاج، وقيل من الحدود البرية الجزائرية المغربية، وما يؤكد رجوح الرأي الثاني أن الوباء كان موجودًا في مدينة تلمسان منذ سنة 1798م[1].

ونذكر أيضا انعقاد المجلس الصحي الدولي بطنجة في اجتماع طارئ لإقامة حزام صحي بين المملكة والجزائر لتفادي العدوى من إيالة الجزائر إلى المغرب عام 1817م، الأمر الذي عرقل وشل العلاقات التجارية المغربية-الجزائرية وأثر سلبا على اقتصاد البلاد[2].

2- تأثيرات الأوبئة على الجانب السياسي والعسكري:

وهنا نذكر الوباء الذي ظهر في بايلك الغرب وبالضبط في مدينة تلمسان بداية من سنة (1151هـ/ 1738م) لينتقل بعدها إلى المناطق المحاذية خصوصًا مدينة وهران وأحوازها(3)، وقد كان حينها بايا على بايلك الغرب "يوسف بن مصطفى بوشلاغم" والذي خلف والده "مصطفى بوشلاغم"(4) ، حيث كان يحاول يوسف بن مصطفى بوشلاغم أن يسيطر على النظام في بايلك الغرب بعد أن أعاد الإسبان احتلال مدينة وهران والتي كان قد حررها والده، إلا أنه سقط ضحية الوباء سنة (1151هـ/ 1738م) (5)

وإذا كان هذا الوباء قد وصل لباي بايلك الغرب، فهذا يعني أنه قد وصل لقوته العسكرية، ونقصد بها هنا جيشه والمقربين منه، وهذا ما خلق مواطن وبائية أخرى وهذا ما ذكره مارشيكا عندما تكلم عن هذا الوباء، فيقول أن هذه السنة (1738) عرفت بـ "عام الوبا"(6)،

ونذكر أيضا الطاعون الذي ظهر في فترة حكم "محمد بن عثمان الأكحل" أو "محمد باي الكبير" وبالتحديد سنة (1208-1794) (7)، وهذا بعد قحط شديد ألم بالبايلك سنة قبل ذلك(8)، وأطلق سكان البايلك على هذا الوباء اسم (جنون عثمان) (9) نسبة إلى عائلة عثمان

---

1 - محمد الأمين بزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين 18 و19، المرجع السابق، ص 87.

2- محمد أنيس، الطاعون بمدينة الجزائر، أثره على الديمغرافيا والأنشطة الاقتصادية خلال القرن 18، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 17-18 سبتمبر 1998، ص 32.

3 - J-L-G-. Guyon, Op.cit, pp 314-315.

4 - Walsin Esterhazy,Op.cit, p 175..

5- Adrien Berbrugger, Op.cit, T2, p 206.

6 - Jean Marcheka, Op,cit, p 78.

7 - Brosselard, : Loc.cit, Revue Africain 1860, N° 4, p 88.

8- مؤلف مجهول، نبذة من سيرة الباي محمد الكبير (مخطوط)، المكتبة الوطنية الفرنسية، رقم 5022[و/م]

9 - Walsin Esterhazy,Op.cit, p 196.

عثمان بن محمد الكبير، إذ أنه قضى على عدد كبير من أفراد هذه العائلة[1]، وقد ساد الاعتقاد لدى سكان بايلك الغرب أن السبب هذا الوباء هو مجموعة من الحجاج العائدون من مكة المكرمة [2]

وحين ولي الباي محمد الكبير على معسكر اجتاحت البلاد مجاعة كبيرة كانت آثارها وخيمة جدًّا، فقد حدث بأول مملكة بالمعسكر مسغبة عظيمة هلك بها أناس كثيرون إلى أن أكلت فيها الميتة والدم ولحم الإنسان والخنزير والعباد بالله من ذلك، ثم حدث الطاعون الذي لم يحدث في هذا الإقليم قبله قط، فمات به جل الناس بدوًا وخصرًا، آل فيه الأمر أن انتقل أهل الحضر والباي بأهله ومخزنه إلى البدو في خيام الشعر طاعنين طعون العراب البادية زمانًا طويلاً، وقد جعل الباي خيمة حمراء من الوبر وأدار بها الزمالة ثم الدوائر، فسمي العام بعام الخيمة الحمراء"[3]

وفي سنة 1794 ضرب طاعون عثمان" بايلك الغرب وسمي كذلك لأنه اجتاح عائلة عثمان الذي كان يشغل منصب خليفة والده الباي محمد الكبير، وكان يقال " عام حبوبة عثمان" ولذلك خرج الباي من مدينة وهران مع عائلته مدّة 03 أشهر ، قبل أن يعود إلى عاصمة البايلك[4]، كما نجد باي بايلك الغرب الجزائري "محمد باي الكبير" فيما ذكر مارشيكا بأن من قام بذلك هو عصمان بن محمد باي الكبير وهذا سنة (1208هـ/1794م) بالخروج وأهله وحاشيته من المدينة إلى سهل مليلة بحيث تحصّن هناك مدّة من الزمن، قدّرتها بعض الدراسات بثلاثة أشهر[5]، ولم يعد إلى المدينة إلا بعد أن اطمئن بأنها خالية من الوباء، كما قام باي بايلك الغرب برفض استقبال سفينة كبيرة كانت قد أتت من الإسكندرية وعلى متنها عدد كبير من الحجاج وذلك بسبب وجود عدد من المصابين بالمرض على متنها [6].

ووقعت في زمن محمد المقلش مجاعة أثرت على أهل تلمسان حتى قامت حرب بين الكراغلة والحضر، فتدخل الباي بإحضاره 90 جملت تحمل القمح الذي صودر من مطامير

[1] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p357.
[2] - Walsin Esterhazy,Op.cit, p 197.
[3]-محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران، المرجع السابق، ص 205.
[4] - Esterhazy, de la domination Turque, Op.cit, p 196.
[5] - Walsin Esterhazy,Op.cit, p 196.
[6] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p394.

بني عامر إثر مشاركتهم مع ابن الشريف الدوقاوي في ثورته ضدّ البايلك[1]، وفي منتصف سنة 1827م على عهد الباي " حسن" " وقع غلاء عظيم وقحط في الناس إلى أن صار الباشا حسين يفرق خبزًا صغيرًا كالرغيف على الناس فسمي العام بعام "خبز الباشا" [2].

ونجد العديد من الحملات لعسكرية التي تم إيقافها بسبب هجمات الأوبئة، فمنها توقيف الحملة الدفاعية العسكري التي كانت تستهدف حماية مدينة وهران في عهد يوسف بن مصطفى بوشلاغم والذي كان قد عيّن خليفة لوالده "مصطفى بوشلاغم"[3] حيث حاول يوسف أن يحمي المدينة من الخطر الإسباني الذين كان يهدّدها، إلا أنه سقط ضحية للوباء الذي كان يضرب المدينة والمنطقة سنة (1151هـ/ 1738م) [4]

ومن آثار الطاعون سنة 1786م أن أصبحت الثكنات خاوية على عروشها بعد ما كانت تكتظ بالجنود، فالطاعون في هذه المدّة دخل إلى الثكنات وألحق بالجند خسائر فادحة[5]، كما نجد العديد من الحملات لعسكرية التي تم إيقافها بسبب هجمات الأوبئة، فمنها توقيف الحملة الدفاعية العسكري التي كانت تستهدف حماية مدينة وهران في عهد يوسف بن مصطفى بوشلاغم والذي كان قد عيّن خليفة لوالده "مصطفى بوشلاغم"[6]، حيث حاول يوسف أن يحمي المدينة من الخطر الإسباني الذين كان يهدّدها، إلا أنه سقط ضحية للوباء الذي كان يضرب المدينة والمنطقة سنة (1151هـ/ 1738م) [7].

ولهذا كانت الأوبئة سببا لتعطل الأنشطة العسكري وهذا خوف من انتشار الوباء، وهذا ما حدث في عهد إبراهيم باشا أيضا، حيث تزامنت حملته التي أمر بها مع ظهور الوباء في مدينة قسنطينة [8].

كما نقف ضمن إحدى المصادر التي ترجع إلى إسباني سابق في إيالة الجزائر، يؤكد فيها أن عدد الجنود الترك كانوا في تراجع مستمر وهذا كان مرتبط حسب رأيه بالوباء الذي

---

[1] - Esterhazy, ibid, p 208.

[2]-محمد بن يوسف الزياني، المرجع السابق، ص 247.

[3] - Walsin Esterhazy,Op.cit, p 206..

[4]- Adrian Berbrugger, Op.cit, T2, p 206.

[5]- كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، ص 100.

[6] - Walsin Esterhazy,Op.cit, p 206..

[7]- Adrian Berbrugger, Op.cit, T2, p 206.

[8]- مؤلف مجهول، بيان ملوك الجزائر، مخطوط المكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1624، و[3].

كثيرا ما استهدف الانكشارية بالجزائر، وبالأخص ذلك الذي ضرب الإيالة سن 1783م بحيث بلغ عدد المصابين من الجند في الإيالة ثلثهم[1].

ونجد في موضع آخر إشارة إلى أن طاعون (1201هـ/1787م) قد قضى على عدد كبير من رجال البحر ما بين 50 و60 رجلا[2].

3- الانعكاسات الديمغرافية:

إن انكماش النشاط الاقتصاد كان سببًا في سوء الأحوال الصحية والظروف المعاشي، وهذا ما كان سببا في تناقص السكان[3]، ولهذا عانت الإيالة الجزائرية من نزيف ديمغرافي خطير تسبب فيه المأساة المتعددة الجوانب4 التي نتجت عن الجفاف، الأوبئة، الأمراض، المجاعات والحروب والتمردات والكوارث الطبيعية، لكن الأوبئة شكلت عاملاً خطيرًا أدى إلى انقراض ديمغرافي لا مثيل له في تاريخ الجزائر ولكن المعطيات الإحصائية حول الوضع الديمغرافي للجزائر أثناء الحكم العثماني مفقودة، ما عدا ما ود في بعض المصادر المتعلقة بتلك الفترة من خلال بعض الرحالة والمسافرين حيث يقول الباحث كريستي Cresti)): "...لقد قدم الجغرافيون الكلاسكيون صور عامة لمدينة الجزائر التي تفتقد إلى أوصاف مفصلة مثل ما كتب حول القاهرة، دمشق، حلب، اسطنمبول، فالبكري، ابن حوقل والإدريسي، وفيما بعد بيري رايس Piri Reis)) وصفوا مدينة الجزائر بكونها مدينة كثيرة السكان..."5.

ولا بد من الإشارة هنا لعدم وجود دراسات ديمغرافية حول المدن الأخرى للإيالة، حيث أن كل ما كتب حول السكان كان يخص مدينة الجزائر فقط، الأمر الذي يجعل كل محاولة لتقديم عدد سكان الجزائر أمرً صعبًا نظرًا لفقدان أرقام ذات مصداقية، تؤهلنا إلى

---

[1] - Daremberg Georges, Op.cit, p 07.

[2] - Venture de paradis, Loc.cit, Année 1895, N°39, p310.

[3] -ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص 569.

[4] -Panzac, Le corsaire Barbaresqu, La fin d'une Epopée 1800-1820, C.N.RD.E J, Paris 1999, p 252.

[5] - F. Cresti, « Quelque réflexions sur la populations et la structure sociale d'Alger à la période Turque (XIV-XIX s° In les coliers de Tunisie N° 137-138 ; Actes du 4 cong Int d'histoire et de cit, Du Maghreb Avril 1986, p 153.

تحليل الوضع الديمغرافي ونموه أثناء الفترة العثمانية ، وبالتالي يصعب علينا استنتاج العدد الحقيقي للخسائر البشرية التي ترتبت عن مختلف الأوبئة والمجاعات والكوارث الطبيعية التي عرفتها الجزائر طيلة الفترة العثمانية وبصفة خاصة أثناء القرن 18 وبداية القرن 19م. وهي الفترة التي تميزت بركود ديمغرافي نتيجة ارتفاع نسب الوفيات وما يجعل قراءة الأرقام صعبا أو مستحيل، هو أن بعض السجلات كانت تحتوي عل مستوى كل قبيلة دون ذكر تاريخ الوفاة وسببها[1].

وأيضا تقارب المصادر والمراجع في الأرقام المقدمة عن الخسائر البشري الناتجة عن الأوبئة والكوارث الطبيعية وهذا ما يجعل حصر عدد الموتى مستحيلاً وبالتالي فإن تقييم الوضع الديمغرافي شيء صعب بسبي محدودية الوثائق عند استغلالها للمقاربات الديمغرافية[2].

لقد عاشت الإيالة لجزائرية اختلالاً في توازن السكان خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر كذلك الذي عرفته أوروبا في قرونها الوسطى مع صعوبة رصد المعلومات في هذا المجال وهذا لقلة المعلومات وعدم دقتها، وتضارب المعلومات، حيث أن الكثير من المراسلات العربية وخاصة الفرنسية منها تذكر أن الإيالة خلال هذه الفترة الزمنية تكاد تكون خالية من السكان، حيث نجد بعض التقارير العسكرية تتحدث عن عدد منخفض للسكان وتذكر ان أهالي الجزائر قاطبة لا يتجاوز عددهم مليون وثمانمائة وسبعون ألف (1870.000) مقسمين كما يلي: العرب والمغاربة 80%، عرب متنقلين 3%، الكراغلة 1%، الأتراك 1% ، القبائل 13% اليهود 2%[3]، فيما يقرّر ميشال بيروت (Michel Perrot) بأن عد سكان إيالة الجزائر في أحسن الأحوال لم يتجاوز المليونين والنصف[4]، وترى "لوسيت فلنسي" أن عدد سكان الجزائر قبل1830 لم يتجاوز على الأغلب 3 ملايين

---

[1]- فلة موساوي، المرجع السابق، ص 317.

[2]- عبد الله الشريف، الوقع الديمغرافي في منطقة مجردة السفلى في منتصف القرن 19م، قسم الجغرافيا، كلية الآداب بمنوبة، تونس 1993، ص 101.

[3] - Perrot Aristide- Michel, Esquisse topographique et historique du royaume t de la ville, accompagner d'une cart générale du royaume et d'un plan du port et de ses environs, Editeur l'advocat, Paris, 1830, p 15..

[4] - Boutin Vincent, yves, Op.cit, p 142.

ساكن[1]، فيما يرى حمدان بن عثمان بن خوجة أن عدد سكان الجزائر كان لا يقل عن 10 ملايين نسمة قبل الدخول الفرنسي للجزائر[2].

وقد تأثرت الأزمة الصحية مع الأزمة الغذائية في بايلك الغرب سنة (1199هـ/1785م) والتي كانت من نتائجها القضاء على عدد كبير جدًا من ساكنة المدينة[3].

وعرفت بلاد الغرب تناقصا في عدد السكان، خاصة في فترات الأوبئة فإذا نظرنا إلى الإحصائيات، نجد أن الوضع الديمغرافي كان يتصف بعدم الاستقرار من حيث عدد السكان وكثافته، وذلك تبعا للظروف الصحية والأحوال المعيشية والشروط الطبيعية حيث يورد عدد السكان في بايلك الغرب خلال الربع الأول من القرن 19م كالتالي:

تلمسان: ما بين 8000 نسمة و15000 نسمة والأغلب 12000، وهران ما بين 6000 نسمة و10000 نسمة

مستغانم ما بين 1200 نسمة و4000 نسمة، مازونة حوالي 2600 نسمة، معسكر حوالي 6000 نسمة[4].

ولكننا نجد تضارب بين المصادر في عدد ضحايا الأوبئة ومثال ذلك : "وواصل الطاعون ضرباته على معسكر ووهران مخلفا نسبة هامة من الوفيات ففي هذا السياق، لقد لاحظنا عدم تطابق الأرقام حول عدد ضحايا هذا الوباء، إذ يشير هايدو Hâédo)) إلى مجموع 8065 ضحية في نهاية جويلية من بينهم 224 مسيحيا، 1093 يهوديا، و6748 مسلمًا"[5]، وأشار مارشيكا لعدد ضحايا طاعون 1793م إلى 12 ألف ضحية واعتبره كارثة حقيقية[6]، أما وباء أوت 1817م فقد ارتبط بمدن وأرياف الإيالة محدثا أكثر من 100 ضحية يوميا ، ثم انخفض عدد الهلكى إلى 40 ضحية يوميًا ثم قدر بـ 20 ضحية بتاريخ 25 نوفمبر 1817م[7].

---

[1] - Lucette Valensi, Op.cit, p 20.

[2]- حمدان عثمان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص 08.

[3] - Walsin Esterhazy,Op.cit, p 190.

[4]-ناصر الدين سعيدوني، الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني، المجلة التاريخية المغربية، العدد 39-40، تونس، ديسمبر 1985.، ص 440.

[5] - Haedo, Op.cit, p 153.

[6] - J. Marchika, Op.cit, p141.

[7] - فلة موساوي القشاعي: المرجع السابق، ص 319.

وصل عدد ضحايا طاعون عام 1818م بوهران إلى 7000 ضحية وبتاريخ 20 ماي كان يقتل الوباء ما بين 30-40 فردًا ووصل عدد الضحايا نهاية جوان 1818م إلى 80 قتلى يوميا واشتدت ضربات وباء 1818م محدثا خسائر بشرية معتبرة ين مختلف الأجناس والشرائح الاجتماعية [1].

غير أن هذا العدد في وهران 7000 ضحية يبدو عدد مبالغ فيه ولا يعكس الحقيقة الديمغرافية لمدينة وهران التي كانت أقل سكانًا من مدينة الجزائر التي قدّر عدد ضحاياها بنفس الوباء بـ 1438 ضحية، فهذا الوباء الذي ضرب الإيالة بقوة وأحدث عددا كبيرا من الضحايا خصوصا في مدينة الجزائر لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون ضحايا مدينة وهران أكبر من ضحايا مدينة الجزائر.

ونجد إحدى الوثائق القنصلية الفرنسية تنقل رسالة للقنصل الفرنسي في الجزائر، يذكر فيها أن تأثير الوباء كان كبيرًا جدًا وأن استمراريته خلال أربع سنوات في إيالة الجزائر تمتد من (1817م إلى 1822م) قد أحدث خسائر كبيرة في الأرواح وكان له انعكاسات على التعداد العام للساكنة [2].

ولهذا تناقص عدد سكان المدن الرئيسية في بايلك الغرب، ففي 1830م لم يعد سكان مدينة تلمسان يتجاوز 15 ألف نسمة، ووهران 10 آلاف نسمة، معسكر 6000 نسمة، مستغانم 4000 نسمة، مازونة 2600 نسمة[3]، فلقد قضى طاعون سنة 1822م لوحده على على سدس سكان الإيالة[4].

وكان الريف نصيبه وافر جدًا من هذه الآثار حيث تناقص عدد سكانه فافتقرت المزارع والحقول لليد العاملة.

4- الإنعكاسات الاجتماعية:

أهم هذ التأثيرات ما صنف في موضوع الأوبئة، حيث كان لهذه الأزمات أثر كبير في بعض المؤلفات والكتب، فمن هذا ما صنفه "حمدان بن عثمان خوجة" وهو كتاب في الاحتراز من الأوبئة سماه "اتحاف المصنفين والأدباء بمباحث الاحتراز من الوباء" وهو

[1] - فلة موساوي القشاعي: المرجع السابق، ص 319-320.

[2] - Jean Marcheka, Op.cit, p 179.

[3] -ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 92.

[4] - حمدان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص 136.

كتاب يوضح طريقة تعامل الأهالي مع الأزمات الصحية، والأخذ عن الغرب في تنظيماتهم المستحدثة وأهدي هذا الكتاب إلى السلطان محمد الثاني، كما نقف على مصنف آخر لعالم جزائري "العربي لمشرفي" صنفه خارج الجزائر عنوانه "أقوال المطاعين في الطعن والطواعين" حيث تحدث عن تأثير الطاعون المباشر في تغيير العديد من ساكنة بايلك الغرب الجزائري لأماكن وجودهم ومواطنهم بسبب الطاعون. مثلما نقف على ذكر ابن سحنون في كتابه "الأزهار الشقيقة" ونظمه لقصيدة في الطاعون الذي تفشى في الجزائر سنة (1202هـ/1787م) وقد أجبره هذا الطاعون على الانتقال من محل سكناه في معسكر إلى غيرها[1].

كما أن الأوبئة كانت سببًا في فقدان الكثير من الكتابات ومن ذلك ما يذكره الورتيلاني من تشتت وضياع كتب أحد أجداده من القرن 16م بسبب الوباء الذي نزل بها فيقول: "... وكانت عنده خزانة عظيمة بحيث لا توجد عند غيره. فلما سلط عليهم الوباء ولم يبق إلا ولدان صغيران ضاعت الكتب..."[2].

أما الأجانب فهناك من خص وباء بكتاب كما فعل "فيشرا"[3] في تخصيصه هذا الكتاب للوباء الذي ألم بالإيالة سنة (1786-1787م) وكان له أثر بالغ عليها، وهناك من قيد في كتاباته لمحات عن مسار الأوبئة ككتاب الرحالة الأب "باسو"[4].

ومن تأثير الأوبئة على السكان أنه أصبح التأريخ باسم الأزمات والمجاعات والأوبئة، فنقف على سبيل المثال على تسمية سنة 1620م بعام "الحبوبة" لأن الوباء ضرب الإيالة بشكل كبير، وسميت السنة التي تلتها وكان فيها الوباء باسم "عام سيدي بلخريس"[5] بسبب أنها أتت على هذا الرجل الصالح في المنطقة كما نقف على تسمية 1738م بعام الوباء[6] وأرخ لسنة (1208هـ/1794م) باسم "بحبوحة عثمان" وهو الاسم الذي أطلق على الوباء

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 423.

[2]- الحسين بن محمد الورتيلاني، نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار، تحقيق محفوظ بوكراع وعمار بسطة، المعرفة السوية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، المجلد الأول، ص 180

[3]- Jean Claude Vichet, Op.cit,

[4] - Arnoult Bossu, Op.cit, M.C.M, T3, p 190.

[5] - Laumonier Jean, Op.cit, p 01.

[6] - Jean Marcheka, Op.cit, p 78.

الذي حل بمنطقة الغرب الجزائري في تلك السنة وسببه أن الوباء أتى بشكل كبير على عائلة عثمان فسمي بهذا الاسم[1].

ونجد أن وباء سنة 1796م سمي بـ "حبوبة المجاد" وذلك بسبب ما حصده من ضحايا في صفوف هذه العائلة، بل نقف في بعض المصادر أن هذا الوباء قضى تماما على أفراد عائلة الأمجاد[2]، وسميت الكوليرا بالهيضة في بعض المناطق على سبيل المثال[3].

لهذا تسببت الأوبئة في تغيير جذري للبنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري، فاندثرت بعض الأسر والقبائل بأكملها كما هو الحال مع قبائل الأمحال الذي سمي بطاعون 1786م "حبوبة الأمحال" نسبة إليهم بعدما أفناهم عن آخرهم[4].

كما طرح الوباء مشكلة الإرث سواء على مستوى المدن أو الأرياف، حيث كان لإدارة بيت المال زمن الطاعون نشاط يفوق نشاط جميع الإدارات الأخرى، فهي التي تقوم بإحصاء الموتى، وتعمل على تجنب الفوضى التي تسببت فيها كثرة الوفيات كما أنها هي التي تتولى الشركات المهملة وتقوم بعملية الميراث [5].

ومن نتائج الحالة الصحية في بايلك الغرب، فرار الناس وتشتتهم في الآفاق، حيث فضل سكان الأرياف الهروب إلى المناطق التي لم يصلها مرض الطاعون ولو كانت بعيدة، وهو ما أثر على الوضعين الاقتصادي والاجتماعي بهجر الأراضي وترك الممتلكات وافتقار كثير من الأسر نتيجة لذلك، كما أدت قلة الأمن إلى انتشار اللصوصية، وكمثال على ذلك قبيلة عشاش التي تقع في أقصى غرب البايلك، تعيث في الأرض فسادًا بقطع الطريق، وهو ما استدعى تدخل الباي بإرسال حملة على القبيلة ففرقتها في أرجاء الأرض، وكان هذا هو الإجراء المتخذ ضدّ قبيلة المهدية وأولاد علي بن طلحة اللتين حاولتا انتهاج نفس الطريق[6].

---

[1] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p357.
[2] - Walsin Esterhazy,Op.cit, p 190.
[3] - Pharaon Florianet le docteur Bertherand, Histoire de la médecine chez les arabes , VOCCABULAIRE français-arabe, Raduer et manuscrit ayant appartenu au docteur Leclerk, manuscrit, Bibliothèque nationale de France, département des manuscrits arabe, 6455, p 68.
[4] - Esterhazy, de la domination ., Op.cit, p 190.

[5]- حمدان خوجة، المرآة، المصدر السابق، ص 136.
[6]- كمال صحراوي، أوضاع، المرجع السابق، ص 178.

وقد تأثرت مدينة معسكر وضواحيها خصوصا بالأوبئة، فبعدما كانت تشهد تاريخا حافلاً بدأت مكانتها تتراجع بسبب هلاك الكثير من سكانها، ومنهم العلماء الذي كانوا من ضمن الضحايا كسيدي عبد القادر السنوسي، بن دحو بن زرفة، وأخيه سيدي الهاشمي وابن عمهم الفقيه مصطفى عبد الله صاحب فتح وهران[1].

لقد كان للأزمات الصحية أثارًا إيجابية تمثلت في التكافل والتآزر بين طبقات المجتمع بينما اتفق أحيانا على التنافر والشقاق والحرب والاحتلال بين نفس أفراد المجتمع. فنقف في بايلك الغرب الجزائري في زمن مصطفى باي ومن أجل تأليب العرب ضدّ الكراغلة والترك وهو ما جسد في ثورة: ابن الشريف في الغرب الجزائري [2]، فنجد أن المجتمع الواحد بدأ يتفكك ويتشتت وأدى إلى مواجهة داخل مدينة وهران والمدن الكبرى بين الفئات المختلفة.

[1]-ناصر الدين سعيدوني، أبحاث ودراسات، المرجع السابق، ص 252.

[2] - Walsin Esterhazy,Op.cit, p 206.

رابعا- دور السلطة المركزية في مواجهة تفشي الأوبئة والامراض:

من الإجراءات التي قامت بها السلطة الحاكمة إعفاء القبائل التي يلحق بمحاصيلها ضرر ناتج عن غزو والجراد أو نتيجة الجفاف من دفع ما هو واجب عليهم من ضريبة إلى السلطة الحاكمة[1].

كما قام باي بايلك الغرب الجزائري " محمّد الكبير" من أجل تخفيف وطأة المجاعة التي أصابت البلاد سنة (1199هـ/ 1785م) باستراد القمح من بعض الدول الأوروبية كإسبانيا وبيعه للأهالي بنفس السعر، وكان يقوم بتوزيعه على الفقراء مجانًا، إضافة إلى تأجيل الضرائب المفروضة على القبائل كالعشور وغيرها إلى أزمنة أخرى[2]، وهذا ما ورد ذكره في مخطوط " نبذة يسيرة في سيرة الباي محمد فاتح ثغر وهران فيقول: "رغم أنه في ابتداء ولايته وقع القحط الشديد في إقليم الجزائر خاصة بعمالته هذا ولما كان ادخر حبوبًا كثيرة أخرجها إلى الأسواق عندما غلت الأسعار فانحطت وقتئذ ولولا ذلك لهلك الكثير ومما كان يعد من فضله فتح مطعمه للضعفاء أم العساكر، وكان يكسي العراة ويخلصهم من مصيبة البرد الشديد..." [3].

وتوقف محمد باي الكبير عن أخذ الضريبة المفروضة على القبائل في السنوات العجاف وهذا خصوصًا خلال سنة (1199هـ/ 1785م) [4].

---

[1]- محمد صالح العنتري، المرجع السابق، ص 42.

[2] - Walsin Esterhazy,Op.cit, p 190.

[3]- مؤلف مجهول، نبذة من سيرة الباي محمد الكبير، فاتح ثغر وهران، مخطوط المكتبة الوطنية الفرنسية، رقم (5022)، ورقة[02]

[4] - Walsin Esterhazy,Op.cit, p 190.

ومن الإجراءات والاحترازات المتبعة القيام بتعطيل أو إلغاء بعض الحملات العسكرية أو استخلاص الضرائب لكيلا تتفشى الأوبئة، فنقف على ما قام به داي الجزائر وباي بيلك الشرق سنة 1153هـ/ 1741م وهذا حسب رواية الموفد الفرنسي في الجزائر(Maurepa) بتوقيف الحملة العسكرية والتي كان الهدف منها تأديب باي تونس، خوفًا من تفشي الوباء الموجود في تلك المنطقة[1].

ونجد الدّاي حسن باشا سنة 1791م/1203هـ أمر حاجبين بتطبيق نظام الحجر الصحي على أنفسهما حيث وصلا إلى مارسيليا طالبان من الغرفة التجارية Chambre de comme de Marsseille أن تقوم بنجدتهما وذلك من طريق رسالة محرّرة باللغة العربية بعثت إلى مسؤول المحجر الصحي Capitaine de Lazaret [2].

كما قام الباي محمد بن عثمان الملقب بمحمد الكبير باي الغرب والذي عرف بمعارفه الطبية وضعه لبعض الأدوية والذي كان يوصي بممارسة الرياضة كعلاج فعال، وتوزيع الأدوية مجانًا على المحتاجين وشجع الشيخ عبد اللطيف على تأليف كتاب حول الطب النبوي عنوانه:" المنهل الراوي والمنهج الساوي في الطب النبوي" كما طلب من كاتبه ابن محنو تأليف قاموس طبي[3].

أما تصّرفات وإجراءات أصحاب المال فكان يحكمها التوجه العقائدي الديني الإسلامي. ولكن هذا لم يكن توجه جميع التجار، فنقف في مذكرات الآباء المسيحيين في الجزائر أنه نتيجة لظهور الطاعون صيف 1752م/1165هـ قام العديد من التجار بإغلاق محلاتهم التجارية والتزام بيوتهم[4].

غير أن أغلبهم كانت له نظرة عقائدية وهو الاستلام لقدر الله وأن هذا جزء من رفع الوباء وهذا ما دفع " حمدان بن عثمان خوجة" إلى تصنيف كتابه " إتحاف الأدباء في مباحث الاحتراز من الوباء"، وهذا ما ذكره العربي المشرفي أثناء الطاعون التي ضرب جل بلاد المغرب في قوله:"...فحينئذ أعلنت الناس في هذه المدّة بالاستغفار وتوجهت إلى الله توجه خشوع واضطرار، وأكثرت التصدق فيه بأن بذلوا الطعام للفقراء والأيتام ولجؤوا

[1] - Boutin Vincent, yves, Op.cit, p 139.

[2] - فلة موساوي القشاعي: المرجع السابق، ص 271.

[3] - Khiati, Op.cit, p 104.

[4] - Arnoult Bossu, Ibid, M.C.M, Tome3, p 227.

إلى المولى بقراءة القرآن يتنقلون به في الليل البهيم والناس نيام، وسردت في سائر المساجد أحاديث البخاري والشفا حتى حصل بإذن الله الشفا..." [1].

وهذا أيضا ما ذكرناه سابقا أثناء الوباء الذي حل بالجزائر سنة 1740م1152هـ والذي أوردته المصادر الأرشيفية وتكلمت عن أثره الكبير، وهو ما قاله الداي لنائب القنصل الفرنسي حين حذره من خطر دخول السفينة التي كانت تحمل الوباء دون إخضاعها للحجر، فيورد "بير فاروكس" ما قاله الداي لنائب القنصل الفرنسي:" ...أستطيع أن أفهم خوفك الكبير وهذا لكونك مسيحيًّا، أما أنا فسلم تركي لا أخاف من الطاعون أو مما يكون قد قدّر لهذه المدينة، فماذا تريدني أن أفعل من أجل هذا الطاعون الذي تترقبه؟ إنّنا أسوء وأشدّ من الطاعون، وإذا كان يجري على شيء فليفعله، فإنّنا بإذن الله لا نخافه ولا نهابه ونحن له بالمرصاد في كل حال..." [2].

وكان من بين الإجراءات الهجرة من المدن الكبرى نحو الأرياف أو المناطق البعيدة عن الزحام وهذا ما نقف عليه مع سكان مدينة وهران عندما اجتاح وباء الكوليرا المدينة، إذ أسرع السكان للتوجه إلى بعض المدن الأخرى مثل مستغانم، معسكر، وهو ما أدى لاحقا إلى انتشار الوباء بهذه المدن وتفشيه بشكل كبير وأدى إلى سقوط ما يقارب 1457 ضحية خلال شهر واحد في مدينة معسكر لوحدها[3].

ونجد أن السلطة العثمانية في الجزائر أولت اهتمامًا بالجيش الإنكشاري ورعايتهم الصحية فقد كانوا يأتون إلى الجزائر في سن المراهقة وكانوا يتمتعون بصحة جيدة، كما أوكلت السلطة إلى الباش جراح الوقوف على حاجيات الجنود الأتراك الصحية والتصدي لأي مرض يتفشى في أوساط الجنود، فكان في نفس الوقت طبيبًا وجراحًا وصيدليا يوفر الحاجيات الأولية من الأدوية التي يعدها ويقتني الأدوات الجراحية اللازمة[4].

كما اهتم الحكام بنظافة المدينة والتي كان لها دور هام في الوقاية، وكانت هناك هيئة خاصة يشرف عليها قايد الزبالين مهمتها جمع النفايات[5]، وهذا ما أشار إليه عالم

[1]- العربي المشرفي، أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، المرجع السابق، ص 192.
[2] - Pierre Faroux, M.C.M, Tome3, p 31.
[3] - Vincent Martin Antoine,Et collardot, Victor, Op.cit, p10.
[4] - Khiati, Op.cit, p72.
[5] - de paradis Venture, Alger au XVIII siècle 1788-1790, Ed par grand Alger livre, Alger 2006, , p 229.

الرياضيات لاكوندامين يقول أن في الجزائر نظافة ولا نجد قمامات الأوساخ مثل ما نراه في مدينة تولون[1].

وضبطت السلطات التركية مراكز البغاء وأوكلت لها مشرفًا أو مزوار وهذا الإجراء كان له الأثر في عدم انتشار الأمراض المتنقلة عبر الجنس وإن كان "فنتير دو بارادي" يرى أن هذا الإجراء الوقائي اتخذه الحكام نزولاً عند رغبات الانكشارية الذين كانوا يُمنعون من الزواج وتشجع السلطة العثمانية على حياة العزوبية في الأوساط العسكرية، الأمر الذي أدى بالانكشارية إلى الانغماس في حياة المجون، وقد شجعته الدولة على ذلك بتوفير البغاء لإمتاعه جنسيا وكانوا يكثرون غرفا بالفنادق لاستقبال هؤلاء النساء [2].

ويقول سيمون بيفايفر أن الدولة كانت تغري المجندين الجدد من الأتراك بالحضور للجزائر، حيث تباح لهم أن يتمتعوا بحياة داعرة لا رادع لها ولا واعز[3].

ومن الإجراءات الصحية يمكن ذكر ما أشار إليه فونتور دوباردي وهو منع دخول أي جثة للدفن مات صاحبها خارج المدينة، وإذا مات رايس في البحر أو في المرسى خارج الأسوار فإن جثته تنقل للمقبرة عن طريق البحر[4].

ولم تكن الحالة الصحية في الريف من مسؤولية السلطة العثمانية وما كان على سكان الريف سوى اللجوء إلى الطب الشعبي في حالة حدوث مرض أو وباء فلقد وصف بايسونال ((Paysonnel سلوك رجال المحلة اتجاه سكان الريف حيث يقول أن رجلاً واحدًا من الأتراك كان يخيف عرشا بكامله إذ كان يقوم بضرب هؤلاء التعساء الذين يفقدون رجولتهم أمام التركي، ويتعجب الرحالة من قساوة هؤلاء ضدّ العرب، ويقول "هايدو" أن الانكشارية، عكس الرياس، كانوا يسومون الرعية سوء العذاب عند مشاركتهم في المحلة حيث كانوا يعيشون على نهب الأراضي التي تمرّ بها المحلة وقد يصل الأمر إلى خطف أطفالهم ونسائهم[5].

---

[1] - Emeretim, Le voyage de la candamine à Alger (1731), Revue Africain, N°16 année 1956, pp 358-359.
[2] - Venture de paradis, Op.cit, p 225.
[3]- سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب، الدكتور أبو العبد دودو، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974، ص 92.
[4]- أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، 1766-1791، ط1، دار البصائر، 2008، ص 200.
[5] - Haedo, Topographie, Op.cit, p 509.

ويقول أبو القاسم سعد الله بخصوص موقف السلطة الحاكمة من الأمراض والأوبئة، فإننا نجد تقصيرًا كبيرًا، ويعود ذلك لعدم وجود سياسة واضحة لمواجهة مثل هذه الوضعيات الصحية وفي بعض الأحيان يفرون من الوباء مع عائلاتهم إلى مناطق معزولة عن السكان، ولا يعودون إلا بعد اختفائه مثل ما فعل عثمان باي وهران سنة 1794م، وهناك من رأى بأنه عقاب من الله لعباده، ويضيف أنه بينما كان البشاوات والبايات يجلبون الأطباء لأنفسهم ويؤمنون بقيمة الطبيب الأوروبي، فكانوا لا يهتمون بصحة السكان عمومًا تاركين العامة للطب التقليدي[1].

1- الاستعانة بالأطباء الأجانب:

إن وجود الأطباء الأوروبيين في الجزائر يعود إلى ما قبل مجئ الأتراك إلاّ إن عددهم زاد خلال العهد العثماني، وزادت مكانتهم عند العامة والمسؤولين واكتسبوا احترام وتقدم الجميع ويمكن ذكر سبب وجودهم في عدة أسباب أهمها: انفتاح المجتمع، تراجع الخدمات الصحية، تواجدهم لأغراض تجارية وأيضا الجوسسة الرحالة الأسرى لهذا انقسم الأطباء الأوروبيون في الجزائر إلى 4 أقسام:" الأطباء الأحرار الذي كانوا في خدمة المسؤولين بالجزائر.

-الأطباء الموظفين بالمؤسسات والشركات الأوروبية بالجزائر

-الأطباء الرحالة الذي كانوا يزورون الجزائر لأغراض علمية

-الأطباء الأوروبين الأسرى بالجزائر[2].

وكان للأطباء الأوروبيين مكانة كبيرة لدى الجزائريين لكفاءتهم كما ذكر ذلك هانيسترايت الذي قال بأن الجزائريين يحملون نظرة جيدة عن كفاءة الأطباء النصارى ويدعونهم بالعلماء، وذلك تعبيرًا عن التقدير الخاص الذي يحضون به لديهم[3]، ولم يكن الأطباء الأوروبيين يدفعون الرسوم والضرائب[4].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص ص 419-431.

[2]- لزغم فوزية، الأطباء الأوربيون في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة عصور، جامعة وهران، عدد 21 جويلية-ديسمبر 2013، ص 240.

[3]- نفسه، ص 238.

[4] - Khiati, Op.cit, p62.

كان الوباء يثير الخوف والرعب عند الحكام وهو ما كان يدفعهم للهرب كما حدث مع الدّاي على خوجة الذي غادر قصره واستقر بالقصبة وطرد الطبيب الإسباني في 2 ديسمبر 1817م، ومغادرة الطبيب الفرنسي توسال Tousel)) الإيالة الجزائرية[1].

ولكن اشتداد الوباء سنة 1818م دفع الدّاي على خوجة لاستقدام الطبيب الإسباني "خوان فرناندز دي لاس هراسJuan. Fern Dez de Las Heras " في 28 فيفري 1818م بعد وفاة 2 شخصا في قصر الداي من بينهم ابنه ثم توفي الدّاي على خوة بالطاعون يوم الحد 01 مارس 1818م[2]، ثم اتبعه ابنه وابن الداي حسين في 1 ماي 1818 ثم توفي مصطفى باشا بالطاعون في 18 ماي 1818م[3].

ولجأ الحكام إلى الأطباء الأجانب لرعاية صحتهم فالباشا بابا علي كان يتكفل به طبيب أسير سنة 1754م وصالح باي تكفل برعايته طبيب إيطالي اسمه باسكال قميزو (pascal Gamisot)، أما الباي كليان بو كمية تكفل برعايته طبيب هولندي اسمه سانسون Sanson)) سنة 1713م، كما تكفل الطبيب الألماني والذي كان أسير بفايفر peffiffer)) بصحة خزناجي الدّاي حسين سنة 1829م[4].

وداع صيت الطبيب الفرنسي Varmier والذي كان في معسكر مع القنصل الفرنسي Daumas، والذي زارهما الرحالة الألماني فاغنر وأشاد بمكانة الطبيب عند الجزائريين، والذي ذاع صيته بين سكان ريف بايلك الغرب، حتى أن الناس كانوا يقصدونه من أماكن بعيدة عن معسكر بعشرين ساعة لحاجتهم إليه، وقلة الأطباء، ومن أهم الأمراض التي كان يعالجها الجذام الرهيب Laiepre أمراض الزهري La syphilis أمراض العيون Les Ophtalmies، الجرب Lagale، الطفح Exanthème، الأورام الكبيرة Les Tumeurs، خاصة التي تصيب الأذرع[5].

إن العلاقة بين الأوبئة مترابطة مع بعضها البعض حيث أثرت في بعضها البعض ومنها من كان استمرارية لما سبقها خصوصا إذا توفرت لها العوامل المناسبة لاستمرارها

[1] - J. Marchika, Op.cit, p 159.
[2] -A. Hamdani, La vérité sur l’expédition d’Algr ,ed, balland,1985, p 23.
[3] - J. Marchika, Op.cit, p 165.
[4]- مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص 102.
[5]- أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، المرجع السابق، ص 144-145.

كوباء 1783م الذي استمر حتى سنة 1794م ووباء 1818م الذي استمر حتى سنة 1822م، وما يكاد يختفي وباء حتى ينوب عنه وباء آخر.

كما يمكننا القول أن الأزمات الصحية من أوبئة وأمراض كانت سببا في الانهيار الديمغرافي لسكان الإيالة عموما وفي بايلك الغرب خصوصا أكثر مما كانت تخلفه المجاعات والأزمات الغذائية.

لقد كان متوسط عمر الوباء ما بين سنة إلى أربع سنوات، ومنها من استمر لمدة أطول في حالات استثنائية قاربت العشر سنوات، وخلال هذه الفترة كان يخلف الآلاف من الضحايا.

وقد خلقت الأوبئة آثارا اقتصادية تمثلت في عرقلة ازدهار المدن والمبادلات التجارية وركودها بين الجزائر وباقي موانئ البحر الأبيض المتوسط، وعرفت الصناعات التقليدية انقطاعا تاما خصوصا صناعة النسيج والحرير، وتعرض الإنتاج الفلاحي لتأثيرات الكوارث الطبيعية والأوبئة ونت عن ذلك العديد من المجاعات نتيجة قلة الإنتاج الزراعي.

هذا وقد أثر الوباء على القدرة الشرائية وانخفاض مستوى المعيشة، وزاد الوضع سوءا التعسف في جمع الضرائب التي زادت الجزائريين فقرا، ولم تسلم حتى الثروة الحيوانية من تأثير الأوبئة، فتحول الفلاح من حياة الاستقرار والإنتاج إلى حياة الترحال وإهمال الأرض والبحث عن الكلأ والهروب من دفع الضرائب.

أما المعاملات التجارية فعرفت تعطلا بسبب الخوف من الطاعون، وهذا ما كان عاملا في ارتفاع الأسعار خاصة القمح، ضف إلى ذلك أن الأوبئة فرضت حصارا على معظم مدن بايلك الغرب الجزائري.

امتدت التأثيرات المختلفة للأوبئة حتى للمجال العسكري حيث أصبحت الثكنات خاوية على عروشها، وتوقفت الحملات العسكرية، لقد أدت هذه العوامل إلى انكماش الوضع الاقتصادي وهذا ما تسبب في سوء الأحوال الصحية والمعيشية وبالتالي تناقص في عدد السكان، ولهذا عانت الإيالة الجزائرية عموما وبايلك الغرب الجزائري خصوصا نزيفا ديمغرافيا خطيرا، واختلالا في توزيع السكان خلال القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر.

كما أنه من تأثير الأوبئة اجتماعيا أنه أصبح التأريخ باسم الأزمات والمجاعات والأوبئة، كتسمية سنة 1620م بعام البحبوحة وسنة 1794م باسم بحبوحة عثمان، ووباء سنة 1796م بحبوبة الأمجاد، لهذا تسببت الأوبئة في تغيير جذري للبنية الاجتماعية للمجتومع الجزائري فاندثرت بعض الأسر والقبائل بأكملها، وتفرق الناس وتشتتهم في الآفاق.

لقد كان للأزمات الصحية آثارا إيجابية تمتلث في التكافل والتآزر بين طبقات المجتمع والتي كانت تعرف تنافرا وشقاقا وحروبا فيما بينها سابقا.

الفصل الثالث: الإجراءات الصحية لمواجهة الأوبئة والأمراض في بايلك الغرب الجزائري

أولا: الإجراءات المتبعة لمواجهة الأوبئة والأمراض

ثانيا: نظرة السكان للأوبئة وطرق معالجتهم لها

ثالثا: احترازات اليهود والمسيحيين من الأمراض والأوبئة

رابعا: الحجرالصحي في مواجهة الأوبئة والأمراض

لقد كان للأوبئة والأمراض أثر بالغ وكبير على مختلف الجوانب الحياتية في المجتمع الجزائري عامة وعلى سكان بايلك الغرب الجزائري خاصة، وهذا راجع بالأساس إلى طريقة التصرف في حالة حدوث الوباء، واختلافها بين كل فئة وأخرى ما بين الهروب والفرار والتسليم بالقضاء والقدر، وأيضا الاحتراز من الوباء والقيام بإجراءات صحية للحد من تأثيره.

والحقيقة التي يجب الانطلاق منها هي أن كل الأوبئة أو غالبيتها كان يمكن الحد من انتشارها والوقاية منها من خلال اللجوء لمجموعة من التدابير الصحية التي تمنع تفشي وانتشار الوباء، وهذا ما جعلنا نحمل السلطة المركزية سبب تفشي الأوبئة لعدم أخذها بهذه التدابير وفرضها على الساكنة واهتمامهم بالجانب الاقتصادي فقط، ولكن هذا لا ينفي المسؤولية عن السكان الذي اتصف غالبيتهم باللامبالاة أحيانا والتسليم بالقضاء والقدر مرة أخرى دون الأخذ بالاحتياطات الصحية.

وخلال هذا الجزء من البحث سنحاول الإجابة على مجموعة من الأسئلة لعل أبرزها: كيف كانت نظرة السكان للأوبئة خلال وقوعها؟ ماهي تصرفاتهم في حال وقوع المرض بين أحد أفراد العائلة؟ ماهي نظرتهم الدينية والعقائدية للوباء وإجراءات الاحتراز منه؟ وماهي أهم الإجراءات المتبعة من طرف السلطة الحاكمة والسكان بمختلف أطيافهم في مواجهة الأوبئة والأمراض؟ وكيف كانت احترازات اليهود والمسيحيين في بالك الغرب من الأمراض والأوبئة؟

أولا-الإجراءات المتبعة لمواجهة الأوبئة والأمراض:

ساد مفهوم عدم جدوى مواجهة الوباء والتصدي له عند العامة من الناس والسلطة الحاكمة وهذا ما يفسر تراخي هذه الأخيرة فيما يتعلق بالأمور الصحية من احتراز وحجر في جميع مدن الإيالة الجزائرية حيث كانت تنتشر الأوبئة بشكل سريع بسبب عدم التحلي بالروح المسؤولة والإجراءات الوقائي.

ويذكر مصطفى خياطي في كتابه "الطب في الجزائر خلال العهد العثماني" من أن معظم ما كتب سواء المصادر التاريخية أو الرحلات وحتى الأطباء تجمع على عدم اعتماد السلطة العثمانية في الجزائر على أي نظام ضدّ الأوبئة سواء حجر صحي وإجراءات وقائية[1].

وهذا ما تأسف له "حمدان بن عثمان خوجة" إذ اعتبر أن عدم الاهتمام والاحتراز من الأوبئة خطأ كبير، وفي هذا ألف كتابه المشهور "إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز من الوباء"، ونصح بالاقتداء بالغرب في طرق حماية الساكنة من الوباء، وتحسّر على التأخر الفكري لمسلمين الذين كانوا يرفضون الوقاية من الطاعون والأوبئة لأنها من عمل النصارى، وفي هذا ذكر في مقدّمة كتابه: "... كما أن أقوال الحكمة وأفعالها لا يستنكف العاقل عن اقتنائها لضعف من فعلها أوقالها، بل يبادر للحق وقبوله واستجلاب النفع وحصوله، ولما رأيت الخلل الداخل على المسلمين بإهمال مثل هذه القواعد وإنكارها والتزام التقشف والتعصب في عدم دفع المضرة وملاحظة أغوارها في كثير مما ابتكره الفرنج بدعواهم واشتهرت نسبته إليهم مما يتعلق من أمر دنياهم..." [2].

وكان حمدان خوجة يركز في حديثه على الإجراءات الوقائية ونظام الحجر الصحي أو ما عرف بـ"نظام الكرنتينة" في أوروبا لأنه عايشها مرتين الأولى في إسبانيا والثانية في فرنسا [3].

---

[1]- مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص 72.
[2]- حمدان بن عثمان خوجة، إتحاف المنصفين والأدباء مباحث الاحتراز من الوباء، المصدر السابق، ص 3.
[3]- حمدان خوجة، نفسه، ص 46.

وتعددت طرق مواجهة الوباء في أوروبا من خلال الدراسة المعقد للوباء وطرق انتشاره ومسببات القضاء عليه، فاعتمد على عزل المرض. ومنعهم من التنقل من دولة إلى أخرى ومن مدينة إلى أخرى، وفي حالات الوباء كان لا يسمح لشخص بالسفر إلا بتصريح من طرف الأطباء تثبت سلامته من الوباء أو شفاؤه منه[1].

وهذا ما صوره حمدان خوجة من خلال رأيته لهذه الإجراءات ومعاينتها، ومقارنتها بما يحدث في الجزائر خاصة والدول الإسلامية عامة، وعدم مبالاتهم بهذه الإجراءات حيث يقول:"... حيث التزموا لدفع الوباء عنهم ما جربوه من الاحتماء و الاحتراز بالاستقراء في عدم إدخال الداخل إليهم إلا بعد تحقّق البراءة أو الاستبراء وجعلوا لذلك حكامًا في أماكن حصينة مع غاية الاحتياط وسمو ذلك كرنتينة..."، ثم شرح وفسر حمدان خوجة عدم وجود مثل هذه الإجراءات في البلاد الإسلامية عمومًا إذ عزّى ذلك إلى نفور المسلمين لكل فعل أتى من النصارى سواء فعلوه أو ابتكروه أو رتبوه أو نصحوا به[2].

ورغم كثرة انتشار الأمراض والأوبئة في الإيالة الجزائرية فإن التكفل الصحي والإجراءات العلاجية كانت تتم عن طريق العلاج التقليدي المأخوذ من التجارب والموروث عن الأجداد، إضافة إلى انتشار السحر والشعوذة في الأوساط الشعبية كما كان يفسر المرض بالقدر ومشيئة الله عزّ وجلّ والمكتوب، ضف إلى ذلك أن العهد العثماني في الجزائر لم يعرف أي تعليم طبي وغاب عن الإيالة الأطباء الجزائريون واقتصر على الأطباء الأوربيين، وأصبح العلاج حرفة أو مهنة يمارسها أي كان بغرض الهواية والحاجة فنجد في بعض الأحيان أن المعالج كان يجهل القراءة والكتابة[3].

وفي المقابل توجد بعض المصادر كانت لها نظرة مغايرة تمامًا وتؤكد أنه خلال حدوث الوباء كان هناك إجراءات وقائية كالحجر الصحي. وهذا ما ذكره عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري في كتابه: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال وهذا خلال حديثه عن وباء 1744م إذ يقول: "...قدم علينا مركب من الاسكندرية بالحجاج، وفيه الوباء

---

[1] - Bertheran, L es quarantaine et les système de dresde à l'encontre du choléra, Gazette médicale de l'Algérie . Directeur de la E.L Berthrand éditeur J.B. Baillire, Paris, année 38. N°20, 1893, p 154.

[2]– حمدان خوجة، إتحاف المنصفين، المصدر السابق، ص 3.

[3] – Lamarque, Op.cit, p 48.

فمنعهم الباشا الدخول، حمية من أن يقوم ممرض على مصح إلى ثامن عشرة، موافق خامس عشر أوغشت..." [1]، وهذا ما ذهب إليه مصطفى خياطي حيث أكد أنه كان هناك نظام حجر صحي في بعض المناطق في الجزائر وليس كلّها[2]، ولكن اقتصر على مناطق دون غيرها وعلى دايات دون غيرهم وفي أوقات معينة وهذا ما أشار إليه " شونيرغ" في كتابه " الطب الشعبي في الجزائر بداية الاحتلال" من أن عددًا من البايات اتخذ إجراءات وقائية للحد من انتشار الأوبئة والتخفيف من شدتها كفرض الرقابة الطبية على الوافدين من الخارج، خصوصًا الوافدين عن طريق البحر، ويذكر إرجاع سبعة أشخاص إلى سفنهم بعد تأكد إصابتهم بالوباء [3]، وهذا الأمر قام به باي وهران سنة 1786م عندما أمر بفرض حجر صحي عليه وعلى مرافقيه ولم يدخل مدينة وهران كما علم بأمر الوباء الذي نزل عليها[4].

1- عدم الاهتمام بالطب:

يذكر الأستاذ أبو القاسم سعد الله رحمه الله تعالى بأن اهتمام الجزائريين بالطب خلال الحكم العثماني كان أفضل وأكبر من اهتمامهم بالعلوم الأخرى وأن العلماء في هذه الفترة جمعوا بين العلوم الشرعية والعلوم الطبية، وجعلوا من معرفة الطب نصف العلم كما أن العلماء الذين ألفوا في الطب لم يمتهنوا كلهم الطب، ونشاطهم اقتصر على التأليف فقط[5].

غير أن الألماني " قون ريهندر" الذي أقام في الجزائر تأسف على إهمال الطب وانعدام الكتب في هذه الفترة، والطبيب الانكليزي " شاو" هو الآخر ذكر بأن الكيمياء التي كانت العلم المفضل الشعوب العربية، أصبحت تتمثل في تقطير الورد وإن جل الأطباء كانوا قد نسوا تراثهم العربي القديم[6]، أما مصطفى خياطي فيذكر أن الطب والأطباء في الجزائر تفرع إلى ثلاثة أقسام: الطب الشعبي أو التقليدي والطب الأوروبي يمثله المسيحيون،

[1]- عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تحقيق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص 121.ا
[2]- مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص 74..
[3]- أف شونبيرغ، المصدر السابق، 39.
[4]- مصطفى خياطي، نفسه، ص 74..
[5]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرع السابق، ص 416.
[6]- عائشة غطاس، الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الثقافة، السنة 13، عدد76، وزارة الثقافة الجزائرية، رمضان، شوال 1403، جويلية، أوت 1983، ص 122-123.

والعثماني مارسه الجنود الأتراك[1].

ويذكر "بربروجر" أن الكتاب الوحيد المستعمل في الطب خلال هذه الفترة هو: "تذكرة داوود الأنطاكي"، و كشف الرموز لعبد الرزاق حمادوش الذي كان يستعمل في المعارف الصيدلية[2].

وأشار (هايدو (1581 -1578) (Hèdoم إلى غياب مهنة الطب تمامًا فلا وجود في الجزائر بأكملها من له خيرة في تضميد الجراح وإيقاف النزيف، وأن جميع من يقوم بالعلاج والذي سماهم (الجراحين) مسيحيون، أما بالنسبة للجزائريين فنجد اثنان فقط أحدهم مرتد عن المسيحيّة أصله من جنوة يدعى (شعبان)، وآخر أندلسي أصله من بلنسية وكلاهما يجهلان مهنة الطب ولا يوجد بالجزائر مستشفيات على غرار ما هو موجود بتركيا ومصر[3].

كما أن الطرق التقليدية المستعملة في العلاج ابتعدت عن العقل والمنطق والنجاعة العلاجية، وتم تعويضها بالسحر والشعودة وتعليق التمائم وهذا ما أشار إليه لاماركLamarque)) الذي ذكر جهل الأطباء ومن كان يعالج المرض لمكونات جسم الإنسان وكانوا يخلطون بين أعضاء الجسم فتسمية القلب كانت تطلق على القلب والمعدة معًا، ولم يكن هناك تمييز بين الأمعاء الغليظة والدقيقة، كما كان المداوي يخلط بين أصناف العضلات ويعتقد أن الهضم والتنفس وظيفة واحدة ومشتركة في حين كان يجهل وظيفة المعدة [4].

وقد تبنى معظم الرحالة والقناصل الأوروبيين الذين جاؤوا فيما بعد رأي هايدو وحتى علماء الطبيعة والأطباء خلال القرنين 17 و 18م وبداية القرن 19، فجميعهم أقر أنه لم يكن بالجزائر أطباء ولا يوجد مدرسة واحدة لتعليم الطب ولا مستشفى، وبالمقابل نجدهم يتكلمون عن طرق العلاج التقليدية أو الشعبية التي ارتبطت أساسًا بالطب النبوي أو العلاج الديني وذكر " توماس شاو" 1720-1732 D.Show أنه لم يكن هنالك أطباء أكفاء بل هم

[1]- مصطفى خياطي، نفسه، ص 83.

[2]- Berbrugger, D'un mémoire sur la peste en Algérie depuis 1552 jusqu'au 1819 Exploration scientifique de l'Algérie, Tome III, Paris, imp. Royale 1847, pp 245-246.

[3] - De Diego Haedo, Topographie et Histoire générale d'Alger - La vie à Alger au seizième siècle, Traduit de l'espagnol et Notes de Bebrugger ety de Dr Monnereau, présentation de Abderrahmane Rebahi, Grand Alger3ème livre Editions 2007, p176, p 193.

[4] - Lamarque, Op.cit, pp 50-51.

مجرّد عطارين يداوون بالأعشاب[1]، وهذا ما يفسّر لنا أن الطب في الجزائر اقترن بالطب الديني، وهذا ما دفع بيرتران Berthrand بالقول أن استيعاب الأمور العامة في الصحة أو قراءات بعض التوجيهات الطبية التي تركها " أبقراط" قد تجعل من الرجل العادي البسيط في المعرفة حكيمًا في المجتمع الإسلامي خلال تلك المرحلة من التاريخ[2].

ولكن هذا القول يجانب الحقيقة والواقع إذا ما عدنا للوراء وتأملنا فيما وصل إليه العلماء المسلمون خصوصًا خلال التواجد الإسلامي في الأندلس في مجال الطب والعلوم الأخرى بل إنهم بدعوا في مجال الطب خصوصًا، وقد انتقلت هذه العلوم إلى الجزائر مع الهجرات الموريسكية إلى شمال إفريقيا، وظهر ما يعرف بالعلاج أو التداوي بالأعشاب والتي كانت لها رمزية خاصة وكان العلاج بها لا يسبب مضاعفات صحية للمريض، بل إننا سنجد فيما سنذكره لاحقا أن العديد من العلاجات الدينية والشعبية كان لها مفعول قوي في القضاء على بعض الأوبئة.

ولكن في المقابل لا بدّ من عدم إنكار أنه من كانوا يمتهنون الطب لم يكن لديهم اضطلاع على أساسياته. وفي بعض الأحيان نجدهم لا يجيدون حتى الكتابة أو القراءة وكما ذكر أنه من كان يشتغل في مهنة الطب في الجزائر كان متطببًا وليس طبيبًا[3].

وهناك الكثير من الغربيين الذين كانت لهم نظرة دونية لكل ما هو إسلامي وأن الطب في الجزائر خلال القرنين 18م و 19م كان يمارسه المشعوذون فقط وهذا بسبب إحاطتهم بمفهوم طب الأعشاب أو الطب الشعبي أو ما سمي حديثا بالطب بالبديل. إذ كان في نظر الرحالة الأوروبيين والمقيمين منهم أن الطب يقتصر على ما اكتشف في أوروبا[4].

ولكن لما ذكرنا سابقا من أن الطب كان لا يهتم به له ما يفسره، حيث كان الأطباء الجزائريين يعانون من وضع سيء فكان الجراح الجزائري لا يأخذ على عملية جراحية إلا

---

[1] - Dr Shou, Voyage dans la régence d’Alger, Traduit de l’anglais par J. Maccarthy, Paris, 1830, pp 80-82.

[2] – Bertheran,Emile, Op.cit, p 18.

[3]- شخوم سعيدي، قراءة في أوضاع الطب ومتعلقاته بالجزائر العثمانية، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد الأوّل، العدد الأول، جوان 2015، يصدر مخبر الجزائر والحوض العربي للبحر المتوسط، ص 273.

[4]- مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص 88.

بوجو واحد، فيما يأخذ الطبيب الأوروبي عليها (100 قرش) هذا إذا سمح له بإجراء العملية، وهذا ما يوضح لنا بأن أجر الطبيب الجزائري كان يساوي أجر الجنود[1].

وقد قل عدد الأطباء في الجزائر خصوص في بداية القرن 19م ولم يتجاوز عددهم 12 طبيبا كلهم من الأوروبيين وانحصر وجودهم في مدينة الجزائر دون غيرها، وقد ذكر" غيون" بعضهم. منهم: الطبيب أندرسون Ondersson))، والطبيبPiémonlais)) والذي خدم دايات الجزائر لمدة 20 سنة، والدكتور مكاردي Mcardi)) والذي جاء إلى الجزائري في أواخر الحكم العثماني سنة 1826[2].

وحضي الأطباء الأوروبيين بمنزلة رفيعة واحترام كبير رغم أن بعضهم كان من الأسرى وبسبب علاقته مع أصحاب السلطة تمتع بهذه المزايا وهذا ما ذكر الأب" بواييه" أن الطبيب الأوروبي كان يحضى بما لا يحضى به غيره من سعة في العيش والتبجيل حيث قال:" أنه هو الغريب الوحيد الذي يمكن أن يستفيد من مزايا الاحترام والتقدير"[3].

وهذا الاحترام والتقدير لم يقتصر على السلطة الحاكمة بل امتد إلى الأهالي والقيادات السياسية والعسكرية، فمنهم من كان أميرًا، إلى مراتب السادة ونحصى بالذكر هنا "سيمون بفايفر" والذي قال في مذكراته:"... واتخذني طبيب الخاص، ومنذ تلك اللحظة أصبحت كأني قد انتقلت إلى حياة أخرى. فتركت مغارة الفئران، وسكنت غرفتين كبيرتين في القصر، وبدلت ثياب العبيد بثياب أخرى ثمينة مصنوعة من القطن. وكان يقوم على خدمتي بكريان، باختصار لقد تحولت من كلب مسيحي حقير وطباخ شاب مضطهد إلى طبيب خاص للخزناجي أفندي...." [4]، وهذا ما كان سببا في زيادة عدد الأطباء الأوروبيين في الجزائر خلال هذه الفترة ونذكر منهم:" الدكتور السرديني مكاردي Mcerdi))، والدكتور الإنجليزي بوهن Bohen))، والدكتور الإسباني أسانسي Assensi)).

---

[1]- أف شونبيرغ، المصدر السابق، 69-70.

[2] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p365.

[3] -Jean Louis –Marie Poiret, Voyage en Barbarie ou lettre écrite de l'ancienne numidie pendans les années 1785-1786 sur la région, les coutumes et les noeurs des maures et des arabes-Bédouins avec un essaie sur l'histoire naturelle de ce pays, lettre N°5, Editeur chez J.B.F Née de la Rochelle, 1789, Lettre N°27, p 114.

[4]- سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة أبو العيد دودو، المجلد الأول، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، دار الأمة، الجزائر، 2006، ص ص 26-27..

أما المشكلة الثانية التي عانى منها ساكنة الجزائر عدم وجود الصيدليات حيث بلغ عددها في بداية القرن 19م ست صيدليات فقط، ولم تكن تحوي سوى القليل من الأعشاب والمستحضرات الطبية الطبيعية[1]، واقتصر تحضير الأدوية على السوائل والأخلاط والعقاقير[2]، وقد وصف (اف، شونبيرغ) إحدى الصيدليات بمدنية الجزائر بأنها:".. لا تحتوي إلا على زجاجات فارغة..."، وصيدلية أخرى:"... لكن صيدليته كانت فضلا عن ذلك صغيرة فكانت عبارة عن غرف واطئة ومظلمة..."، ويصف صيدلي ثالث قائلاً:"... أراني كل الآلات والأجهزة الجراحية، وكان له في غطاء كلاّب، لتثبيت الأجزاء اثناء العمليات، وملقط وبعض المسامير، وكان في حقيقته مقص وملقط منوع وآخر ملوّن، وكلها من ضع الأوروبيين ولكنها كانت قديمة ومن نوع متوسط..."، ويضيف أن مستخلصات العقاقير كانت تحفظ لمدة طويلة في زجاجات بجوار الماء البارد، كما أن معظم الأدوية وآلات الجراحة، ما تستجلب من أوروبا[3].

ورافق هذا النقص في الأدوية والصيدليات خلال الفترة الزمنية الممتدة من القرن 18م وبداية القرن 19م المواد العلمية، فلا نقف على كتب ومخطوطات طبية فـ (أف شونبيرغ) كان يمني نفسه أن يحصل على مخطوط طبي أخبره به أحد الصيادلة، ولكن سرعان ما خاب أمله عندما حصل عليه ورأى حالته السيئة المهترئة[4]، واشتكى (سيمون بفايفر) حاله لسيده بسبب عدم حصوله على الكتب وانقطاعه عنها، ويلتمس منه توفيرها له[5].

وفي المقابل نجد كتب ألفت خلال هذه الفترة اعتنت بالطب وطرق العلاج فنذكر منها مثلاً: كتاب" المن والسلوى في حديث لا عدوى" لمحمد بن أحمد الشريف الجزائري[6]، و"فتح الجليل في أدوية العليل" لابن مريم، و"إعلام أهل القريحة في الأدوية الصحيحة" لأحمد بن قاسم البوني، ولعب هذا الطبيب دورًا هاما في الجزائر العثمانية وجمع بين الفقه

1- أف شونبيرغ، المصدر السابق، 41.
2- مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص 90.
3- أف شونبيرغ، نفسه، 66-68.
4- نفسه ، ص68.
5 - Bertheran,Emile, Op.cit, p 33.
6- حمدان عثمان خوجة، اتفاق المنصفين والأدباء، المصدر السابق، ص 21.

والطب وكان من مشاهير عنابة، وتناول فيه أمراض السعال والأسنان واسل والأذن والأنف والعين، وقد اقترح طرق التداوي ضدّ الحمى وسقوط الأجنة[1].

و"مبين المسارب في الأكل والطب مع المشارب" لنفس المؤلف، ويتكلم حول الأمراض وطرق التداوي وألفه على شكل أبيات شعرية تعرض فيه إلى أحسن المأكولات والمشروبات ذات المنفعة الصحية، حيث نصح باستهلاك التين للشفاء من القولنج كما يوحي بأكل الرمان لداء الكبد، وما غير ذلك من المأكولات التي تفيد صحة الإنسان وتساهم في اعتداد عمره كالأرز[2].

وكتاب "المنافع المبينة وما يصلح بالأربعة أزمنة" لمحمد بن علي الصنهاجي، وتطرق من خلاله إلى منافع الأدوية فيما يخص أمراض الرأس والحلق والأضراس وأعضاء القلب، الرئة المعدة، الطحال فاقترح أدوية وطرق التداوي والأمراض متعدّدة كالروماتيزم والحصا الشائعة آنذاك وجمع بين المعارف الطبية الإفريقية والعربية"[3].

أما عبد الرزاق ابن حمادوش فقد ترك لنا "الجوهر المكنون من بحر القانون" وينقسم إلى 4 أقسام من بينها جزء "كشف الرموز"[4]، و"الدر المصون في تدبير الوباء والطاعون" والطاعون" لأبي راس الناصري، و"إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز عن الوباء" لحمدان بن عثمان خوجة[5]، هذا إضافة إلى الكتب والمؤلفات القديمة لداوود الأنطاكي وابن رشد والرازي وابن سينا والتي اعتبرت موروث طبي إسلامي اعتمد عليه الأطباء المسلمون في معرفة الأمراض والأوبئة وأعراضها وطرق انتقالها وعلاجها[6].

وأشهر الأطباء الجزائريين خلال هذه الفترة عبد الرزاق الجزائري، وهو عبد الرزاق بن محمد بن حمادوش الذي عاش في النصف الأوّل من القرن 18م (12هـ) وهو من مواليد 1107هـ/ 1695م بمدينة الجزائر توفي وعمره 90 سنة في مكان مجهول وقد

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، رحلة ابن حمادوش، المسماة لسان المقال في النبأ عن الحسب والنسب والحال، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، الجزائر، ص 84-85.
[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 446.
[3]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 434.
[4]- عائشة غطاس، المرجع السابق، ص 123..
[5]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 437.
[6]- محمد العربي المشرفي، المرجع السابق، ص29.

درس بوطنه وتقلد وظائف دينية ثم رحل إلى المغرب والمشرق وهو في العشرينيات من عمره وعاصر أحداثا هامة وامتهنت أسرته الدباغة"[1].

اهتم ابن حمادوش بالطب فكان صيدليا، طبيًا، فلكيا منطقيا، وبقيت المادة الطبية المعروضة في كتابه " كشف الرموز" مستعملة في الجزائر خلال السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي وقاما الدكتورين لوسيان لوكلير، وغبريال كولان بترجمة الجزء الخاص بالأعشاب الطبية المعروف ب كشف الرموز وثم نشره بالفرنسية واعترفا به كطبيب جزائري عصري واعتبراه خارج عصره[2]، ومن خلال هذا الاعتراف يمكن اعتبار ابن حمادوش منفرد عن الأطباء الذين كانوا في الجزائر خلال هذه الفترة. وقد استعمل ابن حمادوش في كتابه كشف الرموز ما ألف في الطب العربي الإسلامي، خاصة أرجوزة الطب لابن رشد، وتطرق إلى أدوية جديدة لم تكن معروفة لدى العرب من قبل وهي أدوية عالج بها الأوروبيون مرض السفلس وكان يسمى عند الجزائريين "مال فرانصة"[3] mal Français ويعتبر هذا الكتاب قاموسًا طبيبا، صنفت فيه الأدوية والأمراض التي تعالجها إضافة إلى مختلف المعادن، العقاقير، النباتات والمصطلحات الخاصة بها، كما ذكر عددًا من أسماء الأدوية الواردة على إيالة الجزائر من البلدان الأوروبية[4].

ولعل أهمية كشف الرموز تكمن في كون هذا الكتاب يحتوي على التعريف بالدواء مع ذكر المرض وتحديد منافع النبات ومقادير كل الأدوية بالموازين المستعملة في الجزائر أثناء العهد العثماني، الأمر الذي جعل استعمال الدواء أمرًا مبسطًا لدى السكان[5].

استعمل الجزائريون الكثير من الوصفات العلاجية التي كان يذكرها ابن حمادوش، والتي كانت في معظمها لأمراض كان يعاني منها ساكنة الإيالة الجزائرية بكثرة وشاعت بينهم، كما أن طريقة علاجه كانت تعتمد على مجموعة من الأعشاب كانت متوفرة للجميع، ولم يكن يصعب الحصول عليها، وسنذكر بعضا من هذه الوصفات لاحقا.

1- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 3.

2- راجع Dr G. Goldin « Abderrazak Aldjazairi, Un médecin arabe, du XIIé siècle de l'Algérie, Thèse de médecine, Monpellier 1905, , Dr L. Le clerc, traduction en arabe de kachefer Roumouz, Révalations de Enigmes d'Abder Rezzak Edjezairi, traite de matière médicale arabe, Balliére, Paris, 1874

3- أبو القاسم سعد الله، رحلة ابن حمادوش، ص120.

4- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 446.

5- نفسه، ص 448.

كما لا يجب إغفال دور مدرسة تلمسان الطبية التي برزت واشتهرت بفضل مؤلفات محمد بن يوسف السنوسي وابراهيم بن أحمد التلمساني[1]، ومدينة ندرومة التي كانت تعز وتفتخر بالمتطبب أبو عبد الله محمّد بن محنون الندرومي الذي مارس الطب بإشبيليا وقرطبة[2]، دون أن ننسى مؤلفات محمد ابن رجب الجزائري حول الطاعون تحت عنوان الظر الماسون في تدبير الوباء والطاعون[3]، وكذلك أبي راس محمد الناصري المعسكري الذي يعد من أبرز علماء الجزائر في الفترة العثمانية، حيث عرف بتأليفاته الكثيرة والتي بلغ عددها 140 كتاب من بينها كتاب حول مرض الطاعون[4].

وقد ذكر pyssonél"" بايسونيل أن سكان الجزائر لم يكونوا يعلمون شيئًا عن الطاعون وكيفية انتقاله وانتشاره. وهذا ما جعلهم لا يحسنون التصرف في تلك المحن الوبائية[5].

وقد كانت الذهنية السائدة لسكان الإيالة أنهم لم يكونوا يهتموا بالتطعيم ضدّ الأمراض لاعتقادهم بأن ذلك يتنافى مع تعاليم الديني الإسلامي، وأن الوباء ما هو إلا قضاء وقدر[6]، وهذا يدل على ما كان عليه الساكنة من إيمان بقضاء الله وقدره وتسليمهم بمشيئة الله عز وجل، ولكن هذا أيضا يتنافى مع ما ذكرنا سابقا خصوصا ما جاء في الأحاديث النبوة التي تدعوا إلى الحذر من الوباء وعدم دخول الأرض التي ينتشر فيها، فالسكان كانوا مسلمين بالعقيدة ولكن لم يكونوا يأخذوا بالأسباب في مواجهة هذه الأوبئة ومقاومتها أو تجنبها، وهذا ما أنكره حمدان خوجة على المجتمع الجزائري كما ذكرنا سابقا.

ولم يكن هنالك تطعيم في أوسط الساكنة وأول من قام به هو "الداي حسين" الذي قام بتطعيم أولاده عند أحد الأطباء الإنجليز يدعى بوهن "Bohan"، وهذا ما أحدث القيل والقال داخل المجتمع في مدينة الجزائر[7].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 436.

[2]- نفسه، ص 437.

[3]- نفسه، ص 432، وانظر مصطفى الخياطي، المرجع السابق، ص 121.

[4]- ابن أبي أصبيعة، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء وطبقة الأطباء الذين ظهروا في بلاد المغرب وأقاموا بها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1998، ص 537.

[5] - Peysonnel Jean André, (1694-1759), Voyage dans les regences De Tunis et d'Alger, Librairie de Guide, Editeures animales des voyages, 1838, p 228.

[6] - Charles Feraud, Laurent, Histoire de s villes de la province de Constantine Lacales et documents pour servir à à l'histoire des anciennes concessions françaises d'afrique, imp.V.Aillaud, et cig, Alger 1887, p 396.

[7]- أف شونبيرغ، المصدر السابق، ص 49.

ولعل سبب رفضهم التطعيم ضد الأوبئة أنه يتنافى مع القيم الإسلامية العقائدية خاصة التسليم بأمر الوباء واعتباره قضاءًا وقدرًا وكذلك اعتبروه استعانة بغير المسلمين[1]، وهذا ما حدث حتى بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر حيث يذكر " محمّد بن العربي" أن الأهالي رفضوا التطعيم بعد انتشاروباء الجدري إلا قلة منهم، أجبرت من طرف السلطات الفرنسية على أخذ التطعيم [2].

كما أن العامل الرئيسي الذي ساهم في انتشار الأوبئة بشكل سريع هو غياب المستشفيات والرعاية الطبية. فمدينة الجزائر وباعتبارها عاصمة الإيالة لم يتجاوز عدد مستشفياتها في بداية القرن 19م خمس مستشفيات فقط[3]، ومن بين هذه الخمس مستشفيات واحد إسباني والآخر فرنسي تابعين للإرساليات المسيحية أو جمعيات الأسرى الإسبان والفرنسيين. وقد قدر عدد سكان مدينة الجزائر 250 ألف نسمة أي أنه كان لكل 50 ألف شخص مشفى واحد، خصوصًا إذا علمنا أن المستشفيات كانت صغيرة إذ أن أغلبها لم يكن يتسع ل 100 مريض.

2- تأسيس بعض المرافق الصحية:

أول مبادرة قام بها البايلرباي حسن باشا ابن خير الدين بربروس الذي أمر ببناء مستشفى صغير أو مصحة " مارستان" للإنكشاريين والشيوخ والعجزة في 20 جوان 1544م[4]، بينما يرجع هايدو بناء هذه المصحة إلى سنة 1549م وأنها تتكون من 5 قاعات: 2 في الطابق السفلي و3 في الطابق الأعلى وأن المريض كان مطالبًا بالقدوم إلى هذه المصحة بفراشه، أدويته، غذائه، طبيبه[5] وهذا فيه نظر.

وعمومًا تميزت الإيالة الجزائرية بالفقر من حيث الهياكل الصحية مقارنة بالإيالات العثمانية الأخرى فمعظم المرافق الصحية كانت عبارة عن ملاجئ ومصحات صغيرة لا توفر العلاج للمرض، لهذا كانت الزوايا تتكفل بالصحة العمومية بمبادرة شخصية من تحمل

1- نفسه، ص 29.

2 - Mohamed Ben Larebey, La médecine arabe en Algérie, Thèse pour le doctorat en médecine, Présentée et soutenue le 16 Juillet 1884, Président Mr Béclard, Faculté de médecine de Paris, année 1884, N 291. p 33.

3- أف شونبيرغ، المصدر السابق، ص 74-86.

4 - H.D de Grammont, Op.cit, p 77.

5 - Haedo, Topographie , In R.A. N°15, année 1871p176, pp 202.

للمصاريف اعتمادًا على مداخيل الحبوس[1]، فكانت تأوي الفقراء العجزة، المعوقين وكانت توزع عليهم أثناء المناسبات اللحم، القمح، الزيت وكانت مأوى للمرض وملجأ للمسنين والفقراء[2].

أما البايلك فكان يوزع الصدقات على الفقراء أما على مستوى الأعراض والقبائل فكان المحتاج على عاتق شيوخ القبائل وبالتالي كانت المستشفيات والملاجئ غير موجودة في إيالة الجزائر، وفي المقابل نجد أن تونس ثم تأسيس أول مارستان بها عام 1662م خصص لإيواء المرض والفقراء واليتامى من العرب والأتراك[3]، ولهذا كتب لوجي دي تاسي Lauger de Tassy في منتصف القرن 18م:" لا يوجد طبيب في مدينة الجزائر ولا في بقية الإيالة" لكن في المقابل نجد المتطببين الذين اكتسبوا مهارة في علاج بعض الأمراض اعتمادًا على أدوية أثبتت فعليتها[4].

3- سياسة السلطة الحاكمة في مواجهة الأوبئة:

إن معظم المصادر والمراجع والمراسلات تؤكد أن معظم الحكام لم يكن لديهم اهتمام بالجانب الصحي للسكان، ولم تكن لهم سياسة واضحة اتجاه الأوبئة التي كانت تضرب الإيالة وهذا ما يتجلى بوضوح في طاعون 1718م حيث لم يتخذ الدّاي وأعضاء الديوان اتجاه هذا الوباء أي إجراء والذي كان سببه سفينة قادمة من الاسكندرية رمت بميناء الجزائر وثم تفريغ بضائعها رغم انتشار الطاعون بين المسافرين، ونجد العكس في ذلك عند وباء 1720م الذي ضرب مارسيليا واتخذت الإيالتين الجزائرية والتونسية إجراءات مشددة تمثلت في عدم السماح للسفن بالرسو في موانئها[5].

ونجد السلطة في كثير من الأحيان تبقى محل المتفرّج على هذه الأزمات دون أي رد فعل احترازي، والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها ما ذكر أثناء الحديث عن وباء سنة 1740م، حيث اشتبه الناس في وجود الطاعون على متن السفينة الواردة من الإيالة المصرية، وتقدم القنصل الفرنسي بعد أن أعلمه قبطان السفينة بأنها تحمل مصابين بالوباء،

---

[1]- فلة موساوي، المرجع السابق، ص245.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 270.

[3] - M. Abid, Notes sur l’organisation médicale dans la Tunisie du XIX siècle In R.H.M 22e.A. N° 79-80 , Mai 1995, p 475.

[4] - P. Boyer, L’évolution de l’Algérie médicale (Ancien Dpt de 1830 à 1956) libre d’Amérique et d’Orient, maison neuve, Paris, 1960, p 75-76.

[5] - Jean Marcheka, Op.cit, p 17-18.

حيث تقدم إلى الداي يطلب منه اتخاذ الإجراءات اللازمة لمنع تفشيه داخل المدينة، لكن الداي تصرّف بنوع من الأنانية والتعالي ورد على نائب القنصل الفرنسي:" بأن سبب خوفه من هذا الوباء هو كونه مسيحي يخشى الموت، أما هو يعني (الداي) فلا يخاف الطاعون ولا يصاب الموت، وأنه إن حاول الدخول سيتصدّى له بالمدافع كما يتصدّى للأعداء، وإلا فهو قدر محتوم..."، وأمر من ساعته بإنزال البضائع وتوزيعها على أصحابها والسماح للركاب بالنزول من على متن تلك السفينة[1]، وقد كان هذا القرار سببا في تفشى الطاعون في المدينة خلال تلك السنة والسنوات التي بعدها وقضى على الآلاف من سكان مدينة الجزائر وامتد إلى خارجها وإلى المدن الأخرى خصوصا بايلك الغرب.

وكذلك الدّاي دالي ابراهيم الذي لم يهتم بالإجراءات الوقائية وهذا ما أظهره خلال مجلس الديوان حيث توفي أحد الموظفين فواصل الداي الجلسة دون أن يتأثر بما وقع[2].

ونقف على نفس الأمر مرّة أخرى إذ سمح لسفينة بالرّسو في ميناء الجزائر في 17 رمضان / 29 جويلية (1238هـ/ 1817م) وكان بها حوالي 200 شخص من بينهم ابن الدّاي، وأن جميع من كان في الميناء كان يعلم بأنه حوالي 40 شخصا لقوا حتفهم بالوباء داخل السفينة، وبقي حوالي 25 شخصا مصابون بنفس الوباء، ولكن السلطة لم تقم بأي إجراءات تحميها من انتشار هذا الوباء[3].

كما أن السلطات كانت تفضل أن يبقى امر الوباء سرا ولا يصل إلى مسامع الدول الأوروبية، وهذا خوفا من اتخاذ هذه الدول إجراءات منع التبادلات التجارية مع الجزائر خوفا من انتقال الوباء إليها.

ولكننا في المقابل نجد بعض الإجراءات والمساعي التي قام بها بعض البايات والتي قام بها بصفة شخصية دون أخذ رأي الدّاي لحماية بيلكه من المجاعات والأمراض والأوبئة، حيث قام الباي "محمد الأكحل" باي بايلك الغرب بإنشاء مخازن للقمح وفتح هذه المطامير للناس في أيام القحط، أو عرض مخزونها في السوق من أجل ضبط الأسعار، وفي هذا يورد صاحب مخطوط النبذة في سيرة محمد باي الكبير بقوله: "... غير أنه في

---

[1] - M. Faroux, Mémoire de la congrégation de la mission, p31.
[2] - Jean Marcheka, Op.cit, p 85.
[3] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p375.

ابتداء ولايته وقع قحط شديد بإقليم الجزائر خصوصا بعمالته (يقصد بايلك الغرب) وهذا ولما كان ادخر حبوبًا كثيرة أخرجها للأسواق عندما غلت الأسعار..."[1].

ونجد الدّاي محمد بن عثمان خوجة خلال سنة 1781م/1195هـ والذي رفض لإحدى السفن الفرنسية القادمة من مارسيليا الرسو في مدينة الجزائر لاشتباه إصابة طاقمها بالطاعون، ولكن هذا لم يكن ناجحًا، حيث قام مجموعة من الأشخاص بمساعدة السفينة على الرسو في ميناء مدينة عنابة وتسرب خلالها الوباء إلى باقي الإيالة[2].

وقام باي الشرق "صالح باي" في أواخر القرن 18م بفرض طوق وحصار على المناطق المحاذية لتونس وهذا لمنع دخول الوباء الذي كان منتشرًا [3]، نجد داي الجزائر سنة 1786م/ 1200هـ يرفض استقبال سفينة قادمة من تونس على متنها عائلات تونسية اشتبه في إصابتهم بالوباء [4].

ويذكر هايدو فرار الباشا محمد تركلي من مدينة الجزائر خوفًا من الطاعون حيث اختفى تحت خيمة بمنطقة رأس كاكسين cap caxines)) [5]، كما نجد باي بايلك الغرب الجزائري "محمد باي الكبير" فيما ذكر مارشيكا بأن من قام بذلك هو عثمان بن محمد باي الكبير وهذا سنة (1208هـ/1794م) بالخروج وأهله وحاشيته من المدينة إلى سهل ملاتة خلال الوباء الذي ضرب بايلك الغرب عام 1794م والذي سماه السكان " طاعون عثمان" والذي ترك أثرًا كبيرًا في ذاكرة سكان البايلك بحيث تحصّن هناك مدّة من الزمن، قدّرتها بعض الدراسات بثلاثة أشهر[6]، ولم يعد إلى المدينة إلا بعد أن اطمئن بأنها خالية من الوباء، كما لم يستقبل باي بايلك الغرب سفينة كبيرة كانت قد أتت من الإسكندرية وعلى متنها عدد كبير من الحجاج وذلك بسبب وجود عدد من المصابين بالمرض على متن هذه السفينة[7].

وقام أبناء باي حسن بن علي أثناء الوباء الذي أصاب الجزائر سنة 1741م/1153هـ بنفس الأمر، حيث فضلوا الابتعاد إلى الأماكن خاصة البعيدة عن الوباء [8].

---

[1]- نبذة من سيرة الباي محمد الكبير (مخطوط)، المكتبة الوطنية الفرنسية، باريس، مخطوط رقم (5022) [و/2]

[2]- Marth Conor, Op.cit (A.i.P.T), p 222.

[3]- Adrien Berbrugger, Op.cit, T2, p 212.

[4]- Marth Conor, Op.cit (A.i.P.T), p 226.

[5] - E. Watble D : Document in éditeur l'assasinat du pacha Tekrli (1556-1557) In R.A N°15, année 1871, p 338.

[6] - Walsin Esterhazy,Op.cit, p 196.

[7] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p394.

[8] - Jean Marcheka, Op.cit, p88.

وانتهج الحكام أسلوب الفرار في مناسبات عديدة كما حدث في طاعون سنة 1741م الذي راح ضحية أزيد من 5 ألف نسمة من مدينة الجزائر أما الدّاي فحجر نفسه في إقامته الريفية هروبًا من الطاعون ورافضًا أي احتكاك بالخارج[1].

وهذا الإهمال أدى لنتائج كارثية على سكان الإيالة وحتى على الحكام الذي تسبب إهمالهم في وفاتهم كما حدث مع الدّاي علي شاوش الذي توفي إثر حمى شديدة في جانفي 1718م/1130هـ رافضًا العلاج ومعتقدًا أنّ " ما هو مكتوب هو مكتوب، فلا مفر منه" [2].
.[2]

ونجد أيضا وباء سنة 1786م/1200هـ كان مصدره سفينة حيث سمح الدّاي محمّد بالرسو في ميناء الجزائر وكانت قد ظهرت عليها عناصر معدية وموبوءة، ونجد أحيانًا أن الكثير من الحكام كان يهدّد كل من يشير إلى الوباء أو الطاعون بدفنه حيا وهذا ما صرح به الداي في وباء جوان 1817م/1201هـ[3]، وكان الحكام يأمرون بجلد من تكلم عن المرض أو الوباء وهذا ما وقع يهوديين وبسكريين في 05 أوت 1786م/ 10 شوال 1200هـ[4].

ولهذا نجد "حمدان بن عثمان خوجة" بعد خروجه من الجزائر ومعاينته للإجراءات الصحية والاحترازات في الأماكن التي زارها، أرسل خطابًا في شكل كتاب إلى حكام الدولة العثمانية في الباب العالي يحثهم على ضرورة الأخذ بالإجراءات الصحية الوقائية، فاقترح تطبيق نظام حجر صحي على الموانئ العثمانية، كما شدد على ضرورة تعيين طبيب حاذق، له القدرة على التفريق بين الأمراض والأوبئة وغيرها واعتبر وجود هذا الطبيب واجبًا شرعًا لا مناص منه لحفظ نفوس المؤمنين [5].

ومن خلال كل ما ذكرنا كان الموقف الشائع والغالب عند الحكام اتجاه الأمراض والأوبئة في الهروب منه أو الاستلام للقضاء والقدر واعتبار الأمراض والأوبئة أمرًا حتميا لإرادة الله تعالى من عقاب أو ابتلاء، وكان الاعتقاد المشترك بين الحكام والسكان هو أن تسليط الأوبئة ما هو إلا تعبير لغضب الله وتعالى على عباده لارتكابهم المعاصي[6].

---

[1] - H.D de Grammont, Op.cit, p 88.
[2] - H.D de Grammont, Op.cit, p 278.
[3] - J. Marchika, Op.cit, p 154.
[4] - idem, p 123.
[5]- حمدان بن عثمان خوجة، إتحاف المنصفين والأدباء بالاحتراز من الوباء، المصدر السابق، ص 47.
[6] - J. Fouqueron, Essai topographique sur la régence d'Alger just Rouvier, Paris, 1833, p 123.

ثانيا- نظرة السكان للأوبئة وطرق معالجتهم لها:

لقد كان للسكان بمختلف أطيافهم وتوجهاتهم نظرة موحدة عن الوباء، ولكنها اختلفت عن نظرة المسيحين واليهود والسلطة الحاكمة، فسكان الأرياف والمدن كانت لديهم نظرة عقائدية دينية أحيانا، ونظرة ذات خلفية تعتمد على مخيالهم الذي ورثوه من العادات والتقاليد، أما السلطة الحاكمة فكانت نظرتها سطحية لم ترقى لما كانت تخلفه الأوبئة من موت وهلاك، إلا بعض البايات الذين كانوا استثناء كمحمد الكبير، ولهذا نجد أن السكان اعتمدوا على طرق علاج اختلفت ما بين الطبية الشعبية، وبين الموروثة عن الأجداد والتي تميزت بصبغة روحانية كالرقية والسحر والشعوذة وزيارة الأولياء الصالحين، وهذا يختلف تماما عما كان يستعمله المسيحيون وحتى اليهود في مواجهة هذا الوباء، ويعود هذا الاختلاف هو نظرة كل طرف للوباء وتعامله معه وفق ذلك.

1- نظرة السكان للأوبئة:

تميزت نظرة السكان للأمراض والأوبئة بنفس رؤية الحكام، وغلب عليها صبغة الاستسلام للقضاء والقدر وقبول ما تسلط عليهم من أمراض وأوبئة باعتبارها تعبيرًا عن غضب الله تعالى على عباده وبالتالي تصور السكان أي مرض كعقاب من الله تعالى[1]، وهذا التصور لم يكن سائدا فقط عند سكان الإيالة الجزائرية، بل كان موجودًا عند مختلف المجتمعات الإسلامية وحتى المسيحية، حيث كان الاعتقاد السائد بأن الوباء غضب إلهي لما ارتكبه عباده من معاصي وآثام[2]، كما أن هذا التصور خلق نتيجة عكسية للسكان وهي قبول المرض لدرجة عدم التحلي بالحذر والوقاية من العدوى ومن المصابين به، فمثلا كانت النساء تصبن بأمراض معدية بمجرد احتكاكهن بالجثث وبكائهن عليها، وهذا ما يدل على الاستسلام المطلق والتخلي عن أبسط طرق الوقاية لتفادي انتقال العدوى لاعتقادهم بأن الأوبئة تتردد على الناس ثم تزول وفقا لإرادة الخالق عزّ وجل دون أن يتمكن المخلوق من تغيير ما يحل به أو يتعرض له[3].

[1] - A.D.B.R, Série 200E 456 correspondance du consul de salé adressé à L'I.S.M le 07/06/1785
[2] - Francs-Tireurs de la médecine in Rev au Trement 9/77, p 190.A.D.B.R, Série 200E 454 (1723-1748) correspondance consulaire à L'I.S.M le 07/6/1785.
[3] - Ivan Illiche. Némésis médicale, L'expropriationfe la santé . ed seuil ; Paris, S.D p 21.

وترددت فكرة وتصور غضب الله عند مختلف الشرائح الاجتماعية[1]، ومن ثم قبول الألم بكل كرامة باعتقاد أن الخالق هو الذي يصيب المخلوق بالدّاء وهو الشافي، الأمر الذي جعل بعض الأوساط الشعبية تعتقد أن المرض ذهب والله تعالى يشفي المريض وفقا لإرادته"[2]، ومما كانوا يرددونه بالدارجة او اللهجة الجزائرية أبيات شعرية :

الحْبُوبَة جَاتْ في البلاد وْصَل الطَاعُون للبلاد

يا رب احْفَظ قْبِيلْتي

وْصَل الطاعون لَقْبيلْتي يا رب احْفظ دَوَارِي

وْصَل الطاعون لْخَيْمتِي يا رب احْفَظ رَاسِي[3]

وأدى استسلام أغلبية السكان للمرض والوباء باعتبارهم قدر إلى عدم التكفل بالمرض الذي كان يصيبهم حتى رفض البعض منهم العلاج الذي كان معمولاً به في تلك الفترة[4].

ولكن في المقابل نجد أن حدوث الوباء كان يثير الخوف والهلع عند الحكام والسكان على حدّ سواء، وهذا ما جعلهم يقومون بتصرفات تلقائية لا إرادية كالهروب من الأماكن الموجودة، ومغادرة كل ما كانت تملكه تلك القبائل والأعراش من أراضي وديار، فمثلا فرّ سكان مدينة تلمسان إلى المناطق المجاورة أثناء وباء سنة 1557م/964هـ[5].

وأدى وباء (طاعون) 1683م/1094هـ، إلى هروب الأتراك نحو الأرياف[6]، كما غادر أهل مدينة الجزائر ديارهم وأملاكهم هروبًا من طاعون عام 1740م/1153هـ[7]، وقد وقد فرّ اليهود القاطنين بوهران أثناء وباء 1817م/1232هـ إلى المناطق المجاورة[8].

لقد كان الفرار أمرا حتميا لجأ إليه السكان والأجانب وكان مؤقتا، فيستحيل عليهم مغادرة أملاكهم وأراضيهم بصفة نهائية والجدير بالذكر أن الهروب والفرار من الوباء كان سلوك في المجتمعات العربية سواءً من طرف الحكام أو السكان، فكان الأغنياء والفقراء

---

[1] - La science moderne « l'art de guérier. Evolution doctorinale et diffusion didactique : origines métaphysiques de la maladie, P.U.F.S.D , p 155.
[2] - E.Daumas. mœurs et coutumes de l'Algérie, ed Sindbad, Paris, 1988, p 64. , Op.cit, p 67.
[3] - Daumas, Op.cit, p 67.
[4] - Dr Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, Traduit de l'anglais par J. Maccarthy, ed Bouslama, Tunis, 1980, p 81.
[5] - J. Marchika, Op.cit, pp 28-29..
[6] - Ibid, p 63.
[7] - Idem, p 86.
[8]- فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص 291.

يهربون من مناطق الوباء، مما أدى إلى خلو وهجر العديد من المدن، وقد انتشرت هذه الظاهرة الاجتماعية إلى غاية القرن 17م عبر أوروبا، ثم في بلدان المشرق والمغرب[1].

2- مواجهة السكان للأوبئة:

كان الأطباء يعطون وصفات طبية تمنع استفحال الأمراض الوبائية المعدية كنبات القشاع، الزنجبيل، القرفة لمن تظهر عليهم أعراض مرض الزهري [2]، كما كانوا يحثون من من ابتلي بداء الجرب بأن يفرك جسمه بخليط من الكبريت والبازلاء كل ليلة حتى لا يعطي أي فرصة لظهور البذور أو غيرها على جسمه.

كما أن الخوف من الطاعون كان يحمل الناس وخاصة التجار على التزام بيوتهم والإغلاق على أنفسهم واعتزال الناس إلا بقدر محدود[3]، وهذا ما ذكره الأب Poiret)) أن سكان القبائل التي مرّ بها كانوا يحتمون بخيامهم ولا يخرجون منها إلا ّلضرورة ما [4].

ولكن نجد في المقابل تصرفا مغايرا للسكان فما يلبث أن يشيع خبر وفاة أحد الناس بالطاعون أو بغيره، إلا واجتمع عليه عدد كبير من الناس لتشييعه، وهو ما يضاعف إمكانية الإصابة بالعدوى وانتقالها من شخص إلى آخر[5]، وهذا تصرف بالفطرة لتجهيز الميت والقيام بواجب العزاء وفق ما ينص عليه الدين الإسلامي، وهذا دليل على الالتزام بتعاليم الدين من طرف المجتمع الجزائري خلال هذه الفترة حتى وإن كان الوضع وبائي.

ومن الإجراءات التي اتبعها السكان لمواجهة الأوبئة ما تنقله بعض التقارير للسلطات الفرنسية في الجزائر عن محاولات السكان التعامل مع الإصابات الوبائية من خلال الإكثار من الاغتسال والوضوء للقضاء على العرق السائل من جسم المريض بغزارة، وأيضا تعاطي المريض أكواب من القهوة المركّزة التي يضاف لها أعواد من شجر الكينا وإضافة الكثير من الليمون لهذا الشراب[6]، وهم من خلال هذا المشروب يريدون تزويد الجسم

---

[1] - J.N.Biraben, Les hommes, TII, pp 60-61.

[2]- مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص 91.

[3] - Arnoult Bossu, Op.cit, M.C.M T3, p 227.

[4] -Jean Louis –Marie Poiret, Voyage en Barbarie ou lettre écrite de l'ancienne Numidie pendant les années 1785-1785-1786 sur la région, les coutumes et les moeurs des maures et des arabes-Bédouins avec un essaie sur l'histoire naturelle de ce pays, lettre N°5, Editeur chez J.B.F Née de la Rochelle, 1789, Lettre N°27, p 29.

[5] - Jean Alazia, Mémoire adressé par M. Alazia au Roi de Sardaigne dans mémoire de la congrégation de la mission, p 450..

[6] - Boutin Vincent, yves, Op.cit, p 142.

بالطاقة وتمكينه من الحيوية وهي الأمور التي يفقدها الشخص المصاب بالطاعون، وهذا ما كان يسمح بتزويد المريض أو المتعافى ولو بشكل مؤقت بالطاقة لحيوية.

إن الالتزام بهذه الاحترازات كان مؤقتا وارتبط بظهور الوباء ولم نقف عليها قبله أو في فترات العافية، حتى بداية القرن 19 أين ثم الاعتماد عليها بشكل أكبر ولكن على نطاق ضيق، إذ كان بعد الأخذ بهذه الاحترازات ومسببات انتقال الطاعون من فرد إلى آخر نوع من أنواع الرفض الإلهي وعدم الرضا بالقضاء والقدر لهذا نجدهم لا يتورعون عن الاتصال بالمرضى بالطاعون[1].

وكان يتم علاج الأمراض المعدية من خلال ما توارثه واقترحه قدماء الأطباء العرب كاللجوء إلى الفصد وعدم البقاء تحت الشمس والرياح وتفضيل الأماكن الباردة وتبخير المنازل بالورود والرند ومزجها بالكافور وخشب الصندالّ، كما كان ينصح بتطهير الهواء عن طريق تبخير السندرق، سندروس والجاوي والميعة والصبر، وضرورة تهوية المنازل والسهر على نظافة الجسم وتناول أكل مغذي وطاهر[2].

كما كان يتم العلاج عن طريق الزهرة الياقوتية والأحجار الكريمة والياقو.ت الأحمر لتفادي الطاعون وحماية الطفل من هذا المرض الخطير بوضع دوافع الفيل على رقبته[3].

أما تشخيص المرض فكان يتم الخلط بين الأمراض ويعلل كل داء بالفساد أو الحبوبة وكانت تستعمل بعض التسميات للأمراض كمرض البطن ومرض السعلة بعموم مرادها. وهذا ما دفع شاو للقول:" ..لقد دامت إقامتي بمدينة الجزائر 12 سنة رأيت خلالها عددًا ضئيلاً جدًّا من الأطباء الذي يعلمون بالرازي وابن رشد وأطباء العرب القدماء...، وقد سألني طبيب الداي إذا كان المسيحيون يعرفون بوقراط، كان يقصد أبو كرات، مضيفًا أنه كان أول حكيم أو طبيب عربي قبل ابن سينا.."[4].

أما بخصوص طرق التداوي فلاحظ شو أن الناس يرضون بالقضاء والقدر ويسخرون مما يقدمه لهم الطب، ويلجؤون في المقابل إلى استخدام الحمامات المعالجة كثير من

---

[1] - Jean Marcheka, Op.cit, p 181.

[2]- فلة موساوي القشاعي، المرجع السابق، ص 183.

[3] - U. Manfred, La médecine islamique, traduit de l’anglais par Fabienne Hareau, P.U.F, Paris, 1995, pp 105, pp 105-106.

[4] - Lamarque, Op.cit, p 49.

الأمراض، كما يستخدمون الكي بواسطة حديدة تسخن على النار يكوي بها موضع الألم على أن يتكرر ذلك عدّة مرات حسب شدته وقدرة المريض على تحمّل الكي. وهناك حالات يستخدم فيها تراب يغلي فيه بعض الأعشاب المداواة الأمراض الاعتيادية[1].

3- العلاج بالأعشاب:

وهو ما يسمى أيضا بالطب الشعبي وهو التقليدي وكان منتشرا في البادية والأرياف والتي كانت تضم أغلبية السكان وهو يعكس الموروث الاجتماعي للعادات التي توارثها الأجيال عبر العصور، وكانت طرقه بسيطة غير معقدة على النباتات والأعشاب حث كانت مهنة الطب يرثها الابن عن أبيه أو جدّه حسب هيلتون سيمبسون[2]، وكانت غير مدونة وأكثرها شفهية[3]، كما كانت بعض العائلات متخصصة في مجال معين من الطب كالحجامة والختان والجبر، وكان الطبيب يمارس مهنته للاسترزاق في الأسواق الأسبوعية، فكان يعرض خدماته داخل أو خارج خيمة ينصبها[4].

وكان الطب الشعبي يعتمد أساسًا على الطب النبوي بما احتواه من توجيهات وقائية وعلاج وكان بعضهم يزيد فيه ما درسه وقرأه في كتب ابن سينا والرازي ومنهم من سافر إلى الحجاز واحتك بأطباء آخرين وزادت معرفته وكبرت شهرته ومنهم من كان يعتمد على كتب الحاج التلمساني، وأبي النصر المعروف بكوهن العطار، والأنطاكي وكشف الرموز لعبد الرّزاق ابن حمادوش[5].

وقد تفاوتت شهرة وخيرة كل طبيب عن الآخر فكان هناك: الطبيب، المتطبب، الجراح، الحكيم، القابلة، الخبير، الطالب طبيب العيون، حكيم الصفرة، طبيب الأضراس، الحجام الختان، الكياس...إلخ[6]، ويلخص أبو القاسم سعد الله حالة الطب في الجزائر العثمانية العثمانية وخاصة الطب الشعبي قائلاً: ".. كانت العناية بالعلوم الطبية أكبر عناية من العلوم الأخرى ما عدا الفلك خلال العهد العثماني ذلك أن الإنسان كان في حاجة إلى المعالجة،

---

[1] - Shaw, Op.cit, pp 81-82.

[2] - Hilton Simpson, Arb médecine and surgerry. Astudy of the heoling art in Algeria ed. London. Oxford university press. 1922, p 7.

[3] - ibid, p 8.

[4] - Abid Larbi, La pratique médicale en Algérie, éditions ANEP, 2008, p 09.

[5] - Hilton Simpson, Op.cit, p9.

[6] - Abid Larbi, Op.cit, p08 .

سواءًا كان في أعلى مكان أو أدناه، حقا إن الإيمان بالقضاء والقدر كان مسيطرًا في هذا الميدان على العقول بصفة عامة، ولكن بعض الناس كانوا يؤمنون بالعلاج والتداوي واتخاذ الوسائل والأسباب للمحافظة على الصحة...ولذلك وجدنا بعض التآليف والرسائل والأراجيز في علم الطب وفروعه، ووجدنا عدد من المتطببين أيضا، ومع ذلك فإن الخرافة أخلطت بالطب في معظم الأحيان، فالعامة كانت تؤمن بالتداوي بالشرب من بئر معينة أو بتعليق تميمة أو بزيارة ولي كما أن النسوة كان يؤمن ببعض الأسباب الغير طبية للبرء من العقم وحفظ الولاء بين الزوجين، ومعظم الأدوية الشائعة كانت تتناول الجانب الخارجي من جسم الإنسان، فالجراحة ونحوها كانت شبه معدومة، وتنحصر في العمليات البسيطة...وكان بعض العلماء وأشباههم يركبون الأدوية من النباتات المتوفرة في البلاد ويصنعون المعاجين والأشربة ويستعملون وسائل الكي والحجامة ونحو ذلك وقد وضعوا مجموعة من الوصفات للتغلب على بعض الأمراض الشائعة كوجع الرأس، والمعدة والحروق والإصابات الجلدية وبعض الأعضاء التناسلية وجمع المفاصل وغيرها. كما نجدهم قد عينوا أدوية خاصة للتغلب على السموم والتأثيرات الخارجية الأخرى كالإصابة من حرارة الشمس..." [1].

وكان الطب الشعبي في أغلب الحيان يتناول الجانب السطحي من جسم الإنسان لهذا غلبت عليه البساطة فمثلا كانوا يتغلبون على الحمى بنيات الشندقورة والتورم بالحناء[2].

ومن أبرز الأطباء الشعبيين نذكر: محمد بن أحمد الشريف الحسني: عاش بتلمسان وكان صوفيا لكنه اهتم بالطب، وألف رسالة فيه تتكون من 13 صفحة سنة 1149هـ/ 1728م شرح فيها الحديث المتعلق بالحماية من الوبئة وأهدها بنفسه إلى السلطان العثماني أحمد باشا في 1149هـ/ 1728[3].

ونذكر أيضا الطبيب عبد الله بن عزوز المراكشي التلمساني المشهور ب (سيدي بلال)": جمع بين التصوف والطب، له مخطوط من 118 صفحة موجود بمكتبة باريس تحت رقم 4758 بعنوان:" ذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة"

---

[1]- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830،ج2، المرجع السابق، ص 416-417.

[2] - Shaw.T. Dr Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, Traduit de l'Anglais par J. Maccarthy 2ème édition Tunis, 1980, p 57.

[3] - M. Khiati, Op.cit, p115.

وقد قسم هذا المخطوط إلى 70 فصل كل فصل يختص بموضوع تحدث فيه عن الطبيعة، العلم والحكمة، العلم والطب، التوليد، وخصص الفصل الأخير منه لوصف المعدة وأمراضها وعلاجاتها وخصص لكل مرض علاجه، توفي سنة 1204هـ/ 1783م، وأيضا سعيد بن أحمد المقري فقيه وعالم ولي تلمسان سنة 928هـ/ 1522م وكان طبيبا أيضا كان مفتيًا بالجامع الكبير اشتهر في فن الطب والجراحة وقد توفي سنة (1011هـ/ 1603م) وهو عم صاحب نفح الطيب [1].

وهنا سنكتفي بذكر بعض الوصفات التي ذكرها ابن حمادوش للأمراض التي كانت منتشرة بين الأهالي بكثرة، وكان الأهالي يستعملون هذه الأعشاب في علاجها.

أ-علاج الحمى:

اقترح لعلاجها الكنينة ويقول في هذا الباب:" ثم مسني المرض وكانت إصابتي بالحمى شديدة فلم أستطع القراءة حتى ألهمني الله أن أشتري ثلاثة اثمان من الكين كنينة... دققتها وشربتها في فنجان قهوة من البن فكان آخر ما رأيت من الحمى، والحمد لله"[2].

وكانت هناك طرق أخرى لعلاج الحمى، فعندما كان يصاب الجذافون المسيحيون على السفن الجزائرية بالحمى كان رب السفينة يرغمهم على الاستمرار في الجذف ويطعمهم بالخبز المجفف والماء العذب واللحم المملّح وكان ذلك يساعدهم على إخراج العرق مما كان يعجل شفاؤهم [3].

ب-علاج داء المعدة:

أما بالنسبة لداء المعدة فقد نصح ابن حمادوش بتناول المعاجين والأشربة ويقول في هذا الشأن:" ركبت معجون على منوال معجون الفلاسفة، وسميته معجون الواحد، ثم طبخت شراب المصطكي وهو من أفخر الأثرية وهو في منافعه يقوم مقام الخمر وصفته أوقية مصطكي تطبخ في 5 أرطال الماء حتى يبقى أقل من النصف ثم يصفى ويلقى عليه مثله

---

[1]- نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر وبيروت، لبنان، 1400هـ-1980م، ص 311-312.

[2]- أبو القاسم سعد الله، رحلة ابن حمادوش، المرجع السابق، ص82.

[3]- A. Berbrugger, Charte des hopitaux chrétienns en 1964, IN R.A N° 8 Algrer 1864, pp 133-134.

عسل منزوع الرغوة ويطبخ حتى يكون في قوام الأشربة ويحفظ فتلقى أوقية منه في رطل من ماء ويشرب وهو نافع جدًّا وبالله التوفيق"[1].

وكانت الطريقة الشعبية في علاج الالتهابات الرئوية كالسل تتمثل في استعمال أغصان الدفلى كبخور[2].

وكان سكان الأرياف يلجؤون إلى استخدام الأعشاب لمداواة الحمى والإسهال ويعلقون التمائم التي يعدّها لهم "الطلبة" أملاً في الشفاء، حتى إذا اضطروا إلى بتر عضو بتروه باستخدام سيف، أما الجراح فتوضع عليها الزبدة الطرية علاجًا لها، وإذا أرادوا مداواة ورم لجؤوا إلى تحميص أوراق الصبار ربع ساعة في الرماد ثم وضعوها عليه أو على قرحة أو مكان أصابه التهاب، حتى إذا اشتكى المريض من آلام الحوض عالجوه بعشبة تسمّى المقرمان، تُسخّن وتُوضع على الحوض مشدودة بحزام من الصوف[3].

كما كان نبات شقائق النعمان المعروف بابن نعمان يستعمل كدواء للسعال المزمن وللداء المسمى ببوحمرون، حيث يلتقط ويجفف ثم يجمع ويباع للعشابين، وتصدر كميات منه إلى الخارج، أما الأعواد البيضاء الصغيرة المعروفة بتيقنطس أو تيقندص فكانت تستعمل في داء المفاصل[4].

ج-علاج الجروح:

خاصة الناجمة عن السلحة النارية والبيضاء فكانوا يعالجونها بطرق مختلفة حيث كانوا يضعون الزبدة الطرية على الجرح بعد تسخينها. كما كانوا يستعملون أوراق الصبار بعد تحميصها ربع ساعة في الرماد لمعالجة الأورام والالتهابات والقرحة والنفوس، أما نبتة المكاغرامان أو المايرمان عند سكان الغرب الجزائري فكانت تستعمل لمعالجة الجروح والتخفيف من آلام الحوض، فتوضع منها كمية بعد تسخينها على حوض المريض، وتحزم

---

[1]- سعد الله، رحلة ابن حمادوش، المرجع السابق، ص84.

[2]- أف شونبيرغ، الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال، ط1، ترجمة: أبو العبد دودو، منشورات وزارة الثقافة، مديرية الفنون والأدب الجزائري، 2004، ص 04.

[3]-أرزقي شوتايم، المرجع السابق، ص ص 287-290.

[4]- الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1995، ص 342.

بحزام من الصوف أو القماش، وهنا كمجموعة أخرى ضد النباتات الطبية يحضرون منها مشروبًا ساخنًا يتناوله المريض[1].

لقد كان سكان الإيالة الجزائرية على معرفة جيدة بالأعشاب، فكانوا يعرفون خصائصها الملطفة الملينة أو المنظفة أو مدرة للبول أو قابضة، وكان يتاجر فيها اليهود وباقي سكان الإيالة وكان يستعملونها في الإغلاء أو النقع وهو سائل غال بوضع فيه نبات عطري أو طبي ثم يصفّى ويشرب، واستعملت الأعشاب أيضا كمادة أو كبخور أو علك يستعمل لفرز اللّعاب[2].

ولهذا لجأ سكان الإيالة الجزائرية إلى مختلف الأعشاب، حيث كانت تقطف وتباع في السواق والدكاكين واهتم اليهود بتجارة العقاقير، أما بني مزاب فكانوا يبيعون أعشاب ذات منافع طبية عديدة وكانوا يصنفونها وفقًا للأمراض التي تعالجها[3].

ولغنى الجزائر بالأعشاب الطبية كان يزورها الرحالة ورجال العلم وأبرزوا جميعهم الثروة النباتية الموجودة بالجزائر وصنفوا الأعشاب الصالحة للعلاج مع إبراز ما كان يستعمله السكان للتداوي، ونذكر كمثال زيارة الأستاذ هبرسكايل لمدينة الجزائر سنة 1732م مبعوثًا من طرف ملك بولونيا رفقة 6 علماء من مدينة لايبسيتس Leipzig)) للقيام بأبحاث متعلقة بالأعشاب[4].

كما زار روني ديفونتان إيالة الجزائر في سبتمبر 1794م والذي كان عضوا في أكاديمية العلوم ومنحه الداي كافة الامتيازات لإجراء أبحاث في ارياف الجزائر ومنطقة تلمسان...إذ صرح أن إيالة الجزائر من أجمل بلدان العالم وتزخر بآلاف الأعشاب من بينها 300 إلى 400عشبة جديدة غير موجودة في بلدان أخرى[5].

واشتهر سكان تلمسان باستعمال أوراق الخروب لعلاج صداع الرأس عن طريق البخور، كما كانوا يعلقون أطراف من القماش في أغصان هذه الشجرة لإبعاد المراض والعين. وبالتالي استعملت المواد والأعشاب سالفة الذكر لعلاج أمراض عضوية ونفسية

1-الزين محمد، المرجع السابق، ص 253.

2 - Dr L. Leclerc, de la médecine arabe et particulièrement de la médecine arabe en Algérie.

3 - A. Bel, « L’islam mytique : Les saints : Les croyances pratique culturelles », in R.A. N° 69, année 1928, p 70.

4 -فلة موساوي القشاعي: المرجع السابق، ص 196.

5- نفسه، ص 197.

عديدة، كان يعاني منها سكان الجزائر، كما استعمل الفصد أو فتح العرق، وهي طريقة مستعملة عند المجتمعات الأوروبية منذ القرن 14م لعلاج الطاعون واستخراج السم[1].

بالإضافة إلى التعريق، حيث كان يشرب المريض دواء معرق أساسه أعشاب ومنها الفيجن والزعتر وخليط من المحلولات الكحولية والعقاقير، كما كان يوضع على المريض غطاء أو جلد حيوان مسلوخ لعلاج الطاعون، وكان التطهير أو شرب مسهل من الطرق الشائعة للتداوي والتي استعملت منذ القرن 16م في فرنسا ونصح باستعمالها الطبيب "أمبرواز باري" لتصفية الجسم والعقل، إذ يضع مزيج من الفيجن أو الفيجل والثوم والوزّال، وكان السكان يطهرون مكانة الإصابة أو التقيحات باستعمال كمادات من البصل وزيت الزيتون، فغالبًا ما وجد المريض الشفاء والراحة باللجوء إلى هذه المعارف المتوارثة عن الأجداد والتي أثبتت نجاعتها[2].

وسنورد هنا جدول بأهم الأعشاب التي كان المجتمع الريفي يستخدمها لعلاج مختلف الأمراض أي دواعي استعمالها وكيفيتها حسب ما ورد في كتاب كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب لابن حمادوش[3].

اسم العشبة		دواعي استخدامه وكيفيته
بالعربية	بالفرنسية	
حب الرشاد	Cressonnette	يقاوم الصداع وضيق التنفس ومدر للحليب للطمث والبول، يساعد على علا ج الاضطرابات الحاصلة في المسالك البولية.
عود قماري	Agalloche	منشط للقلب والمخ، مخلص للأمعاء من الريح ومن الديدان المعوية، يستخدم لإزالة الروائح الكريهة وينسب عود قماري إلى cap
الثوم	Ail cultivé	طارد للديدان، ملين للبطن، يحفز المشيمة على الخروج،

1 – j.N. Biraben, La peste, p 789.

2- فلة موساوي، المرجع السابق، ص 198-199.

3 - Colin (Gabriel) Abderrazzaq El jezairi un médecin arabe du 12e siècle de l'Hégire Monpelier, Imprimerie Delord-Boehm et Martial 1905, p 45-46.

		له تأثيرات إيجابية في حالة التهاب القصبات الهوائية وعند الإصابة بالبرد، كما يستخدم لعلاج لذغة العقرب وعظة الكلب المصاب بداء الكلب La rage
الحديدة	Sulfate de cuivre	تقطر في العين وتستخدم من قبل السكان في صبغ الشعر واللّحى.
النشا	Amidon	نافع لعلاج الزكام وقرحة العيون
حبة حلاوة	Anis	مدرة للحليب والبول، مسيل للعرق، ويساعد استنشاق بخاره على التخلص من الصداع والدوخة ويخلط سكان الجزائر هذه الحبوب مع عجينة الخبز عند تحضيرها للحصول على نكهة طيبة.
الخرشق	Artichot	مسهّل، واستخدامه حسب ابن حمادوش يساعد على التخلص من رائحة الإبطين ويسمى الخرشف أيضا بالقرنون، أما النوع البري منه والذي يحضره سكان الأرياف لبيعه في الأسواق فيعرف بالقرنينة.
الخشيت	Fatida	نافع لأمراض الأعصاب والتشنجات، وحتى الشلل والإصابة بالصرع يقاوم الإسهال المزمن والحمى ويستخدم عند لدعة العقرب أو عضة الكلب المصاب بداء الكلب.
الجاوي	Benjan	ملائم لعلاج أمراض المعدة، خفقان القلب، والإسهال، منشط لعمل الدماغ، وعند استخدامه مع العسل يساعد على تفتيت الخصيات داخل المثانة.
القرفة	Canalle	موقف للنزيف، مزيل للروائح الكريهة، وإذا استخدم مع الماء أمكنه التخفيف من حدّة سرطان البواسر.

<u>الأعشاب المستعملة من طرف السكان في علاج الأمرض</u>

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن الكثير من الأعشاب التي ذكرها ابن حمادوش في علاج بعض الأمراض أثبت الطب الحديث نجاعتها وفعاليتها في علاج هذه الامراض، وهو ما يعرف حاليا بالطب البديل، ويتم تصنيع العديد من الأدوية عن طريق استعمال هذه الأعشاب كمكونات رئيسية.

كما أن معظم الأعشاب المذكورة في الكتاب متوفرة وموجودة في الجزائر ونجدها في كل البيوت الجزائرية خصوصا الثوم والقرفة وحبة حلاوة والجاوي، ضف لذلك أن معظمها له استعمالات علاجية لأمراض عانى منها الجزائريون كالصداع وضيق التنفس وأمراض الأمعاء وعلاج الزكام وقرحة العين والحمى وغيرها، والملاحظ أن هذه الأعشاب لا زالت تستعمل حتى يومنا هذا بالرغم من التطور الطبي وهذا دليل على فعاليتها ونجاعتها في علاج هذه الأمراض، ولا تؤدي لمضاعفات بالنسبة للمريض.

د-الحمامات المعدنية:

أثبت الحمامات المعدنية نجاعتها في علاج الأمراض، حيث كان الكثير من الناس يزورون هذه الأماكن والتي كانت تعتبر مراكز علاجية حقيقية، وهذا من أثبته بعض الدراسات من أن للحمامات دور كبير في علاج أمراض متعدّدة وهذا ما جعل سكان الإيالة الجزائرية يقبلون عليها لإيجاد الشفاء، وهذا لغنى المياه المعدنية بالكبريت ولهذا لجأ المارك دولاريال كورونه Len Arqué de la Real coron)) عام 1743م إلى استعمال منابع الماء الدافئ الموجودة في الطريق الرابط بين وهران والمرسى الكبير، والمسمى ، حمامات الملكة Les bains de la Reine وقد استعملت هذه المياه لمعالجة أمراض السفلس الزهري، الجرب، الحصبة، الدمل المعدي[1]، وهنا لا بد من الإشارة إلى نقطة مهمة وهي أن الإدارة العثمانية لم تقم بترميم أو صيانة هذه الحمامات[2]، ولكن هذا لم يمنع المرضى من الإقبال عليها حيث كانوا يعتقدون أن المياه الساخنة وباحتوائها على الملح والكبريت فهي مياه

[1] - J. Gazanave, « Les préside Espagnols de l'Afrique leur organisation au XVII siècle, in R.A N°63, année 1922, p 480..

[2] - Le livre d'or de département d'Alger : Les richesses thermo-minérales en Algérie, p 79.

مباركة قادرة علاج مختلف الأمراض فكانوا يشعلون الشموع ويضيفون طابعًا مقدسًا لتلك الحمامات[1].

وكان المريض يقصد هذه الأماكن من تلقاء نفسه، وفي بعض الأحيان عندما ينصحه الطالب أو المرابط للاستحمام في تلك المياه لعلاج أمراض مثلك أمراض الجلد أو الروماتيزم، الجدري، السفلس وأمراض أخرى[2]، ومن أهم الحمامات والعيون المعروفة في تلك الفترة نذكر:

-حمام بوحجر على 21 كلم من عين تيموشنت

-حمام بوحنيفية الواقع بعد 20 كلم من معسكر

-حمام الملكة الواقع بالمرسى الكبير مياهه تصل درجة حرارتها إلى 55 درجة وكانت تستعمل العلاج مرض الكساح

-حمام سد الشيخ الواقع قرب لا لامغنية المعروف حاليا بحمام بوغرارة.

حمام ولد خالد الواقع قرب سعيدة وكان من أكثر الحمامات إقبالاً من طرف السكان

-عين نويسي الواقعة 14كلم جنوب مستغانم مياهها معدنية صالحة لشفاء أمراض عديدة[3].

وإلى جانب الحمامات المعدنية كان سكان الإيالة الجزائرية يقصدون حمامات المدن للاستحمام والنظافة والاستنقاع من البخار حيث اشتهرت تلمسان، البليدة، المدية، قسنطينة بحمامتها التركية فمدينة الجزائر لوحدها كانت تحوي أكثر من 60 حمامًا وقد الأسير جواوماس كرنهاس -joAo Mas Carenhas بقوله:" حمامات مدينة بالجزائر نظيفة جدًّا ومفيدة لصحة السكان"[4].

وكان سكان منطقة تلمسان يشربون ماء "عين ونزوتةّ" الموجودة بالقرب من أشجار الخروب بمكان يدعى "قبو سبع رجال أو سبع أولياء" فكان هذه المياه مباركة بالنسبة إليهم لما تكتسيه من فعالية في علاج أمراض شتى، فكانوا يشربون مياه تلك العين ثم يضعون

[1]- فلة موساوي، المرجع السابق، ص 199..

[2] - Le livre d'or de département, idem, p 81.

[3]- فلة موساوي، نفسه، ص 200.

[4]- فلة موساوي، المرجع السابق، ص 99-100.

خليطا من تلك المياه ويضيفون له زيت للدّهن، ثم يدلكون أجسادهم بذلك المزيج الذي يدخل البركة لأنفسهم[1].

هـ-العلاج بالبتبخير أو البخور:

خلال موسم "العنصرة" والذي كان يحتفل به في شهر جوان كانت نساء منطقة تلمسان تقمن بقطف الأعشاب والنبات كالكلخ ومريوة والعرعار والشيح والدوم للتبخير، وكانت تجففن هذه الأعشاب مدة 7 أيام بعد تمليحها ثم يبخر بها يوم العنصرة"[2]، وكان يجمع سكان منطقة سعيدة 7 أنواع من الأعشاب للبخور يضاف لها العنب الأخضر والكرمس[3].

وكان سكان تلمسان يشترون 7 أعشاب معروفة بسبعة بخور وهي الفيجل، الزعتر، زريعة الكعبر، شجرة مريم، العطرشة اليابسة، الفليو، النابطة، وكانت توضع في النار ثم تبخر بها كل الدار، غرفة غرفة لإبعاد الجنون حسب اعتقادهم[4].

ومن العادات المنتشرة بين سكان الإيالة الجزائرية لإبعاد الأمراض والكوارث الطبيعية زيارة النساء لضفاف الأدوية حيث كانت يبخرن بالجاوي وزريعة الصبر[5]، ثم يأكلن نصيبًا من خبز الشعير بعد رمي كمية منه في الواد، ويتكلمن بالعبارات التالية: "أيها الجنون كلوا هذا الخبز، من منكم يصيب أولادنا، يصيبه الله" ثم تقمن بملأ كمية من مياه الواد وترشّ بها الأولاد[6].

أما سكان القلعة، ندرومة، مستغانم، فكانوا يبخرون في وسط الدار، حيث كان كل أعضاء العائلة كبارًا وصغارًا يطوفون سبع مرات حول البخور، وذلك إبعاد الأمراض والعين"[7]، ولا تزال هذه العادة موجودة في مدينة تلمسان وضواحيها.

و-العلاج الشعبي للكوليرا والملاريا والجذري:

كان علاج الكوليرا يتمثل في تطبيق حجر صحي، حيث كانوا يغادرون السهول ويلتحقون بقمم الجبال، حيث الهواء الصافي وخالي من الوباء وكانت العادة الشائعة تتمثل

---

[1] - Bel, Op.cit , p 180.

[2]- فلة موساوي، المرجع السابق، ص 210-209.

[3] - E. Desting, « Fête et coutumes saisonnières chez les « in R.A.N° 50 Ann2e 1906, p 363.

[4]- فلة موساوي، المرجع السابق، ص 210-211.

[5] - Destaing,Op.cit, p 366.

[6]- فلة موساوي، المرجع السابق، ص 112.

[7] - Destaing, op cit, p 365.

في عدم دفن الموتى لتفادي العدوى. أما المصابون بالتيفوس، الكوليرا أو أي مرض آخر. فكان لا يسمح لهم بملأ الماء من عيون القرية وكل مخالف لذلك يدفع غرامة للجماعة وفي حالة تكرار العملية أو تجاوز القانون كان يطرد من القرية[1]، وكان الاعتقاد الآخر عند إصابة السكان بالكوليرا يتمثل في القيام بالزردة إيجاد الراحة والشفاء [2].

وكان يتم علاج الأمراض النفسية عن طريق ذبح دجاجة وأكلها من طرف المريض ثم رمي العظام، والعلاج الحمى كان يتم أكل عشبة تعرف في منطقة بلاد القبائل بـ "كليلو" وتحوي على "الكنينة" حيث كان الفلاحون يمضغون هذه العشبة لتفادي الحمى المهلكة[3].

وقد تعجب الطبيب مايو Dr Maillot الذي كان مسؤولا عن المستشفى العسكري من دواء عربي اسمه "الدخوة" وهي من عشبة "الكينين" والتي اختبرها الطبيب مايو وأثبتت فعاليتها في علاج أمراض الحمى والقضاء على الملاريا التي كانت منتشرة آنذاك[4].

أما علاج الجدري فالطريقة المستعملة كانت تتمثل في أكل اللحم الجاف وتعريف المريض إلى غاية شفائه"[5]

ز-العلاج بالسحر والشعوذة:

انتشر السحر في أوساط الجزائريين كوسيلة للتداوي والعلاج وهذا ما أشار إليه رينو Renaud حيث يشير إلى مخطوط تركي خاص بعلم الفلك يعود إلى سنة 1582م يذكر 18 رسولا أو أنبياء منهم شعيب وموسى بالإضافة إلى الجن الحمر والجن الذهبي والذين يستجيبون أثناء التغريم والرقية[6].

وقد استعمل أحد السحارين الجزائريين سنة 1827م مرآة الحبر السحري لعلاج القنصل العام الإنجليزي "Salt" والتي تعرف أيضا باسم "درب المندل" إضافة إلى البخور بالجاوي والكسبر كما عالج أحد الأطفال، حيث رسم في يده اليمنى مربع سحري كتب فيه

---

[1]- فلة موساوي، المرجع السابق، ص 216.

[2] - A. Sicard, « Pratiques médicales », superstitions et légendes des habitants de la commune mixte de Taki Tount in R.A.N°55, p 365.

[3]- فلة موساوي، المرجع السابق، ص 216.

[4] - Derdour (GHsem) Annaba, 25 siècle de vie quotidien et de luttes. S.N.E.D. Alger 1983, T II, p 288.

[5] - Le moyen de guérir La vérole à Alger sans chirugien au XVII E siècle, « in R.A.N°68, année 1927, pp 268-269.

[6]- فلة موساوي، المرجع السابق، ص 216.

أرقام عربية، ثم وضع كمية من الحبر، وطلب من الطفل أن يشاهدها ويقول له انطباعاته[1].

وكان يتم رقية المريض وإخراج الجن من جسده بتلاوة آية الكرسي والمعوذات وسورة الفاتحة ثم إرقاء المريض بذكر ما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "اللهم رب الناس اذهب الباس، اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءًا لا يغادر سقمًا"[2].

أما تعليق تميمة أو حجاب تحصنا من المرض والأضرار أو العين فقد كان أمرًا شائعًا في المدن والأرياف رغم تحريم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك إذ قال "من تعلق بتميمة فقد أشرك"[3].

واستعملت التمائم لعلاج مرض الكلب والكوليرا ورغم تحريم السحر والشعوذة وتعليق التمائم والحجب. إلا أن الكثير من سكان الإيالة الجزائرية كانوا يلجؤون إلى الكهنة الذين يدعون معرفة الغيب وعلاج الأمراض المستعصية، أما فيما يخص الطلاسم وهي عبارة عن خطوط مجهولة المعاني وفي معناها كل اسم أعجمي جهل معناه" [4]، فكانت هي الأخرى شائعة الاستعمال للتداوي من الأمراض والعين وهي أيضا من الشركيات لا أصل لها في الدين الإسلامي أما التعاويذ فهي جمع تعويذة، وهي حروف تعلق على الصبيان وغيرهم للاستعادة بالله تعالى من الشيطان الرجيم[5].

ولجأ بعض السكان إلى طريقة "النشرة" وهي طريقة من طرق السحر أو من كان يظن أن به مس من السحر وسميت بهذا الاسم لأنه بنشر بها عنه ما خامره من الداء، أي يكشف ويزال"[6]، حيث كان يعتقد أنه بهذه الطريقة يتم القضاء على السحر والمسحور وإخراج الجن الذي يسكنه، عن طريق ذبح دجاجة للشياطين ويقدم لهم القربان. وقد حرمها الدين الإسلامي، حيث قال عليه الصلاة والسلام "أنها كفر وشرك بالله وهي من عمل الشيطان"[7].

الشيطان"[7].

---

[1] - E. Lefeubure : Le miroir D'encre dans la magie arabe « in R.A.N°49, 1905, pp 205-227.

[2]- الصادق بن الحاج التوم بن محمد آل من الله، الإيضاح المتين لكشف السحرة والمشعوذين، ط1، الرياض 1998، ص 84.

[3]- نفسه، ص 105.

[4] - A. Joly, Saints et légendes de l'Islam Si Mhamed Bel Houari et les Benis Habib « In R.A.N°57, année 1913, o.p.u, 1986, p12.

[5]- العلامة عبد الرحمان بن مقبول الأهذل اليمني، أحكام العزائم والرقى، دار ابن حزم، بيروت، 1993، ص 61-62.

[6]- الصادق بن الحاج التوم بن محمد آل من الله، الإيضاح المتين لكشف السحرة والمشعوذين، ط1، الرياض 1998، ص 84.

[7]- نفسه، ص 42-43.

وكان للحكام دور غير مباشر في انتشار السحر والشعودة حيث فسروا حدوث الأمراض والأوبئة بقوّة غيبية أو عين شريرة أو الأرواح والجنون وهذا ما ساهم في تفشي العلاج الشعبي نظرًا العدم وجود مؤسسات صحية تتكفل بالمرضى[1].

ح-الرقية:

وفي المقابل كانت الرقية بقراءة القرآن والأدعية النبوية منتشرة في أوساط السكان وهذا لقوله تعالى "وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا"[*] وقول النبي عليه الصلاة والسلام: "لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا"، وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يرقي نفسه بالمعوذات وكان يقرأ على أصحابه إذا مرضوا"[2].

ولهذا اتبع سكان الإيالة الجزائرية الطب النبوي لعلاج أمراض عديدة وتحصنا من أضرار أو عين أو سحر أو مس، ومن أبرز طرق العلاج النبوي لعلاج السحر وإبطاله كتابة سورة الإخلاص والمعوذتين والكافرون بالزعفران، إضافة لآية الكرسي وتذويبها في إناء من الماء وشربها من طرف المسحور والاغتسال بها، كما كان يعتقد أن البيت الذي يقرأ فيه القرآن الكريم وخاصة سورة البقرة لا يقربه الجن والشيطان[3].

كما كان سكان الجزائر قبل دخولهم لدورات المياه والحمامات وأماكن النجاسات وأماكن مظلمة يقولون: "بسم الله اللهمّ إني أعوذ بك من الخبث والخبائث" اقتداءً بالرسول صلى الله عليه وسلم[4].

وكان من بين التفسيرات المتعلقة بالوباء كثرة الذنوب والخطايا، والخلاص منها يكون بالتوبة فنجد المشرفي يقول:"...ونستغفرك من آثام ارتكبناها فجرت إلينا الطعن والطاعون، ومن أجلها ارتفعت البركة في الأعمال والأمطار والأسعار..."[5].

ومن خلال هذا يتبين لنا أن الرقية الشرعية والطب كان شائعًا عند الجزائريين لشفاء الأمراض والتحصن من العين والجنون والشيطان وعلاج الصرع الذي يصيب عقل

1- فلة موساوي، المرجع السابق، ص239.
* - سورة الإسراء، الآية، 82.
2- الصادق بن الحاج، المصدر السابق، ص 152، ص 105.
3- فلة موساوي، المرجع السابق، ص 222-223.
4- نفسه، ص230.
5- العربي المشرفي، المصدر السابق، ص 175.

الإنسان الذي يفقد الحرية، نتيجة اختلال عصبي إذ يصبح المريض لا يتحكم في حركاته وأقواله فالرقية والإكثار من التعويذات كان معمولاً به آنذاك"[1].

ط-الاعتقاد بالشفاء عند زيارة الأولياء الصالحين:

إن البحث عن العلاج من الأمراض والأوبئة لم يقتصر على الأدوية والأعشاب وغيرها من الأمور المادية بل تعداه إلى الروحانيات والعقائد التي لا تخلوا من الشركيات والبدع كالتبرك بالأولياء الصالحين وتقديم القرابين لهم ودعائهم، وهذا كان أمرًا شائعًا عند سكان الجزائر خلال العهد العثماني والاحتلال الفرنسي حيث كان لهم اعتقاد قطعي من أن زيارة الولي الصالح تنزل عليهم البركة وتشفيهم من الأمراض وتقيهم من الأوبئة حيث كان يتم اختيار الوالي أو المرابط على حسب ما أشيع عن قدرته ومكان تواجده يسمى"الحُرم" وكان الناس يضعون في المقام أدوات خاصة بحاجياتهم اليومية كالمحراث أو قطعة من الصوف أو الحلفاء ويتركونها لمدة معنية حتى تحصل على البركة ثم يعودون لأخذها وتصبح هذه الأشياء مقدسة بالنسبة لهم، وكان المرابط يسمى طبيب، تعلم العلاج عن أجداده واحتفظ بها وتركها لأبنائه وأحفاده:" فكل المرابطين كانوا يمارسون الطب، فبحكم طابعهم المقدس كانوا أسياد الزوايا، فيشرفون على الصلاة ويعالجون المرض وبالتالي كانت الزاوية مسجدًا، مدرسة، مأوى، ملجأ، ومكانًا يعالج فيه" وكان الطبيب بحوزته مجلدًا في الطب منقولاً عن كتب أشهر الأطباء كالرازي ابن سينا ابن رشد والذين كانوا بمثابة المراجع الطبية التي كان يستعان بها أثناء فحص المريض وعلاجه"[2].

وكان الزائر المريض بمجرد أكل كمية من تراب المقام المبلل بالماء، أو البخور بأعشاب أعطاها الوالي للمريض، يتيقن هذا الأخير من فعالية هذا الدّواء ومن ثم من شفائه"[3]، وكان المرابط يحضر أحراز يعلقها المريض على صدره حتى تقيه من الأمراض وتشفيه إذا كان مريضًا وتبعد عنه العين، ولهذا كان الوالي أو المرابط شخصية مقدسة، وقد رويت عنهم الأساطير والخرافات كعلاجهم الأمراض العقلية وإزالة الحمى وعلاج العقم والقضاء على الجفاف كما روي عن الشيخ السنوسي التلمساني المدعو "دو لوقعة" الذي

[1]- وحيد عبد السلام بالي، وقاية الإنسان من الجن والشيطان، دار الإمام مالك، البليدة، ب. تاريخ، ص 55.

[2] - Trumelet, Les saintzs de l'Islam, saint du tell, Didier ; Paris, 1881.

[3] - A. Bel, « L'islam mytique : Les saints : Les croyances pratique culturelles », in R.A. N° 69, année 1928, p 80-81.

يقال عنه أن من إحدى معجزاته أنه كان في حاجة إلى ماء للوضوء، وهو في جبل بني ورنيد فدعا الله أن يسقط المطر فتهاطل الغيث على المنطقة ببركته"[1]، كما روي أيضا عن سيدي بومدين الغوث الذي يقال أنه تمكن من خلق عين أو منبع تشفي مياهه الحمى"[2].

وكان من تأثير المرابطين والأولياء كبيرًا فكانوا يعطون بركتهم إلى المولودين الجدد وكان يطلق عليهم اسم المرابط وفقًا لمعتقدات شائعة آنذاك تؤمن بالعلاقة المقدسة بين الوالي والمولود الجديد الذي سيتحلى بالصفات الحميدة والبركة التي يتمتع بها المرابط وهذا ما يفسر انتشار بعض السماء في مناطق معينة"[3].

ولشدة تأثر السكان بهم فضل الكثير منهم السكن قرب أضرحتهم ودفنوا موتاهم بجوار هؤلاء الأولياء وهذا ما يفسر أن كل مقبرة تحتوي على ضريح أو مقام مرابط أو ولي. وكان السكان يحصلون على البركة من خلال " الزيارة" التي يقومون بها لأضرحة الأولياء أو أخذ كمية من التراب الذي يحيط بالضريح فاستعملوه لكمد الأجراح أو بلعه مع خليط من الماء المبارك الذي ينبع بالقرب من الضريح وكانوا يستمدون البركة من الوالي عن طريق الاحتكاك في المقام على الحيطان والأثاث والخشب والزرابي والأغطية ويقبلونها بخشوع ثم يدلكون المكان المريض في الجسم بواسطة الزيت الموجودة في المصابيح، وتتم زيارة الطالب بوضع الشموع والجاوي في المقام وتقديم أقمشة، زرابي وإعطاء نصيب من المال لحارس المقام حتى تكون البركة كاملة[4].

كما كان هناك اعتقاد أن البقاء في المقام طوال الليل يسمح للزائر من رؤية الولي أو المرابط في نومه وبالتالي يقدم له النصائح وينال بركته. ولهذا شكل الأولياء والمرابطين الصنف الأول من الأطباء أو المداوين، فكانوا يعالجون الجسم والنفس في وقت واحد، وفسروا العديد من الأمراض بوجود الجنون داخل الأجسام، ثم يرونها على شكل حيوانات كالضفادع والعلجوم والحلزون اللقلق، ولهذا كانت هذه الحيوانات مقدسة لدرجة أنه كان يمنع قتلها[5].

---

[1] - A. Bel, « L'islam mytique, op cit, p 85.
[2] - Bel, Op.cit , p 85.
[3] - idem, p 102-103.
[4]- فلة موساوي، المرجع السابق، ص 204.
[5] - Lamarque, Op.cit.

ومن أشهر طرق العلاج التي كان يمنحها المرابطون نذكر مثلا: المرابط سيدي محمد زروق الذي كان يوحي للوقاية من الطاعون بدواءٍ مكون من (المر، المكاوي، الرند)، وتناولها كل صباح أثناء الوباء في خليط متكون من الأعشاب السابقة وجزء من الزعفران وجزء من الصبر ويوضع الخليط في مشروب بذور الرند، كما كان يوصي زائريه بوضع كمادات من البصل الإسباني المعروف بالسطل على الدمل ليتم التقيح، ثم وضع الخليط من الزبدة والعسل"[1].

وفي مقبرة اليهود بتلمسان كان الناس يقصدون قبر امرأة ماتت مقتولة، فيقال أنها كانت تشفي الأطفال الذين يعانون من مرض سعال الديك. فيطرح الطفل على الأرض ويأتي بسكين ويجر عليه وكأنه يذبح[2].

وكان الناس في نواحي الغزوات يؤمنون أن من يشرب من عين سيد محمد المستاري يشفى الحمى، وعلى بعد 13 كلم من ندرومة توجد زاوية أولاد سيدي بن عمر في قلب جبال ترارس والتي أسسها سيدي محمد بن عمر الإدريسي وتلقى الحكمة والعلم وسر شفا الناس من شيخ من بطيرة بوهران ويكمن تداويه في ثقب الأذن من جهة الألم وعقد فيها سلك ويزعم أن الزاوية كانت مزارًا للشفاء من لسعات الأفاعي وعضات الكلاب والعقم وأمراض القلب[3].

وقد كان الطالب أو المرابط يكتب حرزًا يقي أو يشفي صاحبه من الأمراض، الأمر الذي جعل مرابطي القبائل كالتواهر يشتهرون في كتابة الأحراز التي تشفي من مرض الكوليرا والكلب"[4].

وفي بعض الأحيان كان يتم مزج المعارف الطبية المتوارثة عن الأجداد أو المتعارف عليها والمكتسبة عن طريق الخبرة والتجربة بالسحر الذي كان يتم اللجوء إليه في مناسبات عديدة من طرف المرابطين"[5].

[1] - A. Joly, Saints et légendes de l’Islam Si Mhamed Bel Houari et les Benis Habib « In R.A.N°57, année 1913, o.p.u, 1986, p12., p 85.

[2] -Emile Dermenghem, Le Culte des saints dans l’islam maghrébin, Edition Gallimard 1954, p 131-132.

[3] - Shaw, Op.cit, p 84.

[4] - A. Joly, Saints et légendes de l’Islam Si Mhamed Bel Houari et les Benis Habib « In R.A.N°57, année 1913, o.p.u, 1986, p 99.

[5] -A. Moussoui : Le Maghreb central : Economie et société au XVII siècle d’après un manuscrit de Fiqh U.R.A.S.C Université d’Oran 1988, p 37.

ومن بين الطرق التي اتبعها المسلمون منذ القدم لمواجهة الأوبئة حلقات الذكر الجماعية وقراءة كتب بعينها فيذكر" البسطيمي" قائلاً:" فالشافعية يتبركون بقراءة التنبيه في أيام الوباء وهو كتاب مبارك، والمالكية يتبركون في أيام الطاعون بقراءة الموطأ...والحنابلة يتبركون في أيام الطاعون بقراءة الخرقي لأبي القاسم عمر بن حسن الخرقي، وجماعة من العلماء يتبركون في أيام الطاعون بقراءة الشّفا للقاضي عياض...والصوفية يتبركون بقراءة كتاب " قوت القلوب" لشيخ العارفين أبي طالب المكي، وجمهور العلماء في أيام الوباء والطاعون وغير ذلك من الآفات السماوية يتبركون بقراءة كتاب البخاري، فإنه الجنّة الواقية في آفات الشدائد، ومن العلماء من يتبركون بكتاب مسلم وهو كتاب جليل الشأن باهر البرهان..."[1].

ولكن هذه التبركات مخالفة للشريعة الإسلامية ولم يقم بها إلاّ فئة معينة اشتهرت بفهمها الخاطئ للدين الإسلامي وليس هنا موضع ذكر ذلك، وقد فسرت هذه الإجراءات على أنها عجز وافتقار لوسائل مواجهة الطبيعية[2]، وهذا ما نجده عن المسيحيين أيضا فمثلا نجد اعتبارهم لوباء الجدري إرادة إلهية خالصة سببها الرئيس هو المعاصي[3].

كما نجد العامة يفسرون الوباء بتولي عائلة ما للشأن العام في الدولة وهو ما ذكره ابن المفتى في تقييداته إذ يذكر أنه قد انتشر بين سكان مدينة الجزائر اعتقاد مفاده أنّ تولية غير ذرية سيدي السّعيد قدورة خطّة الفتوى قد يجلب البلاء والوباء والقحط للبلاد فيقول: " وهذا الحاج السّعيد كان من أبعد مخلوقات الله تعالى، ولم يكن يفرق بين صياح الديك وثغاء الخروف، وكان خبيثًا، وصل إلى هذه الخطة بكرم ونفور، وجاءت توليته بسبب أن أهل المدينة يجلّون آباءه وأسلافه ويستبشرون بهذه العائلة، وكانوا يعتقدون بل حتى يتيقنون أن البركة تلتصق حتى بالأبناء في سن الحداثة، وكثير من محاورتنا معهم في هذا المعنى وهو:

[1]-عبد الرحمان بن محمد بن علي البسطيمي، الأدعية المستحبة في الأدوية المجربة، مخطوط المكتبة الوطنية الفرنسية، القسم العربي، رقم (2691)، [و/19]

[2]- روزنبرجي وحميد التركي، المرجع نفسه، ص 161.

[3] - Delvaille Camile, L'épidémie de petite vérole et la révaccination, imp…de vue Lesseps, Bayonn,e, 1869,p 2.

أن المدينة ما لم يتولّ فيهما مُفْت ينتسب لذرية سيدي السعيد فإنه سينهال عليها وابل من البؤس كغلاء الأسعار والزلزلة والصاعقة وأشياء أخرى[1].

ثالثا-احترازات اليهود والمسيحين من الوباء:

إن الفئة النصرانية المقيمة في الجزائر والتي تمثلت في القناصل والتجار والرهبان. أخذت العديد من الأسباب التي تعينها على عدم الإصابة بالوباء خصوصا الرهبان والآباء العاملين في المستشفيات الأوروبية، فنجدهم يلمحون إلى الأخذ بالاحتياطات إزاء تلك الأزمات[2]، ومن بينها أنهم كانوا لا يخرجون أيام انتشار الأوبئة غير أن المستشفيات كانت محيطا مناسبًا لانتقال الأوبئة لهم داخلها[3].

ونجد الفئة الأخرى وهم السادة كانوا يجتنبون خدمهم مخافة تساهل الخدم في أمور الاحتراز من الوباء(4)، وكانوا يحرصون على النظافة الدائمة لأماكن عبادتهم والتجمعات العامة فكانوا يقومون بغرس أوتاد من الخشب في الزيت من أجل أن يمسحوا به الأماكن التي يستخدمها الناس كثيرًا أو الرموز الدينية المهمّة[5]، وهذا ما نقله ماريشكا في حديثه عن وباء 1700 نقلا عن الأب (سانت جان) (ST.Jean)) إعجابه بنظافة المستشفى المهيأ خصيصًا لاستقبال المرض المسيحيين أثناء زيارته إلى هذا المستشفى رفقة القنصل الفرنسي في الجزائر بعد وباء 1700م[6]، وهذا المستشفى كان في مدينة الجزائر وكان يوجد به جراح وصيدلي مهمتها خدمة المرض والأسرى الأوروبيين بالمدينة[7].

وتجدر الإشارة أن السلطات الأوروبية كانت حريصة على تقديم العون لهذا المستشفى من خلال تخصيص بعض الرهبان للخدمة كما كان الحال مع القديس جان أنطوان (Jean. Antoine)[8]، وقد كان في الجزائر بعض التشريعات والأحكام لحماية الرهبان أبرزها تلك التي وردت في مذكرات الرهبان الصادرة في 24 أكتوبر سنة 1741م وتنص على 3 نقاط أساسية وعلى رأسها:

---

[1]- حسين بن رجب شاوش ابن المفتي، تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمعها واعتنى بها فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، 2009، ط1، ص 107.

[2] - François Paissant, Mémoire de la congrégation de la mission, p 103.

[3] - Vincent Martin Antoine,Et collardot, Victor, Op.cit, p23.

[4]- حمدان بن عثمان خوجة، إتحاف المنصفين والأدباء من الاحتراز من الوباء، المصدر السابق، ص 43-44.

[5] - Arnoult Bossu, Op.cit, M.C.M, T3, p 234.

[6] - Jean Marcheka, Op.cit, p 70.

[7]- أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 34.

[8] - Jean Marcheka, Op.cit, p 70.

-جواز ترك القيام بالقداس في السجون في حالة الالتباس بوجود طاعون داخلها.

-الحرص في أثناء القداس على جعل مسافة بين الرهبان وغيرهم من الناس خصوصا المشتبه في إصابتهم بالمرض.

-التأكد من أن الراهب بالأخذ جميع الاحتياطات اللازمة من خلال عدم الالتماس مع أي كان، وعدم التعامل المباشر[1].

إن الرهبان خلال حديثهم مع المصابين بالطاعون كانوا يطالبونهم بالتوبة والإنابة والعودة إلى الله وهو ما نص عليه الأب Arnoust Bossy)) عندما ذكر الرسالة التي أرسلها الرهبان للرعايا الأوروبيين من أجل الوقاية من الوباء[2].

أما قنصليات الدول الأجنبية في الجزائر، فنجد أن العديد منهم كان يختلقون الحجج لعدم حضور المناسبات الاحتفالية الرسمية مثل: عيد الفطر، عيد الأضحى، رمضان المولد النبوي خصوصا إذا تزامنت مع نشاط وبائي، وعلى سبيل المثال نذكر غياب القنصل الفرنسي " دوفال" Deval)) الذي غاب عن الاحتفال الرسمي بعيد الفطر سنة 1232هـ/ 1817م[3]، ولكن في بعض الأحيان نجدهم يقدمون التهاني مسبقا بيوم أو يومين تجنبا لحدوث أزمات دبلوماسية وهو ما حدث في عيد الفطر (1233هـ/ 1818م)[4].

ويظهر حرص القناصل في حماية أنفسهم ومن هم على علاقة مباشرة معهم عن طريق إبلاغ معاونيهم ومن يشتغلون معهم أو تربطهم بهم علاقات جيدة وهو ما يستنبط من إحدى الرسائل الرسمية من القنصلية الفرنسية في الجزائر إلى سلطات بلدها، إذ ورد فيها أن القنصلية اتخذت عددًا من الاحتياطات من أجل الوقوف في وجه الطاعون الذي لوحظ في البلاد، كما قام السيد "جونفيل" نائب القنصل ومعه وكيل الشركة الملكية الإفريقية أثناء طاعون سنة 1740م بالإغلاق على أنفسهم في البيت الذي يقيمون فيه رفقة بعض الخدم الذي تحقّق من عدم إصابتهم بالطاعون[5]، وأيضا تصريح "بواير" بأن أحد أهم الطرق

---

[1] - Poirier Dubourg, Mémoire de la congrégation de la mission,Tome 3, p110.
[2] - Arnoult Bossu, Op.cit, T3, p 231.
[3] - Jean Marcheka, Op.cit, p 157.
[4] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p375-385.
[5] - François Paissant, Mémoire de la congrégation de la mission, p 74.

لتجنب الوباء كان بالانتباه إلى ضرورة عدم الاتصال بأي صورة من الصور مع السكان والبقاء بعيدا عن كل الأشياء التي تخصهم سواءًا كانت ملابس أو أدوات يستخدمونها[1].

كما تتجلى هذه الإجراءات في قيام القنصل الفرنسي "جونفيل" أثناء وباء الجزائر سنة 1740م بمراسلة بعض الفرنسيين وحثهم على أن يقوموا بجرد الأشياء الثمينة في بيوتهم والإغلاق عليها في مريع، وأن لا يستعملوا من الأدوات والتجهيزات والأثاث إلا ما هو ضروري جدا بما يمكنهم من تجنب الوقوع في شراك إلى الطاعون[2].

وكان وكيل الشركة الإفريقية يحرص كل الحرص على عدم انتقال العدوى مع سفنه إلى فرنسا، فكان يقوم بمنع إرسال السفن من الميناء في حال كان انتشار الوباء بشكل كبير، مخافة وصوله عبر البحارة إلى مارسيليا، ثم التوغل نحو فرنسا فنقف على عدم سماح وكلاء الشركة بشحن السفن إلا في حالة تحقق خلوها وخلو المكان من الإصابة بالطاعون، وهو ما يفهم في بعض الإشارات المتفرّقة في المصادر الفرنسية التي تناولت مسألة الوباء في الجزائر[3].

ونجد أن الشركة الإفريقية قد قامت بسد أبوابها في وجه الأهالي وسكان المنطقة، وهذا ما قابله الأهالي بامتعاض ورفض، حيث أصبحوا يرمون الجثث المصابة بالوباء عند بوابات الشركة[4].

كما كان الأوروبيون يخرجون من المدن إلى الأرياف باعتبارها ملاذًا آمنا من الوباء كما حدث في الوباء الذي ضرب الجزائر سنة 1793م[5]، حين قام القناصل والتجار بالخروج من مدينة الجزائر باتجاه الأرياف المحيطة بها، وهذا لقلّة الكثافة السكانية في الأرياف، وهذا ما قام به ممثل القنصلية في مدينة بونة في الوباء الذي ضرب المدينة سنة (1233هـ/ 1817م)، حيث خرج من المدينة ونزح بالريف(6)، كما قامت القنصليات

1 -Jean Louis –Marie Poiret, lettre N°27, Op.cit, p194..
2 - François Paissant,, O.p.cit, p 75.
3- Adrian Berbrugger, Op.cit, T2, p 218.
4 - J-L-G, Guyon, Op.cit, p334.
5- Adrian Berbrugger, Op.cit, T2, p 226.
6 - Ibid, p 233.

الفرنسة في الجزائر بإحضار عدد من اللقاحات ضدّ داء الجدري الذي انتشر في الجزائر خلال سنة (1217هـ- 1803م) [1].

1- المؤسسات الصحية المسيحية:

كان يوجد بالجزائر مستشفيات مسيحية مخصصة للأسرى المسيحيين والتي أسسها الأب سيباستيان ديبورت Le pére Sebastien Duport سنة 1551م حيث أنشأ دارً للعلاج بمدينة الجزائر (Bagno Di Malatti[2]) (Maison Desoins D'algre، ثم تمَّ تأسيس وبناء مستشفى بمدينة الجزائر من طرف الأخ بيدرو دي لا كونسبسيون وأسس الأب كابسان père Capucin)) سنة 1575م أهم مستشفى بمدينة الجزائر بمساعدة مالية من طرف دون خوان دوتريش Don Juan D'Autriche وكان موقعها خارج باب الواد قرب المقبرة المسيحية[3].

كما ثم فتح صيدلية عام 1665م وصيدلية سجن الباشا التي أسسها القديس بيدرو Pedro حيث كانت تزود كل المستشفيات بالأدوية وتبيع البعض منها إلى الجزائريين، وقد مرّت الهياكل الصحية المسيحية بأزمة مالية في بداية القرن 17م والقرن 18م كما تم غلق بعضها سنة 1702م بعد اعتقال المشرفين عليها سنة 1762[4]، الأمر الذي أدّى إلى تحرير ميثاق المستشفيات المسيحية Chartes des Hopitaux Chréhiens d'alger))، حيث حررت الوثيقة الأصلية باللغة التركية وترجمت إلى اللغة الإسبانية تحت عنوان:" هذا إجراء يهدف إلى حماية المستشفيات الحالية..."

(ceci est un Acte de protection pour les hopitoux actuels) ثم تحرير هذا الميثاق عام 1693م وكان يهدف لتحديد الشروط التي تسير المؤسسات الصحية بالجزائر مع مراعاة حقوق مسيرها والمرض المعالجون بها[5]، وبمقتضى هذا الميثاق أعفيت هذه المؤسسات الصحية من بعض الضرائب[6]، ووزعت الأدوية مجانًا على الأسرى[7]، والجدير والجدير بالذكر تأثر بعض الهياكل الصحية بالكوارث الطبيعية حيث إنهار المستشفى

---

[1] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p364.
[2] - Marchika, Op.cit, p 84.
[3] - Le Boy, Du Royaume et d l'état d'Alger A. Vandole-La Haye 1750, pp 137-138.
[4] - M. Khiati, Op.cit, p87.
[5]- A. Berbrugger, « Charte d'hôpitaux chrétien d'Alger 1694 », In R.A. N° 8 , Année 1864. Pp 133-144.
[6] - Marchika, Op.cit, p66.
[7] - idem, p 69.

الأوروبي بمدينة وهران خلال زلزال عام 1771م وقد تسبب في هلاك لكل المرض والأطباء الموجودون به[1].

2- احترازات اليهود ضد الوباء:

يذكر الأب " فيشرا" أن اليهود كانوا إذا تبينوا استمرار الطاعون لفترة طويلة ألزموا فتيانهم البالغين بالزواج [2]، وهذا خوفا من انقطاع نسلهم واعتقادهم بأن هذا الأمر يقللّ من أثر الوباء، كما كانوا يتجنبون الأماكن المكتظة ولا يلتزمون حضور جنائزهم، وإن مات أحدهم غسلوه بالماء وطيبوا جثته بالكافور والأعشاب، ولكن هذه الإجراءات ظلت في نطاق ضيق وضعيف فنجد أن تأثير الأوبئة على اليهود كان كبيرًا، فمثلا في الوباء الذي ضرب الجزائر سنة 1787م كان عدد ضحاياه من اليهود حوالي (1093)، بينما كان عدد ضحاياه من النصارى لا يتجاوز (224 فقط) [3].

[1] - M. Khiati, Op.cit, p92.

[2]- Jean Claude Vichet, Op.cit, pp (559-568) et Jean Marcheka, La peste en Afrique septentrionale, p 126.

[3] - سعيدي خير الدين: مرجع سابق، ص 262.

رابعا: الحجرالصحي في مواجهة الأوبئة والأمراض:

1- تعريف الحجر الصحي:

يختلف مفهوم الحجر عن العزل، فهذا الأخير يتم اللجوء إليه في حال تبوث إصابة المريض بالعدوى، ويصبح يشكل خطرا على الآخرين، في حين أن الحجر الصحي يطبق على الأشخاص الذين من الممكن أن تنقل لهم العدوى من شخص مصاب، أو تفشي المرض في منطقة معينة.

وكما ذكرنا سابقا فإن الموروث النبوي حول الحجر الصحي يتضح من قوله صلى الله عليه وسلم: " إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها فرارا منه" رواه البخاري ومسلم، وهنا يتضح بما لا يدعوا مجالا للشك بأن الحجر الصحي كانت معالمه واضحة في فترة تاريخية مبكرة من التاريخ الإسلامي، حيث دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى عدم الدخول إلى المناطق الموبوءة حتى لا تنقل العدوى إلى المسافر إليها، وفي نفس الوقت فإن الفرار من المنطقة الموبوءة يتسبب في نقل الوباء إلى مناطق أخرى، إضافة لقوله صلى الله عليه وسلم: " لا يوردن ممرض على مصح"، أي منع زيارة شخص مريض لآخر سليم حتى لا تنتقل العدوى، وهذا تطبيقا لمفهوم الحجرالصحي.[1]

فالمفهوم الديني للحجر يدخل ضمن التدابير الوقائية والاحتياطات والأخذ بالأسباب، وينفي مظاهر الاستكانة والاستسلام وتقبل الأمر الواقع، حيث أن مقاصد الشريعة الإسلامية جمعت ما بين التوكل على الله عز وجل، وصون النفس والأخذ بالأسباب.

فالإسلام وضع قواعد لمنع انتشار الأمراض المعدية كالحجر الصحي، والتي تشمل عزل المريض، عدم الدخول على الوباء، عدم الفرار منه، الاستعانة بالطب والدواء والتطعيم في الوقاية والعلاج.[2]

[1] - هجيرة غراف: السلطة العثمانية وآليات الوقاية من الأوبئة في إيالة الجزائر، الحجر الصحي أنموذجا، مجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية،2020، المجلد السابع، العدد الثاني، ص 151-152.

[2] - نفسه: ص 152.

وهنا نذكر حادثة تراجع عمر بن الخطاب عن دخول بلد الشام سنة 18هـ/638م خلال حملته على البيزنطيين في مقدمة الروايات المرتبطة بالطاعون، فقد كان بالشام آنذاك الطاعون المسمى من قبل الإخباريين العرب بطاعون عمواس(هي قرية بفلسطين بين بيت المقدس والرملة، وكانت بداية ظهور الطاعون بها)، الذي أودى بحياة حوالي 25000 من المسلمين ممّا أخر حملة الجيش الإسلامي على البيزنطيين[1]، وهذا ما فسر على أن الطاعون رحمة للمسلمين وشهادة ولكن في المقابل لا يجب إلقاء النفس في التهلكة وحفظا لمقصد هام من مقاصد الشريعة الإسلامية وهي حفظ النفس، وهذا ما يظهر جليّا في حادثة تراجع عمر بن الخطاب، وهذا عملا بقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها)، وفي رواية أخرى أن عبد الرحمان بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه)[2].

فالطاعون في التصور الديني الجماعي هو شهادة ورحمة للمسلمين وعقاب إلهي سلطه الله على الكفار، وهذا ما ذكره العربي المشرفي عندما عرف الوباء فيبدأ بالحديث النبوي: «الطاعون وخز أعدائكم من الجن»، ثم يسرد عددا من الأحاديث النبوية والأحكام الفقهية ليخلص إلى أن الطاعون أخصّ من الوباء[3]

إن الاعتقاد بالعدوى مسألة ظلت راسخة عند أغلب الأطباء المسلمين في فترة العصور الوسطى وما بعدها، وقد استمدوا أغلب معارفهم من الطب اليوناني القديم وطوروه وأضافوا إليه الكثير من الأشياء[4]، أمثال جالينوس الذي توفي في النصف الثاني من ق2 ق.م، وأبقراط الذي توفي حوالي 375 ق.م، والذي خلّف كتابه المشهور (إبديميا) والتي تعني الأمراض الوبائية.[5]

---

[1] J-N- Biraben, la peste noir en terre de l"islam dans biraben les hommes et la peste en france et dans les pays européens et méditerranneéns ; volume1,paris 1979.p 30.

[2] - أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، ج4، دار الإمام مالك، الجزائر، 2010، ص435.

[3] - العربي المشرفي : أقوال المطاعين المرجع السابق، ص 39.

[4] - محمد حداد: تمجيد الموت، صورة الوباء في القرن 19م، الإصدار الأول، دار الطليعة، بيروت، 2002، ص 120.

[5] - ابن زهر, أبو مروان بن أبي العلاء: التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق الخوري, ميشال; صابر , محي الدين ،دار الفكر، دمشق، سوريا، 1983، ص 449.

ويعود أصل الخلاف إلى أن السنة النبوية وردت فيها عدّة أحاديث عن مسألة الطاعون والعدوى، ومعظمها أحاديث صحيحة، فعن عائشة رضي الله عنها أنها سألت الرسول صلى الله عليه وسلم عن الطّاعون فأخبرها نبي الله صلى الله عليه وسلم أنه: (كان عذابا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا يعلم أنه لن يصيبه إلاّ ما كتب الله له إلاّ كان له مثل أجر الشهيد)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المبطون شهيد والمطعون شهيد)، وهذان الحديثان أخذهما بعض الفقهاء على مطلقهما، أي أن الطاعون أمر مقدر ولا مفر منه إذا وقع بأرض، وأنه يصيب الإنسان دون عدوى ودون أن يكون لديه اتصال بشخص آخر، وفي المقابل توجد أحاديث نبوية صحيحة وقد أوردناها سابقا تشير في سياقها ومعناها إلى أن الطاعون ينتقل بالعدوى، كحديث عبد الرحمان بن عوف في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه)، وأيضا حديث إبراهيم بن سعد قال: سمعت أسامة بن زيد يحدّث سعدا، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها).[1]

أما تاريخيا فتعتبر البندقية أول مدينة تم فيها تطبيق قواعد الحجر الصحي وكان ذلك سنة 1377م على الركاب، وقد تم سنة 1423م إنشاء أول مكان مخصص للحجر الصحي بها، مقابل لجزيرة santa de maria.[2]، وعرف هذا المكان باسم lazzaretto، أي مكان الحجر، أما في سنة 1468م فقد تم إنشاء مكان آخر للحجر.

وعرف مصطلح الحجر الصحي بأصله الإيطالي quaranta giorno على اعتبار أن البندقية هي أول من طبق قواعده، ويعني أربعين يوما، أي مدة حضانة المرض.[3]

---

[1] – البخاري : صحيح البخاري، مصدر سابق، ص ص 434-436.

[2] - Gülden Sarıyıldız, Karantina, İslam ansiklopedisi, cil 24, İstanbul, 2001, s.463.

[3] - غراف هجيرة: المرجع السابق، ص 152.

2- العزل الصحي:

أما العزل فيتمثل في فصل المرضى المصابين بأمراض معدية كالطاعون عن الأشخاص الأصحاء أو غير المصابين، وهذا لحمايتهم من العدوى والمرض، وكون العزل في غالب الأحيان في البيوت أو المستشفيات.[1]

والعزل وجد ما يقابله في الشريعة الإسلامية من خلال الحرص على عزل المرضى المصابين بوباء أو مرض معد وعدم السماح بالاختلاط مع الأصحاء، وهذا من خلال الحديث الشريف الذي ذكرناه سابقا والذي رواه مسلم حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " لا يورد ممرض على مصح"، وهذا الحديث فسر على وجهين أحدهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم حذر من أن يأتي صاحب الإبل المريضة ليوردها الماء، وعلى الماء إبل أخرى صحيحة، وهذا ما يؤدي إلى اختلاطها ومرضها، وهذا ما يدل على حرص الرسول صلى الله عليه وسلم ومقاصد الشريعة الإسلامية حتى على صحة البهائم فما بالك بصحة الإنسان فقياسا على هذا الحديث كان الشاهد من هذا الحديث على الإنسان أولى منه على الحيوان، أما التفسير الثاني فهو أنه يجب عزل كل ما له علاقة بشخص مريض على شخص مصح سواء ما تعلق بالأكل والملبس والمشرب والمرقد، وهذا حتى لا تنتشر العدوى بين الأصحاء وتنحصر بين المرضى فقط، كما ذكر أن الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز قد عزل المجذومين وأمر بمعالجتهم، ويقاس على الجذام كل مرض معد أو سريع الانتشار خصوصا تلك التي تخلف ضحايا بأعداد كبيرة كالطاعون والجدري والكوليرا وغيرها.[2]

وقد أظهر العزل فعاليته في الحد من انتشار الأوبئة وحتى الأمراض، وبينت عدة دراسات حديثة أن العزل يمكن أن يؤجل فترة الذروة وتوسع دائرة انتشار الوباء وحصر انعكاساته، حيث بينت هذه الدراسة أن عزل 40٪ من المرضى قد يؤجل الذروة بنحو 83 يوما، بينما

[1] - wilder-smith A and Freedman Do: isolution, quarantine, social distancing and community containment: pivotal role for old-style public health measures in the novel corona virus (2019- ncov) outbreak. J Travel Med,2020, 1-4

[2] مروان علي القدومي: الصحة الوقائية في الإسلام، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد السادس والعشرون، أكتوبر 2012، ص 199.

بينت دراسة أخرى أن عزل نسبة كبيرة من المرضى يؤدي إلى تأجيل وصول الجائحات والأوبئة.[1]

يكمن الفرق بين الحجر الصحي والعزل أن الحجر يهدف إلى فصل المشتبه بإصابتهم بمرض معد أو الأشخاص الذين كانوا في اتصال مع المرضى أو القادمون من مكان تأكد وجود الوباء به، ووضعهم تحت الرقابة الصحية لمدة معينة في أغلبها تكون أربعين يوما، فإذا ظهرت على الشخص الذي وضع في الحجر الصحي أعراض المرض يتم نقله إلى المستشفى لعلاجه، ويفرض عليه العزل، وإن لم تظهر عليه الأعراض خلال مدة الحجر الصحي يتم إطلاق سراحه بعد انتهاء المدة، ويتم الحجر في أماكن مهيأة لهذا الغرض كالفنادق مثلا، أو مصحات معزولة، وهذا لضمان عدم انتقال المرض وانتشاره في حال كان الشخص الموضوع تحت الحجر الصحي مصابا من خلال قطع كل اتصال له مع أي شخص غير مصاب خصوصا أفراد عائلته، وبالتالي تخفيض احتمال نشر العدوى وحصر المرض، كما أن الحر يمكن أن يكون فرديا أو جماعيا، وقد يكون اختياريا أو إجباريا مع اختلاف الأمراض ودرجة خطورتها.[2]

أما العزل فيكون خاصا بالمرضى ومن أصيب به، أي أن العزل يطبق عند التأكد من إصابة الشخص بالمرض، عكس الحجر الصحي الذي يطبق على الأشخاص الذين لم يُتأكد من إصابتهم بالمرض.

3- نظرة الساكنة والسلطة الحاكمة للحجر الصحي:

لقد ركز حمدان خوجة في حديثه على الإجراءات الوقائية على نظام الحجر الصحي أو ما عرف بـ"نظام الكرنتينة" في أوروبا لأنه عايشها مرتين الأولى في إسبانيا والثانية في فرنسا [3]، وهذا ما تأسف له حمدان بن عثمان خوجة من عدم وجود هذه الإجراءات في الجزائر" إذ اعتبر أن عدم الاهتمام والاحتراز من الأوبئة خطأ كبير، وفي هذا ألف كتابه المشهور "إتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز من الوباء"

[1] - Marahatta SB, Paudel S, Aryal N : Covid-19 pandemic: What can Nepal do to Curb the Potential Public Health Disaster? Journal of karnali Academy of Health Sciences: p3.
[2] - wilder-smith A and Freedman Do, op cit, p3.
[3]- حمدان خوجة، إتحاف المنصفين، المصدر السابق، ص 46.

وهذا ما صوره حمدان خوجة من خلال رأيته لهذه الإجراءات ومعاينتها، ومقارنتها بما يحدث في الجزائر خاصة والدول الإسلامية عامة، وعدم مبالاتهم بهذه الإجراءات حيث يقول:" حيث التزموا لدفع الوباء عنهم ما جربوه من الاحتماء و الاحتراز بالاستقراء في عدم إدخال الداخل إليهم إلا بعد تحقّق البراءة أو الاستبراء وجعلوا لذلك حكامًا في أماكن حصينة مع غاية الاحتياط وسمو ذلك كرنتينة"، ثم شرح وفسر حمدان خوجة عدم وجود مثل هذه الإجراءات في البلاد الإسلامية عمومًا إذ عزّى ذلك إلى نفور المسلمين لكل فعل أتى من النصارى سواء فعلوه أو ابتكروه أو رتبوه أو نصحوا به[1].

ولهذا نجد "حمدان بن عثمان خوجة" بعد خروجه من الجزائر ومعاينته للإجراءات الصحية والاحترازات في الأماكن التي زارها، أرسل خطابًا في شكل كتاب إلى حكام الدولة العثمانية في الباب العالي يحثهم على ضرورة الأخذ بالإجراءات الصحية الوقائية، فاقترح تطبيق نظام حجر صحي على الموانئ العثمانية، كما شدد على ضرورة تعيين طبيب حاذق، له القدرة على التفريق بين الأمراض والأوبئة وغيرها واعتبر وجود هذا الطبيب واجبًا شرعًا لا مناص منه لحفظ نفوس المؤمنين.[2]

ثم نجد حمدان خوجة اتخذ موقفا إيجابيا من الحجر الصحي، وتناوله بالتفصيل ضمن مؤلفه الخاص (إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء)، حيث حلل فيه الحجر الصحي مبرزا الجانب الشرعي والطبي من ذلك، حيث نجده يعرف المحجر الصحي وتبيان أهدافه الوقائية قائلا: " اشتهر في بلاد الفرنج الاحتماء عن الوباء وأعدوا لذلك موضعا سموه (كرنتينة)، وحقيقتها إنما هي الاحتماء والاحتراز وجعلوا ذلك المحل في مداخل الداخلين إليهم....."، ودعم قوله بالآثار النبوية.[3]

ولكن إذا تكلمنا عن رؤية الساكنة والحكام للوباء والعدوى في الفترة محل الدراسة نجد أن معظمهم لم يكن يهتم بالجانب الصحي، كما أن الحكام لم تكن لديهم سياسة واضحة اتجاه الأوبئة أو العدوى وهذا ما يتضح جليا في وباء 1718م الذي ضرب الجزائر حيث لم يتخذ

---

[1]- حمدان خوجة، المرجع السابق، ص 3.

[2]- نفسه، ص 47.

[3] - بن عمر حمدادو: ظاهرة الأوبئة والأمراض بالجزائر من خلال كتاب أقوال المطاعين في الطعن والطواعين لأبي حامد العربي المشرفي، مجلة عصور، العدد 37، أكتوبر-ديسمبر 2017، ص 247.

الداي وأعضاء ديوانه أي إجراء اتجاه هذا الوباء والذي كان بسبب سفينة قادمة من الإسكندرية رست بميناء الجزائر وثم تفريغ بضائعها رغم انتشار الطاعون بين المسافرين[1].

وقد أجمع أغلب الباحثين والمؤرخين على ضعف المنظومة الصحية في الجزائر خلال الحكم العثماني مقارنة بتلك الموجودة بأوروبا، فقد غلب الاهتمام بالجانب العسكري على حساب الجانب الاجتماعي والثقافي، فمواجهة الأوبئة في الإيالة لم تتضح معالمها في جل المصادر التاريخية خصوصا ما تعلق بنظام الكرنتينة أو الحجر الصحي وكيفية تطبيقها، لهذا نجد أن السلطة العثمانية اختلفت طريقة تعاملها مع الأوبئة ما بين الصرامة والاستهتار. غير أن هذا الكلام لا ينفي وجود إجراءات وقائية كالحجر الصحي. وهذا ما ذكره عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري في كتابه: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال وهذا خلال حديثه عن وباء 1744 إذ يقول: "...قدم علينا مركب من الاسكندرية بالحجاج، وفيه الوباء فمنعهم الباشا الدخول، حمية من أن يقوم ممرض على مصح إلى ثامن عشرة، موافق خامس عشر أوغشت..." [2].

وقام أبناء باي حسن بن علي أثناء الوباء الذي أصاب الجزائر سنة 1741م بنفس الأمر، حيث فضلوا الابتعاد إلى الأماكن خاصة البعيدة عن الوباء [3]، وانتهج الحكام أسلوب الفرار في مناسبات عديدة كما حدث في طاعون سنة 1741م الذي راح ضحية أزيد من 5 ألف نسمة من مدينة الجزائر أما الدّاي فحجر نفسه في إقامته الريفية هروبًا من الطاعون ورافضًا أي احتكاك بالخارج[4].

وهذا ما ذهب إليه مصطفى خياطي حيث أكد أنه كان هناك نظام حجر صحي في بعض المناطق في الجزائر وليس كلّها[5]، ولكن اقتصر على مناطق دون غيرها وعلى دايات دون غيرهم وفي أوقات معينة وهذا ما أشار إليه " شونيرغ" في كتابه " الطب الشعبي في الجزائر بداية الاحتلال" من أن عددًا من البايات اتخذ إجراءات وقائية للحد من انتشار الأوبئة والتخفيف من شدتها كفرض الرقابة الطبية على الوافدين من الخارج، خصوصًا

---

[1] -j, marcheka, ; La peste en afrique septentoriale, Histoire de la peste en Algérie de 1363 à 1830. Carbonel, paris ; 1927 ;pp 17-18

[2]- عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، المصدر السابق، ص 121.

[3] - Jean Marcheka, Op.cit, p88.

[4] - H.D de Grammont, Op.cit, p 88.

[5]- مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص 74.

الوافدين عن طريق البحر. ويذكر إرجاع سبعة أشخاص إلى سفنهم بعد تأكد إصابتهم بالوباء [1]، وهذا الأمر قام به باي وهران سنة 1786م عندما أمر بفرض حجر صحي عليه وعلى مرافقيه ولم يدخل مدينة وهران كما علم بأمر الوباء الذي نزل عليها[2].

4- الإجراءات التي طبقتها السلطة الحاكمة:

ومن الإجراءات المتعلقة بالحجر الصحي خصوصا ما مارسه البايات نجد الدّاي محمد بن عثمان خوجة خلال سنة 1781م والذي رفض لإحدى السفن الفرنسية القادمة من مارسيليا الرسو في مدينة الجزائر لاشتباه إصابة طاقمها بالطاعون، ولكن هذا لم يكن ناجحًا، حيث قام مجموعة من الأشخاص بمساعدة السفينة على الرسو في ميناء مدينة عنابة وتسرب خلالها الوباء إلى باقي الإيالة[3].

ونجد الدّاي حسن باشا سنة 1791م أمر حاجبين بتطبيق نظام الحجر الصحي على أنفسهما حيث وصلا إلى مارسيليا طالبان من الغرفة التجارية Chambre de comme de Marsseille أن تقوم سجدتهما وذلك من طريق رسالة محرّرة باللغة العربية بعثت إلى مسؤول المحجر الصحي Capitaine de Lazaret[4].

كما قام باي الشرق "صالح باي" في أواخر القرن 18م بفرض طوق وحصار على المناطق المحادية لتونس وهذا لمنع دخول الوباء الذي كان منتشرًا[5]، نجد داي الجزائر سنة 1786يرفض استقبال سفينة قادمة من تونس على متنها عائلات تونسية اشتبه في إصابتهم بالوباء[6].

ويذكر هايدو فرار الباشا محمد تركلي من مدينة الجزائر خوفًا من الطاعون حيث اختفى تحت خيمة بمنطقة رأس كاكسين cap caxines))[7]، كما نجد باي بايلك الغرب الجزائري "محمد باي الكبير" فيما ذكر مارشيكا بأن من قام بذلك هو عثمان بن محمد باي الكبير وهذا سنة (1208هـ/1794م) بالخروج وأهله وحاشيته من المدينة إلى سهل ملاتة

[1]- أف شونبيرغ، المصدر السابق، 39.
[2]- مصطفى خياطي، المرجع السابق، ص 74..
[3]– Marth Conor, Op.cit (A.i.P.T), p 222.
[4] - فلة موساوي القشاعي: المرجع السابق، ص 271.
[5]- Adrien Berbrugger, Op.cit, T2, p 212.
[6]- Marth Conor, Op.cit (A.i.P.T), p 226.
[7] - E. Watble D : Document in éditeur l'assasinat du pacha Tekrli (1556-1557) In R.A N°15, année 1871, p 338.

خلال الوباء الذي ضرب بايلك الغرب عام 1794م والذي سماه السكان " طاعون عثمان" والذي ترك أثرًا كبيرًا في ذاكرة سكان البايلك بحيث تحصّن هناك مدّة من الزمن، قدّرتها بعض الدراسات بثلاثة أشهر[1]، ولم يعد إلى المدينة إلا بعد أن اطمئن بأنها خالية من الوباء، كما لم يستقبل باي بايلك الغرب سفينة كبيرة كانت قد أتت من الإسكندرية وعلى متنها عدد كبير من الحجاج وذلك بسبب وجود عدد من المصابين بالمرض على متن هذه السفينة[2].

وهنا نعود لذكر الإجراء الذي ثم تطبيقه في جوان 1797م حين حصلت الهيئة القنصلية المقيمة بطنجة من السلطان على أمر خاص يقضي بفرض الحجر الصحي على السفن القادمة من وهران، وشل جميع المواصلات القارية على حدود المغرب الشرقية، ورغم هذه الإجراءات فالمغرب نجح فقط في تأخيره، حيث وصل إليها في صيف 1799م مع الحجاج، وقيل من الحدود البرية الجزائرية المغربية، وما يؤكد رجوح الرأي الثاني أن الوباء كان موجودًا في مدينة تلمسان منذ سنة 1798م[3].

ونذكر أيضا انعقاد المجلس الصحي الدولي بطنجة في اجتماع طارئ لإقامة حزام صحي بين المملكة والجزائر لتفادي العدوى من إيالة الجزائر إلى المغرب عام 1817م، الأمر الذي عرقل وشل العلاقات التجارية المغربية-الجزائرية وأثر سلبا على اقتصاد البلاد[4].

كما كان الأوروبيون يخرجون من المدن إلى الأرياف باعتبارها ملاذًا آمنا من الوباء كما حدث في الوباء الذي ضرب الجزائر سنة 1793م[5]، حين قام القناصل والتجار بالخروج من مدينة الجزائر باتجاه الأرياف المحيطة بها، وهذا لقلّة الكثافة السكانية في الأرياف، وهذا ما قام به ممثل القنصلية في مدينة بونة في الوباء الذي ضرب المدينة سنة (1233هـ/ 1817م)، حيث خرج من المدينة ونزح بالريف[6].

---

[1] - Walsin Esterhazy,Op.cit, p 196.
[2] - J-L-G, Guyon, Op.cit, p394.
[3] - محمد الأمين بزاز، المرجع السابق، ص 87.
[4]- محمد أنيس، الطاعون بمدينة الجزائر، أثره على الديمغرافيا والأنشطة الاقتصادية خلال القرن 18، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 17-18 سبتمبر 1998، ص 32.
[5]- Adrian Berbrugger, Op.cit, T2, p 226.
[6] - Adrian Berbrugger, Op.cit, p 233.

ومن أشكال الحجر الصحي ما نجده من إجراءات صحية أشار إليها فونتور دوباردي وهي منع دخول أي جثة للدفن مات صاحبها خارج المدينة، وإذا مات رايس في البحر أو في المرسى خارج الأسوار فإن جثته تنقل للمقبرة عن طريق البحر[1].

أما في القرن 19م فقد كان من أهم الإجراءات العزل الصحي الذي صار إجباريا على الحجاج المغاربة القادمين من المشرق، حيث اصبح العربي من المحطات الأساسية لانتقال الطاعون والكوليرا من الشرق إلى الغرب خصوصا انتقال المرض مع الحجاج القادمين من آسيا إلى جموع الحجاج القادمين من مختلف الجهات الإسلامية ومن بينها دول المغارب، لهذا كانت القوافل البرية بمثابة محجر صحي متنقل تخمد الأوبئة تدريجيا في الصحاري مع طول مدة السفر، وكان على الحجاج المغاربة قضاء حوالي أربعة أشهر للعودة من الإسكندرية إلى بلدانهم، كما كان عامل السرعة في نشر تلك الأوبئة الفتاكة، ومع التطور الذي شمل الإصلاحات الصحية في أوروبا خلال القرن 19م أصبح الحجر الصحي عاملا أساسيا لا يستغنى عنه ضمن اللوائح الصحية ومحاولة فرضها على الدول المجاورة لا سيما دول جنوب إفريقيا[2]

هذا وقد واكبت السلطة العثمانية التطور الحاصل في أوروبا فقط في المجال العسكري والصناعة الحربية، أما المجال الطبي فقد كان بعيدا عن اهتمامات السلطة العثمانية، وهذا ما خلق عجز عن تصور اجتماعي لعلاقة قوية بين السلطة والمجتمع، وهذا يتضح من خلال عدم التزام السلطة بإقامة قاعدة صحية تقضي بالصرامة في تطبيق آليات الحجر الصحي باعتباره أنجع الطرق للوقاية من الوباء.

5- الحجر الصحي والمعتقد الديني:

كما أن تطبيق الحجر الصحي كان يتوقف على مدى وعي وصرامة حكام الجزائر الذين تداولوا على السلطة في التعامل مع الأوضاع الصحية التي كانت تعصف بالجزائر، وانطلاقا من هذا لم تكن آليات السلطة واضحة في هذا المجال.[3]

---

[1]- أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا دا الجزائر، 1766-1791، ط1، دار البصائر، 2008، ص 200.

[2] - بن عمر حمدادو: المرجع السابق، ص 247.

[3] - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830، مقاربة اجتماعية واقتصادية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص 65.

وهذا ما يفسر لنا اعتبار بعض رجال السلطة أن الوازع الديني يقي من الإصابة بالطاعون، وهذا ما خلق استهتارا بالقواعد الصحية، ومثال ذلك أن الداي إبراهيم منع أحد القناصل من تطبيق الحجر الصحي على سفينة قادمة إلى ميناء الجزائر معتبرا كونه تركيا مسلما سيحميه من العدوى، في حين أن القنصل الذي حاول تطبيق الإجراءات الصحية اتهمه الداي بمسيحيته ذلك أنه لم يأخذ بالقضاء والقدر.[1]

لقد وقفت السلطة الحاكمة عاجزة على تطبيق الحجر الصحي بسبب اختلاف بين رجال الدين حول كيفية التعامل مع المصابين، حيث دعى البعض إلى التوكل على الله وعدم الاحتراز معتمدين على قوله عز وجل:" قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا"، ومنهم من دعى إلى الهروب وعدم المبالاة من الأوبئة مثل ما حدث مع الباشا محمد تكلرلي الذي هرب من مدينة الجزائر واتجه نحو منطقة رأس الخشين سنة 1794م، وفرار عثمان باي وهران نحو سهل ملاتة.[2]

ولهذا كان الموقف الشائع والغالب عند الحكام اتجاه الأمراض والأوبئة في الهروب منه أو الاستسلام للقضاء والقدر، واعتبار الأمراض والأوبئة أمرا حتميا لإرادة الله تعالى من عقاب أو ابتلاء، وكان الاعتقاد المشترك بين الحكام والسكان هو أن تسليط الأوبئة ما هو إلا تعبير لغضب الله تعالى على عباده لارتكابهم المعاصي[3].

لم تقتصر مظاهر التسليم بالقضاء والقدر وعدم الأخذ بالإجراءات اللازمة على سكان الجزائر فحسب، بل تجسد ذلك أيضا في بعض رجال السلطة الذين ذهبوا لاعتبار الوازع الديني يقي من الإصابة بالطاعون، هذا ما خلق استهتارا بقواعد الحجر الصحي، ومن أمثلة ذلك ما ذكرناه سابقا حول ما قام به الداي إبراهيم مع القنصل الفرنسي الذي منعه من تطبيق الحجر الصحي على إحدى السفن، معتبرا كونه تركيا مسلما لا يخاف من الوباء وسيحميه ذلك من العدوى، وأن القنصل خائف من العدوى والوباء لأنه مسيحي.

وفي المقابل نجد أن الباب العالي فرض نظاما صارما للحجر الصحي سنة 1822م بعد أن تضررت من تفشي العدوى الناتجة عن الكوليرا خلال القرن 19م، حيث قامت

---

[1] -J.MARCHEKA ; op cit, p145.

[2] - جمال الدين عمراوي: وباء الطاعون في الجزائر العثمانية بين الحجر الصحي والتطبيب، مجلة آفاق فكرية، المجلد التاسع، العدد الثاني، 2021، ص 234.

[3] - J. foucqueron, essai topographie et médicale sur la régence d'Alger ; just rouvier ;paris ; 1833 ; p 102.

الدولة العثمانية بإنشاء مراكز للحجر الصحي في اسطمبول، بورصة، طرابزون، ومناطق الروميلي، وثم ربط قواعد الحجر الصحي بقانون الدولة للوقوف على صرامة تطبيقه، وصياغة العقوبات على المخالفين له.[1]

إن سياسة السلطة العثمانية في الجزائر انعكست على المجال الطبي، وعلى التدابير المتخذة للوقاية من الأمراض المعدية خاصة الطاعون، وعلى هذا الأساس لم تلتزم هذه السلطة بإقامة قاعدة صحية تقضي بالصرامة في تطبيق آليات الحجر الصحي باعتباره أنجع طرق الوقاية.

وعلى هذا الأساس فإن تطبيق آليات الحجر الصحي كان يتوقف على مدى وعي وصرامة حكام الجزائر الذين تداولوا على السلطة في التعامل مع الأوضاع الصحية التي كانت تعصف بالجزائر، وانطلاقا من هذا لم تكن آليات السلطة واضحة في هذا المجال[2].

فيتضح جليا أن إيالة الجزائر على الرغم من كزن اغلب سكانها مسلمين، والدين الرسمي للدواة هو الدين الإسلامي، إلا أن هذا يقودنا إلى التأكيد على الدور الثقافي والتعليمي الذي انهار على حساب أولويات السلطة العثمانية في الجزائر العسكرية والاقتصادية.

وهنا نطرح سؤالاً هل كان الحجر الصحي مقبولاً عند الحكام والسكان؟ وما هو موقف الإسلام منه؟

وهذا قد أجابت عليه وثيقة تطرقت للحجر الصحي وعلاقته بالشريعة الإسلامية لمحمد بن مصطفى كمال والذي كان مدرسًا بمسجد السفير بمدينة الجزائر مقالاً باللغة العربية بعنوان:" تنوير الأذهان في البحث على التحرز وحفظ الأبدان" يتطرق فيه إلى طرق العلاج والمصالح الصحية من وجهة نظر المبادئ الدينية عند المسلمين، ورجع محمد بن مصطفى إلى الكتب المقدسة والمراجع [3].

---

[1] - هجيرة غراف: المرجع السابق، ص 158.

[2] - عائشة غطاس: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية اقتصادية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص 155.

[3] - Mohame Ben Mostefa Kamel, professeur de la moquée d'Alger, « La médecine et les quarantaines dans leurs rapport avec la loi musulmane, Alger fortana, 1896, 23 p . parc In R.A . Bulletin, pp 84-85.

وهنا نشير إلى ما ذكرناه مسبقا على أن الدايات اعتبروا أن هذه الأوبئة غضب من عند الله عز وجل، وكان هناك اختلاف حتى بين رجال الدين في إصدار فتوى تتحلق بالحجر الصحي والعزل، فمنهم من قال بقول الله عز وجل في سورة التوبة: « قُلْ لَن يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ الله لَنَا»[1]، ومنهم من دعى إلى الاحتراز والعلاج من الأوبئة امتثالا لقوله تعالى: « وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُم إِلَى التُّهْلُكَةِ»[2]، ونجد نماذج عديدة لتعامل الحكام مع الأوبئة ومدى تطبيقهم للحجر الصحي والإجراءات الإحترازية[3]

وإذا أردنا معرفة العلاقة الحقيقية للحجر الصحي بالشرع الإسلامي نعود لذكر حادثة عمر بن الخطاب الذي خرج باتجاه الشام ووصله خبر وهو في الطريق بأن بها وباءا، فتشاور مع الصحابة رضوان الله عليهم، فاختلف الرأي بينهم، فمنهم من عرض عليه المضي ومنهم من اقترح عليه الرجوع إلى المدينة، فاتخذ عمر قرارا ونادى في الناس " إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه" أي أنه عزم على الرجوع وعدم الدخول إلى الشام، فقال له أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وهو إذ ذاك أمير الشام " أفرار من قدر الله"، فرد عليه عمر بن الخطاب لو قالها غيرك يا أبا عبيدة، لأنه كان يكره خلافه، وقال له " نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله"، وهم على هذه الحال حتى جاء عليهم عبد الرحمان بن عوف، فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إذا سمعتم به بأرض قوم فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه"، وهذا ما يثبت أن الحجر الصحي من مقاصد الشريعة الإسلامية، وأنه من الإجراءات التي دعا إليها الرسول صلى الله عليه وسلم لتفادي انتشار الأوبئة وحصرها في نطاق ضيق ومنع انتشارها[4].

كما أن الإسلام وضع قواعد لمنع الأمراض المعدية، فبالإضافة للحجر الصحي وعزل المريض، تضمن الإجراءات عدم الدخول على منطقة عُلم بها الوباء، وعدم الفرار منه إدا كان الشخص داخل المنطقة، إضافة للاستعانة بالطب والدواء، والتطعيم في الوقاية والعلاج[5].

---

[1] - الآية 51 من سورة التوبة

[2] - الآية 195 من سورة البقرة

[3] - بن أحمد عيسى جمال: طرق العلاج والتداوي في الجزائر خلال 1782-1814، مجلة آفاق فكرية، المجلد 9، العدد 2، 30 أكتوبر 2021، امعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، ص 108.

[4] - حمدان خوجة: اتحاف المنصفين، المصدر السابق، ص ص 18-19.

[5] - Dr. Thamer Hatamleh, Uluslararasi Islam ve tip (Tibb- Nebevi), kongresi, Adana, 2015, s 91.

وكخلاصة فإن استراتيجية مواجهة الأوبئة من الطرف الساكنة أو السلطة الحاكمة تمثلت في عدم الاحتراز من الوباء من كلا الطرفين، وتميزت بنظرتهم العقائدية المفهومة بشكل خاطئ حول القضاء والقدر، وعدم أخذهم بالأسباب المعمول بها في مواجهة الأوبئة والتي كان معمول بها في أوروبا والدولة العثمانية خصوصا ما تعلق بالحجر الصحي، ضف على ذلك غياب الثقافة الطبية العلاجية وقلة المستشفيات والأطباء، واعتمادهم على الطب الشعبي أو الممارسات والعادات المتوارثة.

كما أن إجراءات الحجر الصحي في الإيالة عموما وفي بايلك الغرب لم تحترم ولم تطبق بشكل صارم، وهذا بسبب تساهل السلطة الحاكمة ولا مبالاتها بالرعية، وكان تطبيق الحجر الصحي أو الفرار من المناطق الموبوءة يقتصر على الباي واسرته، ونلاحظ أيضا استسلام السكان للأوبئة والرضا بها باعتبارها تقديرا من الله عز وجل دون الأخذ بالأسباب الوقائية، وهذا ما يجعلنا نحمل السلطة الحاكمة تفاقم الأوبئة وانتشارها، وحصدها الآلاف من الضحايا، فتعاملها كان يعبر عن سذاجة واستصغار وتهاون لا يعبر عن سلطة قوية تهتم لشؤون الرعية، وكان كل همهم وتفكيرهم تحصيل الأموال والحرص على السفن التجارية والمبادلات التجارية، واعتقادهم أن دورهم تحصيل الأموال وتحقيق ثروة اقتصادية واستمراريتهم في الحكم على حساب الحالة الصحية للساكنة، فكان تصورهم أن عملهم يقتصر على تحصيل الضرائب وإخضاع القبائل الرافضة لها، أو القبائل العاصية للباي، لذلك كانوا يعتبرون أن الأزمات الصحية وطرق مواجهتها لا يقع ضمن اختصاصاتهم، وهنا نستثني الباي محمد الكبير الذي كانت تصرفاته تنم عن الشعور بالمسؤولية والخوف من الله عزوجل.

كما نلاحظ أن المجتمع الجزائري كان بعيدا عن الأمور السياسية والإقتصادية إلا بما يتناسب وحاجياته فلم يكن يهتم لسيطرة اليهود على التجارة واحتكارهم لتصدير القمح، ولم يكن يهتم للوضع الصحي إذا لم يكن يفضي للموت.

أما اهتمام الجزائريين بالطب فقد اختلف حوله، فنجد المصادر الأوربية نفت اي اهتمام لهم بالطب والعلاج، بينما يرى من أرّخ لتلك الفترة من المؤرخين والفقهاء الجزائريين، ومن جاء بعدهم في الفترة المعاصرة خصوصا الدكتور أبو القاسم سعد الله، أن الجزائريين

اهتموا بمجال الطب أكثر من اهتمامهم بالعلوم الأخرى، خصوصا ما تعلق بالعلاج عن طريق الأعشاب أو الرقية، وبراعتهم في استعمال الأعشاب في علاج العديد من الأمراض خصوصا ما ورد في كتاب كشف الرموز لابن حمادوش.

خاتمة

إن خاتمة بحثنا لا تعني نهاية الدراسة أو إعطاء حوصلة لما تم الكلام عنه في البحث، بقدر ما تعتبر بداية جديدة أو انطلاقة لدارسات أخرى حول موضوع الأوبئة والأمراض سواء ما تعلق بالجزائر العثمانية، أو الأوبئة التي ضربت مناطق مختلفة في العالم، فطوال دراستنا لم ننفك نتوقف عن إعطاء إشكاليات جديدة حول موضوع الأوبئة والأمراض بسب تأثيرها الآني أو البعيد على التركيبات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية للمجتمعات.

فالأوبئة كانت عاملا أساسيا في الحياة العامة للمجتمع في الإيالة الجزائرية عموما وبايلك الغرب خصوصا، وبالأخص في الفترة محل الدراسة 1700م إلى سنة 1830م، فنجد أن الأوبئة تأثر على المجتمع من خلال المرض والموت والعدوى، كما أنه أثر فيها من خلال المساهمة في إيقافها أو حصرها، أو إطالتها في أحيان كثيرة، فالأوبئة جسدت لنا أشكال المعاناة والبؤس والحزن والتي تولدت عن حياة قاسية.

ومن خلال استعراضنا لمسار الأوبئة والأمراض في الإيالة الجزائرية وبالضبط في بايلك الغرب الجزائري ورغم أنه الإقليم الأقل تضررا من الأوبئة مقارنة ببايلك الشرق ودار السلطان، وذكر أسباب وطرق انتشاره، وكيف تمت مواجهته من طرف الساكنة المحلية أو السلطة الحاكمة، أو الإسبان واليهود والنصارى يمكننا أن نصل إلى مجموعة من النتائج والتي لا يمكن اعتبارها نهائية وإنما تحتاج لدراسة وبحث وتعمق، ومن بينها:

أن العلاقة بين الأوبئة مترابطة مع بعضها البعض حيث أثرت في بعضها البعض ومنها من كان استمرارية لما سبقها خصوصا إذا توفرت لها العوامل المناسبة لاستمرارها كوباء 1783م الذي استمر حتى سنة 1794م ووباء 1818م الذي استمر حتى سنة 1822م، وما يكاد يختفي وباء حتى ينوب عنه وباء آخر.

كما يمكننا القول أن الأزمات الصحية من أوبئة وأمراض كانت سببا في الانهيار الديمغرافي لسكان الإيالة أكثر مما كانت تخلفه المجاعات والأزمات الغذائية.

لقد كان متوسط عمر الوباء ما بين سنة إلى أربع سنوات، ومنها من استمر لمدة أطول في حالات استثنائية قاربت العشر سنوات، وخلال هذه الفترة كان يخلف الآلاف من الضحايا.

إن طول الأزمات الوبائية وقوتها ارتبط بشكل رئيسي بعاملين مهمين: الأول هو العوامل الطبيعية كالمناخ، ودرجة الحرارة والرطوبة، حيث نجد أن الأوبئة يزيد نشاطها مع اعتدال درجة الحرارة بين الخريف والربيع، حيث تنموا الطفيليات والأرومات الوبائية، أما انخفاض درجة الحرارة أو ارتفاعها بشكل كبير كان سببا في انحصار الأوبئة واختفائها أحيانا، أما العامل الثاني فتمثل في استراتيجية مواجهته من الطرف الساكنة أو السلطة الحاكمة وما صاحب ذلك من عدم الاحتراز من الوباء من كلا الطرفين، ونظرتهم العقائدية المفهومة بشكل خاطئ حول القضاء والقدر، وعدم أخذهم بالأسباب المعمول بها في مواجهة الأوبئة والتي كان معمول بها في أوروبا والدولة العثمانية خصوصا ما تعلق بالحجر الصحي، ضف إلى ذلك غياب الثقافة الطبية العلاجية وقلة المستشفيات والأطباء، واعتمادهم على الطب الشعبي أو الممارسات والعادات المتوارثة.

كما أن المجاعات والأوبئة ظلتا خاضعتين لبعضهما البعض، ففي كثير من الأحيان نجد أن المجاعات والأزمات الغذائية كانتا أرضية خصبة لحدوث الأوبئة بعدها مباشرة بسبب ما تحدثه من نقص في المناعة بسبب سوء التغذية وهذا ما يجعل الجسم عاجزا عن مواجهة الأوبئة بغض النظر عن درجة قوتها وانتشارها.

والجدير بالذكر هنا أن حذة الأوبئة في الإيالة الجزائرية كانت تختلف من منطقة إلى أخرى، فكلما اتجهنا من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب إلا وقلت حدة الأوبئة، حتى نكاد لا نجد له أثر في المناطق الصحراوية، ونشاطه كان قويا في الجزائر وقسنطينة وعنابة وبدرجة أقل في بايلك الغرب.

كما أن الكثافة السكانية كانت تلعب دورا كبيرا في الانتشار السريع للأوبئة والأمراض، فمثلا نجد المدن الكبرى في الإيالة كالجزائر وقسنطينة وعنابة وتلمسان، كانت تعرف نشاطا كبيرا للأوبئة وسقوط ضحايا أكثر مما نجده في القرى والأرياف، كما كانت هذه المدن تعتبر نواقل للوباء من منطقة إلى أخرى بسبب نشاطها التجاري والقوافل التجارية، وقوافل الحجاج.

كما أن إجراءات الحجر الصحي في الإيالة عموما وفي بايلك الغرب لم تحترم ولم تطبق بشكل صارم، وهذا بسبب تساهل السلطة الحاكمة ولا مبالاتها بالرعية، وكان تطبيق الحجر الصحي أو الفرار من المناطق الموبوءة يقتصر على الباي وأسرته وأيضا استسلام السكان للأوبئة والرضا بها باعتبارها تقديرا من الله عز وجل دون الأخذ بالأسباب الوقائية، وهذا ما يجعلنا نحمل السلطة الحاكمة تفاقم الأوبئة وانتشارها، وحصدها الآلاف من الضحايا، فتعاملها كان يعبر عن سذاجة واستصغار وتهاون لا يعبر عن سلطة قوية تهتم لشؤون الرعية، وكان كل همهم وتفكيرهم تحصيل الأموال والحرص على السفن التجارية والمبادلات التجارية، واعتقادهم أن دورهم تحصيل الأموال وتحقيق ثروة اقتصادية واستمراريتهم في الحكم على حساب الحالة الصحية للساكنة، فكان تصورهم أن عملهم يقتصر على تحصيل الضرائب وإخضاع القبائل الرافضة لها، أو القبائل العاصية للباي، لذلك كانوا يعتبرون أن الأزمات الصحية وطرق مواجهتها لا يقع ضمن اختصاصاتهم، وهنا نستثني الباي محمد الكبير الذي كانت تصرفاته تنم عن الشعور بالمسؤولية والخوف من الله عزوجل.

كما نلاحظ أن المجتمع الجزائري كان بعيدا عن الأمور السياسي والاقتصادية إلا بما يتناسب وحاجياته فلم يكن يهتم لسيطرة اليهود على التجارة واحتكارهم لتصدير القمح، ولم يكن يهتم للوضع الصحي إذا لم يكن يفضي للموت، غير أنهم كانوا يقومون بثورات وانتفاضات في حال كانت هذه الأحداث ذات تأثير كبير على المجتمع رغم أنها كانت ظرفية ولم يكن لها تأثير كبير، وقد احتوت السلطة هذه الاضطرابات بفرض بعض الإجراءات الصحية لاحتواء غضب سكان المدن لا غير، إضافة لفتحها مخازن الحبوب لتهدئة غضب السكان من المجاعات التي كانت تنزل بهم، لقد كانت تصرفات السكان ذات توجه وخلفية دينية خلال الأزمات الصحية، وهذا ما يفسر لنا محاولة الدايات والبايات إظهار انفسهم في صورة الرجل المتدين وهو ما رفع مستوى ولائهم واحترامهم من طرف السكان، كنظرتهم للباي محمد الكبير وما تمتع به من محبة وتقدير عند سكان بايلك الغرب.

خاتمة

لقد عرفت البشرية في مختلف الازمنة ظهور أوبئة وأمراض حصدت أرواح الملايين من الاشخاص، منها من كان في نطاق ضيق ومنها ما شمل مساحة جغرافية معينة وحصد عدد كبير من الضحايا في فترة زمنية محدّدة والذي اصطلح على تسميته وباءا بغض النضر على نوعه، ولهذا ظهرت جدلية الفرق بين الوباء والطاعون عبر التاريخ في كتابات المؤرخين ومدونات الفقهاء والأطباء، وفي المصادر الأوروبية، وأخذ ذلك حيزا كبيرا عند علماء المسلمين وذلك لارتباط الطاعون بما ذكر من أحاديث نبوية شريفة جعلت الميت بالطاعون في مرتبة الشهداء، ومن هنا ارتبطت التعاريف الفقهية بما ذكر في الآثار الدينية والسنة النبوية، وكانت نظرتهم عقائدية إذ أن الوباء لا ينتقل بالعدوى، وإنما هو تصريف من الله عز وجل لمن يشاء من عباده، غير أن علماء وفقهاء الفترة الحديثة كانت لهم نظرة أخرى، وأعطوا تعريفات أعمق وأشمل للوباء والطاعون وخلصوا في النهاية إلا أن الوباء أعمٌّ من الطاعون، فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعون، أي أنه يختلف حسب البيئة التي يعيش فيها الشخص، وطريقة انتقاله عن طريق الهواء أو اللّمس، أو رذاذ الشخص ، وصنفوا الأوبئة حسب الأعراض التي يعاني منها الشخص المصاب، ومدّة الإصابة، وكيفية انتقال الوباء إليه، وهذا ما تجلى في العصر الحديث أو ما عرف بعلم الأوبئة والذي يركز في دراسته على شقين مهمين وهما انتشار الأوبئة والأمراض والعوامل التي ساعدت في ذلك، وكان لا بد من إلقاء نظرة حول الأوبئة التي ضربت الجزائر خلال الحكم العثماني لتبيان الصورة حول طبيعتها وكيفية انتقالها وأثرها على الساكنة، وتسليط الضوء على اهتمام الجزائريين بهذا الموضوع فقد اختلف حول اهتمامهم بالطب، فنجد المصادر الأوربية نفت اي اهتمام لهم بالطب والعلاج، بينما يرى من أرّخ لتلك الفترة من المؤرخين والفقهاء الجزائريين، ومن جاء بعدهم في الفترة المعاصرة خصوصا الدكتور أبو القاسم سعد الله أن الجزائريين اهتموا بمجال الطب أكثر من اهتمامهم بالعلوم الأخرى، وما يزكي هذا القول هي التصنيفات التي وصلت إلينا لجزائريين اهتموا بموضوع الطاعون على الخصوص وأفردوا له مؤلفات كحمدان خوجة, وأبي راس الناصري، وابن حمادوش الجزائري، والصنهاجي وغيرهم، وأخيرا لا يمكن نكران ولو بشكل من الأشكال للدور الذي لعبه الموروث الإسلامي والمدونات الفقهية في التأريخ للأمراض والأوبئة، وطرق

العلاج منها، حتى وإن ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمفهوم الديني العقائدي، إلا أنها أخذت حيزا كبيرا في كتاباتهم ومؤلفاتهم، وبحوثهم، وكانت نظرتهم للأوبئة نظرة علمية، دينية إضافة إلى ربطها بالعقيدة الإسلامية من خلال الكلام حول الفرار من الوباء، أو البقاء في الأرض التي ينزل بها، وكانت رؤيتهم أكثر شمولية ووضوحا مما ذكر في المصادر الأوروبية القديمة.

بعد استعراضنا لهذه المجموعة من النتائج التي خرجنا بها من خلال دراستنا لهذا الموضوع ارتأينا تقديم بعض التوصيات لاستكمال البحث في مثل هذا الموضوع ومواضيع ذات صلة، وهذا للخروج من الدراسة التاريخية الكلاسيكية إلى الدراسة التاريخية الواقعية والمتعلقة بعلوم الإنسان والكون وربطها بالتاريخ ودراسة الماضي وتأثيرها على الأحداث الفكرية والتاريخية للمجتمعات، وتأثيرها أيضا في الجوانب الاقتصادية والعسكرية والفكرية والأخلاقية على المدى القصير والطويل ومن بين المواضيع التي ارتأينا طرحها:

أولا: الأوبئة وتأثيرها الأنثروبولوجي والديني وفق ما جاء في المصادر التاريخية، وهذا لربط الدراسة التاريخية بعلم الإنسان والعلوم الدينية، خصوصا ما تعلق مثلا بمسألة الفرق بين الطاعون والوباء، ومسألة العدوى عند رجال الدين والإخباريين، وطرق انتشار الأوبئة، ومسالة الفرار من الطاعون في المصنفات الإسلامية.

ثانيا: ربط البحث التاريخي في موضوع الأوبئة بالدراسات الجغرافية وهنا نتكلم على المناخ وتأثيره في انتشار الأوبئة وانحصارها وانتشارها، خصوصا أننا ذكرنا في بحثنا أن الأوبئة ارتبطت ارتباطا وثيقا بالعوامل المناخية، فعرفت انتشارا في فترات اعتدال الحرارة، خصوصا في فصل الخريف والربيع، وانحصارا أثناء ارتفاع درجة الحرارة وانخفاضها بشكل كبير في فصل الشتاء والصيف، إضافة لانتشار الأوبئة في منطقة دون أخرى.

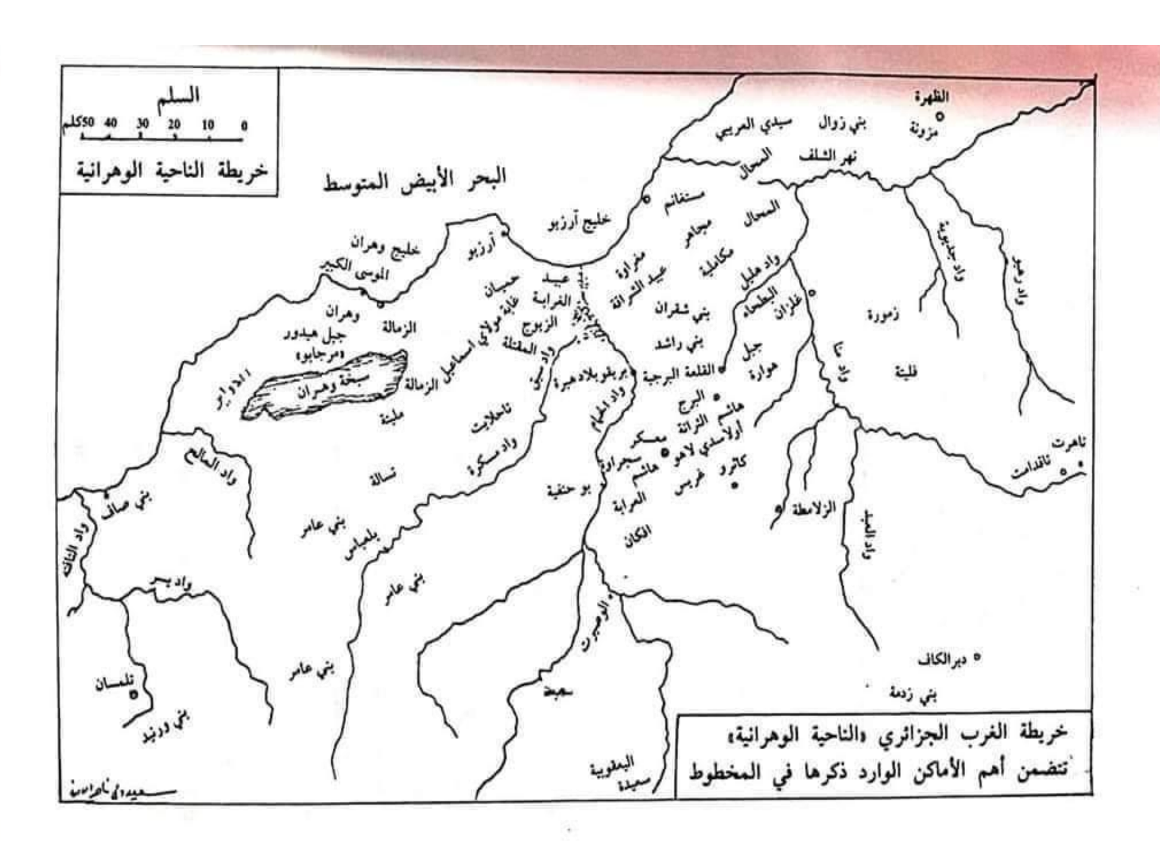
ثالثا: ومن المواضيع المهمة الواجب دراستها المخيال الشعبي للأوبئة والامراض ونظرتهم الدينية والعقائدية لها، وهنا يجب ربط النظرة الدينية والروحية للأوبئة وفق ما جاءت به الدراسات التاريخية بالتوجه الفلسفي الأنثروبولوجي الديني لها، وما هي انعكاساتها وتأثيرها على السلطة والمجتمع ومساهمتها في تفشي الأوبئة أو انحصارها.

رابعا: القيام بدراسة حول المدونات أو بحث بيبليوغرافي حول أهم الكتابات التاريخية التي اهتمت بالأوبئة والمجاعات والكوارث الطبيعية وتأثيرها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والديني والإنساني، وهنا يجب ان تكون الدراسة تهتم بشقين أساسيين وهي المدونات العربية والأجنبية والخروج بنظرة حول طرق الكتابة التاريخية عند الإخباريين والمؤرخين والباحثين العرب والمسلمين من جهة واختلافها عند الأجانب عموما، وإسقاطها على التأثيرات التي تلعب دورا كبيرا في توجهاتهم العلمية والبحثية.

جدول الملاحق

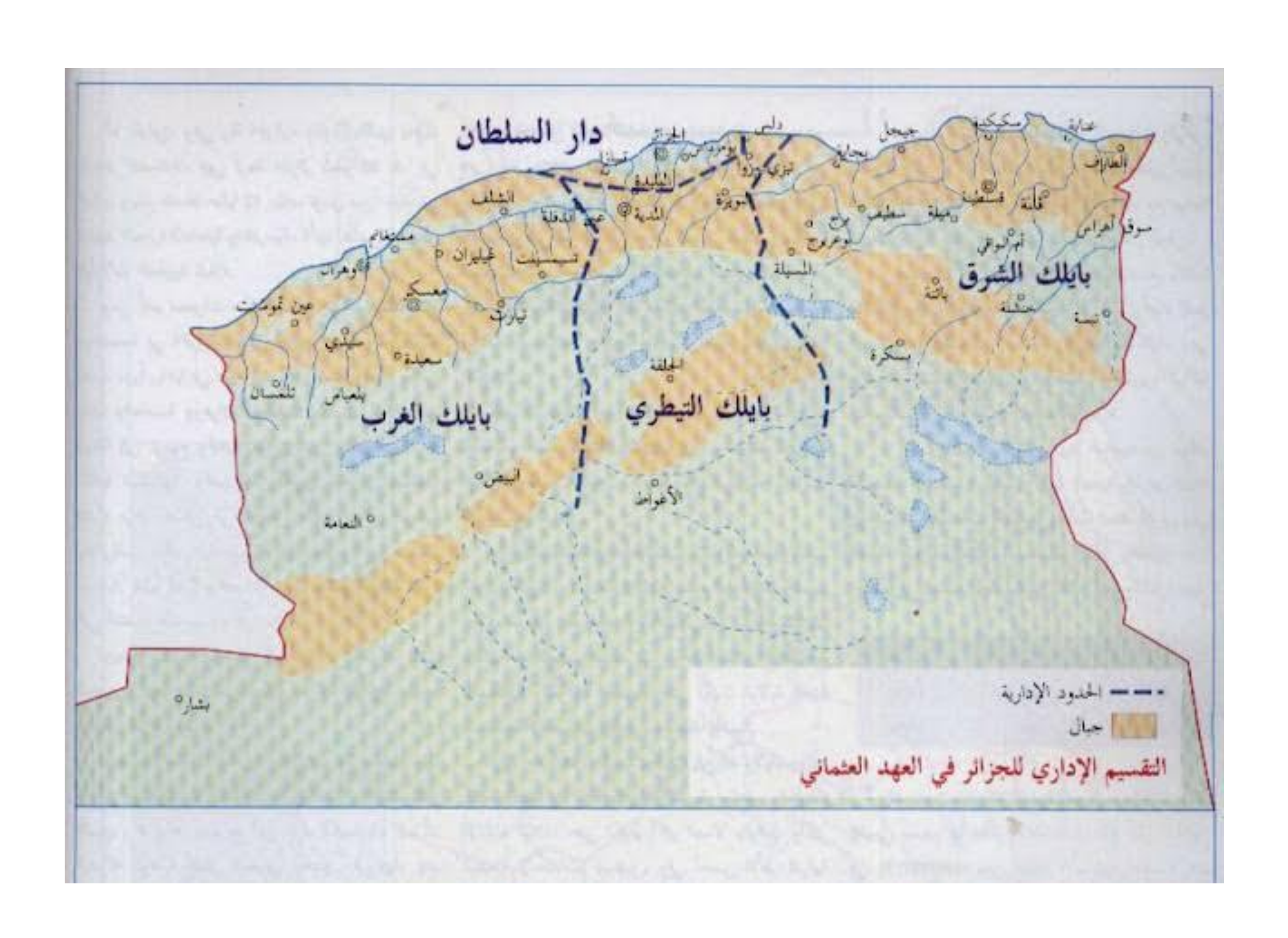
ملحق رقم 01	خريطة الغرب الجزائري (الناحية الوهرانية) قبل الاحتلال الفرنسي
ملحق رقم 02	التقسيم الإداري للجزائر في العهد العثماني
ملحق رقم 03	وثيقة خروج الإسبان من وهران سنة 1792م
ملحق رقم 04	مسجد الباشا بوهران
ملحق رقم 05	مسجد محمد الباي عثمان الكبير
ملحق رقم 06	يرسينيا طاعونية مكبرة 200 ضعف معلمة بصبغ لامع، والتي تنتشر عن طريق البراغيث وسميت على اسم العالم الفرنسي السويسري ألكسندر يرسن
ملحق رقم 07	براغيث الفئران الشرقية (الأصلم cheopsis) الناقل الأساسي طاعون يرسينيا إلى الكائن الحي وهي مسؤولة عن الطاعون الدبلي في معظم أوبئة إفريقيا وآسيا وأمريكا
ملحق رقم 08	طفل تعرض للعض من البراغيث مصاب بالعدوى البكتيرية يرسينية طاعونية وتسبب اللدغة حالة جلدية وتصبح متقرحة
ملحق رقم 09	صورة توضح الخراجات الطاعونية
ملحق رقم 10	دورة الطاعون
ملحق رقم 11	مواضع دخول وخروج عصويات الطاعون في جسم الإنسان
ملحق رقم 12	نسب حدوث الأوبئة في الإيالة الجزائرية
ملحق رقم 13	عدد السكان في بايلك الغرب الجزائري في القرن 18م وحتى سنة 1830م

-خريطة الغرب الجزائري (الناحية الوهرانية) قبل الاحتلال الفرنسي

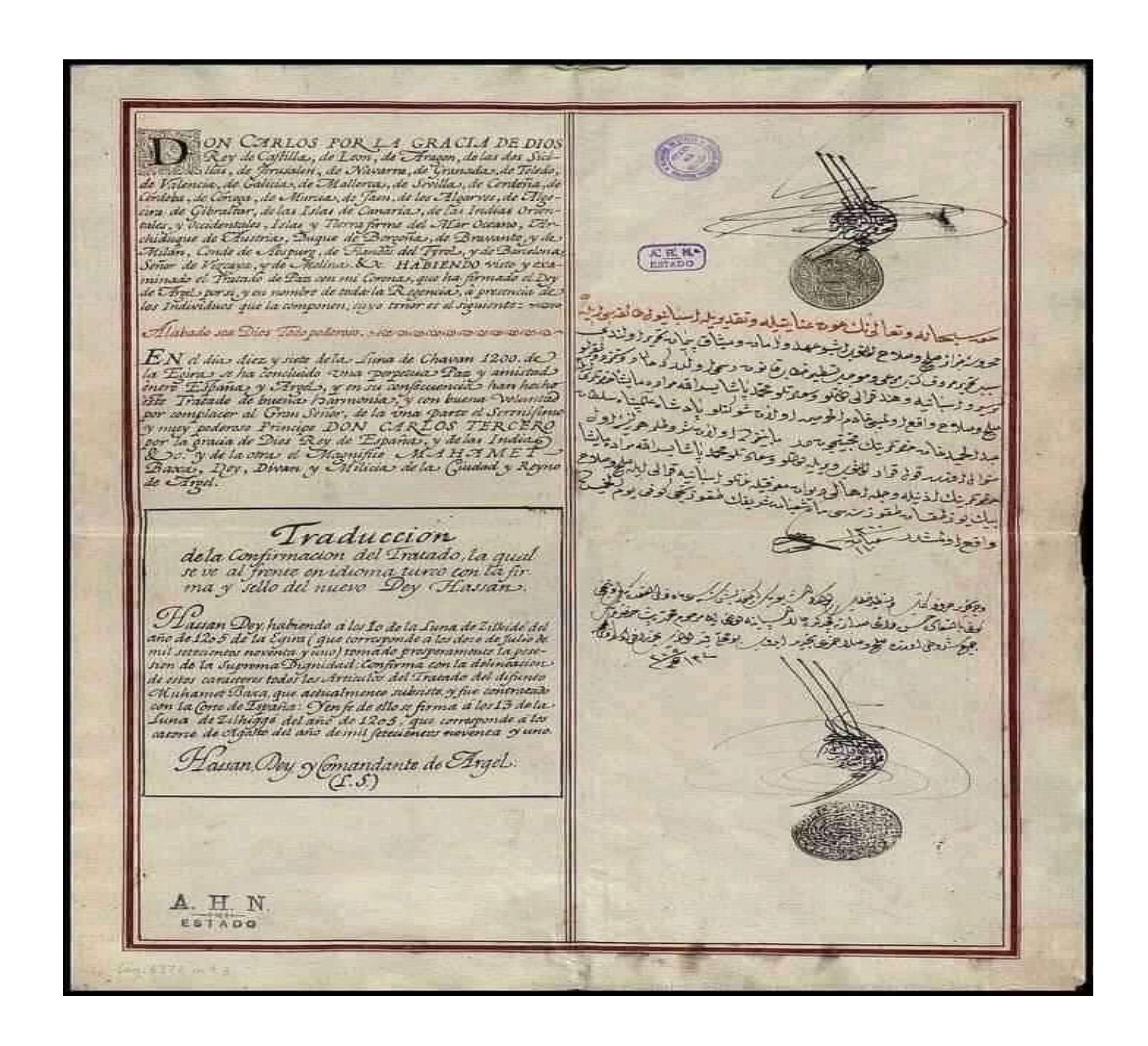


أحمد بن عبد الرحمان الشقراني الراشدي: القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تحقيق وتقديم: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، 1990، ص 80

التقسيم الإداري للجزائر في العهد العثماني



التقسيم الإداري للجزائر في العهد العثماني



DON CARLOS POR LA GRACIA DE DIOS Rey de Castilla, de Leon, de Aragon, de las dos Sicilias, de Jerusalen, de Navarra, de Granada, de Toledo, de Valencia, de Galicia, de Mallorca, de Sevilla, de Cerdeña, de Córdoba, de Corcega, de Murcia, de Jaen, de los Algarves, de Algecira, de Gibraltar, de las Islas de Canaria, de las Indias Orientales, y Occidentales, Islas y Tierra firme del Mar Oceano, Archiduque de Austria, Duque de Borgoña, de Bravante, y de Milan, Conde de Abspurg, de Flandes, del Tyrol, y de Barcelona, Señor de Vizcaya, y de Molina &c. HABIENDO visto y examinado el Tratado de Paz con mi Corona, que ha firmado el Dey de Argel por si, y en nombre de toda la Regencia, à presencia de los Individuos que la componen, cuyo tenor es el siguiente:

Alabado sea Dios Todo poderoso.

EN el dia diez y siete de la Luna de Chavan 1200. de la Egira se ha concluido una perpetua Paz y amistad entre España y Argel, y en su consequencia han hecho este Tratado de buena harmonia, y con buena Voluntad por complacer al Gran Señor, de la una parte el Serenisimo y muy poderoso Principe DON CARLOS TERCERO por la gracia de Dios Rey de España, y de las Indias &c. y de la otra el Magnifico MAHAMET Baxa, Dey, Divan y Milicia de la Ciudad y Reyno de Argel.

Traduccion

dela Confirmacion del Tratado, la qual se ve al frente en idioma turco con la firma y sello del nuevo Dey Hassan.

Hasan Dey habiendo à los 10 de la Luna de Zilhide del año de 1205 de la Egira (que corresponde a los doce de Julio de mil setecientos noventa y uno) tomado prosperamente la posesion de la Suprema Dignidad: Confirma con la delineacion de estos caracteres todos los Articulos del Tratado del difunto Muhamet Baxa, que actualmente subsiste, y fue contratado con la Corte de España: Y en fe de ello se firma à los 13 de la Luna de Zilhigge del año de 1205, que corresponde a los catorce de Agosto del año de mil setecientos noventa y uno.

Hasan Dey y Comandante de Argel.
(L.S.)

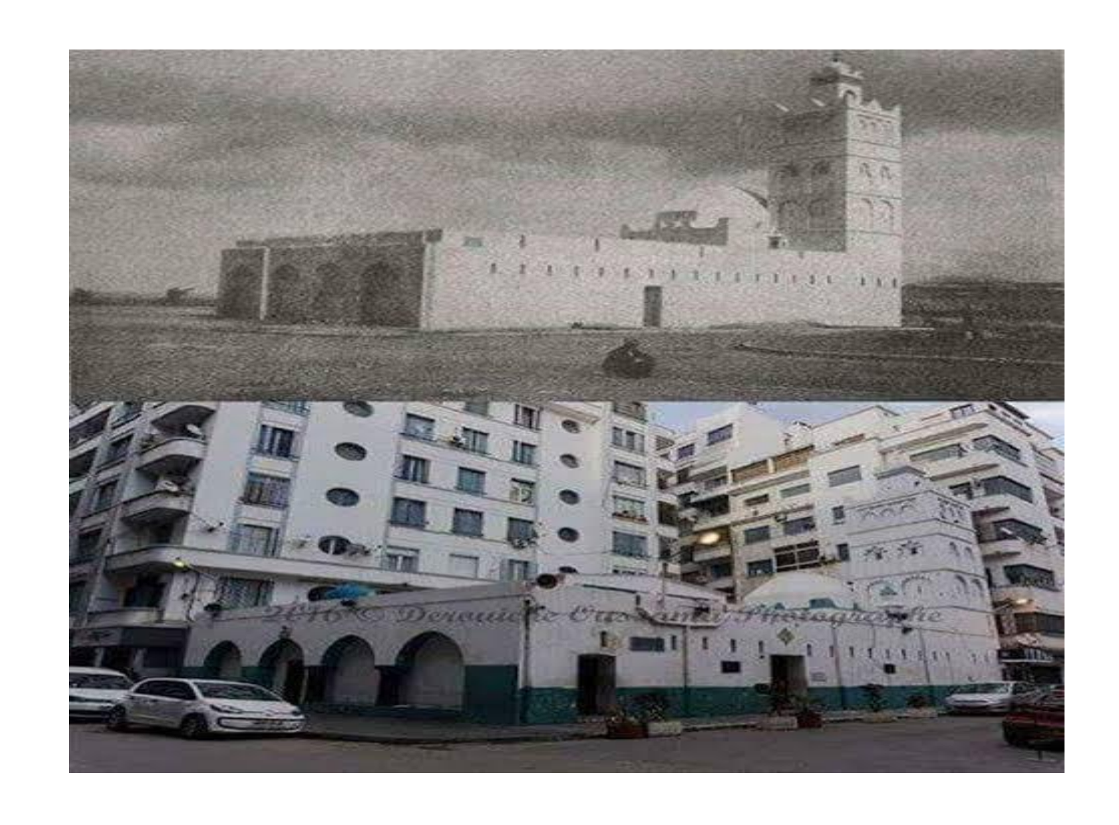
مسجد الباشا بوهران



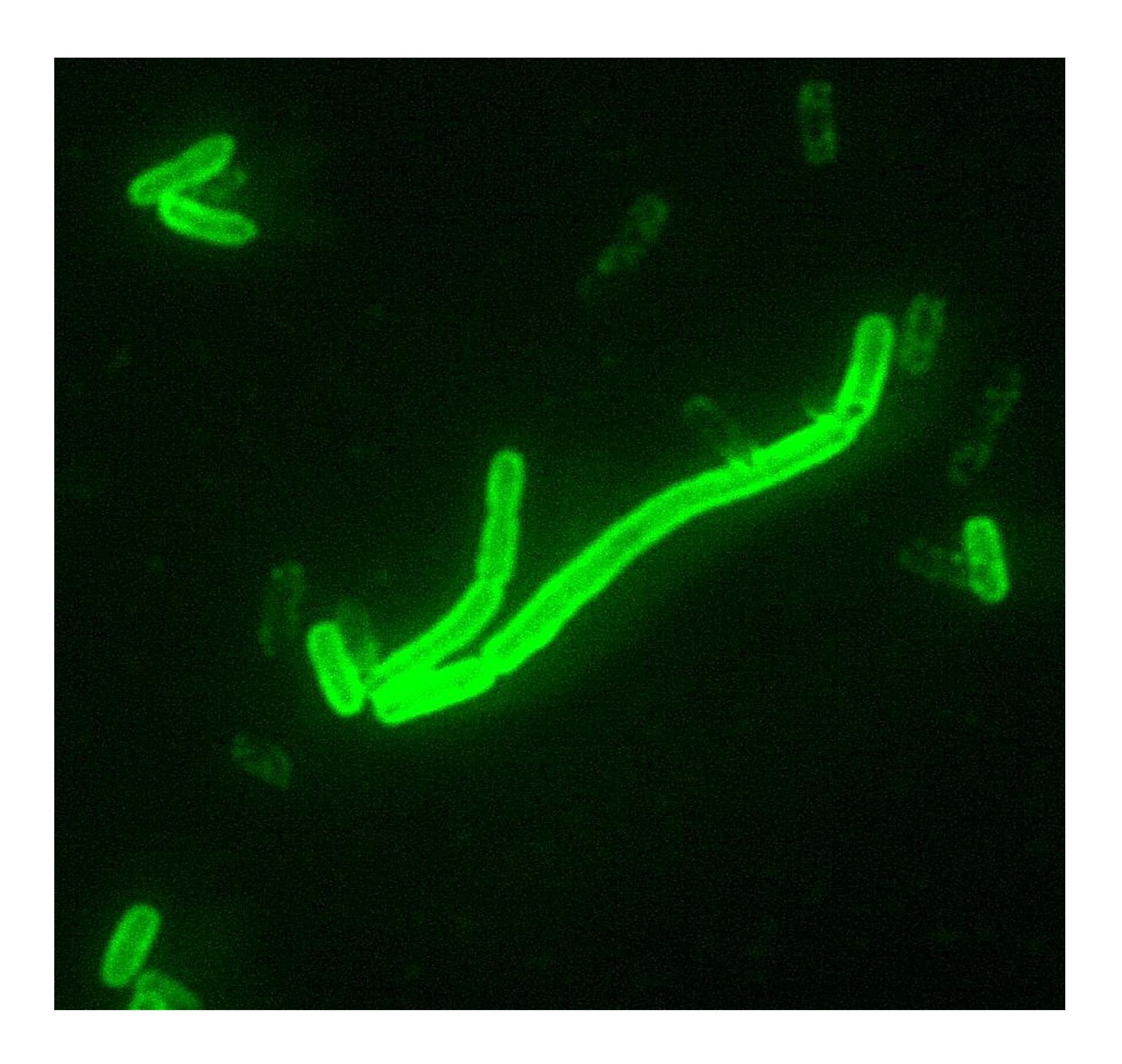


مسجد محمد الباي عثمان الكبير





يرسينيا طاعونية مكبرة 200 ضعف معلمة بصبغ لامع، والتي تنتشر عن طريق البراغيث وسميت على اسم العالم الفرنسي السويسري ألكسندر يرسن



Plague manual : Epidemiologie Distribution, Surveillance and control, pp 9-1

براغيث الفئران الشرقية (الأصلم cheopsis) الناقل الأساسي طاعون يرسينيا إلى الكائن الحي وهي مسؤولة عن الطاعون الدبلي في معظم أوبئة إفريقيا وآسيا وأمريكا



Plague manual : Epidemiologie Distribution, Surveillance and control, pp 9-11

طفل تعرض للعض من البراغيث مصاب بالعدوى البكتيرية يرسينية طاعونية وتسبب اللدغة حالة جلدية وتصبح متقرحة

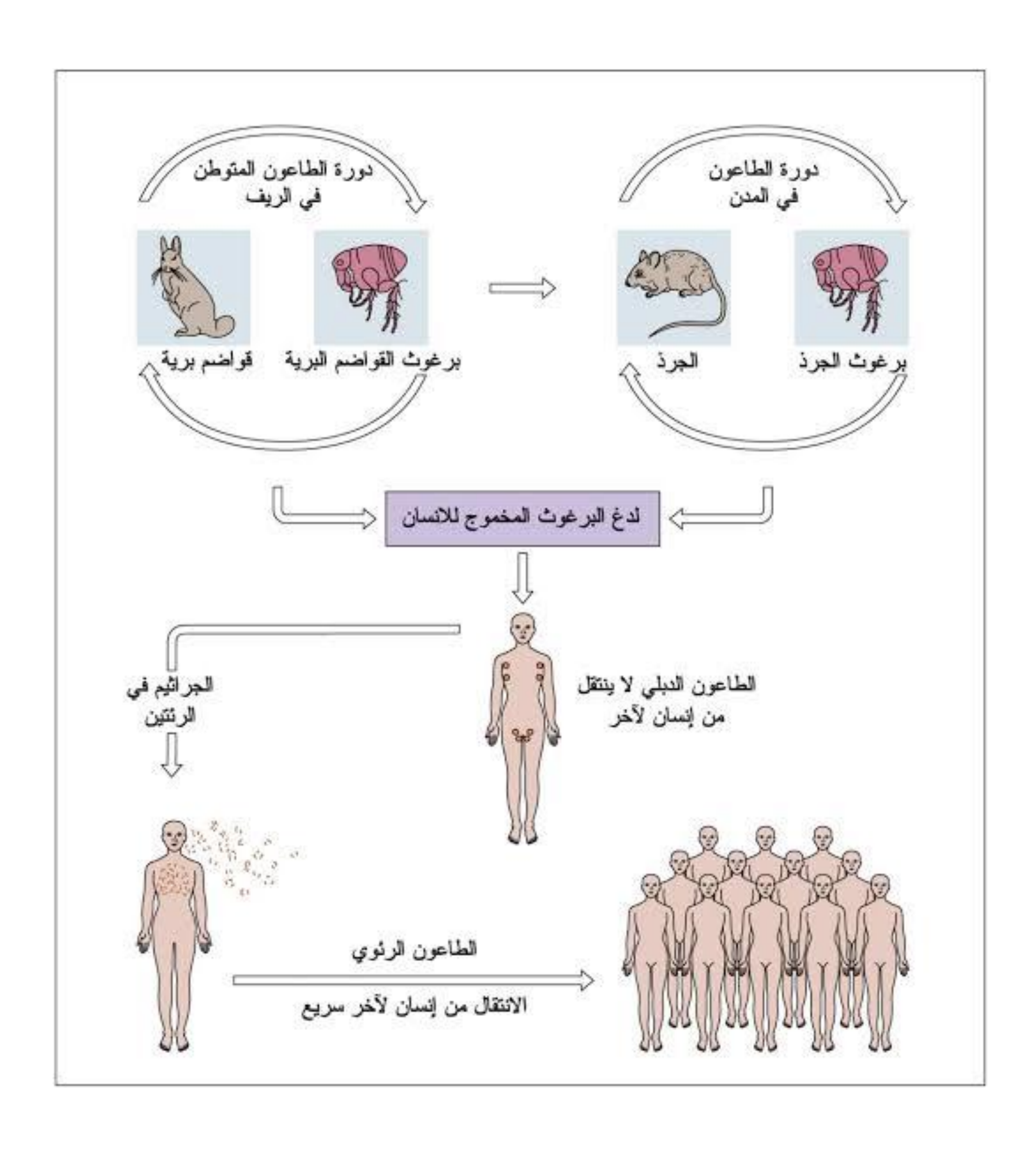


Plague manual : Epidemiologie Distribution, Surveillance and control, pp 9-11

-صورة توضح الخراجات الطاعونية

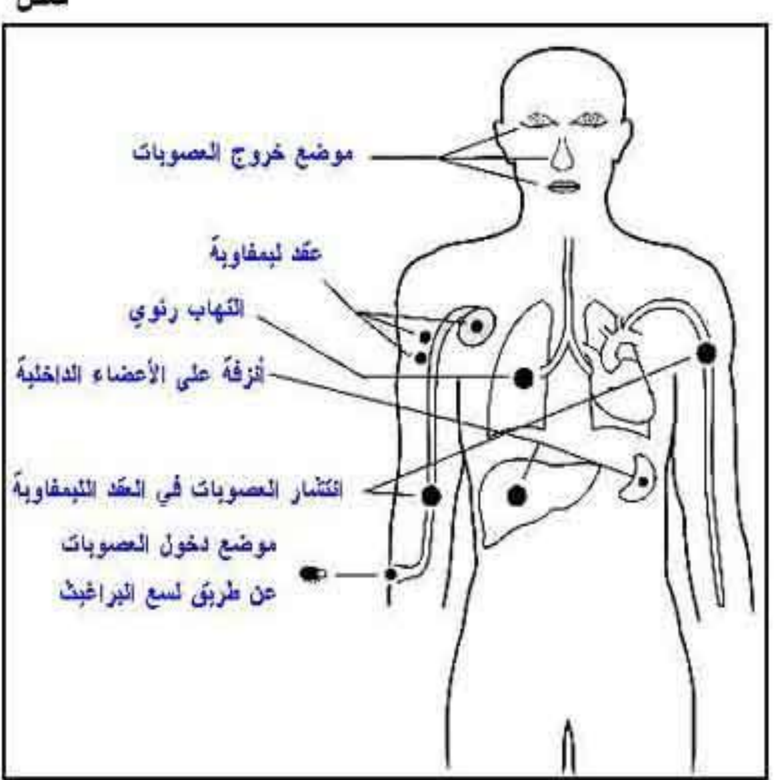


-دورة الطاعون



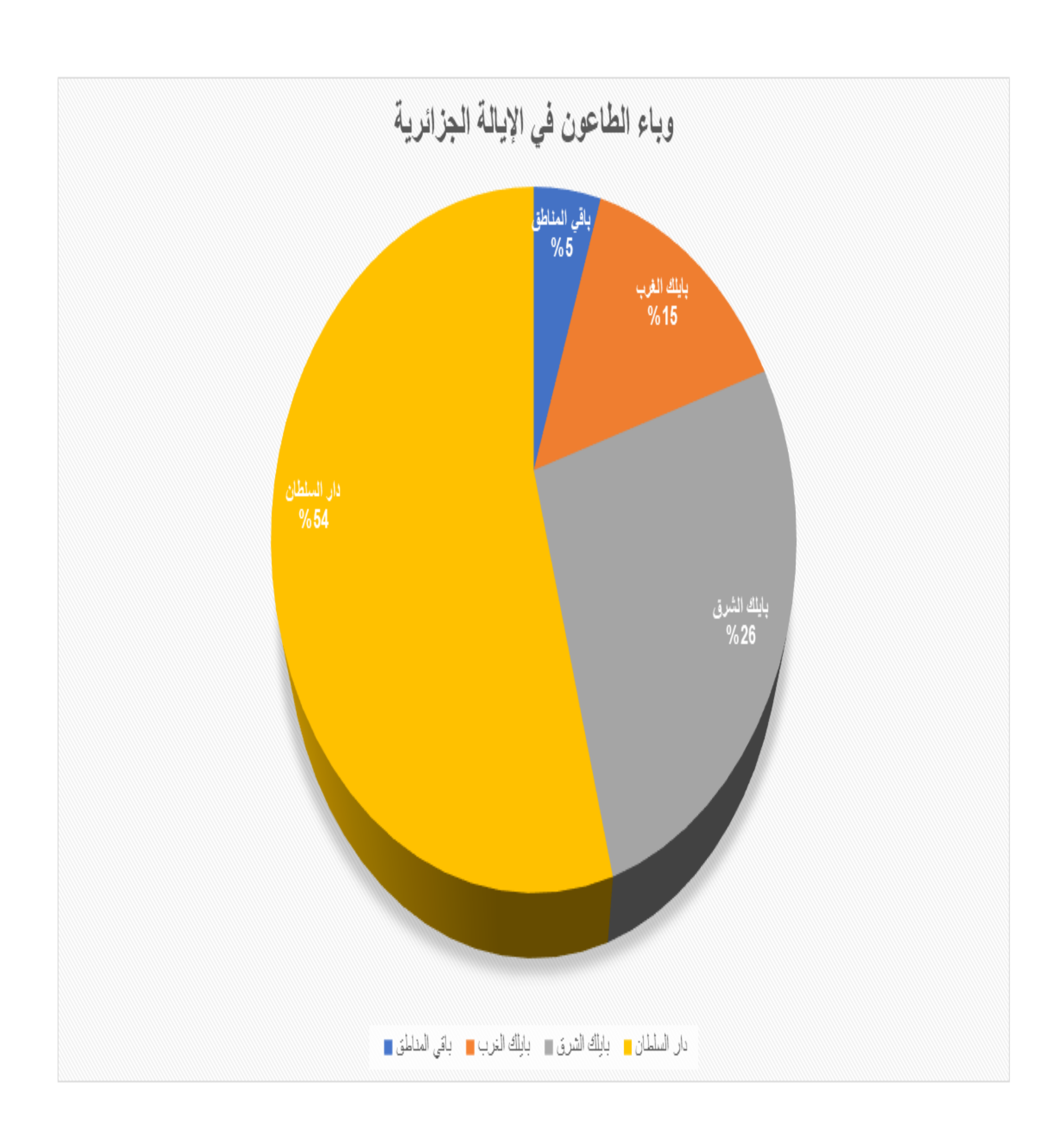
-مواضع دخول وخروج عصويات الطاعون في جسم الإنسان

شكل

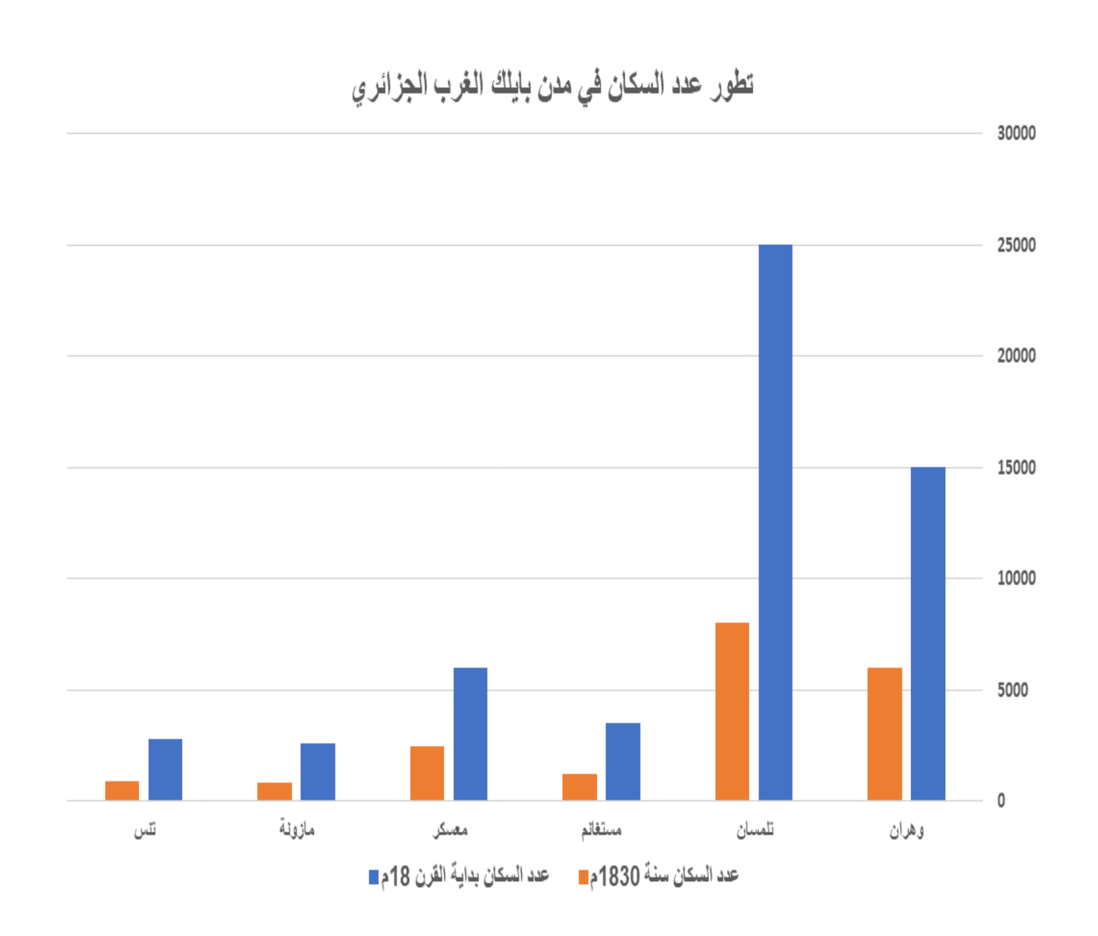


موضع دخول وخروج عصويات الطاعون
في حالة الطاعون الدبلي

-نسب حدوث الأوبئة في الإيالة الجزائرية



-عدد السكان في بايلك الغرب الجزائري في القرن 18م وحتى سنة 1830م



البيبليوغرافيا

***القرآن الكريم**

المصادر المخطوطة باللغة العربية:

1-مؤلف مجهول: بيان ملوك الجزائر، المكتبة الوطنية الجزائر، رقم 1624.

2-مؤلف مجهول: نبذة يسيرة من سيرة الباي محمد فاتح الثغر الوهراني، مخطوط المكتبة الوطنية الفرنسية، باريس رقم 5022.

المصادر والمراجع باللغة العربية:

1. البخاري محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ج4، دار الإمام مالك، الجزائر، 2010.
2. ابن أبي الأزرق: تسهيل المنافع في الطب والحكمة، دار الكتب العربية (د.ت).
3. ابن العطار محمد بن المبارك، تاريخ قسنطينة، تحقيق رابح بونار منشورات المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، بيروت، 1971.
4. ابن خاتمة: تحصيل غرض القاصد في تفصيل مرض الوافد، نشر ضمن كتاب عبد الكريم الخطابي، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ط1، ج1، بيروت، دار الغرب الإسلامي 1988.
5. ابن خلدون أبو زكريا يحي بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت 780هـ / 1378م): المقدمة، تحقيق محمد الإسكندراني، ط1، ج4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1427هـ/ 2006م.
6. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الخضرمي الإشبيلي(ت 808هـ/1406م): مقنعة السائل عن المرض الهائل ، ألمانيا: منشورات معهد العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، 1417هـ، 1997م.
7. ابن زرفة، والجامعي: ج1، فتح مدينة وهران للجامعي، ج2، الرحلة القمرية لابن زرفة، تاريخ تحرير مدينة وهران من الاحتلال الإسباني خلال القرن 18م، تحقيق الدكتور مختار حساني، جامعة الجزائر، مخبر المخطوطات، 2003.
8. ابن زهر, أبو مروان بن أبي العلاء: التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق الخوري, ميشال; صابر , محي الدين ،دار الفكر، دمشق، سوريا، 1983.

9. الراشدي ابن سحنون: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، منشورات التعليم الأصيل، سلسلة التراث، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973. 10-ابن سينا: القانون في الطب، ط1، نوبليس، سوريا، 1999.

10. ابن قيم الجوزية: الطب النبوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، الطبعة 13، بيروت، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، 1406هـ-1986م.

11. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج9 ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ط1، 1419هـ/1998م.

12. ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، اعتنى بمراجعته، محمد بن أبي شنب، الجزائر، المطبعة الثعالبية، 1326هـ-1908م.

13. الناصري أحمد بن خالد: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج9، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956.

14. دودو أبو العيد: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855م، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1989.

15. البرزلي أبو القاسم: جامع مسائل الأحكام لما نزل بالأقضية بالمفتين والأحكام، ج6، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2002م.

16. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830م)، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1989.

17. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجريين 16-20م، ج2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1985.

18. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992.

19. أبو القاسم سعد الله، رحلة ابن حمادوش، المسماة لسان المقال في النبأ عن الحسب والنسب والحال، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، الجزائر.

20. أبو القاسم سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1982.

21. الرازي محمد بن يحيى بن زكريا: (ت 311هـ/ 923م)، المدخل إلى صناعة الطب، المعهد العربي-الإسباني، سلمنقة، 1979.
22. أبو راس الناصر، فتح الإله ومنيته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1990.
23. ابن خلدون يحي: بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد،ج1، تقديم وتحقيق، عبد الحميد حاجيات، الجزائر، 1982.
24. العبدري محمد: رحلة العبدري، تح: علي إبراهيم كردي، ط2، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2005.
25. البكري أبو عبيد ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ت، (د.ط).
26. البخاري محمد بن إسماعيل ، *صحيح البخاري* ج4، دار الإمام مالك، الجزائر، 2010.
27. بن سينا الحسين بن علي: (ت428هـ/ 1036م)، القانون في الطب، ج1، ج3، وضع حواشيه محمّد أمين الضناوي، ط1، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1999م.
28. العسقلاني أحمد ابن حجر: بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، الرياض، 1411هـ/ 1991م.
29. الراشدي أحمد ابن سحنون: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: الشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2013.
30. السعداوي أحمد: المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، النتائج الديمغرافية، قسم التاريخ، كلية الآداب بمنوبة.
31. السنوسي أحمد الشريف الأطرش: تاريخ الجزائر في خمسة قرون، البصائر للنشر والتوزيع، طبعة بدعم من وزارة الثقافة، الجزائر، 2013.
32. الزهار أحمد الشريف، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، دار البصائر، الجزائر، وزارة الثقافة، 2009.

33. العسقلاني ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج13، كتاب الطب، الباب 30، أبو قتيبة ناظر محمد الفيريابي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، 2005.
34. المدني احمد توفيق: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492م-1792م)، دار البصائر للنشر والتوزيع، ط1، 2007، الجزائر.
35. المدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر، 1766-1791، ط1، دار البصائر، 2008.
36. المدني أحمد توفيق، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار أشراف الجزائر (1754-1830)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974.
37. المدني أحمد توفيق، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1981.
38. الزهار أحمد شريف، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار أشراف الجزائر، تقديم وتعليق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1979.
39. الجوهري إسماعيل بن حماد: (ت393هـ/1002م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج1،ج2،ج3،ج4، تحقيق أحمد عبد الغفار،ط4، دار العلم للملايين، بيروت،1990م.
40. شونبيرغ أف، الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال، ط1، ترجمة: أبو العبد دودو، منشورات وزارة الثقافة، مديرية الفنون والأدب الجزائري، 2004.
41. المزاري الأغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق ودراسة، يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي.
42. الباجي أبو الوليد خلف بن سليمان(ت474 هـ/1081م): بغية المحتاج في المجرب من العلاج، ط1، دار الفكر، بيروت، 1421هـ / 2001م.
43. التعريف بابن خلدون، ورحلته غربا وشرقا (طبع باسم رحلة ابن خلدون)، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1425هـ/2004م.
44. شاوش الحاج محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1995.

45. الورتيلاني الحسين بن محمد ، نزهة الأنظار في علم التاريخ والأخبار، تحقيق محفوظ بوكراع وعمار بسطة، المجلد الأول، المعرفة السوية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.
46. الصادق بن الحاج التومي بن محمد آل من الله، الإيضاح المتين لكشف السحرة والمشعوذين، ط1، الرياض 1998..
47. المشرفي العربي: أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، دراسة وتحقيق حسن الفرقان، ط1، منشورات التوحيدي، الرباط، المغرب، 2014.
48. الأهذل اليمني عبد الرحمان بن مقبول ، أحكام العزائم والرقى، دار ابن حزم، بيروت، 1993.
49. المازوني: الدرر المكنونة في نوازل مازونة، ج1، دراسة وتحقيق قندوز ماحي، ط1، دار الإمام مالك، الجزائر، 2012.
50. الموسوعة العربية العالمية: "مادة وباء"، ط1، الرياض، مؤسسة أعمال الموسوعة، 1419هـ-1999م.
51. الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقيا في عهد بن زيري من القرن 10 إلى 12م، ترجمة حماد الساحل، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.
52. روزنبرجي برنار و التريكي حميد: المجاعات والأوبئة في مغرب القرنين 16 و17م، ترجمة عبد الرحيم حزل، الرباط، دار الأمان، ط2.
53. البستاني بطرس بن بولس بن عبد الله بن كرم ابن شديد (1300هـ/1883م) محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، 1987م.
54. ابن منظور الإفريقي المصري جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم: لسان العرب، ج1،ج7، ط1، دار صادر، بيروت لبنان، 1968.
55. حامد محمد خليفة: يوسف بن تاشفين موحد المغرب وقائد المرابطين ومنقذ الأندلس من الصليبيين، ط1، دار القلم، دمشق، 1424هـ-2003م.
56. الوزان حسن الفاسي المعروف بليون إفريقيا: وصف إفريقيا، ج1، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983.

57. شاوش حسين بن رجب ابن المفتي، تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها، جمعها واعتنى بها فارس كعوان، ط1، بيت الحكمة، الجزائر، 2009.
58. بوجرة حسين: الطاعون وبدع الطاعون الحراك الاجتماعي في بلاد المغرب بين الفقيه والطبيب والأمير (1350-1800)، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2011.
59. بولقطيب حسين: جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، منشورات الزمن، 2002م.
60. خوجة حمدان. اتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز من الوباء، تحرير محمد بن عبد الكريم، الجزائر: المطبوعات الوطنية للنشر والتوزيع، 1968.
61. خوجة حمدان: المرآة، تقديم وتحقيق وتعريب: محمد العربي الزبيري، ط2، دار الحكمة، الجزائر، 2014، ص 93.
62. هلايلي حنيفي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، ط1، الجزائر، 2008.
63. الزركلي خير الدين: الأعلام، ج7، ص 32، نسخة محفوظة على موقع واي باك مشين، 11 يناير 2020.
64. موسينيه رولان: تاريخ الحضارات العام القرنان السادس عشر والسابع عشر، ط2، المجلد 4، ترجمة أسعد داغر يوسف، وفريد م داغر، باريس، منشورات عويدات، 1987.
65. بفايفر سيمون ، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تقديم وتعريب، الدكتور أبو العيد دودو، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1974.
66. بفايفر سيمون ، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، ترجمة أبو العيد دودو، المجلد الأول، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، دار الأمة، الجزائر، 2006.
67. شلدون واتس: الأوبئة والتاريخ، المرض والقوة والإمبريالية، ترجمة وتقديم: أحمد محمود عبد الجواد، مراجعة: عماد صبحي، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2010.

68. عياد صالح ، الجزائر خلال الحكم التركي(1514-1883)، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2005.
69. العقبي صلاح مؤيد: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر، تاريخها ونشاطاتها، بيروت، دار البراق، ط1، 2002.
70. غطاس عائشة ، الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات الحركة الوطنية لدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007.
71. الجيلالي عبد الرحمان: تاريخ المدن الثلاث (الجزائر، المدية، مليانة)، شركة دار الأمة، الجزائر، ط1، 2007.
72. الجيلالي عبد الرحمان: تاريخ الجزائر العام، ج3، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1980.
73. ابن حمادوش الجزائري عبد الرزاق: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تحقيق، أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
74. فكاير عبد القادر: الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره 910-1206هـ/1505-1792م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
75. الخطابي عبد الكريم: كتاب عبد الكريم الخطابي، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، ج1، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي 1988.
76. الشريف عبد الله، الوقع الديمغرافي في منطقة مجردة السفلى في منتصف القرن 19م، قسم الجغرافيا، كلية الآداب بمنوية، تونس 1993.
77. حشلاف عبد الله: سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، تونس، ط1، المطبعة التونسية، 1929م.
78. بن داهة عدة: معسكر عبر التاريخ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2005.
79. سعد الله فوزي: يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2004، ص 28.

80. كاثكارت، مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي.
81. كتاب الأغذية: تحقيق أكبيراتيون غارسيا، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية- معهد التعاون مع العالم العربي، 1992.
82. شربل كمال موريس: الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، ط1، بيروت، دار الجيل، 1998.
83. كربخال مارمول: إفريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، محمد زنيبر، أحمد بنجلون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة المعارف الجديدة، 1409هـ-1989م.
84. الميلي مبارك: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2، تقديم وتصحيح محمد الميلي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د.ط، د.ت.
85. أبي السعادات مجد الدين: النهاية في غريب الحدث والأثر، تحقيق علي الحلبي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، 1421هـ، 2000م.
86. مجهول: غزوات عروج وخير الدين، تحقيق عبد القادر نور الدين، مطبعة كردوسي قدور للنشر والتوزيع، 1934.
87. بزاز محمد الأمين، المجاعات والأوبئة في المغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية العلوم الإنسانية، الرباط، 1992.
88. الحداد محمد: تمجيد الموت، صورة الوباء في القرن التاسع عشر، ضمن: حفريات تأويلية في الخطاب الإصلاحي العربي، ط1، بيروت، دار الطليعة، 2002.
89. الرصاع محمد: الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية، تحقيق ودراسة محمد حسن، ط1، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2007.
90. عقاب محمد الطيب: الأخوان عروج وخير الدين، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1985.
91. القادري محمد: نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني عشر ، ج3، تحقيق: أحمد توفيق، محمد حجي، الرباط، دار المغرب، 1977.

92. الناصري أبي راس: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تقديم وتحقيق: محمد غالم،ج1، ج2 المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، crasc، ب.ت، الجزائر.
93. الجزائري محمد بن ميمون: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تحقيق وتقديم: محمد ابن عبد الكريم، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1981.
94. الزياني محمد بن يوسف ، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق، المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1979.
95. حاج صادق محمد: مليانة ووليها سيدي أحمد بن يوسف، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، د.ت.
96. حداد محمد: تمجيد الموت، صورة الوباء في القرن 19م، الإصدار الأول، دار الطليعة، بيروت، 2002.
97. العنتري محمد صالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلاءهم على أوطانها، أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقدم وتعليق الدكتور يحيى بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1991.
98. العنتري محمد صالح ، مجاعات قسنطينة: تحقيق رابح بونار، د.ط، ذخائر المغرب العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974.
99. الحريري محمد عيسى: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، ط3، 1987.
100. حساني مختار: موسوعة وتاريخ وثقافة المدن الجزائرية مدن الوسط، ج1، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
101. الوهراني مسلم بن عبد القادر ، خاتمة ابن الغريب والمسافر، تحقيق: رابح بونار، سلسلة دخائر المغرب العربي، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، 1974.
102. ابن حنبل أحمد: المسند، ج1، القاهرة، مصر: مؤسسة قرطبة، د.ت.
103. خياطي مصطفى ، الطب والأطباء في الجزائر العثمانية، منشورات ANEP، الجزائر، 2013.

104.مؤرخ مجهول: تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، ط1، تحقيق محمد بنحادة، مراكش، دار تنمل للطباعة والنشر، نشر عيون المقالات، 1994.
105.بلحميسي مولاي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
106.سعيدوني ناصر الدين والمهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ، ج4، العهد العثماني، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، 1984.
107.سعيدوني ناصر الدين: تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، 2014.
108.سعيدوني ناصر الدين: عصر الأمير عبد القادر، مؤسسة جائزة عبد العزيز للإبداع الشعري، ط1، 2000.
109.سعيدوني ناصر الدين ، دراسات أبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، 1988.
110.سعيدوني ناصر الدين ، دراسات في الملكية العقاري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
111.سعيدوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
112.عبد القادر نور الدين: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عثورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، 2006، الجزائر.
113.نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر وبيروت، لبنان، 1400هـ-1980م.
114.هابنسترايت، رحلة العلامة الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس، ترجمة، ناصر الدين سعيدون، دار الغرب الإسلامي، 1987.
115.بالي وحيد عبد السلام، وقاية الإنسان من الجن والشيطان، دار الإمام مالك، البليدة، ب. تاريخ.
116.بوغفالة ودان: التاريخ الإقتصادي والإجتماعي لمدينتي المدية ومليانة في العهد العثماني، ط1، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009.

117.سبنجر وليام، الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتعليق، عبد القادر زبادة، الشركة الوطنية للنش والتوزيع، الجزائر، 1980.
118.الحموي ياقوت: معجم البلدان، ج2، بيروت دار صادر، 1977.
119.بوعزيز يحي: المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1780-1798)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
120.بوعزيز يحي: المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، الجزائر، دار البصائر، طبعة خاصة، 2009.
121.بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، بن عكنون، 1999.
122.بوعزيز يحي: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، صدر عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.
123.بوعزيز يحي: مدينة وهران عبر التاريخ، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2009.
124.بوعزيز يحيى ، وهران عبر التاريخ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الرغاية، الجزائر، 1985.
125.شاوش الحاج محمد بن رمضان: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
126.الوزان الحسن: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر،ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ب.ت.
127.خوجة حمدان. اتحاف المنصفين والأدباء بمباحث الاحتراز من الوباء، تحرير محمد بن عبد الكريم، الجزائر: المطبوعات الوطنية للنشر والتوزيع، 1968.
128.سعيدوني ناصر الدين والمهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، ج4، العهد العثماني، الجزلائر، م.و.ك، ط1، 1984.
129.سعيدوني ناصر الدين، دراسات أبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، 1988.

130.سعيدوني ناصر الدين، دراسات في الملكية العقاري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

131.سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.

مقالات باللغة العربية:

1. 1-إسماعيلي زوليخة المولودة علواش: تاريخ الجزائر من فترة ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، دار أنفو للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2013.
2. 2-إبراهيم خليل أحمد، الأمراض والأوبئة وانعكاساتها على الموصل والمجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 17-18 سبتمبر1998، زغوان.
3. 3- التالية سعدو: مدينة تيهرت من خلال المصادر التاريخية، الخلدونية، عدد خاص، أكتوبر 2009.
4. 4-الزاوي الجيلالي وعبد الكريم المشرفي: نافذة على بعض علماء معسكر، رثاء الشيخ مصطفى الرماصي لشيخه عمر التراري المشرفي، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العددان 2-3، 2004-2005.
5. 5-المجلة الخلدونية أكتوبر 2009، عدد خاص بالملتقى الوطني المنعقد بجامعة ابن خلدون-تيارت.
6. 6- ابن أحمد عيسى جمال: طرق العلاج والتداوي في الجزائر خلال 1782-1814، مجلة آفاق فكرية، المجلد 9، العدد 2، 30 أكتوبر 2021، امعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس.
7. 7-حمدادو بن عمر: ظاهرة الأوبئة والأمراض بالجزائر من خلال كتاب أقوال المطاعين في الطعن والطواعين لأبي حامد العربي المشرفي، مجلة عصور، العدد 37، أكتوبر-ديسمبر 2017.
8. 8- دحماني توفيق: الأوضاع الصحية والكوارث الطبيعية في الجزائر عشية الاحتلال، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد السابع، الجزائر، 2013.

9. 9-عمراوي جمال الدين: وباء الطاعون في الجزائر العثمانية بين الحجر الصحي والتطبيب، مجلة آفاق فكرية، المجلد التاسع، العدد الثاني، 2021.
10. 10-بواعنة رياض: الأمراض الوبائية...فيروسات لا تفرق بين الصالح والطالح، مقال مأخوذ من الموقع الإلكتروني: WWW.BAB.COM، وعبد الله المنيف: الأمراض الوبائية والوقاية منها، مقال مأخوذ من نفس الموقع، ثم الاضطلاع على الموقع يوم 05 ديسمبر 2020 على الساعة 12.30
11. 11- شخوم سعدي ، قراءة في أوضاع الطب ومتعلقاته بالجزائر العثمانية، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد الأوّل، العدد الأول، جوان 2015، يصدر
12. 12- صاري الجيلالي: أضواء على أحد موانئ دولة بني زيان (هنين)، مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، العدد 12، 1986.
13. 13- غطاس عائشة: أوضاع الجزائر المعاشية والصحية أواخر العهد العثماني، المجاعات والأوبئة 1787-1830م، المجلة التاريخية للدراسات العثمانية، العددين 17-18 سبتمبر 1998.
14. 14- غطاس عائشة ، الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني، مجلة الثقافة، السنة 13، عدد76، وزارة الثقافة الجزائرية، رمضان، شوال 1403، جويلية، أوت 1983.
15. 15- مازن عبد المجيد: الحصبة المرض، التشخيص المخبري، اللقاحات، مجلة الدواء العربي، السنة 17، العدد الأول، صفر 1419هـ-1998.
16. 16- القشاعي فلة موساوي ، وباء الطاعون في الجزائر العثمانية، درواته وسلم حدوثه وطريق انتقاله، مجلة دراسات إنسانية، جامعة الجزائر، العدد الأول، السنة الأولى، 2001.
17. 17- لزغم فوزية، الأطباء الأوربيون في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة عصور، جامعة وهران، عدد 21 جويلية-ديسمبر 2013.
18. 18- قداش محفوظ: الجزائر في العهد التركي، مجلة الأصالة، عدد 52، 1977.

19. -19 أنيس محمد ، الطاعون بمدينة الجزائر، أثره على الديمغرافيا والأنشطة الاقتصادية خلال القرن 18، المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، العدد 17-18 سبتمبر 1998.
20. -20 بوركبة محمد "جوانب من محظوظ قلعة بني راشد بالشيخ أبو عمر بن عثمان القلعي، المجلة الجزائرية للمخطوطات العدد الأول ،2003.
21. -21 سعيدوني ناصر الدين: الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني، المجلة التاريخية المغربية، العدد 39-40، ديسمبر 1985.
22. -22 غراف هجيرة: السلطة العثمانية وآليات الوقاية من الأوبئة في إيالة الجزائر، الحجر الصحي أنموذجا، مجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية،2020، المجلد السابع، العدد الثاني.
23. -23 بوغوفالة ودان: الأوقاف بالناحية الوهرانية، أوقاف مليانة نموذجا، دراسات إنسانية، عدد خاص، ماي 2001.
24. -24 القدومي مروان علي: الصحة الوقائية في الإسلام، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد السادس والعشرون، أكتوبر 2012.
25. -25 سعيدوني ناصر الدين ، الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني، المجلة التاريخية المغربية، العدد 39-40، تونس، ديسمبر 1985.

رسائل ماجيستير وأطروحات دكتوراه باللغة العربية:

1- أرزقي شويتام: المجتمع وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م، م.و.ك، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر 2006-2007.

2-الواليش فتيحة: فتيحة الواليش: الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن الثامن عشر، رسالة ماجيستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1993-1994.

3- دحماني توفيق: النظام الضريبي في بايلك الغرب أواخر العهد العثماني 1779-1830م، مذكرة ماجيستير، جامعة الجزائر، 2003-2004م.

4- سعيدي خير الدين. المجاعات والأوبئة خلال العهد العثماني 1700-1830أطروحة دكتوراه، الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، الجزائر: جامعة 08 ماي 1945 قالمة. (2018-2019).

-5 دغموش كاميلية: السلطة والمجتمع في بايلك الغرب الجزائري 1792-1830م، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران1، 2019-2020.

-6 غطاس عائشة: الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقاربة اجتماعية اقتصادية، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2000-2001.

-7 القشاعي فلة موساوي ، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي1518-1871، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2003-2004.

-8 مقصودة محمد: الكراغلة والسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني، مذكرة لنيل الماجيستير، جامعة وهران، 2014.

-9 بونقاب مختار : الحياة الثقافية في بايلك الغرب خلال القرنين 18 و 19، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2015-2016.

-10الزين محمد، الأوضاع الاجتماعية والصحية في الجزائر العثمانية 1518-1830، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر غير منشورة، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2010-2011.

-11 بن عتو لبروات: الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2001-2002.

وثائق الأرشيف الفرنسي:

1- A.CH. CM, Compagnie Royale d’Afrique : Bône-journal (1791-1794) Lettre du

2- A.D.B.R, Lettre du consul Deval en date28-12-2018 et du 12-01-1819 à L’I.S.M, peste a Oran et Arzew.

3- A.D.B.R, Lettre de consul Lemaire à L'i.s.m en date du 28 Aout 1733

4- A.D.B.R, Op.cit, Lettre en date Fev 1817.

5- A.D.B.R, Série 200E 454 Lettre du 12-10-1810, Forte épidémie de fièvre jaune.

6- A.D.B.R, Série 200E 456 correspondance du consul de salé adressé à L'I.S.M le 07/06/1785

7- A.M.G.H 374. Voyage dans la province d'ORAN PAR g Tatareau capitaine du corps royale d'etat major, Alger le 5 septembre 1835.

8- A.N.M : Bulletin de l'académie nationale de médecine, Editeur J-B. Bailli ère, Paris, 1899.

9- C.C.F.A [A.F.é] A.E/B/I/124. Cotes : F°279-282. 19-01-1741.

10 - C.C.F.A [A.F.é] A.E/B/I/124. Cotes : F°285-286. 17-07-1741.

11 - C.C.F.A [A.F.é] A.E/B/I/129. Cotes : F°13-20.journal N° 69 du mois de Janvier 27-01-1756..

12- C.C.F.A [A.F.é] A.E/B/I/125. Cotes : F°149-150. 17 Aout 1743.

13- C.C.F.A [A.F.é] A.E/B/I/143. Cotes : F°138-144, 28/07/1791.

14- Les archives du lazeret de Marseille dans Histoire chronologique des épidémies du nord de l'Afrique.

15- Lettre de Jonville à Alger le 10-07-1741, dans correspondance des consuls d'Alger (1690-1742) H-D. De Grammont.

16- Lettre de m. de Jonville à Alger le 10-07-1742, dans correspondance des consuls d'Alger (1690-1742) H-D. De Grammont.

17- Lettre du 17 Février, dans les registres de la correspondance du consulat français.

18- Lettre du consulat français à Alger dans les archives des affaires étrangères, dans Guyon, p 319.idem.

19- Lettre du R.P.J Batault, missionnaire Apostqlique à Alger (1676-1736) avec note historique sur le Rachat des excaves à cette époques Chalonsur, Saone, 1880 Paris, p 49.

20-31-10-1792 rédigée Guibert adressée à la C.R.A « Refus de Salah Bey de livre du blé à la C.R.A.

المصادر والمراجع باللغة الفرنسية:

1- J-N- Biraben, la peste noir en terre de l''islam dans biraben les hommes et la peste en france et dans les pays européens et méditerranneéns ; volume1,paris 1979.

2- M. Gaid, l'algérie sous les turcs. Ed Mimouni 2e Alger 1991.

3- Miquel Porta: A dictionary of epidemiology, Edited for the International Epidemiological Association, by Miquel porta Associate Editors Sander Greenland Miguel Hernan Isabel dos Santos Silva John M. Last,Oxford University Press is a department of the University of Oxford, Sixth Edition, Printed in the United states of America, 2001.

4- Petit La rousse de la médecine, Typhus, p 797.

5- A. Bel, « L'islam mytique : Les saints : Les croyances pratique culturelles », in R.A. N° 69, année 1928.

6- A. Berbrugger, « Charte d'hôpitaux chrétien d'Alger 1694 », In R.A. N° 8 , Année 1864.

7- A. Berbrugger, D'un mémoire sur la peste en Algérie depuis 1552 jusqu'au 1819 Exploration scientifique de l'Algérie, Tome III, Paris, imp. Royale 1847.

8- A. Devoulx, « Assassinat du pacha Med Tekeherli » in, RA, N° 15 année 1871, o.p.u.s.d, Ed Bastide, Paris, 1871.

9- A. Devouly, Voyage à l'amphithéâtre Roman d'El-Djem en Tunisie »in R.A. N° 18 année 1874. A Jourdan Ed 1974.

10- A. Joly, Saints et légendes de l'Islam Si Mhamed Bel Houari et les Benis Habib « In R.A.N°57, année 1913, o.p.u, 1986.

11- A. Merad Boudia, La formation sociale algérienne précoloniale, Essai d'analyse théorique, O.P.U. Alger 1981.

12 - A. Sicard, « Pratiques médicales », superstitions et légendes des habitants de la commune mixte de Taki Tount in R.A.N°55.

13- Abid Larbi, La pratique médicale en Algérie, éditions ANEP, 2008.

14- Adrian François Poissant, Mémoire de la congrégation de la mission Tome3.

15-Adrien Berbrugger, mémoire sur la peste en Algérie dans exploration scientifique de l'Algérie science médicale, imprimerie royale, Paris, T2.

16- Aramburu Don-Joseph De, Oran et L'ouest Algérien au 18 Siécle, Présentation et traduction de korso et Epalza, Alger, B.N.1978, P9.

17- Arnaud Léonard : Essai sur la peste de Benghazi d'Afrique, imp. de F. Pichon, Paris, 1888.

18- Arnoult Bossu, Mémoire de la congrégation de la mission, Tome3.

19-Arnoult Bossu, Rapport de M. Bossu sur l'Eglise d'Alger 1749 , M.C.M ; Mémoire de la congrégation de l mission, à la maison principale de la congrégation de la mission 1867, Tome3.

20- Bailliere Georges Jean, Baptiste : Les maladies Evitables, Editeur. J-B. Bailliere, Paris, 1898..

21- Barbier Émile Julien Nicolas : Le choléra épidémique et l'hydrologie médicale : Vichy et ses eaux minérales comme médication préventive et effective, Éditeur Vichy, 1866.

22- Belhamiss Moulay, Histoire de Mazouna, une petit ville, une lonque Histoire, Alger, 1982.

23- Bernard Rosenberger , Triki Hamid : Famines et épidémies aux Maroc XVIe et XVIIe siécles, Hespéries Tamuda, 15 fasc unique, 1974.

24 - Biraben, Les hommes et la peste en France et dans les pays européens et méditerranéens , T1, Paris Lahaye 1975.

25- BOUABBA YAMILE, les Turcs au Maghreb central du 19 éme siécle, S.N.E.D, Alger, 1972.

26- Boubaker, La peste dans les pays du maghreb , Attitudes au fléau et impacts sur les activités commerciales (16e 18e siècle) in R.H.M 22E an) 79-8. Mais 1995.

27- Boucher Hubert: La peste en Europe et en Asie: empoisonnement de la race humaine par les vaccins et les sérums, éditeur Libraire générale et zoophile, paris, 1910.

28- Bourgin Pierre : Contribution à l'étude de l'albuminurie dans la variole, Éditeur Impér. nouvelle Lyon, 1885.

29- Boutin Vincent- Yves, De pôt de l guerre, Aperçu historique statistique et topographique sur l’état d’Alger à l’usage de l’arm ée expéditionnaire d’Afrique , 3 édition CH, pirquet, Paris, 1830..

30- Boyer Pierre, contribution à l’étude de la politique religieuse, des turcs dans la région d’Alger (XVI-XIX-S) in « romn », 1966.

31- Boyer Pierre, La vie quotidienne a Alger a la veille de L'intervention française hachette, Paris, 1963.

32- Boyer Pierre, Le probléme Kouloughli dans la régence d'Alger, in R.O.M.M.N : spéciale, 1970.

33- Bulletin de L'Académie nationale de médecine: Publié par soins de la commission de publication, Tome XI, premiére partie, Bibliothéque académique royale de médecine, Paris 1846.

34 - C. Bontems, Manuel des Institutions Algériennes de la Domination Turque a l'indépendance 1518-1870, éd Cujas, Paris, 1974.

35 - Caffe Paul-Louis-Balthasar : Considérations sur l'histoire médicale et statistique du cholé-ra-morbus de Paris**,** Éditeur **:** imp. de H. Tilliard, Paris, 1832.

36- Chabran Jean- Armand, Les grandes épidémies dans le Briançonnais, Grenoble imp France, 1986.

37- Charles Feraud, Laurent : Histoire des villes de la province de Constantine, La Calle et document pour servir à l'histoire des anciennes concessions française d'Afrique imp, V.Aillaud Etcie, Alger, 1887.

38- Chrestien André-Thérèse : Étude du choléra-morbus à l'usage des gens du monde, Éditeur L. Castel Montpellier, 1835.

39- Clot Antoine-Barthélémy : Coup d'oeil sur la peste et les quarantaines, à l'occasion du Congrès sanitaire réuni à Paris au mois de juillet 1851, V. Masson (Paris), Congrès sanitaire (1851 ; Paris). Éditeur scientifique.

40- Colin (Gabriel) Abderrazzaq El jezairi un médecin arabe du 12e siècle de l'Hégire Monpelier, Imprimerie Delord-Boehm et Martial 1905.

41 - Crouzet Stanislas: Dissertation sur la peste, éditeur Camoin Dutertre, marseille, 1822.

42- Daniel. Panzec, Histoire Economique et sociale de l'imper Ottoman ; étude la Turquie la respensabilité de vol3, 1995.

43- Daremberg Georges: Le choléra; ses causes, moyens de s'en préserver, éditeur Rueff, Paris, 1892.

44- De Diego Haedo, Topographie et Histoire générale d'Alger - La vie à Alger au seizième siècle, Traduit de l'espagnol et Notes de Bebrugger ety de Dr Monnereau, présentation de Abderrahmane Rebahi, Grand Alger3ème livre Editions 2007.

45- de paradis Venture, Alger au XVIII siècle 1788-1790, Ed par grand Alger livre, Alger 2006..

46- Delvaille Camile, L'épidémie de petite vérole et la révaccination, imp…de vue Lesseps, Bayonn,e, 1869.

47- Derdour (GHsem) Annaba, 25 siècle de vie quotidien et de luttes. S.N.E.D. Alger 1983, T II.

48- Des Fontaines (R-L), Fragments d'un voyage dans les régences de Tunis, et d'Alger, Présenté par dureau d la malle, vol2, Paris, gide, 1858..

49 - Dictionnqire des sciences historiaues .

50 - Djillali Sari : Les villes Précoloniales de l'Algérie accidentale , Alger .

51- Du Mesnil, Octave : Nécessité de la revaccination des ouvriers venant prendre du travail à Paris, Éditeur imp. de E. Martinet, Paris, N°4, 15 Avril 1879..

52- Dubar Léon : Quelques notes et souvenirs personnels concernant le choléra, Édi-teur imprimerie E. Ramon, Armentières, 1909.

53- E. Berthrand, médecine et Hygiéne des arabes; études sur l'exercise de la médecine et de la chirugie chez les musulmans de l'Algerie, éditeur G. Bailliére, paris, 1855.

54- E. Desting, « Fête et coutumes saisonnières chez les « in R.A.N° 50 Ann2e 1906.

55- E. Lefeubure : Le miroir D'encre dans la magie arabe « in R.A.N°49, 1905..

56-E. Mercier, Histoire de Constantine, Constantine, 1903.

57- E. Pellissier, Annales Algériens, Librairie militaire, Tome02, Paris, 1854.

58- E. Watble D : Document in éditeur l'assasinat du pacha Tekrli (1556-1557) In R.A N°15, année 1871.

59- E.Daumas. mœurs et coutumes de l'Algérie, ed Sindbad, Paris, 1988.

60- Edward Lapéne, Tableau historique de la provence d'Oran, depuit le départ de des espagnoles en 1792 jusqu'à l'éténation d'Abdelkader en 1830 ,metzB.Bibliothèque Royale 1842.

61 - émile Bertheran , Les quarantaine et les système de dresde à l'encontre du choléra, Gazette médicale de l'Algérie . Directeur de la E.L Berthrand éditeur J.B. Baillire, N°20, Paris, année 1893.

62- Emrit M, L'Algérie a l'époque d'Abdelkader, Larousse, Paris, 1951.

63- Ernest Mercier, Histoire de l'Afrique septentrionale depuis le temps les plus reculés jusqu'à la conquieté française (1830), Ernes Leroux, Paris, T3.

64 - Esterhazy (walsin) ; de la domination turque dans l'ancienne régence, éditeur: c. gosselin d'Alger ,paris,1840.

65- F De Haedo, Topographie et Histoire d'Alger, Trad par : A. Berbrugger et Monnereau, in R.A, N :14, Alger, 1870.
66- F. Braudel, L'empire Ottoman est-il une Economie- monde « In mémorial. Omer-Lufti B arkan, Paris, 1980.

67- F. Cresti, « Quelque réflexions sur la populations et la structure sociale d'Alger à la période Turque (XIV-XIX s° In les coliers de Tunisie N° 137-138 ; Actes du 4 cong Int d'histoire et de cit, Du Maghreb Avril 1986.
68- Feraud, Les Ben –Djellab, sultan de Touggourt notes historiques sur la province de Constantine, In r.a. N° 24 Année 1880.
69- Fernand Braudel : La Méditerranée et le monde méditerranéen a l 'époque de philipe II (éd. Seconde édition , Vol. 1). (s. édition , éd.) Pais : Librairie Colin, 1966.
70- François Paissant, Mémoire de la congrégation de la mission, p 103.
71- Frey Diego, de Haedo, Histoire des Rois d'Alger, Tradu ite et aumontée par de Grammont , Jourdon ; Alger, 1981
72- G. Goldin « Abderrazak Aldjazairi, Un médecin arabe, du XIIé siècle de l'Algérie, Thèse de médecine, Monpellier 1905, , Dr L. Le clerc, traduction en arabe de kachefer Roumouz, Révalations de Enigmes d'Abder Rezzak Edjezairi, traite de matière médicale arabe, Balliére, Paris, 1874
73- Galissot Rene, Esaie de définition du mode de production de l'Algérie précoloniale «in « R.A.S.J.E.P» Vol N°2 , 1968.
74- GILBERT Meynier : l'Algérie des origines ; de la préhistoire à l'avénement de l'Islam, Edition Barzakh, Décembre 2007.
75- Golvin Louis, Aspects de l'artisanat en Afrique du nord ; Paris, PUF, 1957.
76- Gorgos: Notice sur le Bey d'Oran Mohamed ElKebir « In R.A , N°1, Année 1856-1857, ed Bastide, Alger, 1856.
77- Grammont Henri Delmas, Relation entre la France et la régence d'Alger au XVII siècle, Alger , 1879..

78- Grand- Guillaume Gilbert, Nedroma, L’Evolution d’une médina, Leyden BVrill, 1976.
79- Grandmaison de Bruno, Marie Emmanuel Gabbriel dit Femand : La variole, éditeur Rueff, Paris, 1892.
80- H. P.J. «Renaud, la peste de 1818 au Maroc», in Hespéris, Volume 3, 1trimestre, 1923.
81- H.D de Grammont, Histoire d’Alger sous la domination Turque (1515-1830), Ed Ernest Le Roux, Paris, 1887.
82- H.D de Gramont, Correspondance des consuls d’Alger (1690-1742), Alger, Adolphe Jourdan- libanaise, éditeur 4 place de gouvernement, 1890.
83 - H.D de Gramont, Relation entre la France et la Régence d’Alger, au XVIIe siècle, Alger, Adolphe Jourdan, 1879.
84- Haido Do Diego, « Topographie d’histoirebgénérale d’Alger3 in R.A.T.X.Vet XV(1830-1871) Trad par Berbrague R , Alger, Jorfdan, 1968, Txiv
85- Henri Delmas Degrammont, Histoire d’Alger sous la domination turque (1515-1830), Ernest Leroux, Paris, 1887.
86- Henri Léon Fey, Histoire d’Oran avant pendant et après la domination espagnole Oran, Editeur Adolphe perrier, 1858.
87- Ivan Illiche. Némésis médicale, L’expropriationfe la santé . ed seuil ; Paris, S.D
88 - J. Cailla, L e voyage d’Alphonse Daudet en Algérie In R.A.N° 64 , année 1923, O.P.U 1986.
89- J. foucqueron, essai topographie et médicale sur la régence d'Alger ; just rouvier ;paris ; 1833
90- J. Gazanave, « Les préside Espagnols de l’Afrique leur organisation au XVII siècle, in R.A N°63, année 1922.
91- J.M. Lassére : Ubuque populus, ed. CNRS, Paris, 1977..
92- J.N. Biraben: Les hommes et la peste en France et dans Les pays Européens et Méditerranéens,T1, Paris La Haye, 1975.

93- Jean Alasia, Mémoire adressé par M.Alasia au roi de Doroaigne, Dans Mémoire de la congrégation de la mission principale de la congrégation de la mission.
94- Jean Claude Vichet : Peste de 1786 et 1788, dans : Mémoire de la congrégation de la mission.
95- Jean Marchika, La peste en Afrique septentrionale, Histoire de la peste en Algérie de (1363-1830) présentée le 20 Mai 1927, non publier.
96- J-L-G. Guyon, Histoire chronologique des épidémies du nord de l'Afrique depuis les temps les plus reculés jusqua a nos jours, imprimerie du gouvernement alger, 1855.
97- J-L-G. Guyon, Histoire chronologique des épidémies du nord de l'Afrique depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours, Imprimerie du gouvernement Alger 1855..
98- -J-N BIRABEN: «les hommes et la peste en France et dans les pays méditerranéens», Mouton, Paris, Volume1,p8.
99- Juchereau De saint-Dentys, considérations statistiques Historique, militaires et politiques sur la régence d'Alger, Delanay Lib, Paris 1831.
100- L. Leclerc, de la médecine arabe et particulièrement de la médecine arabe en Algérie.
101- L. Raynaud , H.Soulie, P.picard, « Hygiène et phatologie nord africaines » In assistance médicale T1

102- L.C.D Feraud, « Ephémé Ride d'un secrétaire officiel sous la domination turque à Alger de 1775 à 1800 I N R A, N° 18, Année 1874..
103- La science moderne « l'art de guérier. Evolution doctorinale et diffusion didactique : origines métaphysiques de la maladie, P.U.F.S.D .
104 - Lamarque, Leon, Recherche historique sur la médecine dans la régence d'Alger, imp Bacconier, Alger, 1951.
105- Laugier de Tassy : Histoire du Royaume d'Alger, Amsterdam, Henri du Sauzet, sans date.

106- Laumonier Jean, La peste, Histoire et traitement éditeur H, Gautier, Paris, 1897,

107- Le Boy, Du Royaume et d l'état d'Alger A. Vandole-La Haye 1750.

108- Le livre d'or de département d'Alger : Les richesses thermo-minérales en Algérie.

109 - Le moyen de guérir La vérole à Alger sans chirugien au XVII E siècle, « in R.A.N°68, année 1927..

110- Léon Gilibert ; l'Algérie ancienne et moderne depuis les premiers établissement des carthaginois jusqu'à l'expédition du générale randon en 1853, Furne et cie libraires-éditeurs, Paris, 1853.

111- Lespinasse (E), Notion sur les Hachems de Mascara, in « R.A » T21 1877

112- M. Abid, Notes sur l'organisation médicale dans la Tunisie du XIX siècle In R.H.M 22e.A. N° 79-80 , Mai 1995.

113- M. Belhamissi, Histoire de la marine algérienne (1516-1830) E.N.A.L, Alger 1983.

114 - M. Faroux, Mémoire de la congrégation de la mission.

115 - Marc Cote, l'Algérie, espace et société, Constantine, Edition Media Plus, 2005.

116- Marcais Georges: Recherches d'archéologie, Honaine, R.A, T28, 1928.

117- Marcheka, J. la peste en Afrique septentrionel; histoire de la peste en Algérie de 1363-1830. these doctorat. Alger, faculte mixte de médico et de pharmacie d'Alger: (1957, mai 20)

118- Marth Conor, Une épidémie de peste en Afrique mineure (1748-1788) dans (A.i.P.T)

119- Masson Paul, Histoire des établissement et du commerce français dans l'Afrique Barbaresque(1550-1793) (Algérie-Tunisie-Tripolitaine-Maroc), Hachette, Paris, 1903.

120- Merad Boudia, Abdelhamid, La formation sociale Algérienne précoloniale. Office des publications, Universitaires Alger, 1981.

121- Millet Auguste : Du choléra-morbus épidémique, Éditeur Labé Paris, 1851
122- Moncer Roussi, Population et société au Maghreb (Horizon Maghrébine) office des publication universitaire, Tunis, 1983
123- Monnereau, Les inscriptions d'Oran et des Mersa El Kebir PAR LE gl.c.x de Sandonal in R.A.N n) 16, Année 1872.
124- Morbet, Bel-Ange, Les juifs de Mostaganem, Paris, l'Harmattan, 1990.
125- Mourre, Dictionnaire Encyclopédique d'Histoire –La Rousse Bordas, 1996.
126- N. Saidouni, L'Algérie rural à la fin de l'époque attoman (1791-1830) Ed.Ddor-Al Gharb,Beyrout 2001.
127- Notice sur le consulat de m. Taitbout et l'intérim de m. Dejouville. Dans correspondance des consuls (1690-1742) Gramont. vol N° 1 1856.
128- P Clausolles, L'Algérie pittoresque ou Histoire de la régence d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours, imprimerie de JB paya éditeur 1845, Toulouse
129 - P. Boyer, L'évolution de l'Algérie médicale (Ancien Dpt de 1830 à 1956) libre d'Amérique et d'Orient, maison neuve, Paris, 1960.
130- Perrot Aristide- Michel, Esquisse topographique et historique du royaume t de la ville, accompagner d'une cart générale du royaume et d'un plan du port et de ses environs, Editeur l'advocat, Paris, 1830.

131- Peysonnel Jean André, (1694-1759), Voyage dans les regences De Tunis et d'Alger, Librairie de Guide, Editeures animales des voyages, 1838.
132- Pierre Faroux, Mémoire de la congrégation de la mission principale de la congrégation de la mission, 1887, Tomme 3, Arnoula Bossa, Rapport de M. Boussusar l'Eglise d'Alger 1749, M.CM.
133- Primodaie F. Elie De La, Histoire de l'occupation Espagnole en Afrique (156-1574) Alger, Jourdan 1875..
134- R. Lespes, « Alger Esquisse de géographie Urbaine », Jules Carbonel, Alger 1925 in R.A, N° 67, 1926.

135- Raymond André, Grandes villes Arabes à l'époque Attomane, Paris, Sind Bad 1985.
136 - Raynauld, L : Marche origine des grandes épidémies au nord d'Afrique et particuliérement au maroc, communications faites au congresde médecine caire, Cairo, 1902..
137 - René L, Oran étude de géographie et d'histoire urbain, librairie félix Alcan, Paris, 1938..
138- Richard Lawless, «L'évolution du peuplement, de l'habitat et des paysages agraires du Maghreb », Annales de Géographie, N° 446, T81, 1972.
139 - Rinn louis : Le Royaume d'Alger in « R.A » T.43, 1899, Voire carte.
140- Rozet, Algérie, l'univers, ou l'histoire et description de tous les peuples, de leurs religions, mœurs,coutumes, 2[E], Ed : Bouslama, Tunis 1980.
141- Runckel D'hergulus (J), Invasions des acridiens vulgusau t-urelles en Algérie
142- S.S Peziale, « La langue trêve Epidémiologie : La Tunisie entre 1705 et 1784 R.H.A.E.O N° 17 18 Spt1998.
143- Shaw, Voyage dans la régence d'Alger, Traduit de l'anglais par J. Maccarthy, ed Bouslama, Tunis, 1980.
144- Thamer Hatamleh, Uluslararasi Islam ve tip (Tibb- Nebevi), kongresi, Adana, 2015.
145- Tholzan Joseph- Désiré, Du Développement de la peste dans les pays montagneux et sur l hauts plateaux de l'Europe de l'Afrique, Gautier, Villars, Paris.
146 - Tinthoin Robert : l'Oranie Sa géographie, Son Histoire, ses centres Vitaux, Oran, Fouqué, 1992..
147- Trumelet, Les saintzs de l'Islam, saint du tell, Didier ; Paris, 1881.
148- U. Manfred, La médecine islamique, traduit de l'anglais par Fabienne Hareau, P.U.F, Paris, 1995.

149- Venture de paradis Alger au XVIII siècle (1700-1799) Edite par Fagman, Alger, Typographie, Adolf, Jordan 4 place du gouvernement, 1989. .
150- Vincent Martin Antoine,Et collardot, Victor, Le choléra d'après neuf épidémies qui ont régné à Alger depuis 1835 jusqu'en 1865, Editeur : V. Rozier, Paris, 1867.
151- Violle Henri Jules: La Peste, Les rats, Les puces, Le bacille de la peste, Le diagnostic de la peste chez le rat, Melun, 1921..
152- Walsin Esterhazy, Notice Historique sur le Makhzen d'Oran, Oran Perrier, 1849, 2 Avril-Juin 1966.
153- Walsin Nesterhazy Louis-Joseph- Ferdinand, de la domination Turque dans l'ancien regence d'Alger éditeur. C. Gossglin- Paris 1840.
154- Wiliam Shaler, Esquisse de l'etat d'Alger, Tr. M. X Blanchi, Librairie, L'advocast, Paris, 1830.
155- Y Lacoste, A Noushi, M prenant, L'Algérie présent et passé le cadre et les étapes de la constitution de L'Algérie actuelle, Ed : sociales, Paris, 1962.
156-A. Hamdani, La vérité sur l'expédition d'Algr ,ed, balland,1985.
157-A. Moussoui : Le Maghreb central : Economie et société au XVII siècle d'après un manuscrit de Fiqh U.R.A.S.C Université d'Oran 1988.
158-A.Berbrugger, L'affaire Bakri d'après un document inédit, In, R.A. N°13.1869.
159-BerbRugger :« épitaphe d'ouzon –Hassan le conquérant d'oran en 1708,
160-Boutin (G), Reconaissance des villes et Batteries forts d'Alger, Paris, champion, 1927.
161-Emile Dermenghem, Le Culte des saints dans l'islam maghrébin, Edition Gallimard 1954.
162-j, marcheka, ; La peste en afrique septentoriale, Histoire de la peste en Algérie de 1363 à 1830. Carbonel, paris ; 1927.

163-Jean-charles, Ducéne, Al Idrisi, Abu Abdallah, Encyclopaedia of Islam, Three حققه الوافي نوحي: وصدر ضمن منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، 1428هـ/2007م.
164-Mohamed El Korso et Mikel de Aplaza Oran et l'ouest Algérie au 18 siècle d'après le rapport Aramburu, Alger, 1978.
165-Octave Tessier: Algérie géographie, Histoire, statistique description des villes, Villages et hameaux, organisation des tribus, nomenclature des khalifaliks,aghaliks et Kaidats,Paris, Hachette et Cie, 1864.
166-Panzac, Le corsaire Barbaresqu, La fin d'une Epopée 1800-1820, C.N.RD.E J, Paris 1999.
167-Paul Masson, Histoire des établissement et du commerce français dans l'Afrique Barbaresque(1550-1793), Paris, librairie Hachette ; 1903.
168-Tinthoin Robert, Colonisation et évolution des genres de vie dans la région ouest d'Oran de 1850 à 1885, Oran. Pouque 1947.

مراجع باللغة الإنجليزية:

1- Hilton Simpson, Arab médecine and surgerry, Astudy of the heoling art in Algeria ed, London. Oxford university press. 1922**.**
2- James Grey Jackson: An account of the Empire of The Empire of Morocco and the district of Suse, London, 1909.
3- Kenrad E. Nelson & Carolyn F. Williams: Early history of infectionus discas, Jones and Bartieti, England, 1976.
4- Marahatta SB, Paudel S, Aryal N : Covid-19 pandemic: What can Nepal do to Curb the Potential Public Health Disaster? Journal of karnali Academy of Health Sciences.
5- wilder-smith A and Freedman Do: isolution, quarantine, social distancing and community containment: pivotal role for old-style public health measures in the novel corona virus (2019- ncov) outbreak. J Travel Med,2020.

مراجع باللغة التركية:

1- Gülden Sarıyıldız, Karantina, İslam ansiklopedisi, cil 24, İstanbul, 2001, s.463.

مقالات وبحوث باللغة الفرنسية:

1- Auteur inconnu, Note chronologiques pour l’histoire de Constantine, Revue Africain année 1895, N°39.
2- Brosselard, Les inscriptions arabes de Tlemcen, Revue Africain 1860, N° 4.
3- correspondance des intendants de la santé de Marseille : Forte épidémie de fièvre jaune venu de Carthagène
4- D Panz, les domaine de l’histoire, La peste à smyrne en 18 siècle, In annales Economies sociétés. Civilisation, N° 4 Juillet- Aout 1973, Lib Armond Colin..
5- DELPHIN, (G), Histoire des pachas d'Alger de 1515-1749, in journal Asitique, Avril. Juin, 1922.
6- Emeretim, Le voyage de la candamine à Alger (1731), Revue Africain, N°16 année 1956.
7- Francs-Tireurs de la médecine in Revue au Trement 9/77, p 190.A.D.B.R, Série 200E 454 (1723-1748) correspondance consulaire à L’I.S.M le 07/6/1785.
8- Fritsh dit Long: ce que Valent Les Lazarets et les quarantaines, dans Gazette Médical, dixiéme Année, Directeur dr E, L Bertherand, Alger 1865, N° 7.
9- Galissot René, L’Algérie précoloniale in C.E.R.M, sur le péodalisme 1971.
10- Galissot René, Rapport ville –compagne in « C.E.R.M » 1971.
11- Gazette de France, 1787, N° 67. 21-08-1787.
12 - Gazette médicale de L'Algérie, Directeur dr E.L Bertherand éditeur J.B.Bailliére, Paris, Anné 36. N° 05, 1891..
13 - Gilbert Grand guillaume, «Une média de l'Ouest algérien : Nédroma», Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°10, 1971, p64.
14- J-N Biraben:« La Peste noire en terre de l'islam», in l'Histoire, n°11, avril, 1979

15- Kamel Fillali, Femines et Epidémies, Facteur Potentiel de l'Eclipse de l'Ottman en Algérie, In A ctes du 7e sym d'études ottomanes sur la société et l'état dans le monde ottoman, pub . fondation femini Zeghouan, sep 1990.

16- L. Valensi, calamités démographiques en Tunisie, méditerrané orientale aux 18e et 19e Siècle, in Annales E.S.C 1969 .

17- La Lettre Valensi, Le Maghreb avant la prise d'Alger (1790-1830), p 59-60.A.I.P.A 1924 .

18- Le Roy Laduri, E : Histoire et Climat, Annales, économies, sociétes, Civilisations 14 année, N, 1, 1959.

19- Legée, Émile : Rapport sur l'épidémie de variole, qui a régné en 1870-71 dans l'arrondis-sement d'Abbeville, Éditeur **:** imp. de Briez, Abbeville, 1872.

20- Levasseur Paul : De la variole et de la vaccine rapport présenté à l'Académie..

21- Lucette Valensi, Calamités démographique en Tunisie et en méditerrané orientale aux 18ème et 19ème siècle in annales E.S.C. ,N° 6 p 1541.

22- Lucette Valensi, Les Maghreb Avant la prise d'Alger (1790-1830) p 59/60.A.i.p.A1924, N°3, p 24

23- Pierre Boyer, « constribution à l'étude de la opolitique religieuse des turcs dans la régions d'alger (x v,e- x,xe siècle) Revue de l'occident musulman et de la méditerranée N°1 1966..

24- Précis historique de l'épidémie qui regne à Marseille et vue nouvelle sur la vaccine par L.J.M, Robert professeur d'hygiène naval à l'école de médecine de Marseille, Marseille 1828.

25- R. Dr Deneveu, L'Etat sanitaire de l'Afrique du nord pendant l'Occupation Arabo-Turque » In bulletin de la société Française d'histoire de la médecine 1913

26- Série 200E 976 ,Fièvre jaune (1758-1870) Série 200 E 977 Recueil des pièces relatives à la fièvre jaune d'Amérique de 1799, pp 183-185.

27- Sistach : La variole Abona, Gazette médicale de l'Algérie Directeur Dr E. L. BERTHERAND Editeur J.B Bailliere ; Paris, année 23, N)° 11, 1879.
28- Stambouli et Zghah, La vie urbaine dans le maghreb in « A.A.N » N° 11, 1975.
29- Stambouli Fredj, système social et stratification urbaine au maghreb in Revue tunisienne des sciences sociale, N° 450-51, 1977, (pp 69-106), p 75.

30- Vignes Pierre, Histoire du choléra-morbus qui a régné épidémiquement à Oran pendant les mois d'Octobre 1834 et de Janvier 1835, Verroannais, metz, 1836.
31-A, Berbrugger, « Inventaire raisonné des inscriptions romaines actuellement à Miliana » Revue Africaine, Vol N° 9, 1865, pp 48-56.
32-Grandmaisson, & Emmnuel, G.. *La variole.* (Rueff, Éd.) Paris. (1894) ; p 145.
H.P.J. Renaud, les maladies pestilentielles dans l'orthodoxie islamiques, Bulletin de l'institut d'Hygiéne du maroc, n° III, juillet – sept, 1934, p 5.

33-I.S.M, Série 200E 973 Choléra 1824-1849, p 183.
34-Jean Louis –Marie Poiret, Voyage en Barbarie ou lettre écrite de l'ancienne numidie pendans les années 1785-1786 sur la région, les coutumes et les noeurs des maures et des arabes-Bédouins avec un essaie sur l'histoire naturelle de ce pays, lettre N°5, Editeur chez J.B.F Née de la Rochelle, 1789, Lettre N°27, p 114.
35-Letrre de l'agent précite, en date du 04 Octobre Dans histoire chronologique des épidémies (Gyuon) .
36-Lettre de 4 Juin, de l'agent consulaire de France à bôné, au conseil de France à Alger, J.L.G Guyon, Histoire chronologique des épidémies du nord de l'Afrique p 356-357.
37-Revue Africaince, Vol N°3, 1865, p 121-126.

مذكرات الماجيستير ورسائل الدكتوراه باللغة الفرنسية:

1- Bolio Antonin : Grippe et typhoïde, président de thèse professeur Brouardel, Faculté de médecine de Paris -Thèse Doctorat- Éditeur C. Naud, Paris, 1904.

2- Libert Marcel, Etude des reflexes dans la fièvre typhoide (Thèse de doctorat) président de thèse professeur Raymond, Faculté de médecine de nature, Thèse de doctorat, diteur ,A Michalon, Paris, 1902 p 11.

3- Mohame Ben Mostefa Kamel, professeur de la moquée d'Alger, « La médecine et les quarantaines dans leurs rapport avec la loi musulmane, Alger fortana, 1896, 23 p . parc In R.A . Bulletin.

4- Mohamed Ben Larebey, La médecine arabe en Algérie, Thèse pour le doctorat en médecine, Présentée et soutenue le 16 Juillet 1884, Président Mr Béclard, Faculté de médecine de Paris, année 1884..

5- Pharaon Florianet le docteur Bertherand, Histoire de la médecine chez les arabes , VOCCABULAIRE français-arabe, Raduer et manuscrit ayant appartenu au docteur Leclerk, manuscrit, Bibliothèque nationale de France, département des manuscrits arabe, 6455.

6- Sadek benkada, espace Urbain et structure social a Oran de 1792-1830, Mémoire de diplôme de étude approfondies, université d'Oran, 1988.

7-Dr G. Goldin « Abderrazak Aldjazairi, Un médecin arabe, du XIIé siècle de l'Algérie, Thèse de médecine, Monpellier 1905, , Dr L. Le clerc, traduction en arabe de kachefer Roumouz, Révalations de Enigmes d'Abder Rezzak Edjezairi, traite de matière médicale arabe, Balliére, Paris, 1874

المواقع على الشبكة العنكبوتية:

1-https://www.health.ny.gov/diseases/communicable/cholera/fact_sheet.htm
19 avril 2020. 14.25h

2- Department of Health: Plague, november 2021.

3- Department of Health: Typhoid Fever, fevrier 2021.

4-www.gallica.com

5-www.noor-book.com

6- رياض بواعنة: الأمراض الوبائية...فيروسات لا تفرق بين الصالح والطالح، مقال مأخوذ من الموقع الإلكتروني: WWW.BAB.COM، وعبد الله المنيف: الأمراض الوبائية والوقاية منها، مقال مأخوذ من نفس الموقع، ثم الاضطلاع على الموقع يوم 05 ديسمبر 2020 على الساعة 12.30.

قائمة الفهارس

أولا: فهرس الأعلام:

-أ-

-ب-

-ت-

-ج-

-ح-

-ش-

-ص-

-ط-

-ع-

-غ-

-ن-

-هـ-

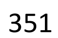
ثانيا: فهرس الأماكن والبلدان والقبائل

-أ-

-ب-

-ت-

-ج-



ثالثا: فهرس المحتويات

الملخص:

نظرا لما تركت الأوبئة من آثار في التاريخ وانعكاساتها على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية والدينية، فكان لا بد من تناولها بالاهتمام والدراسة، وهذه الرسالة اهتمت بموضوع الأوبئة والطاعون والأمراض في بايلك الغرب الجزائري، وارتباط هذه المصطلحات ببعضها تاريخيا، وقد نتج عن هذا اختلاف في المفاهيم الاصطلاحية، بل تجاوز المجال الاصطلاحي وتعداه للمفهوم الديني والتاريخي والطبي، وهذا ما قادنا للحديث حول جدلية الفرق بين الوباء والطاعون في النصوص التاريخية والدينية وحتى الطبية القديمة والحديثة، خصوصا الاختلافات الفقهية التي ركزت على مسألة العدوى والفرار من الطاعون، وطرق مواجهته والوقاية منه، وأيضا ما تناوله المؤرخون المحليون والأوروبيون في كتاباتهم عن الأوبئة، وما ذكر حديثا في مجال الأوبئة والطواعين مع الاكتشافات الطبية الحديثة، والتطور العلمي، مع تسليط الضوء على الأوبئة التي ضربت بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني كأنموذج خلال القرن 18م وبداية القرن 19م، بحكم أن هذه الفترة الزمنية عرفت فيها الجزائر مجاعات وأوبئة عديدة في فترات زمنيّة متباينة، مع رصد معلومات هامّة عن اهتمام السلطة الحاكمة والإسبانيين والجزائريين بالطب والأوضاع الصحية، وأساليب العلاج المتبعة، وما أُلّف من مدونات عن الأوبئة في هذه الفترة، وتأثير هذه الأوبئة والأمراض على الساكنة اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ودينيا

كلمات مفتاحية: الأمراض، الأوبئة، بايلك الغرب، الطاعون، الحجر الصحي

Abstract :

Duo to the impacts and effects epidemics on history and their implications for had on social, economical, political, religious, and moral status, We have to give this phenomenon a big importence and make serious studies about it.This thesis handles the epidemics, plagues and the diseases which ravaged the Algerian Western Beylik, and the relation these two words have between each other historically. From this resulted differences, not only in the etymological understanding but it reached the religious, the historical, and the medical meaning.

Given what, this led to many writing about the difference between epidemics and plagues in the historical, the religious and even in ancient and modern medical texts, and especially doctrinal differences which focused on contagion and the ways to fight the plague and how to prevent people from it. It also handles what the local and the European historians wrote in their researches about the epedimics and what was recently written on epidemics and plagues with the modern medical discoveries and the scientific development the word knows.

In this research we focused mainly on the epidemics which ravaged Algerian Western Beylik during the Ottoman era, in 18th century and the beginning of 19th century. In this period Algeria suffered from starvation and knew various epidemics which ravaged it, during different years. There are many written information which explain how the governing authority, the Spanish and the Algerian gave a big importence to medicine, the medical conditions and how to cure people from this diseases, we find also several writings about these epidemics during the period mentioned before and their impact on the inhabitants socially, politically, economically and religiously.

Key words: diseases; epidemics; western beylik; plague; sanitary confinement

الملخص:
نظرا لما تركت الأوبئة من آثار في التاريخ وانعكاساتها على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية والدينية، فكان لا بد من تناولها بالاهتمام والدراسة، وهذه الرسالة اهتمت بموضوع الأوبئة والطاعون والأمراض في بايلك الغرب الجزائري، وارتباط هذه المصطلحات ببعضها تاريخيا، وقد نتج عن هذا اختلاف في المفاهيم الاصطلاحية، بل تجاوز المجال الاصطلاحي وتعداه للمفهوم الديني والتاريخي والطبي، وهذا ما قادنا للحديث حول جدلية الفرق بين الوباء والطاعون في النصوص التاريخية والدينية وحتى الطبية القديمة والحديثة، خصوصا الاختلافات الفقهية التي ركزت على مسألة العدوى والفرار من الطاعون، وطرق مواجهته والوقاية منه، وأيضا ما تناوله المؤرخون المحليون والأوروبيون في كتاباتهم عن الأوبئة، وما ذكر حديثا في مجال الأوبئة والطواعين مع الاكتشافات الطبية الحديثة، والتطور العلمي، مع تسليط الضوء على الأوبئة التي ضربت بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني كأنموذج خلال القرن 18م وبداية القرن 19م، بحكم أن هذه الفترة الزمنية عرفت فيها الجزائر مجاعات وأوبئة عديدة في فترات زمنيّة متباينة، مع رصد معلومات هامّة عن اهتمام السلطة الحاكمة والإسبانيين والجزائريين بالطب والأوضاع الصحية، وأساليب العلاج المتبعة، وما ألّف من مدونات عن الأوبئة في هذه الفترة، وتأثير هذه الأوبئة والأمراض على الساكنة اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ودينيا.

كلمات مفتاحية: الأمراض؛ الأوبئة؛ بايلك الغرب؛ الطاعون؛ الحجر الصحي؛ الإسبان؛ الجزائر العثمانية؛ العدوى؛ القرن الثامن عشر؛ القرن التاسع عشر.

نوقشت يوم: 2022/07/13

بتقدير: مشرف جدا

الملخص:
نظرا لما تركت الأوبئة من آثار في التاريخ وانعكاساتها على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية والدينية، فكان لا بد من تناولها بالاهتمام والدراسة، وهذه الرسالة اهتمت بموضوع الأوبئة والطاعون والأمراض في بايلك الغرب الجزائري، وارتباط هذه المصطلحات ببعضها تاريخيا، وقد نتج عن هذا اختلاف في المفاهيم الاصطلاحية، بل تجاوز المجال الاصطلاحي وتعداه للمفهوم الديني والتاريخي والطبي، وهذا ما قادنا للحديث حول جدلية الفرق بين الوباء والطاعون في النصوص التاريخية والدينية وحتى الطبية القديمة والحديثة، خصوصا الاختلافات الفقهية التي ركزت على مسألة العدوى والفرار من الطاعون، وطرق مواجهته والوقاية منه، وأيضا ما تناوله المؤرخون المحليون والأوروبيون في كتاباتهم عن الأوبئة، وما ذكر حديثا في مجال الأوبئة والطواعين مع الاكتشافات الطبية الحديثة، والتطور العلمي، مع تسليط الضوء على الأوبئة التي ضربت بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني كأنموذج خلال القرن 18م وبداية القرن 19م، بحكم أن هذه الفترة الزمنية عرفت فيها الجزائر مجاعات وأوبئة عديدة في فترات زمنيّة متباينة، مع رصد معلومات هامّة عن اهتمام السلطة الحاكمة والإسبانيين والجزائريين بالطب والأوضاع الصحية، وأساليب العلاج المتبعة، وما ألّف من مدونات عن الأوبئة في هذه الفترة، وتأثير هذه الأوبئة والأمراض على الساكنة اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ودينيا.

كلمات مفتاحية: الأمراض؛ الأوبئة؛ بايلك الغرب؛ الطاعون؛ الحجر الصحي؛ الإسبان؛ الجزائر العثمانية؛ العدوى؛ القرن الثامن عشر؛ القرن التاسع عشر.

نوقشت يوم: 2022/07/13

بتقدير: مشرف جدا